

السادات الذى عرفته



عبدالستار الطويلة

أنور السادات الذى عرفته

عبد الستار الطويلة



المكتبة المصرية المسماة للكتاب

١٩٩٢

الغلاف : الفنانة سميرة الباجوري

اهداء الكتاب ..

عندما طلب منى الناشر كتابة هذا منذ عشر سنوات .. بادرت بتسجيل معظم لقاءاتى وحوارى مع انور السادات على اشرطة فى جلسات مع زوجتى حينذاك سميره سعيد رفاعى واولادى احمد وجميله وانتصار .. ثم يعكف الثلاثة بعدها على تفريغ تلك الاشرطة .. ثم تقوم زوجتى بتبويب المادة وترتيبها ..

والآن وهى قد رحلت عن عالمنا .. فلا يمكن ان اتصور ان هذا الكتاب يكتب دون اشارة الى جهدها بل مشاركتها فى بعض وقائعه .. لذلك اهدى الى روحها الطاهرة هذا الكتاب .. وفاء وشكرا ..

عبد الستار

هذا الكتاب ؟

التفت أنور السادات الى عبد المنعم الصاوي وزير الاعلام حينذاك قائلا له في غضب :

— لماذا جئت بعبد الستار الطويلة الى الاجتماع ؟

قال عبد المنعم الصاوي في دهشة لم يستطع أن يكتبها .

— يا أفندم ماهو يبيجي دائما في كل الاجتماعات ؟

ولكن أنور السادات التفت هذه المرة الى فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص وكان الى جواره حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى وقال وهو مازال غاضبا :

— أنا مش قلت مش عاوز شيوعيين هنا ؟

رد عبد الحافظ بسرعة

— ماهو معاه كرنيه الرياسة ييجى وقت ماهو عاوز !

قال السادات في حسم :

— اسحبوا منه الكارنيه .

هذا بالضبط ما حدث فى أحد أيام شهر يونيه عام ١٩٧٧ عندما كان المرحوم الرئيس أنور السادات قد دعا رؤساء تحرير الصحف ومجالس اداراتها وبعض كبار الصحفيين كعادته للقاءه فى المعمورة . لي طرح عليهم طلبا محددا هو فصل ٣٠٠ صحفى شيوعى من نقابة الصحفيين .

والحوار الذى ذكرته قتاله لى عبد المنعم الصاوي يرحمه الله . وكان ذلك فى أحد أيام شهر يونيه ١٩٧٧ . وقبل ثلاثة أعوام من نفس الشهر

من عام ١٩٧٤ بدأت علاقتى بالرئيس المرحوم أنور السادات وتطورت هذه العلاقة الى شبه صداقة سمحت بلقاءات عديدة جرت فيها مناقشات متنوعة فى اطار أحداث تاريخية ضخمة .. وسأعود الى هذه الواقعة فى صفحات قادمة .

وحتى لما طردنى أنور السادات من « رحمة الكنيسة » اذاجاز القول .. استمرت هذه العلاقة بأشكال أخرى أو عن طريق قنوات مختلفة أبرزها استمرار لقاءاتى بالسيدة جيهان السادات التى كانت شخصية سياسية من الدرجة الأولى وشريكا له أو محاورا جيدا على الأقل فى معظم قراراته .

وقد أتيت لى أن أعرف الكثير عن السادات ووجهة نظره .. وأسلوبه فى الحكم وما وراء بعض قراراته المصرية .. وبعضاً من طباعه الشخصية وأثرها على مواقفه الموضوعية فى حكم البلاد ..

وقد عرفت هذا عن عمد .. وبعد متابعة واستقراء .. فقبل أن التقى بأنور السادات شخصيا كنت بحكم أنى مناضل سياسى .. وصحفى أتابع نشاطه وأحاول تحليل سياسته وتفهم مواقفه .. كما كنت أفعل ذلك فى عهد الملك فاروق .. وفى عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .. ربما كانت أول مرة أحاول فيها تحليل سياسة السادات ببعض الدقة ما كتبته فى كتابى حرب الساعات الست - الطبعة الأولى .. عن تخطيطه لحرب ١٩٧٣ التحريرية ..

وسيرى القارئ فيما بعد كيف أن هذا التحليل كان السبب الرئيسى فى استدعاء أنور السادات لى .. وبدء علاقتنا الوثيقة ..

وقد كنت أرى أن هذه العلاقة (التى جاءت من السماء) .. فرصة عظيمة لدراسة معنى الدولة .. وكيف تتخذ قراراتها .. وسبل الحكم وولاية أمر البلاد والعباد .. فكنت المتفرج والدارس والمتأمل .. والمقارن بين ما أراه وألمسه على أعلى مستوى فى السلطة وبين ما قرأته فى الماركسية عن الدولة ووظيفتها فى المجتمعات الانسانية ..

ومن حسن الحظ أن ليس فى طبعى شئ من طباع وصفات الندماء للملوك والرؤساء .. لذلك لم يكن هناك مجال للهزل قط فى لقاءاتنا .. وما كان أنور السادات نفسه يظهر أى ميل من ناحيته لمنادىتى .. أو « قرفشة » نفسه فى مثل تلك اللقاءات .. بل كان نائما جادا .. يتحدث أحاديث جديدة .. اللهم الا بعض الفكاهة حسب مسار الحديث والجدل ..

ثم انه كان يتملكنى شعور سيطر على تماما طوال علاقتى بالسادات
.. هو أن أعمل على افادة الحركة اليسارية فى مصر قدر استطاعتى من
خلال هذه العلاقة .. كان أشرح له المواقف السليمة لليसार .. وأحاول
تصفية الجو بينه وبين أى يسارى فى مصر كما سيبين فى الصفحات القادمة
.. بل كنت أدعوه دائما للتعاون مع اليسار .. المصرى والعربى ..
وعندما كان الاتحاد السوفيتى اتحادا سوفيتيا « بحق وحقيق » كنت
دائما أدعوه الى تصفية خلافاته معه .. مع حرصى لى نفس الوقت على
نقد أى مواقف خاطئة للاتحاد السوفيتى ازاء مصر ..

وأشهد أن أنور السادات كان مستمعا جيدا .. ومجادلا طيبا ..
ولم يغضب قط من أى ملاحظة أو نقد لسياسته .. وكثيرا ما انتقدت
مواقف له ..

وهذا الكتاب ليس دراسة أكاديمية لعهد أنور السادات فنحن
لم نستهدف مثل تلك الدراسة ولا نزع قدرتنا على القيام بها فهذا شأن
المؤرخين بل كبار المؤرخين .. وليس فى هذا الكتاب وثائق أو ما أشبه
.. ببساطة لأننا لا نملك وثيقة واحدة .. وما فكرنا يوما فى اقتناء
واحدة منها ..

انما أنا أحاول هنا تسجيل وعرض ما رأيت .. وما سمعت ..
كما أحاول تحليل هذا الذى رأيته وسمعته بأكبر قدر من الموضوعية
.. أستطيعه ..

وقد حاولت الجمع بين سياسته المعلنة التى يعرفها الناس ..
وبين ما رأيته وسمعته من خلال الاحتكاك الشخصى به ..

وفى تاريخ مصر الحديث لم يوجد زعيم لها هوجم كما هوجم
أنور السادات .. لا فى مصر وحدها .. ولكن على النطاق العربى كله ..
بل امتد ذلك الهجوم الى نصف العالم تقريبا عندما شن المعسكر الاشتراكى
سابقا بقيادة الاتحاد السوفيتى حملة شعواء على أنور السادات .. ولوث
أغلب اليسار العربى والعالمى والمصرى قبلهما شرف أنور السادات وشوه
إنجازاته بشكل متعسف يناقض كل أسس الموضوعية بل قواعد الأمانة
التى تعلمها للشبان الصغار الذين يقصدون دور الصحف ليتعلموا
الصحافة ..

والا بماذا نفسر كيف أن الكاتب اليسارى يرفع عقيرته بالصياح
ممجدا ومادحا فى حرب أكتوبر البطولية .. وأنرها فى رفع شأن الأمة
العربية ويتجاهل تماما أن صانعها وقائدها هو أنور السادات ..

وليراجع أى قارئ أعداد المجلات اليسارية فى مصر ٠٠ والعالم العربى سيجد هذه الظاهرة ٠٠

بل ستجد بعضهم يقدم لك حججا مضحكة كان يقول ان الذى قام بحرب أكتوبر هو الجيش المصرى ٠٠ أو الشعب المصرى ٠٠ هكذا دون قائد ١٩

والبعض سيقول ان عبد الناصر كان يعد للمعركة ٠٠ حسنا ٠٠ ومن أنكر فضل عبد الناصر وتصميمه على خوض المعركة ٩ ٠٠ لكن كان ممكنا أن يأتى بعده قائد لا يقوم بمعركة ١٩ ٠٠

وكثير من النقد غير هذا وجه لأنور السادات ٠٠ وبعضه صحيح حقا ٠٠ ولكن فى الحقيقة ان أنور السادات مر فى تاريخ مصر كالاعصار ٠٠

أحدث انقلابا فى أسلوب الحكم ٠٠ ولعل أبرز معالم ذلك الانقلاب هو أن المواطن العادى أحس أن حاكم ورئيس جمهوريته هو مجرد مواطن عادى يمشى فى الأسواق ٠٠ ويتطيب ويفرح ببزة جديدة يرتديها ! ٠ وذلك بعد التالىة الذى حدث للزعيم جمال عبد الناصر ٠٠ حتى لأن الشعب المصرى أحس « باليتم » بعد وفاته وتحدث معظم الناس بما فيهم السوفيت عن الفراغ الهائل الذى تركه بعدها ٠٠

والسادات هو الذى أحدث انقلابا فى الأوضاع الاقتصادية فى مصر ٠٠ وعلاقات مصر بالعالم ٠٠ وكان الحاكم العربى الأول الذى جرد على الاعتراف بدولة إسرائيل وعقد سلاما معها ٠٠ وأقر سياسة الانفتاح ٠٠ وبدأ طريق الديمقراطية ٠٠ ثم نكص على عقبيه منذ عام ١٩٧٧ بعد ١٨ و ١٩ يناير ٠٠ واتخذ الانفتاح سبيلا لمسار مصر الاقتصادية ٠٠ وأطلق للصحافة حريتها فترة طويلة من الزمان ٠٠ وانقلب عليها وعلى الصحفيين جميعا ٠٠ وحدثت فى عهده لأول مرة اضرابات ضخمة لم يقمعها البوليس بالحديد والنار كما جرت العادة من قبل ٠٠ ثم حشد العرب ٠٠ وفرقهم بعد ذلك ٠٠

وكان أول حاكم مصرى يلفت النظر الى المستقبل ٠٠ فهو الذى لفت الأنظار الى مصر عام ٢٠٠٠ ٠٠

وأشياء كثيرة ٠٠ مثيرة ٠٠ حتى انتهى الموقف بأكثر الأحداث اثاره الذى تمثل فى النهاية الدراماتيكية له فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ بعد خطئه القاتل فى سبتمبر من نفس العام ٠٠

ومنذ سنوات طويلة .. طلب منى بعض الناشرين كتابة هذا الكتاب
.. ورغم وجود مذكرات خاصة عندي عن تلك الفترة التى عرفت فيها
أنور السادات .. الا أننى لم أحاول الكتابة ..

على أننى فى الشهور الأخيرة أحسست بدافع لأن أستجيب لما طلب
منى منذ سنوات ..

فانى أكاد أرى المسار الذى تتخذه القضية الفلسطينية بالذات فى
السنوات الأخيرة يؤكد وجهة السادات التى هوجمت كثيرا ..

بل الأخطر من هذا ان التطورات العالمية الأخيرة .. وخصوصا
العلاقة بين المعسكرين .. وما جرى ويجرى فى الاتحاد السوفيتى
والمعسكر الاشتراكى السابق فيها اتجاهات ساداتية واضحة .. لا يمكن
الا المكابر انكارها ..

فهل كان السادات رجلا سبق عصره .. فى بعض الأمور والأفكار
.. رغم وقوعه فى أخطاء جسيمة ؟ ..

هذا هو دافعى الى كتابة ذلك الكتاب اليوم .. بل هذا هو موضوع
الكتاب نفسه من أول سطر الى آخر سطر ؟ وسنبدا القصة من أول مرة
عرفت فيها أنور السادات ..

عبد الستار الطويلة

١٠ ديسمبر ١٩٩١

هوامش معرفة ..

في شبابنا بعد الحرب العالمية الثانية .. كان الوطنيون المصريون الذين جعلوا نصب أعينهم طرد قوات الاحتلال البريطانية من البلاد في حالة انقسام .. فرغم أن حزب الوفد المصري .. كان قائدا للحركة الوطنية والديمقراطية في البلاد .. إلا أن الشباب الذي أفرزته ظروف الحرب والأفكار التي جاءت بها .. وكانت إطارا لها .. كان لا يتفق على منهج واحد في مقاومة الاحتلال .. وكانت أي مجموعة من الشباب الوطنيين تستطيع تشكيل جمعية وطنية يكون شعارها الأول التخلص من الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطني .. فظهرت جمعيات شبابية مستقلة عن أي حزب أسسها شباب أطهار لا ينتمون إلى أي جهة من الجهات ولا ولاء عندهم إلا للوطن .. مثل جمعية الجهاد الوطني برئاسة الطالب إبراهيم رشدي (رئيس المحكمة بعد ذلك) .. وجمعية البعث الوطني بزعامة الطالب أحمد شوقي الخطيب (أحد البارزين من المحامين المصريين المعاصرين) وكانت أقوى هذه الجمعيات وأكثرها نفوذا وانتشارا بين طلبة المدارس الثانوية والجامعة .. في القاهرة ومدن مصرية عديدة .. لأنه كان لها برنامج واضح .

لكن هذه الجمعيات جميعها كانت تختط طريق النضال السلمي كالمظاهرات والاجتماعات والمؤتمرات واللقاء الحطوب في المدارس والجامعة .. وكان يمتلكها جميعا شعور بالرغبة في الابتعاد عن الأحزاب السياسية ..

وفي نفس الوقت ظهر تياران آخران .. يسعيان إلى تحرير البلاد من الاحتلال البريطاني ..

الأول التيار الماركسي الذي تأثر بالأفكار التي جلبها انتصار الاتحاد السوفيتي على النازية في الحرب .. ووضع ذلك التيار في مقدمة

برنامج ضرورة تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني .. وطرح هذا التيار لأول مرة شعار الكفاح المسلح لتحرير الوطن .. كما ربط النضال الوطني بالنضال الاجتماعى لتحرير الشعب من الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية ..

ولكن التيار الماركسى الذى كان ممثلا فى عدة منظمات شيوعية .. رغم طرحه لشعار الكفاح المسلح لم يضع هذا الشعار موضع التطبيق فى تلك الفترة من تاريخ مصر ٢٥٠ - ١٩٥٠ . وكان تصوره عن هذا الكفاح المسلح أنه لابد أن يكون ذا طابع شعبى أى ثورة شعبية مسلحة .. وكان لا يرى أنه يعتبر كفاحا مسلحا أن يبادر شباب بالقاء قنبلة أو إطلاق رصاصة على جندى بريطانى بشكل منفرد .. بل هو مجرد عمل نتيجة باعث وطنى بشكل مؤكد ولكنه يتخذ طابعا ارهائيا لأنه فردى .. ومثل هذه الفردية فى النضال يمكن أن تجعل الشباب أو الشباب الوطنى عرضة للاستغلال من جهات مشبوهة والاستفادة فى لعبة السلطة ومؤامرات الاستعمار نفسه سواء على الحرية أو على أحزاب يرى فيها خطرا عليه .

أما التيار الثانى فكان يتكون بالذات من ذلك النوع من الشباب الوطنى الذى لم يكن يتحمس له التيار الماركسى الذى نمت نفوذه بين الطلبة والعمال فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى أنه استطاع تشكيل أول جبهة وطنية فى البلاد بعدها تحت اسم اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التى كان سكرتيرها العام المرحوم د . فؤاد محيى الدين رئيس وزراء مصر الأسبق . وهى التى قادت النضال الجماهيرى ضد الاستعمار وأعوانه فى مصر .. وانتظمت فيها كل القوى الوطنية وعلى رأسها حزب الوفد القائد التقليدى للحركة الوطنية المصرية منذ ثورة ١٩١٩ . وازدهر أيامها لأول مرة التيار اليسارى فى حزب الوفد الذى سمي باسم الطليعة الوفدية .

خارج هذا الإطار التنظيمى الشعبى تشكلت جمعيات وطنية تضم شبانا هداهم تفكيرهم الى أن الطريقة المثلى للتخلص من قوات الاحتلال البريطانى هى اغتيال جنوده بشكل فردى هنا وهناك .. ولا بأس من اغتيال حلفاء ذلك الاحتلال من المصريين أنفسهم ..

وحدثت حوادث اغتيال كهذه فعلا .. بل هاجمت مجموعة وطنية ناديا للقوات البريطانية فى الاسكندرية .

كان ذلك نضالا فرديا .. نظر اليه الماركسيون فى شك واسترابة بل اعتبروه من قبيل الأعمال الارهابية ..

وعزز هذا الراى ظهور جماعة حسين توفيق التى اغتالت أمين عثمان وزير المالية فى حكومة الوفد بحجة أنه عميل بريطانى .

وكانت جماعة حسين توفيق تضم شبانا متحمسين وطنيين لاشك فى ذلك يعيش منهم الآن شخصيات بارزة فى الساحة الثقافية والسياسية فى مصر مثل الأساتذة الكتاتبان سعد كامل وعبد العزيز خميس ومحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق وكان من بين هؤلاء أيضا أنور السادات . .

ويمكن على ضوء ما شرحناه سابقا تصور نظرتى لأعضاء جمعية حسين توفيق هؤلاء عندما التقيت بهم لأول مرة فى سجن مصر . . صيف عام ١٩٤٨ . .

اذ كنت فى الأصل مسجوناً فى سجن بنى سويف متهما فى قضية شيوعية . . وبفضل معاونة نادرة من رجل بوليس نادر هو « اليوزباشى » ابراهيم محمد ابراهيم (اللواء الآن) وكيل سجن بنى سويف حينذاك أمكن نقلى الى سجن مصر لأداء الامتحان . .

كانت ادارة السجن تضع المسجونين فى قضية أمين عثمان فى الدور رقم ٦ . . أما سائر المسجونين السياسيين بما فيهم الشيوعيون فيوضعون فى دور رقم ٢ . .

أخطأ الشاويش فى توزيعى ووضعنى فى الدور ٦ مع قضية أمين عثمان . .

وأؤكد الشعور بالتأفف الذى انتابنى وأنا أرى هؤلاء المسجونين فى الطابق الذى يعلونى وأنا ما زلت فى الدور الأول متوجها الى السلم لصعوده . . وساءلت نفسى : هل سأقيم مع اراهابيين ؟ . .

وكنا نحن اليساريين قد دمغنا هذه المجموعة بأكثر من وصف الارهابيين . . بعد اذ اتضح أنهم قد سخروا للهجوم على حزب الوفد . . مما يخدم أهداف السراى والاستعمار . . فقد كان موقف الشيوعيين المصريين واضحا ومحددا ازاء الوفد باعتباره حزب البرجوازية الوطنية التى تقود الحركة الوطنية ضد الاستعمار والسراى ومن أجل الديمقراطية . .

وان كان الشيوعيون لم يخفوا أبدا أنهم يريدون الوصول الى السلطة . . وأنهم طليعة النضال الوطنى . .

ولكننى تغلبت على تأففى وقلت لنفسى . . لكن هؤلاء الشبان أغلبيهم ان لم يكن كلهم متحمسين . . ولكنهم مضللون وناقصو الوعي ! فلا بأس .

من الحياة معهم .. والتعرف الى أفكارهم ودراساتها .. وتجنيد من يمكن
تجنيد منهم ان أمكن ١٩

ولم أكن أعرف الى سباطرد من دور ٦ بعد دقائق قليلة ..
ولكن كانت هذه هي المرة الأولى التي التقى فيها بأنور السادات ..

استقبلنا على بداية الدور المرحوم سعيد توفيق شقيق حسين توفيق
.. وقال له الشاويش هذا الأخ قادم من سجن بنى سويف للامتحان ..

كان أنور السادات واقفا الى جواره وعرفته من صورته التي كانت
تنشرها الصحف ..

نظر سعيد الى « تذكرتى » التي سلمها له الشاويش .. فقال بصوت
عال وهو يلوح بيده للشاويش ..

— ده شيوهى يا عم مرسى .. ما يقعدش معانا ..

تنبه أنور السادات واقترب منا أكثر ونظر الى « التذكرة » وقال
ببساطة ..

— ليه .. ما يقعد معانا .. نتشرف بيك يا رفيق !

ومد يده وهو يبتسم ابتسامة عريضة أثارت دهشتى وخصوصا
كلمة رفيق .. التى كان يبدو أنه يقولها مازحا ..

ولوح سعيد توفيق بيده قائلا .. لا .. لا .. (الشيوعيين لهم
حتى تانية !) ولم يعط الشاويش مرسى فرصة لاستمرار الجدل .. فقال
بدوره وهو يرتب على كتفى لاستدير : معاك حق .. لازم نروح دور ٢ ..
ده ممنوع ييجى هنا أصلا ..

قال أنور السادات : طيب لحظة يا شاويش مرسى ..

ودخل غرفة وخرج منها .. يحمل شقة خبز كبيرة محشوة بلحم وأرز
وشقة بطيخ ولقهما فى ورقة صحيفة .. ثم وضع يده فى جيبه العلوى ..
وأخرج علبة سجائر « بلايرز » أعطانى منها خمس سجائر ..

وقال : مادام جاي من بنى سويف .. لازم جعان لم تتغده !

كانت السجائر ممنوعة فى السجن أيامها .. والسيجارة الواحدة
عملة نادرة .. ثم كان الغذاء الذى تقدمه ادارة السجن للمسجون الذى
لا يحصل على طعام من الخارج .. كمية من الفول المسوس أو العنيس مع
زغيف خبز بايت .. ومن يأتى بعد الظهور مثل ليست له وجبة عشاء ..

انما ياخذ رغيفا يأكله حاف .. علاوة على شقة خبز يأخذها مع قليل من الملح ليفطر بها فى الصباح ! .. هكذا كان طعام السجن للمحبوسين احتياطيا (أى الأبرياء) مادام المحبوس عاجزا عن أن يطعم نفسه بنفسه ..

لهذا يمكن تصوركم كانت قيمة رغيف الخبز المحشو بالأرز واللحم الذى قدمه لى أنور السادات .. وشكرته .. وشكرت سعيد توفيق الذى لانت ملامحه بعد أن رأى أننى سأرحل كما لا بد أنه تأثر بسلوك أنور السادات الودى تجاهى ..

وبارحت المكان .. وأنا أحمل انطبعا طيبا عن أنور السادات. هذا .. وهو أنه ابن بلد .. وليس متعصبا ضد أى سياسى يخالفه الرأى والعقيدة ..

وعندما وصلت الى الدور الذى تقيم فيه « عشيرتى والأقربون » من رفاقي الشيوعيين .. ورحبوا بى بحرارة .. وقدموا خير ما عندهم .. دهشوا كثيرا عندما رأوا ما معى من طعام وسجائر باعتبار كيف أكرمنى هؤلاء الارهابيون من عملاء القصر والانجليز ! .. ومصمصوا فى استعلاء شاركتم فيه اشتقاكا على هؤلاء الشبان الذين ضلوا الطريق. وليس لنضالهم أى معنى أو جدوى .. بل تحولوا الى أدوات ..

وراحت .. واختفت من ذاكرتى حكاية سجن مصر .. الا بقدر ما كنت أطلع أخبارا عن قضية حسين توفيق وأنور السادات ..

الى أن قامت ثورة ١٩٥٢ وقرأت أنه أصبح عضوا فى مجلس الثورة .. وعرفت أنه من المنوفية .. ولكنه لم يثر اهتمامى .. لأنه رغم اهتمامى بالثورة المصرية منذ لحظة قيامها الا أنى كنت من أشد معارضيه واعتبرتها انقلابا عسكريا أمريكيا .. وكنت أستحلب فى لذة شديدة وحنق أشد تعبیر أنها عصابة الفاشية والحرب !

وسمعت مرة من بعض أهل المنوفية أن أنور السادات اقترض خمسة آلاف جنيه من بنك مصر واشترى فدائين أرض وبنى منزلا قظيفا ملحقا به مضيقة .. وأنه يتردد على قريته ميت أبو الكوم باستمرار ومعه صديق له فى الطفولة اسمه فتحى سلمان .. ويجلسان تحت الشجرة يشربون الشاي الفلاحي المألوف .. وكان ذلك فى الأعوام بعد الثورة مباشرة ..

ولفت أنور السادات نظرى مرة عام ١٩٥٤ بعد أزمة مارس الشهيرة عندما أدلى بتصريح قال فيه أنه من المنتظر أن يقدم الشيوعيون الى المحاكمة ..

العسكرية مثلهم مثل الاخوان المسلمين الذين كان قد بدأ تقديمهم بعد حادث محاولة الاغتيال فى المنشية .

ثم تصريح آخر له عن حرب فيتنام .. حيث قال ان مثل تلك الحرب لاتصلح فى مصر .. على أن أزمة مارس هذه قد أبرزت كاتباً مصرياً هو الأستاذ ابراهيم عامر الذى راح بعد ذلك غام ١٩٧٦ ضحية ضراح الرافضين والحرب الأهلية فى بيروت ..

فقد وقف أغلب كتاب مصر ضد الديكتاتورية العسكرية وطالبوا بعودة الجيش الى ثكناته وعودة الأحزاب والحياة الديمقراطية وانتخاب جمعية تأسيسية .. لوضع دستور وطنى ديمقراطى ..

واستغل هؤلاء الكتاب التراجع المحدود الذى قام به جمال عبد الناصر فى صراعه مع رئيس الجمهورية حينذاك اللواء المرحوم محمد نجيب وحركة الشعب المطالبة بالديمقراطية وذلك برفع الرقابة عن الصحف فعلاً واصدار وعود بعودة الحياة الديمقراطية .

كان خالد محيى الدين والمرحوم يوسف صديق العضوين الوحيدين فى مجلس قيادة الثورة اللذين تحديا اتجاه أغلبية زملائهما فى الماضى فى حكم البلاد بالحديد والنار واستماتا فى الدفاع عن الديمقراطية .. كذلك سيذكر التاريخ أيضاً أن أبرز الكتاب دفاعاً عن الديمقراطية كان أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى حينذاك ومحمود عبد المنعم مراد الكاتب المعروف ..

على الجانب الآخر .. كان هناك ابراهيم عامر وفاروق القاضى .. وقفا الى جانب مجلس قيادة الثورة .. ولكن ابراهيم عامر توطدت صلته بأنور السادات الذى كان مسئولاً عن دار الجمهورية وعرف عنه الكثير ..

وفى معتقل (أبو زعبل) كان معنا المناضل العريق الأستاذ سعد زغلول فؤاد رفيق أنور السادات فى نشاطاته المختلفة بعد الحرب العالمية الثانية .. وكنا نتساءل كيف لم يستخدم أنور السادات نفوذه للإفراج عن صديقه ورفيق نضاله .. وراجت اشاعات أيامها أن أنور السادات قد سلمه للبوليس عندما استنجد به ولكن سعد زغلول فؤاد نفى ذلك تماماً ..

لم يكن يبدو للمشتغلين بالسياسة أى دور هام لأنور السادات فى الثورة .. ولا رأى خاص ينفرد به أو موقف مميز ..

وعندما كان اليساريون والديمقراطيون عموماً يتحدّثون منه ينددون بتاريخه فى التعاون مع الألمان النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ..

وكان وجوده كقائد من قادة الثورة يعزز اتهامهم للثورة بأنها ديكتاتورية عسكرية أو مجموعة فاشية تحكم البلاد حكما ارهائيا ! .

وقد فوجئنا بأن أنور السادات قدم خلال وجودنا في المعتقل (حتى عام ١٩٥٦) مساهمة مادية للمرحوم الأستاذ حسن فؤاد الفنان اليساري الشهير لاصدار مجلة الغد الفنية الأدبية اليسارية معا ٠٠١

ويرز اسم أنور السادات مرة أخرى عندما أعلن عام ١٩٥٥ أن دستوراً جديداً للبلاد سيتم وضعه عام ١٩٥٦ وتنتهي فترة الانتقال ٠٠ وتعود البلاد تحكم حكما دستوريا ٠٠

هذا كله لم يكن يشكل تقديراً شاملاً لدور أنور السادات ٠٠ ولم يثر اهتمام أحد كمن يحاول عمل ذلك التقدير حتى أن أحداً لم يلتفت إلى الكتب التي كان يصدرها تحت عناوين مثل «هذا عمك جمال» الخ .

على أنهي في خلال معتقل الواحات (١٩٥٩ - ١٩٦٤) عرفت بعض الأشخاص عن أنور السادات من خلال صديقي المرحوم إبراهيم عامر ٠٠ أذكر أنه قال لي أنه ليست له فاعلية تذكر بين قادة الثورة ٠٠ ولا يبدو عليه أنه يحاول أن يبرز على أحد منهم ٠٠ رغم أن له تاريخاً طويلاً ضد الإنجليز في الشوارع ٠٠ والتعاون مع الألمان في الحرب أيضاً ! كما أن بعض رجال الثورة كانوا يستهينون بدوره ومواقفه ٠٠ ولكنه كان « يفوت » ويصبر دون اكتراث ٠٠

وحكى لي إبراهيم عامر أن أنور السادات لم يتصرف تصرفاً هاماً في حياة الثورة إلا عندما حدثت أزمة في مجلس الأمة أثناء رئاسة السيد عبد اللطيف البغدادي له عندما أراد البعض تحويل مشكلة مديرية التحرير إلى إحراج أصدقاء عبد الناصر (وكان هذا يعتبر إحراجاً لعبد الناصر نفسه أو توهماً تيكياً . بحكم طبيعة النظام الشمولي) وغادر عبد اللطيف البغدادي منصبه الرئاسية ٠٠ قائلاً أن للشعب أن يعرف كل شيء . فتولى أنور السادات (وكيل المجلس حينذاك) رئاسة الجلسة ولما بدأ عبد اللطيف البغدادي الحديث قال السادات : تعمل الجلسة سرية !

واعتبر عبد الناصر يومها أن هذا تصرف ذكي وحاسم من جانب أنور السادات لأنه يستتر على الثورة ولا يريد نشر فضائح منسوبة إليها .

وعندما خرج إبراهيم عامر من المعتقل عام ١٩٦٤ التقى بأنور السادات الذي استقبله استقبالا حاراً ٠٠ ورحب بعودته إلى الجمهورية من اليوم ولما شكا له إبراهيم ما يردده المرحوم

كامل الشناوى .. من أن « البراغيت الحمر » هجمت .. يقصد الشيوعيين .. قال له أنور السادات ضاحكا .. انت عارف كامل دمه خفيف .. ده هو الى توسط لصالح حافظ علشان يخرج من جهنم بتاعتكم فى الواحات بعد ثمانى أو عشر سنين مش فاكتر .. وهو الى توسط لرشدى صالح أول ما اعتقل .. وجاء لى يقول ان لم يفرج عن رشدى اليومين دول لن يخرج أبداً .. حيموت فى المعتقل !

وقال لى ابراهيم أن أنور السادات قال له وهو يلوح بأصبعه ..

يا ابراهيم .. الرئيس مصمم على خروجكم جميعا بما فيه المسجونين أنفسهم مش المعتقلين .. المره دى عاوز يفتح معاكم صفحة جديدة .. بعد الاشتراكية الى مشينا فيها .. فبلاش بقى المنشورات والتنظيمات .. والرئيس ماعندوش عقد من أى حد .. عقده الوحيدة منكم هى الولاء .. يخاف قوى من التنظيم .. ماتخلونا كلنا ولانا لمصر .. ونشتغل سوى ..

واللى يجرى علينا يجرى عليكم .. لازم تكونوا جد فى حكاية حل الحزب دى .. والرئيس فاتح لكم الباب على الآخر .. ان شاء الله يبقى الواحد منكم وزير .. لكن الى حيلعب بديله ويعمل تنظيمات سرية انت عارف الى حيحصله .. هو فيه بلد فى الدنيا صديقه للاتحاد السوفيتى مثل مصر .. أهو خروشوف جاى وعاملين له زفة ماوصلتش .. لحد فى الثورة نفسها !

وقال لى ابراهيم .. أنه دهش من أن أنور السادات يتكلم كلام « سياسى » كهذا .. وقال لى أنه قبل خروجه من مكتبه .. نصحه بأن يحصل من الجمهورية على مرتب شهرين يسدها على ١٠ أقساط علشان يسوى أموره بعد خروجه من المعتقل .. وشرع يحرق ورقة بذلك .. ولكن ابراهيم شكره وقال له انه وجد عند زوجته أموالا كافية لأنها تعمل بمرتب كبير باعتبارها سويسرية فى مؤسسة أجنبية !

أمضى معك .. أحكى لقطات .. ومشاهد .. وآراء .. عن الصورة التى كانت لدى عن أنور السادات .. قبل أن القاه لقاء شخصيا ..

حدث أيضا أنى رأيت أنور السادات فى اجتماع انتخابى فى انتخابات عام ١٩٥٧ وكانت دائرة مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار فى الروضة .. وكان موقف الشيوعيين فى تلك الانتخابات هو تأييد كل مرشح من الضباط الأحرار ..

ووقف أنور السادات ليخطب تأييدا لمصطفى كامل مراد فحكى عن معركة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وقال فى لهجة بدت لى غريبة اذ كان فيها مط وتطويل كطريقة الحشاشين فى الكلام : ثم جاءهم انذار .. يقصد جاء الانجليز والفرنسيون انذار سوفيتى ..

وتحدث يومها فى حماس شديد عن الاتحاد السوفيتى ومساندته لمصر .. وانبسطت منه طبعا !!

بعد عام واحد من هذا غضبت كما غضب كل الشيوعيين منه أى من أنور السادات عندما استقبل الأستاذ محمود أمين العالم عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى السرى وطلب منه حل الحزب .. وكان ذلك فى صيف عام ١٩٥٨ ..

وقال له قولته المشهورة التى أصبحت مثلا : تنظيم يعنى سلطة ا احنا عملنا تنظيم الضباط الأحرار فاستولينا على السلطة ..

والتقيت مرة بأنور السادات فى واحد من اجتماعاته بالمبعوثين .. ولما سأله أحدهم عن سبب خروج الدكتور حلمى مراد من الوزارة .. فقال أنور السادات : أنا لو كنت مطرح الرئيس جمال عبد الناصر لدبجت حلمى مراد .. ودهشت كما دهش أغلب أساتذة الجامعة والمبعوثين الذين كانوا حاضرين ا

وعندما كان يخرج من الاجتماع صافحنى دون أن يعرفنى .. وهو يصافح الصحفيين الذين كان يعرف بعضهم ..

وأذكر مرة أنى كنت فى تلا فى زيارة أخى الذى كان يعمل مديرا للطب البيطرى فى محافظة المنوفية .. فحكى لى أن فتحى سلمان صديق السادات الذى أصبح بمثابة مدير أعماله كان يستدعيه من حين لآخر لعلاج جاموسة يفرم أنور السادات بشرب لبنها بالذات .. وكان أخى كلما زار بيت الرئيس فى ميت أبو الكوم يدهش من بساطته وتعامله العفوى والودود مع كل أهل القرية الذين كان يستدعى بعضهم من حين لآخر .. أو يلجئون اليه للشكوى من شىء ما ..

وقد رأيت بنفسى عندما أعلن عن انتخاب أنور السادات لمنصب رئيس الجمهورية بعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر .. وكان السادات فى ميت أبو الكوم .. ووقف يستقبل أهل القرية جميعا الذين انتظموا فى طابور طويل ليسلموا عليه فكان يقول لكل واحد منهم كلاما يفهم منه انه يعرف أحواله أو الكثير عنها : الجاموسة بتاعتك عملت ايه ياخضره .. ابنك خرج من المستشفى بعد العملية والا لا .. مبروك نجاح الواد حميده .. الخ هذه العبارات ..

وأحيانا ينطلق أنور السادات صائحا فى صوت عال والله لا أخليك
تحج يا عبد العال أو ياخضره أو يا سيد بعد أن يميل عليه واحد من أهل
القرية ويسر له بأمنيته بعد أن فتح الله عليه بمنصب الرئاسة
(الذى لم يكن يحلم به قط كما صرح عدة مرات) أن يبعث به الى الحجاز
لاداء فريضة الحج ..

خلال هذه الفترة التى حدثت فيها عن بعض ما عرفته عن
أنور السادات .. لم يكن أحد يشعر بنشاط زوجته السيدة
جيهان السادات ..

فقد كان جمال عبد الناصر يضرب ستارا من حديد على أهل بيته
هو وتلك خطة اختطها منذ قيام الثورة وفرضها على أعضاء مجلسها ..
ما كان ممكنا اذن أن ينشر شيء كثير عن نشاط السيدة جيهان فقط
بعض سطور عن نشاطها بعد حرب ١٩٦٧ اذ ركزت وقتا طويلا مع جرحى
الحرب وضحاياها ..

وأيضا كانت تمارس نشاطا واسعا ذا طابع اقليمى فى المنوفية فى
مدينة تلا اذ أسست جمعية لتشغيل الفتيات فى مشاغل للانتاج وحل
بعض مشاكل العائلات الفقيرة ..

ولم يكن هناك كتاب يكتبون عن ذلك النشاط اللهم الا بعض أخبار
كان ينشرها المرحوم كمال الملاخ فى صفحة الأهرام الأخيرة ..

وأذكر أن زوجة أخى حدثتني عن تلك الجمعية .. فكتبت عنها
خبرا فى مجلة صباح الخير خلال تحقيق عن محافظة المنوفية ..

وهكذا لم تكن لى سابق معرفة بأنور السادات وأى معلومات عنه
كانت مستمدة من استقراءات سياسية أو آراء للغير ..

ولم أحاول قط السعى للتعرف به .. كما لم أحاول ذلك مع أى
مسئول كبير .. وقد كان زميلى مفيد فوزى رئيس تحرير صباح الخير
يقول لى دائما انك تعيش « بنفسية المطارد » .. اشارة الى عزوفى عن
الاتصال بالسلطة لاننى اضطهدت منها كثيرا .. وكل واحد فيها بالنسبة
لى شرطى يطاردنى ويريد أن يعتقلنى ! ..

الى أن وجدت نفسى وجها لوجه مع قمة السلطة .. رئيس الجمهورية
نفسه .. بسبب عدة صدف غريبة ..

صدق غريبة

نحكي مزيدا من التفاصيل .. لأنها تلقي ضوءا على شخصية أنور السادات والتغيير الهائل الذى حدث فى أسلوب السلطة فى التصرف والتلقى مع الكتاب والصحفيين .. فقد كان شبه مستحيل أن يلتقى أحد من الصف الثانى والثالث من صحفىي مصر بجمال عبد الناصر .. بل حتى من الصف الأول .. ولا ينسى القارئ أن كاتبنا عملاقا تدين له الصحافة والثقافة المصرية بل الحركة الوطنية بالكثير هو أحمد بهاء الدين لم تتح له فرصة اللقاء بجمال عبد الناصر ولو مرة واحدة .. وقد كتب عن ذلك فى أحد أعمده بالأهرام بمرارة شديدة وهو يدافع عنه ويبرز أعماله المجيدة ..

لم يكن هناك بعد ١٩٥٦ غير صحفى واحد فقط هو الذى يلتقى بجمال عبد الناصر ويتحدث معه ويتبادل معه الرأى والمشورة .. هو الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل .. والذين ينفسون على هيكل هذا الامتياز مخطئون فى حق هيكل .. لأنه أولا كاتب عملاق .. ومن واجب كل مصرى أن يشعر بفخر وزهو أنه أصبح لدينا كاتب وصحفى فى مرتبة عمالقة الصحافة فى العالم .. معروف على نطاقه ..

علاوة على المواقف الوطنية الثابتة فى صف الثورة السياسية والاجتماعية المصرية منذ بدأت علاقته بجمال عبد الناصر ..

ان الذى يتحمل المسؤولية عن هذا الاحتكار الصحفى هو جمال عبد الناصر الذى تجاهل وجود كل الصحفيين وكتاب مصر .. وخلق أزمة بين الثورة وبينه اعترف بها هيكل نفسه وصلت الى الذروة الى حد جلد المثقفين جلدا فى المعتقلات العديدة التي فتحت لهم أبوابها كأبواب جهنم ..

أما هيكل فلا ذنب له .. ان أى كاتب يجد تقديرا من السلطة سيسر بهذا اذا لم يكن هناك تناقضات أساسية بينه وبينها .. فما بالك اذا كان لسانها الاول ..

ان أنور السادات كسر الحاجز .. وحطم الستار الحديدي بينه وبين الصحفيين .. فالتقى بالكبار والصغار منهم على حد سواء فى مؤتمرات خاصة .. ثم فى لقاءات خاصة .. ووصل الأمر الى حد أنه التقى بأحدهم ليساعده فى وضع رسالة الدكتوراه عن أمور سياسية ..

ومعرفة أنور السادات وعلاقته التى توطدت بى بعد ذلك جاءت وفقا لهذا التغيير الذى أحدثه .. فلم يقدمنى أحد للسادات .. ولم أكن قريبا له أو قريبا لأحد من حاشيته ..

لقد حدث أننى طلبت من مجلة صباح الخير أن أكون مراسلها الحربى فى حرب ١٩٧٣ ووافقت وحدثت الحرب وبدأت أكتب ..

الى أن التقطنى ناشر لم أكن أعرفه قط من قبل وان كنت أسمع عنه هو الأستاذ اسلام شلبى الذى كان رئيسا لهيئة الكتاب فى بيروت .. وطلب منى كتابة كتاب عن حرب أكتوبر فرددت عليه على الفور : ولماذا أنا .. ان هناك زميلى الأستاذ يوسف الشريف عن روز اليوسف أحسن مراسل عسكري فى رأى ..

ولكنه أصر .. وشجعنى المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى .. وسمح لى بالسفر الى بيروت لأن الناشر أصر على استضافتى هناك لكتابة الكتاب حتى يغلت من الرقابة العسكرية ! ..

وكتبت الكتاب فى ثمانية عشر يوما فى بيروت .. فطبع .. ونشر .. وأحدث ضجة .. وكان رأى أنه أحدث ضجة لسبب واحد أنه أفلت من الرقابة فعلا .. وبالتالي جاءت فيه معلومات وآراء يعرف المراسلون الحربيون الأصلاء أفضل منها .. ولكنها حذفت من كتبهم التى كتبوها !

ثم عندما ظهر الكتاب أخذت نسختين وسلمتهما لبوابة بيت رئيس الجمهورية واتضح بعد ذلك أنه لم يرها على الإطلاق ..

حتى جاءت الصدفة الثانية .. طلب منى رئيس تحرير صباح الخير أن أسافر الى بنى سويف بدلا عن زميلى مفيد فوزى لتغطية زيارة للسيدة جيهان السادات حيث مرض مفيد فجأة ..

وشجعنى على قبول السفر أنه فى بنى سويف كان يوجد زميلى
المرحوم الأستاذ شبل اسماعيل الذى كان معتقلا معى .. وأصبح أميناً
للاتحاد الاشتراكى العربى فى المحافظة فقلت فرصة نرى كيف يتصرف
شيوعى كامين للاتحاد الاشتراكى البرجوازى !

وفى بنى سويف قدمنى المرحوم الأستاذ شبل للسيدة جيهان ..
فرحبت بى وقالت انها تعرفنى من كتابتى .. ونظرت اليه ضاحكة قائلة :
ده هو زيك يسارى ! وأول ماقلت نظرى فى هذا الرد أنه لم تكن لدى السيدة
أية حساسية تجاه اليسار مع أنها زوجة رئيس السلطة ١٩

ولاحظت أن السيدة جيهان تعامل الصحفيين والاذاعيين الذين كانوا
موجودين باحترام وود شديدين .. وكانت معنا السيدة كاميليا الشنوانى
زوجة طاهر أبو زيد مدير اذاعة الشرق الأوسط سابقا وهو من أحسن
المثقفين الوطنيين فى مصر .. واستبعدنا مع الدكتور عبد القادر حاتم
بعد توليه منصبه عام ١٩٧١ .. من العمل فى الاذاعة ..

وبهرتنى السيدة جيهان حقاً فى طريقة تعاملها البسيطة مع الناس
.. وذكاؤها الحاد .. وكانت هذه أول مدة التقى فيها بشخصية كبيرة
من السلطة .. فهى زوجة رئيس الجمهورية .. أى فى مقام ملكة ..
كما أنى كنت قد سمعت الكثير طبعاً عن دورها الفعال فى السياسة
خصوصاً أيام أزمة ١٩٧١ بين السادات ورجال جمال عبد الناصر ..

وبعد انتهاء الزيارة قلت موجهاً الحديث للسيدة جيهان : من فضلك
يا مدام عاوزين نقعد معاكى شوية علشان نتكلم ..

كان فى ذهنى طبعاً أن أجرى معها تحقيقاً صحفياً .. وبالنسبة لى
كانت فرصة لاتعوض ..

فرحبت على الفور دون أى تردد .. وقالت تفضلوا عندنا فى القناطر
غدا .. بعد الظهر ..

وانتهت الزيارة .. بعد أن وعدت السيدة كاميليا الشنوانى أن أنى
لها بنسختين من كتابى حرب الساعات الست واحدة لزوجها طاهر
أبو زيد .. والثانى للأستاذ صلاح زكى الاذاعى والتليفزيونى المشهور
والذى غضب عليه د . حاتم أيضاً ..

فى القناطر التقينا بالسيدة جيهان .. أربع صحفيات وأنا ..

وانتهزت فرصة وأنا أتحدث .. لأسألها .. عما اذا كانت تعلم اذا
كان كتابى عن حرب ١٩٧٣ وصل للرئيس أم لا بعد أن أرسلته له فى

فبراير ١٩٧٤ ؟ .. فقالت بالتأكيد أنه لم يصل لأنه لو كان قد وصل
لابد كانت ستراه .. وسألتنى عما اذا كنت كتبت كتابا فعلا ..

وقدمت لها النسختين اللتين جئت بهما لطاهر أبو زيد وصلاح زكى
وكان مكتوبا عليهما الاهداء لهما .. وقلت لها : واحد لسيادة الرئيس
وواحد لك .

ولاحظت أن السيدة لم تكثر قط بأن اهداء لشخصين آخرين مدون
على الكتابين .. وقلت فى نفسى : هذه سيدة تصل الى جوهر الأشياء ..
ولا يهمها الشكل ! .

وانتهى اللقاء .. ونشرت التحقيق الصحفى معها ..

المقابلة الأولى

ومرت عدة أسابيع على ذلك .. الى أن فوجئت يوم أول يونيو ١٩٧٤ بجرس التليفون يدق ويقول المتحدث أنه من رئاسة الجمهورية وأن سيادة الرئيس يدعوكم الى المشاركة فى احتفال ٥ يونيو ..

وقلت ضرورى أنه قد قرأ كتابى الذى أعطيته للسيدة جيهان منذ أكثر من شهر ..

وكانت أول مرة التقى فيها مع أنور السادات مع كبار الصحفيين الذين كان قد دعاهم وأذكر أننا عبد الرحمن الشرقاوى وعلى أمين - يرحمهما الله - وأنا تلازمنا طول اليوم .. واكتشفت فى على أمين جوانب انسانية لم أكن أعرفها وروحا مريحة جدا .. مما جعلنى أتعامل معه كأستاذ ومعلم رغم خلافاتنا السياسية الحادة ..

وهذا يؤكد صدق المنهج الذى يتعامل به بعض الناس مع البشر .. وهو أن هناك كبارى انسانية يمكن أن تقرب فيما بينهم رغم الخلافات الفكرية والسياسية ..

وصافحنا أنور السادات جميعا .. وقدم اسمى له عبد الرحمن الشرقاوى .. ولكن لم يبد عليه أنه يعرفنى .. وتناولنا معه الغداء .. وأنا أتأمل فى دقة كيف يأكل رئيس الجمهورية فوجدته انسانا عاديا جدا .. يضحك مع الضباط من حوله ويداعب الصحفيين الذين يعرفهم ولو كانوا على بعد أمتار منه .. ولكنى لاحظت أنه يأكل قليلا .. ولمست أنه سعيد بنفسه يبدو « شبعان » مبتهجا بالحياة وبوضعه فيها ..

بعد ٤٨ ساعة .. دق جرس التليفون وقال المتحدث مرة أخرى أنه من رئاسة الجمهورية ..

أهلا وسهلا ..

قال : سيادة الرئيس عاوز يشوفك .. ممكن تشرفنا فى المعجورة الساعة ١٢ ظهر غد .. تحب نرسل لك عربية !

شكرته وتملكنى السرور طبعا .. وجلست أفكر فى المسائل السياسية التى سأحدث فيها مع رئيس الجمهورية الذى تتاح لى فرصة لقائه لأول مرة ..

وبعد بضع دقائق اتصلت بدافع ذاتى من عندى بالشرقاوى وصلاح حافظ .. وذهبت للقائهما .. وأخبرتتهما بموعدى مع الرئيس .. وطلبت منهما أن يقولوا لى ماذا يريدان من موضوعات أثيرها معه .. أو طلبات خاصة بالمؤسسة .. وعرضت عليهما ما أفكر فى مناقشته مع الرئيس ..

والحقيقة أن الاثنين لم يقترحا شيئا جديدا غير ما عرضته عليهما .. الا أن صلاح حافظ قال لى أرجو أن تستفسر من الرئيس عن هجومه على أحد الصحفيين اذ قال أنه أحد أفراد التنظيم الطليعى وأن ذلك الصحفى قد هاجم الرئيس وخرج عن حدود الأدب فى الحديث عنه أمام جمهور الصحفيين فى النقابة ..

وقال صلاح انه يعتقد أن الرئيس يقصده هو أى صلاح .. وطلب منى أن أنفى ذلك للرئيس وأنه لم يحدث شىء كهذا أبدا ..

ذهبت الى بيت الرئيس فى المعجورة .. واستقبلنى فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس .. بحرارة شديدة .. وأخذ يتحدث معى دقائق - قال لى فيها أن « الهانم » معجبة بك وتحترمك جدا .. لأنك كنت أميناً فى نشر حديثك معها .. وشكرته .. وأدخلنى أحد الصالونات .. حيث استقبلنى ضابط من ضباط الحراسة التى يسمونها « خاصة » .. اسمه أحمد .. وكان شابا مهذبا جدا .. ورفيقا جدا .. وهذا بالمناسبة كما اكتشفت بعد ذلك هو الطابع العام للأغلبية الساحقة من ضباط الأمن فى الرئاسة وبالذات ما يسمى بالحراسة الخاصة وهم الذين يتولون حراسة الرئيس مباشرة ويلازمونه أكثر من أى انسان فى العالم ..

وتذكرت وأنا جالس ما قرأته فى روايات الجيب أيام زمان عن لويس السادس عشر والرابع عشر .. وتقاليد القصور فيها من أن الزائر للملك لابد أن يجلس فى مكان ما .. ثم يهل الملك عليه فيهب هو واقفا .. لأنه اذا ما دخل على الملك فى الصالون مثلا .. لابد أن يهب الملك واقفا لاستقباله .. وهذا لا يصح طبعا .. وانتابتنى أفكار ومشاعر غريبة .. فشعرت كما لو كنت تحت الرقابة الدقيقة وأننى سأفتش حتى العظام!

ولا بد أن هناك أجهزة تصوير خفية .. هنا وهناك .. وازداد إحساسى بهذا حتى تطور الى مستوى يقرب من شعورى كأنى متهم ! .. ولا يحس بهذا الإحساس الا من عانى من ويلات المعتقل أو السجن من الدولة اذ هو لا يراها الا فى أسوأ الأحوال .. حال سلبها أو تهديدها لحريته .. وتضاعف شعورى بالقلق هذا الى حد تصورى أنه من الممكن أن يعثروا فى جيبى الآن على سكاكين وقنابل كما تشعرون بأنك تضع يديك فى جيبك تلقائيا عند سماعك فى الأوتوبيس أن أحدا فقد حافظه نقوده .. فمن يدرى قد يلقى لك أحد العثور على ممنوعات معك !

وتذكرت أنه مر بخاطرى نفس الشعور تقريبا عندما كنت أزور برلين الشرقية عاصمة المانيا الديمقراطية لأول مرة عام ١٩٦٧ اذ استوقفتنى حرس الحدود الذين كنت أقرأ أنهم يطلقون الرصاص على من يحاول الفرار من السور .. وأدخلونى غرفة ليسألونى ما اذا كان معى نقود شرقية أم لا .. وأغلقوا باب الغرفة على .. فقلت لنفسى ضاحكا ساخرا فى البداية : أه يا صاحبنى لقد وقعت فى يد ديكتاتورية البروليتاريا .. ثم تطور السرحان الى القلق .. ماذا يمنع أن ينكل بى هؤلاء الناس ويتهمونى بأنى جاسوس مثلا للامبريالية .. أو تاجر عملة وسوق سوداء وتملكنى الخوف فعلا .. ووقفت وفتحت الباب وخرجت أسأل عن الشرطى حتى جاءنى ضابط يتكلم الانجليزية .. واستقبلنى باسمى وحيانى بحرارة وهو يعطينى جواز سفرى ويعتذر عن اللبس الذى حدث ..

وأصررت أن أعرف منه سبب هذا الاستيقاف الذى حدث .. قال بعد تردد : الحقيقة أن هناك عددا كبيرا من العرب يتاجرون فى المارك الشرقى بشكل يخرب اقتصادنا ..

لم أكن خائفا من لقاء رئيس الجمهورية .. لأنى كنت ألقاء وفى أعماقى إيمان مستمد من اعتناقى للنظرية الماركسية والنضال الطويل الذى ناضلته تحت رايتها .. أن هؤلاء الرؤساء فى العالم الثالث .. لهم دور محدد فى التاريخ .. وهو دور القيادة الوطنية لتحرير الوطن .. ثم بعد ذلك يرفضون تطوير مسيرة التاريخ أكثر من ذلك .. بينما أنا وأمثالى نسعى الى تقدم أكثر .. بالنضال من أجل الاشتراكية .

هم ثوريون الى مرحلة .. أما نحن الثوار دائما والى الأبد .. حتى نسيطر على الطبيعة ذاتها !

وانترعنى من أفكارى المختلطة هذه نداء الأستاذ أحمد لى حيث خرجنا من الغرفة الى ساحة واسعة من أرض مكسوة بالحشائش تطل على البحر .. وعلى بعد أمتار أمامى رأيت أنوار السادات جالسا وهو يتلغف بعباءة خفيفة ..

ونفض من مقعده .. باسمها ابتهامة عريضة مرحبه .. وسلم على
فى ترحاب وحرارة .. قائلاً وهو يوسع المكان ويشير الى مقعد وثير أمامه :
تفضل ..

وسكت لحظة .. ثم قال .. انت بلدياتى .. من الجمهورية
المنوفية المتحدة كما تسمونها .. وضحك بصوت عال ..
فقلت له : سيادة الرئيس أنا سمعت كثيراً عن غرامك بالمنوفية ..
فلماذا هل هو تعصب ؟

— أبداً .. كل من يحب الوطن الكبير يحب وطنه الصغير .. حتى قريته
وبيتته .. ومر على أحد العمال بالشىء .. بينما أنا أملاً عينى من
رئيس الجمهورية ..

ها هو رئيس جمهورية مصر .. الرجل الذى كان وطنيا ارهايبا ..
ثم أحد صنّاع ثورة يوليو .. ثم صنّاع حرب ١٩٧٣ .. هاهو بلحمه ودمه
أمامك .. ماذا ستقول له أو بالأحرى هل ستستطيع أن تقول له ما تريد
.. وماذا سيقول لك هو ؟ ..

وأنت تلقاه بدون واسطة .. ولا شفيع .. فماذا تريد ؟
ولكن السادات بعد رشف بعض رشفات الشىء .. قال لى وهو
يثبت عينيه فى عينى :

— يا عبد الستار أنا قرأت وبقراً كل الكتب الى طلعت عن حرب
أكتوبر .. وقرأت كتابك فاندعشت كيف كتبت أحسن ما كتب عن تلك
الحرب ؟ ..

وضحك وقال ..

— يمكن علشان انت منوفى .. صحيح انت من بلد زكى مبارك
سنترىس ؟

نعم يا سيادة الرئيس وأتشف أنه قريب لأمى ..

قال ..

انت ابن مين فى سنترىس .. أنا كنت أعرف هناك أيام الشقا
عبد العاطى أبو حسين صاحب قهوة هناك !

قلت .. عبد العاطى هذا ابن عمتى .. وأنا من عائلة فلاحية فقيرة
جداً .. ولكن جدى استطاع تعليم أبى فى الأزهر ودار العلوم .. وكان
ناظر مدرسة .. وربانا حتى جعل منا أفندية ..

أدهشني أنور السادات عندما قال لى : لما تشوف عبد العاطى ده
قول له ييجى لى ٠٠ يمكن يكون عاوز حاجة ٠٠

— يا سيادة الرئيس ٠٠ هذا كرم شديد من جانبك ٠٠ كيف تفتكر
كل هؤلاء الناس من زمان بعيد ٠٠؟

قال فى بساطة ٠٠

ولا كرم ولا حاجة ٠٠ اذا أعطاك الله اعط أنت للغير أيضا ٠٠
والحسنة بعشر أمثالها ٠٠ وهؤلاء الناس كانوا طراف جدا معى وأنا فى
القاع ٠٠ لقد كنت فى يوم من الأيام تباع فى لورى ٠٠ وسائق ٠٠ ومقاول
٠٠ مقاول يعنى غلبان مش زى عثمان أحمد عثمان ٠٠

وضحك ٠٠ ضحكة عالية صافية أيضا ٠٠

كانت ست دقائق قد مرت على منذ جلست الى الرئيس ٠٠ فقد
نظر فى ساعته ٠٠ ونظرت أنا بدورى فى ساعتى ٠٠ ثم قال لى كما لو كان
يستعجل انهاء المقابلة ٠٠

— صحيح كتابك كويس وشهدلى من أول صفحة ٠٠ لكن عاوز
أقول لك حاجة يا ابنى ان فيه مواقع فى الكتاب انت « مفلفص » فيها ٠٠
يعنى ماعندكش معلومات كافية عنها ٠٠ وأنا لما كنت فى الجبهة أثناء سيرى
مع المشير أحمد اسماعيل من يومين وبنشاهد مواقع المعارك كنت أفكر
الى انت كتبتة عنها وأقول للمشير شوف عبد الستار الطويلة كاتب عن
الحقة دى فى الكتاب بتاعه بس معرفش يكتب كويس ٠٠ ناقصة
معلومات ٠٠

وسكت أنور السادات لحظة وبدأ يقول أهم ما يريد أن يقولى لى :

أنا رأيى يعنى لو سمحت (أدهشني كيف يقول لى رئيس الجمهورية
هذه الكلمة) ٠٠ انك تعيد كتابة الكتاب تانى ٠٠ وأنا سبقت وقلت
للمشير أحمد اسماعيل انه يعطيك كل المعلومات عن الحرب ويجعلك
تقابل جنرالات الجيش جميعا وتحدث معهم ٠٠ فروح قابله ٠٠ وهو
سيرتب لك كل شىء .

اذن الرئيس قرأ الكتاب ٠٠ وكون فكرة عنه ٠٠ وتحدث مع المشير
فى شأنه ٠٠ وكلفه بمهمة معينة معى ٠٠ ورتب لى كل شىء ٠٠ واستدعانى
لذلك ٠٠ هذا شىء بهيج حقا !

السلطة عندما تريد تفعل ٠٠ وتحطم أى عقبة أمامها ٠٠

عشر دقائق مرت منذ جئت تقريبا .. وانتهى كل شيء .. وعلى أن
أرحل ..

ولكنى قلت ..

● سيادة الرئيس .. تسمح لي ؟ ..

- نعم يا ابني ..

● الواحد ما يقابلش رئيس جمهورية كل يوم .. ولو أذنت لي
أنا معى بعض النقاط عاوز أتكلم مع سيادتك فيها .. هل هذا ممكن حسب
وقت سيادتك ؟

فرد على الفور ببساطة ..

تفضل يا ابني ..

أخرجت من جيبى ورقة بحجم الكف .. تتضمن حوالى عشر نقاط ..
وبدأت أعرضها نقطة واحدة .. الاتحاد السوفيتى .. الولايات المتحدة ..
اسرائيل .. العرب .. الحرب .. مشاكل الداخل .. الشيوعيون
واليسار عموما .. واليمين ..

جلست أتكلم ساعة متواصلة وهو يستمع لى فى اهتمام وصبر
عجيب ولم يبدو عليه فى أى لحظة تأفف أو ضجر .. مما كان يشجعنى
على الاستمرار فى الحديث والاسترسال .. وعندما سكنت .. قلت لنفسى
.. والله انه لأمر طيب جدا أن يستمع رئيس الدولة الى كلام صحفى
شيوعى من غير الصف الأول .. وليس له مركز ولا ارتباط أو تأثير فى
حزب أو هيئة .. هذا حاكم يريد أن يعرف الجديد بدلا من الكلام المنمق
المسجل فى تقارير ..

ولم أكن أتكلم بتحفظ على الإطلاق .. بل تكلمت بصراحة كاملة
بل انه بعد قليل كففت تلقائيا عن التخاطب بسيادة الرئيس وسيادتك ..
وأصبح الحديث أنت وأنا .. وهو لا يتضايق .. ولا يندهش ..
ولا يحاول إيقافى .. وطوال لقاءاتى بأنور السادات لم يكن يهमे إطلاقا
.. بساطة لغتى وخلوها من الألقاب والعبارات البروتوكولية ..

وقد بدا ذلك واضحا فى لقاءات أنور السادات مع الطلبة ..
اذ كانوا يناقشونه علانية بلا كلفة .. ولم يكن يتضايق من ذلك ..
وساهم السادات ببساطته هذه فى تحطيم التأليه التقليدى فى العالم الثالث

للحاكم ٠٠ الا أن الغرب بعد ذلك وغيره حاولوا اغراءه بهذا التآليه
كما سنرى فيما بعد ! ٠

بعد أن استمع السادات لى ٠٠ قال وهو يبتسم ا

يا ابنى ان ما تقوله يحتاج للرد عليه الى مجلدات ومجلدات ٠٠
ساعات وساعات :

وأنقل مما كتبته أيامها ٠٠ بعضا من هذا الحوار الذى لم يمكن نشره
فى روز اليوسف ٠٠

عندما أثرت موضوع علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى ٠٠ قلت له ٠٠

- سيادتك طردت الخبراء السوفيت وعاملت الاتحاد السوفيتى ٠٠
بطريقة مهينة للعسكرية السوفيتية ٠٠ ومع ذلك هم وقفوا الى جانبنا فى
الحرب وسيادتك قلت للسفير السوفيتى لقد انتصرنا بالسلح السوفيتى
٠٠ وكيسنجر قال أنا مش ممكن أعطى لمصر الفرصة بأن تنتصر لأن ذلك
معناه أن السلح السوفيتى انتصر على السلح الأمريكى ٠

لذلك فأظن أنه من مصلحة مصر أن تحسن علاقتها مع السوفيت فى
نفس الوقت الذى تقيم علاقات جيدة مع أمريكا ٠

قال السادات :

يا سلام ٠٠ يعنى انتم لستم ضد العلاقات مع أمريكا 19

قلت :

لا ٠٠ بالعكس ان انتصار حرب أكتوبر ممكن يجعل هناك ندية فى
العلاقة بيننا وبينها ويفيدنا ذلك كثيرا فى القضية الفلسطينية ٠٠ كما أن
تحسين علاقتنا مع السوفيت يساعدنا فى أخذ مواقع أفضل مع
الولايات المتحدة ٠

امن السادات على كلامى ٠٠ وهز رأسه موافقا ٠٠

ثم سألنى فجأة ٠٠

● ماذا كان رأيك بالنسبة لطرد الخبراء السوفيت ؟ ٠٠

قلت له ٠٠

عاوز الصراحة يا ريس ؟ ٠

قال نعم ٠٠

قلت ..

يعني تعطيني الأمان !

قال ضاحكا .. نعم ..

قلت له .. لقد كنت مع عزيز صديقي في رحلة موسكو وجبنا ضلغها وعدنا .. وذهبت الى مكتب عبد الرحمن الشرقاوى .. وقلت له خبر طردهم .. والحقيقة أنا انتقدتك بشدة أمام الشرقاوى .. والحقيقة أنا ما نمتش ليلتها ! ..

بعد ذلك حكى لي السيدة جيهان السادات أن الرئيس حكى لها هذا الرد .. فكانت تردد في كل مكان أمام زملائي أنني صريح جدا لأنني قلت رأيي بأمانة أمام رئيس الجمهورية أنني « عيظت من القهر » عند طرد الخبراء ! ..

ناقشت أنور السادات يومها أيضا في علاقة مصر بالعراق .. فرغم اشتراكه في حرب أكتوبر اذ أرسل لنا سربين من الطائرات .. إلا أن العلاقات المصرية العراقية كانت سيئة نسبيا اذ كان يرفع شعار القضاء على إسرائيل .. وبالتالي كان يستريب في احتمالات تطور مباحثات الفصل بين القوات منذ مباحثات الكيلو ١٠١ .. كما أنه كان لا يستريح لحسن العلاقات بين مصر وسوريا اذ حاربت الدولتان إسرائيل ..

سألت السادات :

لماذا يسيادة الرئيس لانقيم علاقات جيدة مع العراق التي وقفت معنا ومع سوريا في الحرب ؟

رد علي قائلا : انت تتكلم الكلام ده من منطلق عقائدي .. علشان هم شيوعيين زيك !

قلت له ..

أنا أتكلم من منطلق الرغبة في التعاون والتنسيق العربي فقط .. فقد لاحظت أن الشعب العراقي يحترم مصر جدا .. ويقدرونا قوى ..

رد علي السادات في دهشة ..

— ازاي ده .. ده أنا بأسمع انهم يكرهونا .. ازاي بيحبونا .. وكررها في تساؤل عدة مرات ..

وأدهشني جدا أن رئيس الجمهورية تصله معلومات خاطئة كهذه ..

عدت أقول : أؤكد لسيادتك أن مشاعرهم كويسة جدا تجاهنا ..
ويمكن أن نبدا علاقة على المستوى الشعبى .. نقابات .. هيئات .. وفود
ثقافية ..

قال .. يا ابنى لا .. انتم بتحبوا العراق علشان شيوعيين ..
أو علشان ماترعلش عاطفين على الشيوعيين .. مش كده بتقولوا
على اللى بيحبكم « عاطفى علينا » !!
كان يضحك ..

وقلت .. له لابد أنك مررت من هنا ..

قال ما معنى مررت من هنا ..

قلت .. هو تعبير نعنى به أن ذاك الشخص قد مر على الحركة
الشيوعية .. واحتك بها .. ان لم يلتحق بها ..
قال بطريقة فاجأتنى ..

... المنتقب الذى لايعرف الشيوعية يبقى جاهل .. وأنا لى أصحاب
شيوعيين كثير .. وحافض كويس كلامكم .. وعارف بتفكروا ازاي !

التقطت الخيط بسرعة وتحدثت على الفور عن موقف الشيوعيين من
تأييد نظامه من أول حركة التصحيح .. وذكرته بالدور الذى قام به
د . فؤاد مرسى فى اللجنة الثلاثية التى أعادت تنظيم الاتحاد الاشتراكى ..
ودعوته الى السماح لهم بحرية النشاط السياسى .. وتعاونهم ..

قال لى وهو يلوح بيده ..

... ده فيه ناس شيوعيين يا اخى بيقلعوا على القهاوى وبيقولوا أن
حرب ١٩٧٣ متفق عليها بينى وبين أمريكا .. وانها كلام فارغ !
قلت ..

يا أفندم التطرف اليسارى ده موجود فى كل العالم وهم فى نفس
الوقت بيشتمو الشيوعيين الآخرين (الأغلبية) .. ولا يوجد فى العالم
فكر واحد .. وهذا لايعنى شيئا .. وذكرته بما كتبته فى كتابى عن أن
حرب أكتوبر حرب تحريك لا تحرير ..
ولم يعلق ..

وحدثته عن موضوع صلاح حافظ الذى أوصاني به .. فقال لي .. لا .. لا .. صلاح حافظ فهم غلط .. هو لم يقل شيء ضدى .. أنا كنت أقصد في خطبتي أحمد عبد المعطى حجازى ! ..

ورأيت أنور السادات يسرح ببصره بعيدا ويقول : والله أحمد عبد المعطى حجازى ده بلدياتى وأعرف أهله .. ناس غلبة لكن طيبين .. هو عاوز منى ايه بس .. مش عارف .. وأنا أحبه واحترمه لأنه شاعر كويس .. مش عارف أعمل له ايه .. أنا مستعد أعمل له أى حاجة ..

وشعرت في هذه اللحظة أن أنور السادات لديه ميول شيوعية للمنوفية وأبناء المنوفية فعلا !

وعاد أنور السادات يقول : قول لصلاح حافظ انه ليس المقصود .. ثم صفق أنور السادات بيديه .. قائلا لي .. وكانت الساعة قد أصبحت الثانية بعد الظهر تقريبا ..

يا ابنى أنا ما باتغدش .. بأكل الساعة السابعة ..
وبلا جاء العامل .. قال له ..

هات يا ابنى شوية سندوتشات علشان الراجل ده

وأحسست أنى جالس على مصطبة العمدة .. وبدأت أكل السندوتشات وحدى وفى شهية عجيبة ربما خلقتها عندى مشاعرى بأن هذا رئيس جمهورية بسيط جدا فى تعامله مع الناس ..

تحدثت مع الرئيس فى موضوع الاخوان المسلمين والتيارات الدينية .. واقتربت من الموضوع بحرص اذ كان موضوعا حساسا .. فقد كان الجميع يعرفون أنه أى السادات قد استعان بالجماعات الاسلامية فى الجامعات لضرب اليساريين سواء كانوا ناصريين أو من اليسار الجديد .. وعهد بهذه المهمة لشباب حديث عهد بالسياسة ذى اتجاهات غاية فى الرجعية .. فسلحهم بالمطاولى والجنائز والقبضات الحديدية ..

سألته .. هل لدى سيادتكم أى تعاطف مع أفكار التيار الدينى ؟ ..
قال ..

يا ابنى .. أنا مسلم .. وأمارس العبادة طويلا .. منذ كنت طفلا .. وقبل حرب أكتوبر ذهبت الى الكعبة وركعت وأنا متعلق بأستارها وأنا أبكى ضراعة لله أن ينصرنى فى معركتى ضد اسرائيل .. حتى أنهضنى الملك فيصل وطبطل على وهو يردد معنى الدعوات ..

« واستطرد قائلا .. »

ولكن هذا شيء .. وان اجنا تدخل الدين في السياسة أمر آخر ..
ستحدث فوضى في البلد لأن كل واحد سيفسر الدين على مزاجه ..
قاطعته قائلا ..

— ومضاجه أيضا ..

قال ضاحكا ..

— دائما تدخلون التفسير الاقتصادي في كل شيء .. لكن فعلا
المصالح لها دور في النظرة لمعنى النصوص والآيات ..
سألته ..

● هل ترون ضرورة للحكم الديني في البلاد حتى لو اختاروا
سيادتك خليفة ..
اجابني ضاحكا ..

— أنا خليفة ؟ أعوذ بالله .. انت عاوز يقولوا عن مصر أنها رجعت
للوراء وأنا من حكام العصور الوسطى أو محاكم التفتيش ..
ولما قلت له أنى أفهم من هذا أنك « علمانى » النزعة قال لماذا تقول
هذه الكلمة التى تسبب دوشة .. لماذا لا تقول : الدين لله والوطن للجميع
.. وكفاية الدين الرسمى للدولة هو الاسلام .
سألته ..

ان التيار الدينى يستخدم العنف .. وسيادتك كنت تستخدم
العنف .. لتحقيق أهدافكما السياسية .. فلماذا التناقض بينكم ؟

— نحن كنا نستخدم العنف ضد الانجليز .. هم يستخدمون العنف
لفرض آرائهم على الناس بينما الدين بالوعظة الحسنة ..
وسكت أنور السادات وقال لى عبارة ذكية لا أنساها ..

هم يقولون دائما أن النبى صلى الله عليه وسلم .. قد استخدم
القوة لازاحة المنكر الذى كان فى المجتمع الجاهلى حينذاك واقناع الناس
بالاسلام ..

هذا صحيح الى حد ما .. وأقول لك الى حد ما لأن النبى لم يكن
يقنع الناس للاسلام بالعافية ! ..

لكن الآن .. فى عصر الديمقراطية توجد كل الوسائل السلمية التى تجعلك قادرا على اقناع الناس بأفكارك .. فيه صحافة .. وكتب .. وبرلمان .. واجتماعات وإذاعة وراديو .. وسفر بره فى مؤتمرات ..
اعمل دعاية زى ما أنت هاوز .. فلماذا العنف ؟ ..

وقال لى أنور السادات فى حديثنا حول تلك المسألة فكرة أخرى لا أنساها أبدا أيضا .. عندما سألته عن الفرق بين الشيوعيين والاخوان المسلمين فى رأيه ..

فقال :

انتم الشيوعيين أما لا أخاف منكم .. إنما الجماعات الدينية أخاف منها .. عارف ليه ١٩
قلت .. ليه ١٩

— لأن لو فيه محاولة ضد الدولة .. من الطبيعى أن تكون من الجيش والمصيبة أن أى ضابط فى الجيش من المتطرفين الاسلاميين ليس من السهل كشفه لأن البلد كلها مسلمة .. فلن تعرف أنه يدبر لقلب نظام الحكم .. حتى لو بدرت منه تصرفات متعصبة ففیه ناس حتى عندهم هوس دينى ..

أما لو فيه ضابط شيوعى .. فسوف يقول غصب عنه كلامكم المعروف زى الامبريالية والتناقضات والصراع الطبقي .. الخ وبهذا الكلام من السهل كشفه .. وحيله !

قلت للرئيس السادات وأنا أتأمل كلماته ..

— هذا يذكرنى بحكاية طريفة ياريس .. أيام زمان فى عهد الملك كان يوجد قاضى اسمه حسين طنطاوى خصصه الملك لمحاكمة الشيوعيين لأن أحكامه ضدهم كانت قاسية ..

فى احدى القضايا أمامه .. وقف المتهم يرد على اتهم النيابة بأنه وزع منشورات فى كل أحياء القاهرة وحده فى أقل من ثلاث ساعات !
وقال :

— أنا ماعنديش يا سيادة المستشار امكانيات لعمل هذا ..

صاح القاضى قائلا :.. بس .. بس ببقى انت منهم بقى (يقصد الشيوعيين .. وأشار الى سكرتير الجلسة قائلا ..

أكتب في المحضر كلمة « امكانيات » هذه ..

الحديث يعضى بنا في هذا اللقاء الاخاذ مع انور السادات .. وهو لا يبدى أى اشارة للملل أو رغبة في انهاء المقابلة .. وأنا أنتهز الفرصة لأدخل في موضوع وراء موضوع ولدى احساس أنه يجب أن أقول كل ما عندي كما لو كنت سامع بعد ذلك ا أو على الأقل لن أرى الرئيس مرة ثانية ا

أردت أن استجلى رأيه في انجازات عبد الناصر .. فقال ..
- يا ابنى .. دى مسئولية وأمانة لأنها ملك للشعب .. ثم أنا مش اليمين فى الثورة زى الكلام الفارغ الى بتقولوه ده .. يا ابنى أنا يسارى .. ده أنا من أصل فقير وغلبنان .. وبنتى ماتت علفشان وقفة سكر ..

وتساءل انور السادات

هو أنا ابن مين يعنى ١٩

ولما سألته عن رأيه فى جمال عبد الناصر .. أشاد به وامتدحه كثيرا .. وقال انه أستاذة ومعلمه وهو السبب فى أنى بقيت رئيسا للجمهورية فكيف أعمل على ازالة آثاره ؟ ..

سألته ..

أذن علام التناقض الذى حدث بينك وبين رجال عبد الناصر ؟ ..
قال .. أولا ليس كلهم رجال عبد الناصر .. أنا الرجل الأول لعبد الناصر كنت نائبه وكان يثق بى .. واختارنى وهو يعرف أنه سيموت قريباً والأعمار بيد الله ..

وهناك رجال لعبد الناصر لم يشاركوا فى المؤامرة ضدى بل تعاونوا معى .. هو عزيز صدقى ليس من رجال عبد الناصر ؟ ..

الحكاية انهم كانوا عاوزين أكون مجرد خيال .. وهم يحكموا كما يريدون .. لحد ما تيجى فرصة ويجيبوا غيرى ..

● سألت بلهفة ..

● من ..

لم يجب السادات على سؤالى ..

وعندما تحدثنا عن حرب أكتوبر قلت له إن الشجرة كالت نقطة خطيرة فى غير صالحنا وأدت الى تحول الحرب لأنها أدت الى تغيير فى التوازن ..

ولذلك فانا اصنف انتصارنا دائما بأنه كان انتصارا نسبيا وان كنت لم اقل
هذا صراحة في كتابي عن الحرب ..

لم يبد على وجه الغضب مما قلت فقد كان يردد دائما أن الثغرة
مظاهرة تليفزيونية .. ولا أدري من أين جاء ولماذا جاء ذلك العسكري
الفرنسي الذي ردّد هذه الحكاية بدوره وكان السادات يرددها دائما ..
وكرر السادات لي دائما أنها مظاهرة تليفزيونية فعلا .. وشعرت
أنه لا يريد تشويه انتصار أكتوبر بموضوع الثغرة ..

وعند حديثنا عن لقاءاته بكيسنجر .. قال لي :

— اسمع .. أمريكا لا تثق في مصر على الإطلاق .. بيننا وبينها تار
بايت .. وهي طول عمرها بعد ١٩٥٧ كانت مع إسرائيل على طول الخط ..
وكيسنجر أنا أعرف أنه يهودى وصهيونى كمان ..

وأنا لست أقل منكم فهما للاستعمار الأمريكى وأهدافه .. وخطته ..
وأرجع لما كتبت وقلت عن أمريكا قبل كده ..

لكن المسألة أننا في وضع جديد خلقته حرب أكتوبر .. عاوز سياسة
جديدة .. وتفكير جديد علشان نخلص من المصيبة دى .. إلى اسمها
إسرائيل !

ولم أستطع أن أعرف منه معالم أو تلميحات لتلك السياسة ..

كانت الساعة تقترب من الرابعة .. وهواء البحر قد شارك طول
فترة الحديث في اجتذاب جسدى وربما جسده السادات إلى دائرة الاسترخاء
والقيولة ..

فأدخلت أوراقى فى جيبى .. وقلت له يا سيادة الرئيس أشكرك
كثيرا جدا على هذا الوقت الذى أعطيتّه لي ..

فنظر إلى ساعته وهو يضحك ناهضا من مقعده :

— أربع ساعات .. يا منوفى يا ناصح !

وقال لي مبزوك يا ابنى مرة أخرى على الكتاب ... وفاجأني بالقول :

— أشكرك على الكلام إلى كتبتّه عني فيه ..

وسألني : أنت معاك عربية : واوعى تنسى تمر على المشير !

فاجبت بالايجاب .. وسلمت عليه مرة أخرى .. وخرجت .. وبعد
ان قام بتوصيلي الى نهاية الحجرة التي دخلت منها .. حيث تسلمني ضابط
الحراسة في ادب وذوق شديد .. حتى خرجت الى الحديقة ..

في اليوم التالي .. توجهت الى وزارة الحربية .. ولم أجد صعوبة في
لقاء المشير أحمد اسماعيل الذي رحب بي وقال لي الرئيس حدثني عن
كتابك .. وازاي يا أخى لم ترسل لي نسخة ..

فاكنت له أني أرسلت له في مارس نسخة كما أرسلت للرئيس ..
ولكن لم تصل النسخ لكما ..

وقال لي ان الرئيس معجب جدا بكتابك لدرجة انه كان يذكر بعض
ما فيه ونحن نمر على بقايا خط بارليف .. ووعد المشير بأن يقابلني في
أى وقت عندما أحتاج لشيء ..

وحولني الى اللواء عهد رب النبي حافظ .. الذي رحب لي بدوره
ورتب لي مع ضابط من المخابرات العسكرية .. جدولاً لمقابلة كل قادة
القوات المسلحة لأحدث معهم عن الحرب ..

ولاحظت ان معالم الحزن بادية على وجه عهد رب النبي حافظ ..
ويبدو أن ذلك بسبب نقله من قيادة الفرقة ١٦ أثناء الحرب ..

وأعدوا لي البرنامج .. في أيام قليلة .. وبدأنا تنفيذه .. والحقيقة
أنى وجدت تعاوناً كاملاً من كل الجنرالات ..

وكانت نفسى تحدثني في دهشة من حين لآخر .. كيف جاء الوقت
الذى أدخل فيه قلعة السلطة الرئيسية (الجيش) .. وأنا الذى حارب
السلطة طويلاً ونالني منها عذاب مقيم لسنوات طويلة .. ويستقبلني الناس
فيها استقبالا طيبا يقدمون لي المعونة .. دون حساسية للصدام أو التناقض
القديم بينها وبينى وبين أمثالى ..

هل هذه السلطة تنظر لي على أنى عميل لها .. أم ان التخالف
والجبهة الوطنية بين كل الأطراف شيء لذيذ يجعلك تلتقي في أمان بالقادة
المسكرين الذين طالما القوا بالعشرات ، بل الآلاف في السجن الحربى
.. بل هم يقدمون لك القهوة ويستمعون فى اهتمام لأستلتك ويحاولون
مساعدتك قدر الطاقة .. ويحملونك فى سياراتهم ومعك مرافق
برتبة رائد ١٩

وكنت أطرح على نفسى سؤالاً آخر .. هل هذا الذى يحدث .. من
ان رئيس الجمهورية قد بلغك تقديره لعملك ويقدم لك مساعدة لتقديمه

على الوجه الأكمل .. هل هو دليل على ترهلك الثورى وانحدارك السياسى
والقائلك اعلام النضال ومبادئك أرضا ١٩ أم أنه دليل على أن العمل الجاد
والمخلص يفرض نفسه بصرف النظر عن أنك تقيض السلطة عقائديا ..

وكننت أسكن هواجسى هذه .. بتريده تلك العبارة .. بينى وبين
نفسى : اننى حليف لنظام وطنى .. فلا شك أن نظام يوليو .. سواء فى
عهد عبد الناصر أو عهد السادات نظام يسعى لتحرير الوطن ..

ولعل ما كان يشير تلك الهواجس فى نفسى .. هو بداية الضجة
الكبيرة ضد أنور السادات من جماعات الرفض التى بدأت تظهر فى الساحة
العربية .. ومن تحركات الطلبة وبعض المثقفين وما ينشرونه بين الناس عن
ردة السادات عن طريق عبد الناصر وميله الى التسليم للولايات المتحدة ..

منذ أدركت عام ١٩٥٥ بعد مؤتمر باندونج أن ثورة يوليو ثورة وطنية
وأن عبد الناصر زعيم وطنى ولكنه ديكتاتور لم يخالجنى هاجسى واحد ذات
يوم أنى أعيش فى ظل نظام غير وطنى .. وظللت مؤمنا بهذا الأمر دون
أى شك حتى فى الوقت الذى كان عبد الناصر يعذبنا فى المعتقلات والسجون
الى حله القتل ..

وكننت أقول دائما ان كثيرا من القادة الوطنيين حمقى .. لأنهم يضربون
أخوانهم الوطنيين. لأنهم فرديون قصير النظر ..

لكن هواجس الشك كانت تبرق فى ذهنى أحيانا .. فى الفترة الأولى
لعلاقتى بأنور السادات .. ثم توقفت بعد أن استقررت تماما .. وتيقنت
من موقفى السياسى .. وحددت أسس وقواعد لعلاقتى بالسلطة ..

والغريب أن العامل الأساسى فى استقرارى هذا هو الموقف الخاطى.
الذى اتخذته بعض زملائى اليساريين من هذه المقابلة مع أنور السادات ..
ومع ما حدث بعدها من تطور .. اذ تعرضت لحملة ظالمة وريضة أيضا ..
ولكن المجادلات التى دخلت فيها بشأن تلك العلاقة قد فتحت لى مجالا أكثر
للتأكيد على فائدة هذه العلاقة لليسار نفسه .. وأنها علاقة صحيحة مائة
فى المائة .. فلم تكن فيها مأرب شخصية ولا تنازلات من أى نوع ..
وكانت علاقة سياسية بالدرجة الأولى .. وكننت أعرف قدرى تماما ..
فما أنا برئيس جماعة أو حتى شلة .. ولا تأثير لى فى أى فئة من فئات
المجتمع المصرى إلا كتأثير أى كاتب قد يجيد أو يخطئ .. وليسبت لى أى
ارتباطات بأحد فى العالم العربى ولا الخارجى يمكن أن يلعب دورا مؤثرا
بشكل ما يفيد هذا النظام أو ذاك .. بأهلك عن أنه لم تكن لى صفة أو
مكانة اجتماعية وسط الطبقة الثرية التى توجه الأمور وتؤثر فى السلطة

ان لم تكن تسيطر عليها .. ولم آكن أتحكم فى جريدة أو حتى مجرد صحفى واحد أسيره على هواى .. ولا تأثير فى نقابة أو حزب أو حتى جمعية للبر والاحسان ..

١ وأنا أعرف جيدا على الأقل مما درسته فى الماركسية وعلوم السياسة من الناحية النظرية على الأقل .. أن السلطة لا تقيم وزنا الا لمن يكون له فعالية وتأثير حتى تستفيد سواء كان حزبا أو فردا .. وأنها على استعداد للتخلي عنه لحظة أن تنتهى من الاستفادة منه أو كما يقال « قضاء وطرها منه » .. لأن السلطة لها منطق واحد فى التعامل مع الناس والجماعات .. وهو منطق يمكن تسميته بالمنطق « العنكبوتى » .. ان الجميع مع الفارق فى التشبيه مثل الذباب .. يمتص العنكبوت دمها .. ثم يلقي بها بعيدا دون رحمة أو اكتراث ..

وقد تلقى السلطة « بالذباب » من أبناء طبقتها فى رفق ورحمة ومودة .. ولكن مع غير هؤلاء الأبناء قد تسحقهم سحقا .. وقد رأيت بعينى وحسى وحياتى ومعايشتى كيف كان المجرمون الأغنياء أو الانقلابيون على نظام جمال عبد الناصر بعد أن تنتهى موجة الغضب الأولى بتعذيبهم والتنكيل بهم حتى « تنكسر نفوسهم » يعاملون فى السجون والمعتقلات برفق كأنهم فى فنادق فاخرة .. وربما سمحوا لبساتهم بقضاء ساعات معهم فى الزنانات كما رأيت فى السجن الحربى .. أو يخرجون من السجن لبيوتهم لعدة ساعات ويعودون ..

ورغم شعارات عبد الناصر عن الاشتراكية فإنه كان يصل إلى الاشتراكيين الآخرين « من أمثالنا نادا وسعيوا ويخسف بهم الأرض »

وقد كان الأمر كذلك كما هو الآن وسيظل فى المستقبل .. أبناء الطبقة الذين سرقوا ونهبوا الملايين وأجاعوا الناس وخربوا بيوتهم ودفعوا بعضهم إلى الانتحار .. اما الحقوا بمناصب أخرى .. أو وضعوا تحت الحراسة بضع سنوات لتسلم لهم ثرواتهم بعد ذلك معززة مصونة .. أو سمح لهم بالهروب من قاعات كبار الزوار بما يحملون .. أو اذا ما دخلوا السجن فتنحول السجن إلى فنادق فاخرة بل ربما أصلحوا من شأنها ومرافقها حتى تتفق مع « قضاء حاجاتهم » .. وهكذا ..

هذه حقائق كانت واضحة تماما فى ذهنى .. ولذلك لم يكن يثير دهشتى أى ظاهرة كهذه أراها .. وأعتبر أنها من طبيعة الأشياء .. وكنت أعرف موقعى جيدا من السلطة وأحرص على ألا أعيش فى وهم أو اتخطئ حاجز الأمانى والأمال ..

وشجع على ذلك أنه لم تكن لى تطلعات طبقية من جانب النظام ..
أى أن أستخدم علاقتى للآراء .. لذلك لم أقع قط فى خطأ ما من هذه
الناحية ..

وقد قلت للرئيس السادات ذات مرة : الحمد لله يا سيادة الرئيس
أن الرأسمالية الوطنية قد سدت حاجتى من المال ..

قال ضاحكا : كيف ؟ ..

قلت : أبرمت صفقة اعلانات مع بيسيونى جمعة الرأسمالى المعروف
مع روز اليوسف فحصلت على مكافأة سخية كما تعرف سيادتكم الصحف
تدفعها فى مثل هذه الحالات ..

ولذلك الحمد لله مستورة ..

قال وقد فهم مغزى كلامى ..

— ده بيسيونى جمعة ده غفريت !

أذكر مرة أنى قابلت زميلى وأستاذى المرحوم د. فؤاد مرسى أستاذ
الاقتصاد المعروف ووزير التموين الأسبق .. وكان أيامها من بين الثلاثة
الذين اختارهم أنور السادات لإعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، أى كان
رجلا قريبا جدا من السلطة ..

ولاحظت أن الدكتور فؤاد يبدو متضايقا .. فلما سأله فاجأنى بالقول
فى غضب :

— تصور لا يدعونى الرئيس فى حفل خطوبة أو زواج ابنته !

وكان يتحدث عن الخطيب الأول لابنة السادات الكبرى والذى فصمت
خطبته بعد ذلك وأذكر أن اسمه كان .. المسيرى .. أو شيئا من هذا
القبيل ..

قلت له فى دهشة :

— يا دكتور أنت الذى علمت أجيالا معنى السلطة وموقفها من التحالف
مع القوى الأخرى وأهدافها ..

هل تتصور أن السادات لأنه اختارك فى اللجنة الثلاثية أصبحتما
أصدقاء وبالتالى يعزمك على فرح ابنته ؟ ...

إن السلطة تتعاون معك مضطرة نعم .. ولكنها لا تقربك منها كصديق
وتدعوك لأفراح الأبناء .. أنت غريب وستظل غريبا بالنسبة لها
ولستواها وعاداتها وتقاليدها وخصوصياتها ..

اعادة الكتابة ..

قدمت لى المخابرات الحربية أو العسكرية كل مساعدة ممكنة كى أعيد كتابة كتابى عن حرب الساعات الست بناء على توجيه أنور السادات ..

أعدوا لى جدولا بمواعيله كثيرة مع كل المسئولين عن حرب أكتوبر من الكبار الى بعض رجال الصفيين الثانى والثالث .. واصطحبنى ضابط برتبة رائد فى كل هذه الجولات وكان عنصر تشجيع لى وكان يعطينى فكرة موجزة عن كل جنرال قبل أن ألتقى به .. وكان كريما مهذبا ودودا .. ذكرنى دائما بطريقة الفريق أبو سعده عندما كنا معه فى الجبهة أثناء قيادته للجيش الثانى اذ كان بارعا ورقيقا جدا فى معاملته لنا نحن المراسلين الحربيين ويهتم بأصغر التفاصيل حرصا على راحتنا وتمكيننا لنا من أداء مهمتنا الصحفية ..

والجنرالات الذين التقيت بهم .. كانوا بدورهم يقدمون لى الكثير .. ويبدون استعدادا للتعاون .. ولم أشعر من جانب أحد منهم بأية حساسية فى التعامل معى لانى يسارى فقد كان معظمهم يعرف هذه الحقيقة حتى قبل أن ألقاه ..

مرة واحدة قال لى المشير أحمد اسماعيل .. فى دهشة وهو يضحك : يا أخويا ايه اللى مخلى سيادة الرئيس يحط الوثائق والمعلومات دى كلها معاك ! .. مين اللى موصيه عليك ؟

كان السيد سيد مرعى جالسا معنا .. فقال له كلاما طيبا فى حقى .. وكيف أن هذا هو سبب ثقة الرئيس فى ..

فقال المشير : والله أنا آسف يا ابني أصل ما سمعتش عنك قبل كده .. أنا اسمع عن موسى صبرى وجسبين هيكل وائيس منصور .. أما أنت دى أول مرة أعرفك واسمع عنك !

وأمكن تجميع المعلومات الجديدة .. وشرعت في إعادة كتابة الكتاب .. ونشر وطبع في بيروت عند اسلام شبلي أيضا .. الذي ابتهج كثيرا برد فعل الكتاب الأول عند رئيس الجمهورية .. حتى أنه أصر على أن يتعاقد معي على إعادة طبع الكتاب كما لو كان كتابا جديدا أولفه .. مع أن نص العقد بينه وبينى كان ينص على دفع مبلغ محدود من المال مقابل الطبعة الثانية ..

ولكن خلال إعادة الكتاب وتجميع مادته .. يمكن تسجيل عدة مواقف هنا ...

وجدت أنه كي أستكمل الصورة لابد أن التقى بالفريق سعد الدين الشاذلي الذي كان السادات قد عينه سفيرا لمصر في لندن .. والصورة التي أردت استكمالها كانت عما جرى في الثغرة بالذات ..

وقلت لنفسى لابد من أن أستأذن الرئيس في هذا فانا أعرف أن هناك خلافات بين الاثنين في هذا الشأن ..
وطلبت مقابلته .. وقابلته ..

- يا ريس أنا عاوز أقابل الفريق سعد الدين الشاذلي لأسأله عن حكاية الثغرة ..

كبت أتوقع - وربيا كانت هذه هي المقابلة الثالثة لي مع أنور السادات - أن يقول لي ولماذا لا تكتفي بالمعلومات التي أعطها أو سيسطيك أياها الجنرالات .. وأنا شخصيا قلة تحدثت عنها في مناسبات مختلفة (أي أنور السادات) ١٩

ولكن لدهشتي الشديدة .. رد على أنور السادات بلا ثانية تردد :

- ما تروح تقابله يا أخى .. حد حاشيك ١٩ ..
قلت .. شكرا يا سيادة الرئيس .. سأسافر إلى لندن وأقابله ..

والشهادة للتاريخ أن أنور السادات لم يقل لي كلمة واحدة عن كيف أسأل الفريق سعد الدين الشاذلي .. ولا طريقة التعامل معه .. ولا شيء ..
أنه فقط قال « ما تروح » ثم دخلنا في مناقشات عن قضايا أخرى ..
وأدركت أن أنور السادات رجل ذكي ويفهم الشخصية التي أمامه ..
وأنه ليس ممكنا أن يكون كل واحد عينا له أو أداة استلذاج لخصومه ..

ولما علم المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي بنيتي على السفر إلى لندن إذا به يبلغني أنه قرر أن يوفدني إلى هناك في مهمة صحفية وكانت تلك لفتة

طينية مشبعة من جانبيه .. وبالفعل عدت وكتبت أربعة موضوعات صحفية
فى روز اليوسف وصباح الخير .. فمن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ! ..
وذهبت الى السفارة المصرية فى لندن وطلبت مقابلة الفريق الشاذلى
.. وقابلنى الرجل على الفور .. وقدمت نفسى له كمراسل حربى أكتب
كتابا جديدا عن الحرب .. قال الشاذلى وهو يرحب بى فى ود :

— أنا فاكرك قريب لك حاجة من قبل .. لكننى آسف. أنى لست من قرائك
لذلك أعدرتنى اذا لم أعرفك كويس .

حكيت له قصة الكتاب وقصتى مع أنور السادات وأننى استأذنته فى
مقابلتك لأسمع منك ما حدث فى الثغرة كما ترى الأمر ..

وبدا على الفور على وجه الفريق الشاذلى الشك فى أمرى فلاحتمال
الأكبر أن أكون مدسوسا عليه من أنور السادات ليظعن فيه أمامى أو لأنقل
له صورة مشوشة لحديثه كما يفعل العملاء عادة ..

وادركت على الفور ما يجول بخاطر جنرال الحرب الذى أجلس أمامه
.. فقلت له وقد اعتدلت فى مقعدى :

— يا سيادة الفريق .. أنا قضيت ١٣ عاما فى السجون والمعتقلات ..
منذ عهد الملكية .. وفى عهد جمال عبد الناصر .. وذلك من أجل أمانة
الكلمة .. ولذلك فانى لا يمكن أن أعمل لحساب أحد أو جهاز من الأجهزة
وأخون نفسى والناس وأصيح مرشدا أو جاسوسا أو عنصر استدرج
واستفزاز ..

وأنا أشعر أنى مسئول عن مصلحة البلد مسئولية لا تقل عن احساس
رئيس الجمهورية نفسه والإلما قدمت كل تلك التضحيات طوعية واختيارا
.. فأرجوك أن تطمئن تماما الى أن الحوار الذى سيدور بينى وبينك ليس
مطلوبا من أحد أو أوعز لى الرئيس مثلا أن أدعوك اليه لأنقله له .. انى
سأكتب ما استقوله لى .. ولكن اذا كان هناك شئ لا تريد منى أن أنشره
فألفت نظرى اليه .. ولن أنشره .. ولن أقوله لأحد أبدا .. ولو أنك قلت
كلاما ضد رئيس الجمهورية أمامى فلن أنقله له .. وعندى من الشجاعة أن
أرد عليك أنا بنفسى اذا كنت ضد رأيك ..

وضمكت قائلا :

الشئ الوحيد الذى سأبلغ رئيس الجمهورية عنه هو اذا قلت لى أنك
تدير انقلابا عسكريا ضده .. لأنى حليف لهذا النظام !!

ضحك الفريق الشاذلى .. واحسنت انه بدأ بهذا ويطمئن لي شيئا فشيئا على مدار الحديث .. واخذ يشرح لي رايه فى الثغرة وكيف تحدثت .. ونفى لي بشدة انه انهار فى غرفة العمليات كما أعلن السادات ذلك
ضمه ..

وانتقد فى حدة أحيانا قيادة أنور السادات للجربا ..
وعندما علمت لمصر لم أقل قط لأى مخلوق حتى زوجتى .. ما قاله
لي الشاذلى ضد أنور السادات ..

ولما قابلت السادات بعد عودتى أسجل مرة أخرى للتاريخ أنه حتى لم يسألنى ما اذا كنت قابلت الشاذلى أم لا .. بل كنت أنا الذى قلت له عرضا وأنا أعرض ما تم من جهود لتجميع المادة .. وقابلت الشاذلى وأخذت منه المعلومات التى أريدها .. ثم مبالغت إلى بيروت لإيفرغ للكتاب .. لم يسألنى السادات ماذا قال الشاذلى .. أو كيف قابلك ولا كلمة على الإطلاق ..

بل ان السادات لم يتدخل ولو مرة واحدة .. بالتصريح أو التلميح عن الجديد الذى ساضيفه للكتاب .. ولم يشر على قط بإبراز هذه النقطة أو تلك ..

وكان ذلك عاملا مطمئنا لعلاقتى بالسادات .. وباعتنا للراحة فى نفسى .. ومثارا للدهشة .. كيف أنه لم يحاول قط استغلالى .. وكنت أقول لنفسى .. هو ليس ضابط مباحث عامة يابنى .. ان له أهدافا أخرى أبعد مدى ..

وتبدأ المخاوف والهواجس من هذه العلاقة الجديدة الخطيرة مع السلطة تتنابنى فى الأعماق .. فاطمئن نفسى وأهدئها .. وأقول ألسنت أنت الذى كتبت يوما ما .. اننى لا أخشى الجلوس فى غرفة مغلقة مع رئيس المخابرات المركزية الأمريكية ولو لساعات من الزمان !!

اطمئن يابنى على صلابتك وثورتك .. ولا تشك فى نفسك .. فما أنور السادات الا متناضل كما فاضلت أنت .. وأنت عانيت وضمت أكثر منه .. لا تخف فتصف الدنيا معك .. (قاصدا المعسكر الشيوعى !!) والمستقبل لنا .. وليس للبرجوازية !

الموقف الثانى أو الحكاية الجديدة بالذكر خلال اعدادى للكتاب .. هو مقابلتى لحسنى مبارك .. كان أفريقا أيامها .. وقائما لسلاح الطيران .. ورغم أنى كنت مراسلا حريبا الا أنى لم ألتق به خلال الحرب .. فلم

يكن بوسعنا مقابلة كل القادة .. فأغلب عملنا كان في البر .. في ميدان
المفرقة ..

وكننت قد رأيت حسنى مبارك قبل حرب أكتوبر .. على وجه التحديد
في صيف عام ١٩٧٢ .. عندما كنت في الوفد الاعلامي الذي صاحب
د. عزيز صلقى رئيس الوزراء حينذاك في رحلته لموسكو التي طلب فيها
من السوفيت سحب خبراتهم العسكريين من الجيش المصري ..

في الطائرة بجانب أحد نوافذ الطائرة كان هناك شاب جالس ..
في صمت والمقعد المجاور له خال لا يجلس الى جانبه أحد ..

سألت زميلي وصديقي اللدود - وقتها - الأستاذ محمد الحيوان نائب
رئيس تحرير جريدة الجمهورية - من هذا الرجل ؟

قال لي .. انه قائد سلاح الطيران اللواء حسنى مبارك ..

قلت له .. ده أظن أكبر واحد عنده خبراء سوفيت ..

ورفعنا أيدينا بتحيته ونحن نمر على مقعده .. ولكننا لم نتحدث معه
.. فلم تكن لنا سابق معرفة به .. وكان يبدو ضامتا راغبا في الاستمرار
في صمته ووحده ..

وعندما نزلنا من الطائرة في موسكو .. وجدت عبد الملك خليل مراسل
جريدة الأهرام هناك وزميل في الاعتقال والذي اشتهر بيننا بسعة ثقافته
واطلاعه .. علاوة على خفة دمه .. وجدت عبد الملك يحتضن حسنى مبارك
ويحييه بحرارة .. وكذلك فعل بعض المستقبلين السوفيت ..

سألت عبد الملك بدهشة .. لماذا هذه الحرارة في استقبال ذلك
الرجل ؟

قال : لأنه كان أجده ضابط طيران هنا .. كان يشتغل ويشدرب
جيذا ولا يلعب ولا يهلس .. والسوفيت يحبونه ويحترمون فيه ذلك
ويقولون أنه تفوق على كثير من الطيارين أبناء الاتحاد السوفيتي ..

ولم أر حسنى مبارك بعد هذا قط .. وسمعت عنه خلال حرب أكتوبر
ومرة دعونا الى مقر «البتاجون» المصري في مدينة نصر ورأيت بين الضباط
الكبار الذين قابلناهم هناك تبادلنا التحية بشكل هادى دون أن يعرف
حتى اسمى ..

الى أن ذهبت اليه مع ضابط المخابرات الحربية لأتحدث معه عن الحرب
مثل القادة الكبار الآخرين الذين التقيت بهم ..

وقدمنى الضابط اليه .. وبدأ يتحدث عن مهمتى .. فقاطعه حسنى مبارك قائلا .. أنا عارف كل حاجة ..

ورحب بنا ترحيبا حارا .. وأحسست أنى مع واحد من أهل قريتى سنتريس .. فى بساطته وكلامه المبسط وهو يشرح لى دور سلاح الطيران فى المعركة ..

وأنا رجل يأسرنى الرجل الكبير المتواضع ولا شك أن هذا كان سببا هاما من أسباب احترامى وتعلقى بأتور السادات .. كذلك دخل قلبى حسنى مبارك من ذلك اللقاء الطويل .. وكان يبدو متواضعا جدا وهو يخفى بطولات رجال سلاح الطيران .. ولم يتكلم عن نفسه قط ..

وبينما نحن نتحاور .. سألتنى فجأة عن اسمى مرة أخرى .. فقال لى متسائلا : الطويله .. انت تقرب لدسوقى الطويله ؟ .. قلت له : ده أخى ..

قال : ده كان استاذى فى المدرسة الثانوية زمان .. وشرح بخاطره بعيدا .. وقال كمن يتذكر شخصا عزيزا عليه .. هو قين دلوقت ؟

قلت له : مفتش أول بوزارة التعليم ..

قال : ده كان راجل كويس قوى .. أنا عاوز أشوفه .. قل لى يتصل بى ..

وانتزع ورقة من على مكتبه وكتب عليها رقما وكتب تحته حسنى مبارك دون لواء أو فريق وقال اعطها لى دى تمرتى المباشرة خليه يكلمنى ..

قلت له ضاحكا :

— والله .. هذا وفاء نادر فى هذه الأيام ..

قال : احنا فلاحين .. يا سيد عبد الستار .. سلم لى على الأستاذ دسوقى وضرورى يتصل بى !

ولم يمض ثلاثة شهور على هذا اللقاء .. حتى التقيت بحسنى مبارك مرة أخرى .. كان الكتاب قد تم طبعه .. فمررت على كل القادة أقدم لكل منهم نسخة أو نسختين هدية .. ولما قابلته .. أعجب بغلاف الكتاب .. وتأمله طويلا .. وسألنى عن الرسام فقلت له جمال كامل .. فقال :

لما أكتب أنا كتاب عن سلاح الطيران في خرب أكتوبر سأطلب منه رسم
غلافه ..

وقلب صفحات الكتاب .. حتى جاء الى القسم الخاص بسلاح الطيران
.. وجمع صفحاته وأمسك بها بين أصابعه .. وقال ضاحكا : لكن أنا
ما قلت لك كلام كثير كده .. اوعى تكون فبركت حاجة ! ..

قلت له : «أنا لي مصادر أخرى يا سيادة الفريق .. كتب اسرائيلية
وامريكية وانجليزية وجرائد كمان ومشاهداتي أنا شخصيا ..»

قال لي في رقة وود شهيدين : والله انتم يا صحافة لكم دور في
الحرب .. بتقولوا للناس على الى يحصل .. وأنا أشكرك كثيرا .. على
هذا المجهود .. والشكر ده لكل زملائك ..

وسألتني عن أخرى مرة أخرى .. فقلت له انه دائم الحل والترحال ..
لكن « الحادث » الذي ترك في نفسي أثرا أعيق تجاه حسنى مبارك ..
ولا أنساه حتى اليوم .. هو أن الشئون العامة بوزارة الدفاع دعتنا نحن
المراسلين العسكريين في نوفمبر أو ديسمبر ١٩٧٤ الى زيارة للمطار السرى
فى المتصورة أو الى جوارها .. وهناك التقينا بالفريق حسنى مبارك ..
حيث تحدث معنا هو وعدد من كبار الضباط .. وكانت فرصة لأقارن بين
بساطة مبارك وبين بعض الضباط الآخرين .. ثم تناولنا الغداء .. وكان
يتابع طعامنا .. فيعزم على هذا الصحفى ويشجع آخر على تناول هذا
الصنف أو ذاك .. حتى تصورت أننا فى ضيافة عمدة أو شيخ بلد كريم
فى القرية ..

وبينما نحن نشرب القهوة .. قلت له يا سيادة الفريق ، أريد أن
تشرح لى لو سمحت نظرية الطيران .. لأننى لا أفهم كيف يطير الحديد ..
وهو أثقل من الهواء !؟

ضحك حسنى مبارك .. وطلب ورقة كبيرة وأمسك قلمًا وأخذ يشرح
لى بالتفصيل وبالتبسيط نظرية الطيران .. وقد التفت حوله جميع
الصحفيين والضباط ..

ثم بعد أن سكنت قال لى : تعال اركب معى الطائرة .. وسأسوقها
منصوص وتزكب جنبى علشان ترى التطبيق العملى ..

قلت له وقد هزنتى هذه « المكreme » اذا جاز التعبير .. لا يا أفندم
متشكر .. مفيش داعى تتعب نفسك ..

ولكنه أصبر .. وأصبر حتى معه ممسكا بيدي حتى لا أراجع .. وركب
أحدى الطائرات .. وبدأ في قيادتها وهو يشرح لي .. وأنا شاعر بحرج
شديدي أنني شغلتي وقت هذا « الفريق » الكبير في مسألة كهذه .. وقلت
لنفسى : الجيش يابنى ليس المؤسسة العسكرية المخيفة التى نقرأ عنها
عادة !! .. فما هو جنرال كبير .. وقائد لمركة انتصر فيها .. يبذل
جهدا ووقتا .. ليعلم جاهلا مثلك !!

وكاننا إراد جسنى مبارك أن يهدي من روى .. أو يخفف من حرجى
.. فقال لي : أصل أنا رايح القاعدة في انشاصي .. فأخذتك معي ..

ونزلنا في انشاص .. وذهبت معه في سيارته إلى حيث كان الطيارون
مجتمعين .. في ميس أو مكان فسيح لا أدري ..

وفوجئت بأن الأمر بدا كما لو كنا في مظاهرة بطلها جسنى
مبارك فقد التفت حوله الطيارون يحيونه في حماس وحب وحرارة .. ولولا
الإنضباط لحملوه على الأعناق وطاقوا به المطار يهتفون !

وجلس بينهم .. وإذا به يعرفهم جميعا تقريبا .. ليس هذا فقط
.. بل كان يسأل الواحد منهم : أخذت شبقك والا لبسه .. أتجوزت ..
أشتريت العربية .. بنتك شفيت والا لا .. الخطوبة بتاعتك فُشلتْ ليه ..
وهكذا ..

ومكث معهم حتى الساعة الثامنة والنصف تقريبا .. ثم ركبنا
الطائرة من جديد ونزلنا في مطار الماطة ..

وشكرت قائد سلاح الطيران وتاهبت لتوديعه والبحث عن سيارة
تاكسي توصلني .. وأنا في غاية التأثر .. مما رأيته وسمعت طوال
اليوم ..

وكانت في انتظار حسنى مبارك سيارة ..

التفت لي وقال : إنت سياكن فين ؟ ..

قلت له : في نهر البلد ..

وأضفت : لا تشغل بال سيادتك سأجد تاكسي ..

قال : تاكسي إيه يا إجل .. ده إنت فى سلاح الطيران ..

فضحكت قائلا : بل في دوائر العمدة !!

والتفت إلى أحد الإنضباط وقالو له : هات سياره ثانية .. توصل

الاستاذ بيته ١١

وهنا حدث شيء لم أكن أتوقعه وشعرت بنفسى الغطس فى الأرض من كثرة الحرج .. اذ همس الضابط فى أذنه بكلمات .. فإذا بحسنى مبارك يقول فى بساطة : يبقى العريية توصل الأستاذ عبد الستار الأول وترجع تأخذنى ..

قلت : لا .. لا .. يا سيادة الفريق ..

قال : مالکش دعوة أنا حاقعد معاهم فى المطار أشوف عاوزين ايه .

قلت : لا يمكن .. ولا يمكن أن أقبل تضييع وقتك الثمين .. أنتم أبطال النصر لبلدنا والى رددتم كرامتنا .. والدقيقة لها قيمة ..

قال : مالکش دعوة ..

ولكن الموقف أنقذ فجأة اذ ظهر ضابط آخر .. قال ان هناك سيارة ستكون هنا بعد لحظة ..

اعتقد أنه فى ذلك اليوم تحقق انطباعى الأول عن حسنى مبارك .. وثبتت الاحترام والتقدير العميق له فى أعماقى بعد أن عرفته جيداً مهما تطورت أحداث أدت الى انتقادی لسياسته فى أحيان متعددة .

وأقول هنا أن الخبرة الشخصية علمتنى أن الاحساس الشخصى تجاه الإنسان ما يساعد على فهم مواقفه العامة والوعى بها ..

كما علمتنى أنه مهما كان احساسك الشخصى بشخصية مسئولة مسئولية كبيرة .. لا تنس أبداً الموقف الحقيقى للسلطة .. فلا تخلط الأوراق .. فالسلطة ليست لديها نفس الأهمية التى يقدر بها الأفراد الاحاسيس والمشاعر الشخصية ..

ومراجعة بسيطة لتاريخ الملوك والقيصرة تكشف عن أن الأب كان يقتل ابنه طمعا فى الحكم وبالعكس .. والإبنة فى آل بورجيا كانت تقتل أبائها من أجل الاستيلاء على السلطة .. الخ .

السلطة كما قلنا عنكبوتية .. ومشاعرها باردة !

ولعل من يشجع السلطة على أن تكون « عنكبوتية » بقسوة وبلا أخلاق أحياناً هو دور الحاشية ..

قلت مرة للرئيس أنور السادات .. وقد امتد بنا الحديث وتشعب :

— يا ريس .. أنا كلما أتيت الى زيارتك أحس أنى فى جو روايات الجيب بتاع زمان عن باردليان وفوستا ولويس الرابع عشر .. دنائس، القصور يعنى .. وكل واحد عاوز يأخذ أصبح من قدم السلطان !

قال أنور السادات ضاحكا :

— نحن بشر .. آمال ايه ..

قلت :

— كل واحد قريب من السلطان عاوز يبعد الثاني ويستأثر بالرضا
ولو على حساب الآخرين .. وطبعاً السلطان مبسوط ويستفيد من كل هذه
التناقضات .. ويضرب دة بده اذا لزم الأمر ..

قال السادات بصراحة :

— الحكم له فن .. وضرورات لا يعرفها من هو خارج الحكم ..
والأفندية الى زيك !!

قلت :

— على فكرة لماذا تسمى المثقفين بالأفندية ؟ ..

قال :

— لأنهم منعزلون عن الواقع .. المثقف مش حاجة عيب .. بالعكس
يمكن يفيد بلده بثقافته .. ولا يمكن الحاكم ينجح الا اذا كان مثقف ..
ما أنا قرأت في السجن قد شعر راسي كتب .. لكن الواحد لا ينسى الطين
الى اتربى فيه .. لازم تعرفوا الحقيقة .. مش الشعارات والكلام الكبير
بتاعكم ده .. ما أنا أقدر أقول كل يوم وكل ساعة الاستعمار والامبريالية
والتناقض في صفوف الشعب .. الهلمه دى كلها .. ثم ماذا ؟ ..

— ولكن النظام لا يستفيد بالمثقفين ..

— عاوزين ايه أكثر مما أنتم فيه .. حرية صحافة .. نشر كتب ..
منابر وانتخابات حرة .. عملتم ايه ؟ أفنديه برضه .. فاكرو لما كنت أنا
أتحدث عن عام الحسم .. وجمعتم أنفسكم وجرجرتم راجل كبير زى نجيب
محفوظ وكتبتم البيان اياه ضدى وصورتونى كأنى متخاذل .. وأنا نشفان
ربقى فى الاعداد للمعركة .. عاوزينى أكشف ورقى علشان نخسر المعركة
.. تدخل اسرائيل القاهرة .. علشان كده أنا باقول أفنديه ..

نعود الى الحاشية لدى كل سلطان ..

لاحظت وأنا أخطو خطواتى الأولى فى علاقتى بأنور السادات بتكرار
زياراتى له أن عددا من حاشيته وهم مكونون عادة من رجال الأمن وما يسمى
بالسكربتارية الخاصة .. ثم كبار موظفى القصر .. كانوا مندبشين من
هذه العلاقة بين رئيس الجمهورية وواحد شيوعى ..

وطبعاً كانت هناك علاقة وثيقة سابقة لعلاقتي بالسادات بينه وبين يسارى معروف هو الأستاذ لطفى الخولى .. الذى كان يزوره فى الشهور الأولى لتوليهِ السلطة مرة ومرتين فى الأسبوع .. ثم كان هناك بعد ذلك د. فؤاد مرسى ود. اسماعيل صبرى عبد الله اللذين عينهما وزيرين ..

لكن يبدو أن علاقتي أثارت الابهة .. والقلق الأمنى فى نفس الوقت فى نفوس بعض رجال الحاشية لأنى بالهبة لهم كنت « يسارياً نكراً » لم يعرفونى ولم يسمعوا عنى من قبل كما سجعوا عن الاستاذ لطفى الأشهر منى قطعاً وحتى الآن ..

ثم إن الدكثرة أصبحوا وزراء ..

ولكن شامت الظروف أن بعض هؤلاء الرجال قد وثقوا فى وأحبونى من خلال مناقشتى معهم حتى عن الشيوعية .. وذات مرة التقيت بواحد منهم ممن خرجوا من خدمة الرئاسة واتجه الى الأعمال الحرة .. وجلسنا الى بعضنا عدة مرات .. فحكى لى الكثير من فلسفة رجال الحاشية ..

قال لى مثلاً إن حاشية أى حاكم .. لا تحب للحاكم أن يعرف واقع البلاد عن غير طريق أفرادها .. ولذلك كان البعض يتصور أنى عين الرئيس السادات على الواقع المصرى يستلزمىنى ليستمع الى تقارير عنه منى ..

وكان يعزى ضيقهم بهذه العلاقة معرفتهم أنى يسارى .. وهم يكرهون اليسار ولا يريدون أن يعرف من جانب شخص مثلى ما أقوله له .. وقال لى أن البعض منهم كان يتصور أننى يمكن أن أشكوا للرئيس بعضهم .. لى سبب تافه أو حتى بدون سبب ..

والبعض كان يقول أننى قد أستفيد من هذه العلاقة .. فأبدأ فى التهلب والاستفاج ! وآخرون كانوا يرون أنى قد أكون خطراً على الأمن .. فقد أكون عميلاً روسياً باعتبارى شيوعياً !

واكتشفت من خلال علاقتى واحتكاكى بتلك الحاشية أن أغلبهم على حظ بسيط جداً من الثقافة .. حتى السياسة ..

أذكر أن السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى .. قال لى مرة فى شكل نصيحة .. ليه شيوعى ولا رأسمالى .. الواحد لازم يكون مصرى بس ..

وأدهشنى أن يكون رجال كبر كهذا قريباً من الصائم الأول للقرارات السياسى .. لا يعرف أن هناك فرقاً بين الشيوعية والرأسمالية من ناحية ..

والمصرية من ناحية أخرى .. فالشيوعية مذهب .. والمصرية جنسية ..
ويمكن للمرأة أن يكون مصرية .. ويعتني المذهب الرأسمالي أو الشيوعي ..

والشيء بالشيء يذكر .. فقد حدث عندما كنت ضمن وفد إعلامي
صاحب السيدة جيهان السادات في رحلتها الى المكسيك لحضور مؤتمر
المرأة العالمي .. عام ١٩٧٥ .. أن كنا جلوساً مع السيدة جيهان .. في
بهو فندق فاخر جداً في أكاپولكو .. فقالت السيدة جيهان صاحبة ..
اظن يا فلان أن الشيوعيين يعملون ثورة على الفخافة دي ..

فقالت السيدة همت مصطفى الاذاعية اللامعة : أنا غارفة يا اقبتم
ليه الواحد يبقى شيوعي أو رأسمالي .. ليس مش مصري فقط .. احنا
مصريين بس ..

قالت جيهان السادات ببساطة :

— لا يا همت .. ما هو الواحد ممكن يبقى مصري ويبقى شيوعي أو
اشتراكي أو رأسمالي .. دي حاجة وذى حاجة .. هذه مبادئ يؤمن بها
المصري والانجليزى والفرنساوى ..

وضحكت أنا مضيفا : ونيام نيام كمان .. وشككت السيدة همت
مصطفى .. وقس على ذلك الكثير من رجال الحكم ..

والأذكر مرة أن أحد رجال الرئيس روى لى أن أنور السادات كان جالسا
معه يهاجم الشيوعيين .. فقال له المهندس عثمان أحمد عثمان :

— يا ريس كيف تهاجم الشيوعيين وانت صديق لواحد مغلق على
راسه ريشة مكتوب عليها أنا شيوعي !!

وفي الحوار تبين أنه يقصدنى ..

وقالت لى السيدة جيهان السادات ذات مرة .. وهى تتحدث عن بعض
رجال الرئيس وتأثيرهم عليه .. أن السيد عثمان أحمد عثمان .. كلما
استمع الى أنور السادات يهاجم بعض العرب مثلا يقول : يا ريس اضربهم
بالجزمة .. واذا ما هاجم الشيوعيين انبرى يقول أيضا .. اضربهم
بالجزمة يا ريس ..

ويلاحظ أنه فى أواخر شهور حكم أنور السادات لم يكن يجالس
عناصر الا مثل هذه ومن أمثال أولئك الذين زينوا له فى سبتمبر ١٩٨١
أنه قام بثورة تصحيحية تفوق ثورتى ٢٣ يوليو و (١٥ مايو) !!

وللتاريخ أيضا إن جيهان السادات حاولت أن تجعله يلتقى بعناصر مستنيرة من أساتذتها أو الأساتذة الذين تعرفهم .. ليقوموا بتأثير مضاد لما يبثه الجبهة الآخرون .. ولكن ذلك لم يجد فتىلا .. وكذلك حاول المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى .. ولا جدوى !

على أننى من بين رجال الرئيس .. التقيت بمن شجع علاقتى بأنور السادات وحثنى على الاستمرار فيها .. بل وكان يأخذنى مواعيد أحيانا .. وهو المهندس سيد مرعى .. ولقد عرفت سيد مرعى عام ١٩٥٧ لأول مرة عندما أجريت تلخيصا لكتابه عن الإصلاح الزراعى والتقيت به بعدها عدة مرات ..

لكن لم تنشأ بينى وبينه أية علاقة سياسية أو خاصة ولكن عندما بدأت علاقتى بالسادات أصبحت أراه مصادفة ..

وكان يقول لى .. أن الشيوعيين هم المسئولون عن ابتعاد حكومات ثورة يوليو عنهم .. فان لهم فى رأيه أسلوبا منفرا متعاليا فى الحديث مع الآخرين ما عدا عددا قليلا منهم .. وكان يضرب مثلا على ذلك دائما بالاستاذ لطفى الخولى .. ويقول عنه أنه شيوعى يتحدث بمنطق .. وبدون تشنج .. وفى احترام للآخرين .. ولذلك هو مقبول ومحترم فى نفس الوقت .. عند « البرجوازية » كما تقولون !

واعتقد أن سيد مرعى لعب دورا فى إنهاء كل هواجسى وقلقى .. وسرعان ما « لبست الدور » كما يقولون .. وأصبحت أشعر بندية ازاء السلطة .. كما لم تعد تهمنى أو تؤثر فى حملات بعض اليساريين وغمزاتهم بالنسبة لهذه العلاقة مع قمة السلطة .. ومضيت فى طريقى لا ألقى على شئ .. أرى .. وأسمع .. واكتشف .. وأتعلم .. وإحاول أن أؤثر !!

ملاحظات على ١٥ مايو

عندما يتحدث أحد عن أنور السادات .. يقفز على الفور في الذهن .. موقفان .. أو انجازان .. أو حادثان .. سهمها كما شئت .. لكنهما .. هامان .. وتاريخيان .. لا في حياة مصر فقط .. بل في حياة العالم العربي .. وامتد تأثيرهما إلى العالم كله :

والانجازان هما ..

حرب أكتوبر ١٩٧٣ ..

والسلام مع إسرائيل ..

ولكن هناك مواقف أخرى مهمة في عصر السادات الذي مر بأحداثه الخطيرة كالأعصار في تاريخ مصر .. فهو حتى كان يتباهى أنه يستخدم أسلوب الصدمات الكهربائية في قراراته .. وهو أسلوب مستمد من روح استعراضية تمثيلية في قرارة نفسه منذ كان طفلاً ..

كاد أن يفرق مرة في التربة ببلدته ميت أبو الكوم .. فلما نجا من الفرق قال لأقرانه الأولاد من حوله وهو ولد مثلهم .. كنت أخشى أن تفقد مصر زعيماً من زعمائها في المستقبل .. مشيراً إلى نفسه !

وأيضاً هذا الأسلوب مستمد من إعجابه العريق بالنازية منذ كان شاباً اعتنق بعض الأفكار النازية لهتلر اذ رأى فيها منقلاً لمصر من الاحتلال البريطاني حتى تطوع بالعمل كجاسوس للنازي في مصر ضد الانجليز كما اعترف هو في فخر في كل ما كتب عن حياته .. ولم يعترف قط مرة واحدة أنه كان يعمل بهذا التطوع الأخرق ضد حركة تحرير الشعوب كلها من ذلك الخطر الوحشي القادم من سطور كتاب « كفاحي » لأدولف هتler ..

ان السلام مع اسرائيل يثير موقف السادات من أمريكا والاتحاد
السوفيتي والعالم العربي .. وفي حكم السادات .. لابد من تناول موقفه
الذى يبدو متناقضا مع الديمقراطية .. كما لابد من مناقشة موقفه من
اليسار المصرى .. وموقفه من التيار الدينى ..

ثم الانفتاح الذى أدخله على الاقتصاد المصرى .. وفلسفته ، وأخيرا
وليس آخرأ حادث المنصة ..

وستتناول فى الفصول القادمة .. كل هذه الموضوعات واحدا وراء
الأخر .. بعد مرور عشرة أعوام على وفاته .. مما يسمح بمحاولة تقييمها
تقييما موضوعيا .. وعلى ضوء التطورات الخطيرة التى حدثت خلال تلك
السنوات العشر ..

حركة مايو ١٩٧١

وقبل أن ندخل فى عرض لتلك الموضوعات .. أريد فقط أن أعرض
هنا بسرعة لحركة مايو ١٩٧١ التى صورها أنصار السادات الذين جنوا
معظمهم عليه فى النهاية .. أنها ثورة .. فقد كتب الكثير عنها .. وصدرت
حولها كتب كثيرة حررتها أقلام بعض الكتاب والسياسيين البارزين الذين
كانوا محيطين بالسلطة أو مشاركين كبارا فى صنع القرار السياسى وعلى
رأسهم أكبر كتاب مصر الأستاذ محمد حمدي هيكى ..

ولا يستطيع كاتب هذه العنطور أن يزعم أنه كان قريبا من تلك
الأحداث أو عالما ببواطن الأمور .. فلم أكن متدخلا مع السلطة أو الحكومة
.. ولا حتى عضوا فى التنظيم الطليعى فقد رفضت الانضمام إليه إذ لم أفهم
لماذا يكون حزب الحكومة الاشتراكى سريا .. وقلت لمن عرضوا على الانضمام
أننا سنتحول الى فريق آخر من المباحث لكتابة التقارير عن الأوضاع
والخبر على الناس .. هذا رجعى وذاك تقدمى .. وعشت بعيمدا عن
الانغماس فى أى شئ أو جماعة ..

على أننى شعرت أن شيئا ما فى الأفق سيحدث وأنا فى ندوة عن
التأمين الصحى نظمها روز اليوسف فى الاسكندرية فى مايو ١٩٧١ ..
وكان مدبج سالم محافظ الاسكندرية قد افتتحها .. والتقيت به وكان
بينى وبينه ود قديم .. ثم كان مقرضا أن يحضر يوم ١٣ أو ١٤ مايو
الاجتماع الأخير ليشارك فيه .. ولكنه اتصل بى مساء اليوم فى وقت
متأخر .. واعتذر لى عن الحضور .. وقال انه مضطر للذهاب الى القاهرة
ولما سألته لماذا .. قال : لا أدري ..

ولما التفتت عليه قال صاحبا .. ان شاء الله سنكسح الجبال وكريسة :
وكننت اعلم بعض الشيء عن التناقضات في السلطة .. فقلت ليلتها
لزميل صلاح حافظ الذي كان يشرف معي على الندوة .. الظاهر ان
شعراوي جمعة حيمشي .. فسألني : لماذا قلت : بالبن ان همدوخ سالم
سبعين وزيرا للداخلية لانه استلذت على تبجل ولن يحضر للثورة ؟
وكان هذا مجرد تخمين .. فلم اكن اعرف الكثير ..

وكان ابن عم زوجتي المرحوم اللواء جمال دافعي يعمل قائدا لولاية
البحر من الجمهوري تبعت قيادة اللواء لاصف .. قد ألجئ لي كثيرا عن ذلك
الصراع .. وان الصناديق لن يسكت عليهم طويلا ..

واذكر مرة انني سئلت زميلي وصديقي الاستاذ محمود السندي
وكننت اعرف انه صديق حميم لشعراوي جمعة عما يتردد من اشاعات
فقال لي في اسي شديد : الناس حق باين عليها خطوبيا بسببها .. والبلد
تروح في داهية فاسرائيل لسه في ارضنا ..

ولم اشرك او اساهم في اي جهد في احداث مايو هذه .. الا حتى
بقلبي ..

على انه عندما حدث ما حدث .. لم اتردد في تأييده فلقد تجديني شغلا
الديمقراطية الذي طرحه النور السادات .. وكننت على علم وعلى تجديني وثيقة
بديكتاتورية بل بتالة المجموعة الحاكمة بعد عبد الناصر .. بل وبديكتاتورية
نفسه ..

لقد كان سائق سيارة او طبايح واحد من اولئك قافرا على ان يضع
انسانا ما تحت الحراسة او في غياهب الجب او وراء السجون ..

وهناك عشرات ومئات الحكايات التي تؤكد هذه المقولة ونشرت في
مجلات الكتب ..

ورغم اني كنت على علاقة مضاعفة مع العائلة التي ينتمي اليها المرحوم
السيد علي صبري نائب رئيس الجمهورية الأسبق من جهة زوجتي المرحومة
فانني كنت حريضا على الابتعاد عنه وعن المجموعة الحاكمة .. ولم احاول
قط الاقتراب منه بحكم هذه العلاقة رغم انني كنت اؤيده وبمخولة
عبد الناصر منيهاضيا ..

لكلني كنت انظر ملهم خيما بالنسبة للقضية الديمقراطية .. ولم
استطع ان اقول رأيي في الديمقراطية في ذلك العهد الا مرة واحدة في

مجلة صباح الخير في سبتمبر ١٩٦٧ عندما ثار الجدل بين اليساريين
ومحمد حسنين هيكل عن الديمقراطية فهاجم اليساريون كلام هيكل باعتباره
ليبرالية برجوازية .. بينما أيدته أنا .. وانتقدت موقفهم ...

وخلق الحاجز بيني وبين المجموعة الناصرية الحاكمة .. حادث صغير
ولكنه ذو مغزى كبير .. حدث وأنا في المعتقل ما بين (١٩٥٩ - ١٩٦٤) ..
ويعرفه كل الشيوعيين الذين كانوا معي معتقلين .. ونرويهِ لنسام منه ..

عندما اعتقلت فكرت المرحومة زوجتي السيدة سميرة سعيد رفاعي ..
في أن تستفيد بقرابتها للسيد علي صبري وكان وزيرا لشئون رئاسة
الجمهورية .. فزارته في بيته لترجوه أن يسعى للإفراج عني .. وكان
على ذراعها طفلها المولود منذ شهر .. فقال لها في تألف وجفاف .. أنه
لا يعرفني .. وسيسأل ما إذا كان يمكننا الإفراج عني أم لا .. وطالب منها
أن تعود بعد أسبوع ..

وبعد أسبوع جاءته فقال لها بالحرف الواحد :

- زوجك شيوعي .. فلا يمكن الإفراج عنه ..

يقالت له :

- الاستطيع أن تنقله الى مستشفى قصر العيني لينجو من العذاب
والهلاك الذي أسمع عنه في المعتقل ..

فقال بحسم : لا .. زيه زى غيره (وهذا طبعا من قبيل التمسك
بالاشتراكية) ..

قالت له وهي تشير الى طفلها على كتفها :

- وماذا فعل اذن ومعنى هذا الطفل دون أبيه ..

قال لها في بساطة باردة :

- احنا ماعندناش بنات تتجوز شيوعيين .. طلقه .. لازم تطلقه ..

ونفض قائما .. في صلف وكبرياء .. ولم يلفت نظره لحظة ان لهذه
السيدة طفل وأنه يجب عليه أن يساعدنا اذا عجز عن الإفراج عن زوجها
تمسكا بمبادئ المساواة بين المعتقلين أو لأى سبب آخر !! .. كان يلحقها
بعمل تتعیش منه بدلا من تركها فريسة لقسوة الأيام وذئاب الحياة من
كل نوع ..

هكذا كان بعض القادة الاشتراكيين الناصريين يتصرفون ..

والطريف أن الخطاب الذي أرسلته لى زوجتي في المعتقل سرا ، وزعته
قيادة الحزب الشيوعي المصري أو بالأحرى الفقرة التى تضمنت هذه

الحكاية على المعتقلين لتكشف لهم عن « الطابع الاشتراكي » لقادة الناصريين حيث كانت تلك القيادة تتهم عبد الناصر وجماعته بأنهم معادون للاشتراكية وممثلون للرأسمالية على عكس ما تدل عليه ظواهر الأحوال بينما كانت هناك قيادة شيوعية أخرى (حدتو) كانت تصف تلك القيادة بأنها قيادة اشتراكية ولو غير علمية .. أى مثالية طوباوية ولكنها منجزة- عنوما الى الفقراء !

على أن هذا الحاجز الذي خلقه تصرف السيد على صبرئى وبالدات حقولته ودعوته الى الطلاق وهو العمل الذي كانت تعرض عليه المباحث العامة حينذاك بقيادة المصيلحي وتضبط على زوجات المعتقلين حتى يضغظن بدورهن على أزواجهن في المعتقل .. أقول رغم هذا الحاجز .. فلم يهتز اعتقادي بما كانت تعتقده (حدتو) من الاتجاهات الاشتراكية لدى عبد الناصر ورجاله ! .. وهكذا الماركسية ترغمك على الموضوعية الزغاما !! ومع ذلك حرصت على أن أكون بعيدا عن الاحتكاك برجال الرئيس أو عقد أى صلة بهم .

وعندما مات جمال عبد الناصر حزنت حزنا عميقا مثل ملايين المصريين .. وشعرت بفراغ هائل تركه هذا الزعيم .. ولكن بعد أيام بعد أن راحت السكره وجاءت الفكرة أحسست أن وجود مثل ذلك الفراغ الذي نخافه ولغت كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي نظر رجال الرئيس الراحل اليه في مواجهة أنور السادات وطالبهم بالقيادة الجماعية .. أقول أحسست أن ذلك الفراغ دليل قوى على خطأ جسيم في نظام جمال عبد الناصر .. إذ المفروض لو كان النظام قائما على مؤسسات لما حدث فراغ وشبه انهيار لو مات رئيس النظام كما يحدث في كل بلاد العالم الديمقراطية .. بل أنني لما أمعنت فكري أكثر خصوصا بعد أن بعث السيد محمد حسنين هيكل باستقالته الشهيرة للرئيس الجديد أنور السادات بلغة شبه مقدسة كمن يتحدث عن اله .. حتى أنه لم يذكر اسم عبد الناصر بل أشار اليه دائما بالضمير الغائب .. أن جنازة عبد الناصر التي كان أفرادها يزيدون عن خمسة ملايين نسمة .. هي دليل إدانة ضد نظام عبد الناصر في نفس الوقت الذي تدل على ارتباط الجماهير به ..

إذا كان هناك إحساس باليتم لدى المصريين .. كما لو كان التاريخ قد توقف .. وهو أمر حدث كما قرأت عندما مات لينين .. وستالين في الاتحاد السوفيتي ..

ولقد تحدثت مرة مع السادات في مشاعري هذه .. فقال ضاحكا ..

— هو انت بس .. ده انا كنت غامل زى الفرخة الدايخة عندما مات
عبد الناصر .. المرحوم أشقرنا جحيظنا الأ بديل أو مثيل له لا الامس ولا اليوم
ولا غدا زى احضان ما يقول ..

قلت :

— اظن هذا كان واضحا عندما انحنيت سيادتك أمام تمثال جمال
عبد الناصر وانت خارج من مجلس الشعب ..

على فكرة من اللى أمر بطف المظن ده فى التمثلة بعد كده ..

— حسنين هيكل .. لحق وصالح الغلطة .. ده انا كنت تايه !! وقلت
له كتر خيرك يا محمد ! ..

سألت السادات :

● متى بدأت تفيق من زدة الكغل الشديدة هذا .. وتتجه الى تدبير
أمور السلطة مع الباكين ؟ ..

قاله :

— لأ الفلأنا لأمور السلطة كما تقولون ده من التمهلة الاولى .. حتى
والانسان يموت تأكد ان كل الواقفين حوله يفكروا ازاي يحاولوا يستكوا
البلد ازاي ويواجهوا شئ الاحتمالات .. لازم يبقى فيه حد فايق ..
لأن ده مصير بلد .. يعنى الانسان بيتكون كاته اثنين : واحد حزين أو
مضحك كارثة الموت ومدهوك .. وواحد تانى بحكم المسئولية يفكر
فى الخطوة الجاية علشان البلد ما تنطرش !

سألت النور السامح :

● هل كنت تغيب جمال عبد الناصر قوى ؟

قال :

— جمال عبد الناصر كان أعز أصدقائي .. وجيهان ما كانت تحتفل
بشخص وتقزم على حيلها فى المطبخ تحتفى بضيف قذ جمال عبد الناصر ..
وهو كان يرتاح جدا فى الحديث معي .. ويحب ييجى عندي دائما ..

ده كان يركب العربية ساعة وتصف من بيته لميت أبو الكوم علشان
ييجى يقعد عندي .. وقبل كده فى الهرم ..

ولو ماكانش جمال عبد الناصر يحبني ويشق لي ماكان عينني فى قيادة
الضباط الأحرار ، كان ممكن يظلمني لهم .. لكن انت عازف انه وضعني

فى الجمعية التأسيسية ومهر على يوم الثورة .. وكلفني بقراءة البيان الأول .. يعنى وضعنى فى وشي المدفع .. لأنى إى بداية كان يمكن تنسب الاذاعة كلها وتطربقها على دماغى أنا والشوية الضيابط والعساكر اللي كانوا معايا ..

وبعث معايا ناس ورجل اسكندرية هلشان نخل الملك يتخل عن العرش ..

سألت السادات عما يتردد عنه من أن سر توثق علاقته بجمال عبد الناصر أنه ما كان يعارضه أبدا .. وعندها يختلف معه ويتكلم فى يوم سعيد أو قريته وأن البعض اعتبر ذلك نوعا من التثعلب ! ..

قال أنور السادات .. أنه كان يعارض جمال عبد الباجر أحيانا .. وقال ان من أبرز معارضاته هو تصعيد على صبرى إلى مستويات عليا فى السلطة .. لأنه من رايه أن على صبرى لم يعرف شيئا فى السياسة لأنه لم يمارسها قط لا فى شبابه .. ولا فى الجيش وأنه دخل الثورة صديقا ..

وعارض عبد الناصر كثيرا فى تسليم سلطات كبيرة للمشير عبد الحكيم عامر ولكنه مع ذلك اختلف معه عندما رفض عبد الناصر اقتراحا للسادات بسفره الى بلد المشير لتعزية أهله ودفنه لأنه كان أعز أصدقائه .. ولما ألح على عبد عبد الناصر كثيرا قال له .. روح أنت يا أخى بدالى !!

ولما سأله هل عارض عبد الناصر أبدا فى القرارات الاشتراكية أو العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ؟

قال : لا .. ولكنى اختلفت معه فى القسوة فى التعامل مع من كان يسميهم الاقطاعيين .. وعارضت ما كان يفعله عبد الحكيم عامر بواسطة لجنة تصفية الاقطاع وخصوصا مع عائلة الفقى .. فقد كنت أعرف بحكم انهم بلديات ان حكاية شاهنده دى هى خناقة بين عائلتين كبار : الفقى ومقلد ..

وأذكر أن السادات أثار هذه القضية مرة أخرى معى ومع الأستاذ صلاح حافظ واختلفنا معه اختلافا شديدا ودافعنا عن شاهنده وزوجها الشهيد صلاح وانتقدنا بعنف عائلة الفقى .. واستطيع القول أننا هزمنا السادات فى تلك المناقشة اذ سكنت متراجعا بعد حوار طويل .. كان حرا وطريفا وهو كان يركز فى دفاعه أنها مبهالة صراع بين أسر كبيرة .. وليس قضية صراع ضد الاقطاع ..

سألت السادات ذات مرة .. هل كان يخالف جمال عبد الناصر في الموقف مع أمريكا .. فنفي ذلك بشدة .. وقال .. أنا ألهم أمريكا أحسن منكم ومن جمال عبد الناصر نفسه .. هو عبد الناصر غيره أمجس ؟ أنا اتحبست سنين وسنين .. كله في سبيل ايه ؟ مش ضد الاسماء ؟

وأنا كنت أختلف عن عبد الناصر في أنى أتصل بالكل .. أخطأ بالاخوان والشيوعيين وأحمد حسين والوفديين والسعديين والحرش الحديدي .. كل عصابات الملك في الجيش كانوا أصحابى ولا أحد يعرف حقيقة نواياي ..

أنا اتمرطت .. عبد الناصر لم ير يوما واحدا مرططة ..

★ ★ ★

أما عن أحداث ١٥ مايو .. فكما قلت أنى لم أعش معها أو فيها .. لكن من خلال علاقتى بأنور السادات كنا نتطرق للحديث عنها من حين لآخر .. وكانت هناك أسئلة أثيرها أو تثار هى حسب « جرجرة » الحديث ..

قال لى مرة .. أن الشخص الذى رأى حصارا حول الاذاعة للقبض عليه اذا ما خرج من الاتحاد الاشتراكى ليتجه اليها لمخاطبة الأمة .. وأبلغ الأستاذ محمد حسنين هيكل عن ذلك .. كان شيوعا .. وهو يحفظ الجميل للشيوعيين فى هذا الموضوع رغم موقف محمود العالم ضده ..

وسألت أنور السادات كثيرا عن هو ذلك الشيوعى .. الذى أبلغ بهذا الحصار .. فكان يرفض الاجابة على سؤالى ويضحك متلذذا بفضولى .. ومرة سمعت أنه الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله أحد قادة الحزب الشموعى السابقين ووزير الاقتصاد بعد ذلك .. فقلت لأنور السادات أنى عرفه .. وذكرت اسمه .. فلم يرد بالنفى أو التكذيب ..

وقد فشلت مع السيدة جيهان السادات فى معرفة من هو أيضا .. هل كان السادات يخطط منذ البداية لاقضاء المجموعة الناصرية من الحكم ؟ ..

هذا سؤال طرحته يوما على السادات .. وسأسمجل اجابته دون الخوض فى تحليلات للاجابة على السؤال .. فذلك مكانه كتب كثيرة متخصصة فى هذا الموضوع .. مثل كتاب الزميل الأستاذ مومى صبرى وايضا ورد هذا الموضوع فى خطب كثيرة للسادات ..

يقول السادات .. أنه كان ممكنا أن تمضي الأمور دون حدوث انقلاب ما .. لولا أن هذه المجموعة أشعرتة من اليوم الاول أنها تصور

أنه « أھبل » أو « غلبان » يمكن أن يحكموا هم فى الحقيقة من وراءه ..
وقال « وصلنى كل شىء .. وعرفت بيقولوا ايه فى بيوتهم » وهى عبارات
ترددت فعلا بعد أن تولى السادات رئاسة الجمهورية ..

ثم انه اختلف مع المجموعة كما قال فى موضوع الديمقراطية .. وهى
الورقة التى لعب بها فى مواجهتهم بعد ذلك فى مايو ١٩٧١ .. وقد أكد
الأستاذ حسين هيكى أنه هو الذى أشار عليه بها .. اذ كان شعار
السادات الذى كان ينتوى رفعه شعار آخر ..

لكن السادات من اليوم الأول أفرج عن المعتقلين .. ودعا الى الشرعية
الدستورية بدلا من الشرعية الثورية .. وقال صراحة أنه سيولى موضوع
الحراسات اهتمامه .. وينفذ القانون ..

من هنا حدث خلاف .. وتشككت المجموعة الحاكمة .. ورات أن
السادات يريد اتباع سياسة مستقلة غير السياسة القديمة ..

وقال السادات مرة لى « ان الأمور وصلت فى يوم من الأيام الى يا أنا
يا هم ؟ .. »

وأضاف أنه حذرهم من اليوم الأول من أى محاولة انقلابية عندما أظهر
مسدسه وقال أنه سيقاوم أى محاولة لمنع من ممارسة سلطاته ..

ولكن هل نظم أولئك انقلابا حقا ؟ ..

رغم أن السادات كان يؤكد فى خطبة .. كما أكدت المحكمة فى
حكمها ضدهم .. ورغم تأكيد السادات وزوجته فى أحاديثهما معنى يوم
لهيرى .. أنه كانت هناك محاولة انقلاب منظمة ..

فالأواقع أن استقرار الأحداث يؤكد أنه لم تكن هناك خطة انقلابية ..
والا فما معنى استقالة وزير الدفاع وغيره من الوزراء ..

انه يمكن القول أنه كانت هناك أحداث .. ومهمات وتحريضات
على أحداث انقلاب .. لكن لم يحدث وضع خطة وترتيب لشيء .. ولعلنا
كلنا تذكرنا محاولة انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ فى مصر عندما رأينا محاولة
انقلاب موسكو الخائب فى صيف ١٩٩١ ..

ولم تكن لدى معظم الانقلابيين أى روج نضالية بل تخاذل أغلبهم
وانهار عندما قبض عليهم .. وتبادلوا الاعترافات والاثامات .. واتضح
أنهم نمور من ورق .. وكان طبيعيا أن تنهار كوادر الصف الثانى والثالث
بدورهم ..

ولم يكن مع الانقلابيين أية جماهير على الإطلاق ..

هذه ملاحظة هامة .. إن الشعب المصري الذي خرج أغلبية في جنازة
عبد الناصر وهتف « بالروح .. بالدم » .. لم يبد أي اهتمام أو تحرك
لمناصرة رجال عبد الناصر الذين زعموا أنهم الحفظة والإمناء على منجزاته
وتراثه الثوري !

وهذا يعني أن الجماهير لم تكن ترى في أي فرد منهم أنه رجل سياسي
قائد جماهيري .. وذلك ليسهم بسبب .. أن عبد الناصر لم يحاول قط
أن يخلق تنظيما شعبيا واحدا حتى في ظل نظامه الشمولي العائم على وحدانية
التنظيم ..

حتى في عهد هتلر .. كان هناك زعماء جماهيريون نازيون سفاحون
نعم .. لكن الشعب الألماني كان مضللا .. ويحترمهم ويحبهم .. ويهتف
بحياتة الواحد منهم إذا ذهب إلى مكان وحده .. لأنه كان هناك تنظيم حديدي
جماهيري اسمه الحزب النازي (الوطني الاشتراكي) ..

ولكن لا الاتحاد القومي ولا الاتحاد الاشتراكي .. كان حزبا .. أو
تنظيما جماهيريا .. فإذا ما مشى شعراوي جمعة (وقد كان أمين التنظيم)
أو على مبروك الأهرام المسام للتنظيم في الشوارع لما لعب حوله خمسة
أشخاص يحمونه بحراية وتأييد جماهيري .. بينما كان أي وزير وفدي ..
أو حتى رئيس لجنة وفد في أي إقليم .. أو كاتب وفدي بارز .. يظهر
في أي مكان .. إلا والجماهير تحيط به في حرارة وود وتهنئ باسمه ..
وبحياتة الوفد .. لسبب بسيط أن حزب الوفد كان حزبا جماهيريا ومنظما
.. وقبلما على أساس شخصيات جماهيرية في كل إواحي الحياة .. مغروسة
في العمل وسط الجماهير .. وليس قاصرا على زعامة رئيسه أو سكرتيره
العالم .. مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين ..

منذ ٢٣ يوليو لم تشهه البلاد أي تنظيم جماهيري حقيقي للثورة في
أي وقت من أوقاتها .. كانت الجماهيرية قاصرة على زعيم الثورة .. فقط
الذي كان حريصا على ذلك تماما .. خوفا من أن تظهر شخصية جماهيرية
أخرى تنافسه في الزعامة .. وتطمح في الاستيلاء على السلطة ..

وقد رأينا بشاعة تعامل جمال عبد الناصر مع أول رئيس جمهورية
مصري .. المرحوم محمد نجيب .. إذ حبسه أكثر من ستة عشر عاما ..
دون توجيه أي اتهام له أو محاكمة .. ورغم وصول عبد الناصر إلى ذرى
المجد والجماهيرية .. إلا أنه كان يخشى دائما جماهيرية محمد نجيب
القديمة في سنوات ٥٢ - ٥٣ - ١٩٥٤ .. ويخشى أن يستثمر أحدهم هذه
الجماهيرية وينظم انقلابا على جمال عبد الناصر ..

وقد قال لى أنور السادات ذات مرة .. أنه كان يزور محمد نجيب من حين لآخر .. يأذن من جمال عبد الناصر (أربع أو خمس مرات) كما قال (.. وأن عينيه كانت تلمع غلغلا يخرج الى سيارته من سوء حاله .. اذ كان يصعب عليه) ولكنه كان اذا اقترح على جمال عبد الناصر الافراج عنه قال له فى عصبية ازاى يا أنور تقول كلمه .. اسكنت أنت ما تعرقش حاجه ..

وقال لى أنور السادات أنه اقترح مرة أن يفرج عبد الناصر عن محمد نجيب ويقيم فى بيته (بيت السادات) وهو مستول عنه .. فرفض فى عصبية .. ثم قال له ضاحكا : علشان تتفق معا على فى الآخر !!

وقال لى السادات كان عبد الناصر يهزر .. لكن كان كلامه يعكس انه لا يشق فى حتى أبوه .. وهو عصبى ومتوتر ..

وقد عاصرت أحداث عزل أنور السادات بعد ذلك للدكتور عزيز صدقى رئيس وزراء مصر الذى أسند اليه السادات هذا المنصب بعد أن وقف معه وقفة ثابتة وقوية بعد مايو ١٩٧١ رغم أنه كان يدين بالولاء العميق لجمال عبد الناصر ..

وكان واحدا من أسباب عزل عزيز صدقى هو ما نقله الوشاة كتبه التقارير فى الأجهزة من أن عزيز صدقى أصبح له شعبية وجماهيرية .. فقد نظم عزيز صدقى زيارات للأقاليم كل أسبوعين .. يجلس فيها مع الناس العاديين ورجال الحكومة والاتحاد الاشتراكي .. يستمع الى شكاواهم ويحاول أن يحل تلك المشاكل بالاشتراك مع الوزراء الحاضرين والمحافظ ورجال الإدارة المحلية ..

ثم ان عزيز صدقى استحدث أسلوبا فى مكاشفة الشعب بالحقيقة فقد كان يتحدث فى التلفزيون مرة كل شهر الى الجماهير عن مشاكلها وعما تم انجازه وخطط الحكومة فى الشهور القادمة .. وهكذا ..

وكان كل مراقب سياسى يرى فيما يفعله عزيز صدقى تدعيما لنظام أنور السادات الجديد فى منصب الرئاسة .. وربطاً للجماهير بهذا النظام .. اذ أن نجاح أى حكومة هو نجاح للناس شكلها .. رأس السلطة التنفيذية .. ولكن هذا الأسلوب أخاف أنور السادات بعد أن ضخم له الأمر بعض من حوله أو أصحاب الصوت العالى من اليمين الذى بدأ يبرز ويريد أن يعمل السادات على تصفية ثورة يوليو .. وكان اصطدام الحكومة بمجلس الشعب حول موضوع فرض الضرائب على حداثى الفاخرة نذيرا بالاتجاه الجديد لبدء سيطرة الطبقة الجديدة التى كانت قد مدت جذورها فى عهد

جمال عبد الناصر وفتح لها عهد السادات الباب للقفز والظهور والتأثير في السلطة .. خصوصا أن نظام السادات بدأت تحيط به عناصر ليس لها أي علاقة بأية أفكار اشتراكية أو مصالح للجماهير بعكس ما كان عليه الحال أيام جمال عبد الناصر ..

هذا رغم أن السادات كان يتحدث دائما عن تمسكه بالاشتراكية وأنه الأمين على منجزات عبد الناصر وحليف قوى للاتحاد السوفيتي .. في السنوات الأولى من حكمه حتى رغم تأزم الموقف في مسألة التسليح والخبراء السوفيت ..

ولا أشك أن السادات خشي جماهيرية قد تنشأ لتعزيز صدقي .. لأنه حدث مرة أن تحدثت عنه بعد عزله عن الحكم بأكثر من سنتين .. فقال لي :
- ده كان مغرور قوى !

ولما سألته : كيف ؟

قال ببساطة : كان فاكّر نفسه رئيس جمهورية !

والحقيقة أن هؤلاء المسئولين الكبار حساسون جدا لخروج مرءوسيه من المسئولين عن الحدود .. ويعتبرون هذا الخروج شيئا يمس ذاتهم لأنهم يكرهون محاولة التساوى بهم .. وهذا شيء ضرورى فيما يبدو ويعتبر من لوازم السلطة ..

أذكر مرة أن مجلة روز اليوسف حملت بشدة على المرحوم الدكتور رفعت المحجوب أمين الاتحاد الاشتراكي أيامها .. وتناول الحديث بين السيدة جيهان السادات وبينى حديث الدكتور رفعت .. وفيما يبدو أن الدكتور كان قد قال انه لا يملك في سيارته تليفونا (كانت تليفونات السيارات في ذلك الوقت ١٩٧٥/١٩٧٦ شيئا نادرا) ..

ومن بين ما قاله الدكتور لم يشد انتباه السيدة جيهان غير هذا القول فقالت لي وعلائم الغيظ والسخرية على وجهها :

- قل له ان مرات رئيس الجمهورية نفسها ليس في سيارتها تليفون !

ان التساوى .. أو محاولته هو اقتحام لقدس الأقداس .. وهو السلطة .. لأنه مقدمة لتساوى الرعوس .. ومعنى ذلك ضياعها ..
وفي حديث عابر مرة سألت أنور السادات عن سبب إعفاء السيد

ذكرى محيى الدين من منصبه كرئيس وزراء أيام جمال عبد الناصر ..
فقال لى ببساطة : كان عاوز يعمل رئيس وزراء بصحيح .. وكان متشائماً
.. وعبد الناصر كان يقول دائماً كل ما أقعد معاه يسود الدنيا فى عينى
.. مشاكل فوق بعضها ولا حل !

تبقى بعد هذا ثلاث ملاحظات عن مايو .. لابد من الحديث عنها ..
الملاحظة الأولى أن معظم اليسار المصرى والشيوعيين بالذات قد أيدوا حركة
مايو وساندوا أنور السادات ضد مجموعة مراكز القوى .. ونقصد هنا
اليسار التقليدى .. أى الشيوعيين الذين قرروا حل حزبهم فى عهد جمال
عبد الناصر .. وهم كانوا أقوى فرق اليسار لأن يساراً جديداً كان قد بدأ
يظهر بين الشباب ويتركز فى الجامعات أساساً .. وكان يتهم الشيوعيين
القدامى بأنهم حلوا الحزب وألقوا علم النضال .

وكان تعيين د. فؤاد مرسى فى اللجنة الثلاثية لإعادة بناء الاتحاد
الاشتراكى دليلاً على تضامن الشيوعيين مع « ثورة السادات » كما سماها
بعد ذلك .. ثم تعيين الأستاذ نبيل الهلالى الشيوعى البارز والفاضل فى
نفس الوقت فى لجنة الثلاثين ..

وكانت هناك مقالات الشيوعى البارز الأستاذ مصطفى طينة المحرر
بالأخبار التى تبارى فيها مع مقالات المرحوم الكاتب الكبير الأستاذ
عبد الرحمن الشرقاوى فى تأييد حركة السادات فى جريدة الأخبار فى
الأيام الأولى بعد نجاح الحركة .

ولم يكن هناك من ثار الشك فى معارضته الا عدد قليل من الشيوعيين
الذين كانوا داخل التنظيم الطليعى ومنهم الأستاذ محمود أمين العالم الذى
اضطر السادات للإفراج عنه بعد القبض على من اتهمهم بمحاولة الانقلاب
أو مناصرته لأن العالم قال كلاماً فى التحقيقات مؤداه أنه يأسف للتناقض
الذى حدث بين خلفاء عبد الناصر .. وخشى السادات من أن يقوم بدفاع
سياسى فى المحكمة يقلب موازين المحاكمة .. ولم يكن يريد السادات فتح
معركة مع الشيوعيين فى تلك الفترة إذ كان واضحاً له أن أغلبهم معه ..
وهو يريد الاستعانة بهم لتثبيت أركان حكمه وهو الذى لم تكن له
أى جدور جماهيرية ..

أذن الشيوعيون أيدوا السادات وشاركوا فى تثبيت حكمه ..
وسباندوه بل وقبلوا الاشتراك معه فى الحكم بوزيرين ونائب معين هو
الأستاذ أبو سيف يوسف السكرتير العام السابق للحزب الشيوعى
المصرى ..

ونحن نقول هذا لأننى لم أقرأ مرة نقدا ذاتيا من أى شيوعى ممن
أهالوا التراب بعد ذلك على أنور السادات وجادلوا تشويه كل إنجاز له ..
حتى حرب أكتوبر حرموه من شرف الإعداد لها وقيادتها فى طفولة محزنة ..

أما الأسباب التى ارتكز عليها الشيوعيون فى تأييد أنور السادات
فأمران :

السبب الأول : أنهم رأوا فيه منفذا الى عودة الديمقراطية التى تبناها
شعارا له .. وطبق ذلك عمليا بالأفراج عن ٢٠٠ شيوعيا كانوا فى المعتقلات
اعتقلهم شعراوى جمعة ..

والسبب الثانى : أنهم تصوروا أن السادات امتداد لجمال عبد الناصر
.. وأن الذى حدث هو مجرد تغيير فى قيادة الثورة .. وربما كان السادات
أكثر مرونة لأنه لم تتكون له الهالة والتأله الذى حدث لجمال عبد الناصر ..

ملاحظة أخرى : أن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل - وهو فى
رأى أشهر كتاب مصر على الإطلاق .. مصريا وعربيا وعالميا حتى الآن ..
وهى حقيقة يجب أن يعترف بها خصومه ومؤيديه على السواء .. والساعد
الأول لجمال عبد الناصر .. حتى أنه كان يسمى برئيس جمهورية الظل ..
وأكثر الناس معرفة بأفكار وسياسة جمال عبد الناصر .. وأقدرهم على
التغيير عنها .. والذى يراه الكثيرون الناصرى الأول فى العالم العربى
حتى الآن ..

الأستاذ هيكل - هو الذى لعب الدور الرئيسى فى مساعدة أنور السادات
للانتصار على خصومه مجموعة الناصريين بل كان المهندس الأول لخطة
السادات فى إلحاق الهزيمة بهم .. ولأن ينسى أحد ما رواه السادات ذاته
علنا .. من أنه عندما سمع الشريط الذى حمله المقدم طه زكى عما سمي
بالمؤامرة من أنه بُعث بابنته فى السادسة صباحا قبل ذهابها الى المدرسة
الى مسكن الأستاذ هيكل ليستدعيه خوفا من الاتصال التليفونى
المراقب .. ليعرض عليه الشريط ويتحدثا عما يجب عمله ..

وقد روى الأستاذ هيكل أنه هو الذى أشار على السادات باستخدام
شعار الديمقراطية لمواجهة خصومه كما ذكرنا من قبل ..

وظل الأستاذ هيكل نصيرا لحكم أنور السادات خطوة بخطوة وهو
الذى أشار عليه بكيفية التعامل مع اليسار وقدم له الأستاذ لطفى الخولى ،
حتى اختلف معه .. وكان واضحا فى إبراز ذلك الخلاف بحق على صفحات
الأهرام ..

هنا يتحمل الأستاذ حسنين هيكل مسئوليته أيضا في انفراد أنور السادات بالحكم ومنحه لقوى الناصريين رغم ناصريته هو .

وقد روى لي مرة المرحوم ممدوح سالم . . بعد أن أصبح مجرد مساعد لرئيس الجمهورية في مكتبه بالدور العلوي لمبنى الاتحاد الاشتراكي . . ونحن نتحدث عرضا عن علاقة هيكل بأنور السادات وأسباب تدهورها . . أن سبب هذا التدهور أمران :

السبب الأول : هو أن الأستاذ هيكل كان يريد أن يلعب دورا مع السادات مثل الدور الذي كان يلعبه مع جمال عبد الناصر أي « رئيس جمهورية الظل » . .

ولما قلت للمرحوم ممدوح سالم الذي كانت تربطني به علاقات ودية منذ كان محافظا أن هذه حكاية معروفة . . لكن ما هو السبب الحقيقي . . فقال باسم :

لقد كان الأستاذ هيكل بوابة جمال عبد الناصر نفسه للولايات المتحدة لما كانت تربطه ومدرسة أخبار اليوم من علاقات طيبة بها . . وأراد أنور السادات استخدام نفس الوسيلة في سنواته الأولى . . ولما أصبحت بينه وبين الأمريكان علاقة مباشرة منذ جلس مع كينسجور . . لم تعد هناك حاجة لبوابة ولا هم ويخزنون . .

وهذا الذي قاله لي ممدوح سالم . . كان أيضا درساً من الدروس التي تعلمتها في حياتي بعمق عن منطق السلطة في التعامل مع الناس . . ومن المواقف التي أكدت لي سياستها « العنكبوتية » التي أشرت إليها من قبل . . وربما كان من المناسب هنا أن أحكي . . حديثاً قاله لي أنور السادات عن فهمه هو أو تصوره بجانب من علاقة جمال عبد الناصر بالأستاذ هيكل . . وأنا أذكره فقط وفقا للنسخة التسجيل التي قرأت واتخاذها وأنا أكتب هذه الصفحات . . بصرف النظر عن رأي الشخص فيما أسجله مما سمعته أو رأيته . .

كان الحديث يدور بينها من بين تعليقاته العديدة . . حول الأستاذ مصطفى أمين . . ففاجأني بالقول :

— ماله مصطفى أمين عاملين عليه هيئته ويقولوا عليه جاسوس !

قلت له :

— لقد سمعت أن الأمريكيين لهم الذين طلبوا الإفراج عنه . .

قال في استنكار :

- ليه يعنى .. هم مالهم ..

قلت : باعتباره رجلهم حسب ما يقول الناس وظهر فى القضية ..

قال انور السادات وانا اكاد انقل بالجرف الواحد :

- اسمع يا عبد الستار .. انا شفت بعينى دول وسمعت بودانى
دول .. جمال عبد الناصر بيعمل مع حسنين هيكل نفس اللى كان بيعمله
مع مصطفى أمين ! ..

قلت .. بسرعة :

● ازاي يعنى ؟ ..

- يعنى يقول رئيس الجمهورية للواحد منهم وهو يعرف انه صاحب
الامريكان .. قول لهم كذا وكذا وشوف حيقولوك ايه ..

قلت :

● بالونات اختبار يعنى دوبل ايجنت (عميل مزدوج يعنى) زى
السيما ؟ ..

ضحك انور السادات وقال :

- لا « دوبل ايجنت » ولا حاجة .. هم مصريين مائة فى المائة ..
لكن بيستكشفوا الامور لرئيس الجمهورية ..
وسكت انور السادات لحظة وقال :

- هو يعنى انا وانا رئيس الجمهورية ايه لو جيت استغل انك يسارى
وقلت لك قول للسفير السوفيتى كذا وكذا وتعال قول لى حيرد عليك بايه
.. حترفض يعنى ؟ ..

احسست ان هناك كمين يدبر لى .. لكنى ردوت بسرعة وفى حسم
وانا الوخ بيدى .. قاللا :

- يا ريس انا ابويا لم يدخلنى الكلية الحربية علشان اطلع ضابط
مخابرات .. لا مؤاخذه .. انا اخدمك بقلمى وامستخدم مياه البحر كلها
حبر للدفاع عنك وعن سياستك ونظامك .. لكن لا يمكن اعمل حاجة زى
دى .. ما انفعش .. ده انا باتكلم اللى فى قلبى على طول وعمري ما انفع
ضابط مخابرات او شرطة ..

ولما رايته يصغى الى فى تفكر تشجعت على الاسهاب فى الكلام لا قطع
خط الرجعة نهائيا عن اى تفكير او محاولة لدى رئيس الجمهورية ان يتخذ
منى مرشدا .. فمضيت اقول :

أنا أقعد أترى لكلام الناس .. وأحاول استدراجهم يقول إيه ..
بيعمل إيه .. فلان ماشى مع فلان أو فلانة .. وأفسر الكلام وأصيح التقرير
الذى أقدمه بأفكارى وتصوراتى الشخصية .. لا أستطيع أن أقوم بهذا
العمل .. إنما أخدمك بقلمى .. ومصارحك بالأوضاع السياسية وتحليل
لها واقتراحاتى بشأن مشاكل الشعب .. وكل ما لا أستطيع أن أكتبه فى
الصحف للرقابة وغيرها أصارحك به القول هنا .. دون انتظار لشيء ودون
أن أضع فى الاعتبار أن أقصر على ما يسر سيادتكم سماعه فقط .. وهذا
ما قلته لسيادتكم أول مرة التقينا فيها .. وغلطة مصطفى أمين أنه قام
بالدور الى سيادتكم قلت عليه وعبد الناصر كان يكلفه به ..

وقد صمت أنور السادات صمتا تاما بعد أن قلت هذا الكلام ..

ودخلنا بعد لحظات فى حديث آخر .. ولم يبد عليه أنه غضب منى
على الإطلاق .. وهذا شيء كان يجعلنى أزداد تقديرا لأنوار السادات إذ أنه
يعرف مقدار الذى أمامه ويتعامل معه على هذا الأساس لا يحاول فرض
شيء عليه ..

لقد أدرك أنور السادات بهذه البالونة حدود استفادته منى
، واستخدمنى ، إذا جاز التعبير .. وأعترف أنه قد استفاد كثيرا .. ولكن
بارادتى الحرة تماما .. وباقتناعى التام .. وبدون أى ثمن ..

وسنعود الى ذلك تفصيلا وفلسفته فى فصل آخر ..

الملاحظة الأخيرة .. أن الذين يحملون على أنور السادات من الناصريين
واليساريين وهم من مؤيدى جمال عبد الناصر .. ألم يطرحوا على أنفسهم
فى أمانة السؤال التالى : من الذى أتى بأنور السادات رئيسا للجمهورية ؟
اليس هو جمال عبد الناصر ؟ ..

إذا كان للسنيذ حسنين هيكى أن يتجاهل مسئوليته عن تأييد السادات
فى حركة مايو ضد جماعة الناصريين .. ويرفض نقد ذاته على هذه المشاركة
الحميمة للسادات فقد يكون له العذر أنه لا يعرف السادات جيدا كما عرف
جمال عبد الناصر ..

فكيف عين عبد الناصر السادات نائبا للرئيس .. أى رئيس الجمهورية
المقبل عندما استشعر خطر الموت اغتيالا أو بسبب المرض ١٩ ..

ألم يكن يعرف باتجاهاته اليمينية أو الأمريكية ؟ .. وإذا لم يكن
يعرف فذلك مصيبة أن عبد الناصر الذى تأخى مع السادات ربع قرن من

الزمان ٠٠ على الأقل لم يكن يفهمه ٠٠ ولا يعي باتجاهاته وهو الذى كان يفخر أنه يعرف همسات المفكرين على أرض مصر ٠٠

وهو على أى حال المسئول الأول عن هذا الخطأ الفاحش الذى «أودى» بمصر فى مصيبة كما يزعم خصوم أنور السادات ٠٠

لقد كان أمام جمال عبد الناصر عناصر واضحة فى اتجاهاتها اليسارية الناصرية ٠٠ مثل كمال رفعت وعلى صبرى ناهيك عن خالد محيى الدين اليسارى الأول ٠٠ لماذا لم يعين واحدا منهم نائبا له ٠٠ ولماذا اختار أنور السادات بالذات ؟ ٠٠

الا يتوقف الناصريون لحظة أمام اختيارات جمال عبد الناصر لنوابه فى الأزمات والمواقف الخطيرة ٠٠

عندما أراد التنحي عن الحكم بعد اعترافه بمسئوليته عن هزيمة ١٩٦٧ ٠٠ من الذى رشحه ليخلفه فى منصبه ؟ ٠٠ لقد رشح السيد زكريا محيى الدين اليميني النزعة والذى قال عبد الناصر نفسه عنه أنه يراه الشخص الأمثل للتفاهم مع أمريكا ٠٠

ولم يفكر فى ترشيح أى عنصر من مجموعته اليسارية على الأقل ليصمد ويستبسل فى القتال ضد العدو المحتل ٠٠

وعندما استشعر الخطر على حياته فى عام ١٩٧٠ اختار أنور السادات ولم يختار أحدا غيره كما قلنا ٠٠ الذى ظهر فيما بعد أنه يتجه الى التفاهم مع أمريكا ٠٠ ويتوقف عن المسار الاشتراكي للثورة ٠٠
لماذا ؟ ٠٠

هل لأن عبد الناصر نفسه ٠٠ كان سيتجه نفسى الاتجاه الذى كان مفروضا أن يتجه اليه زكريا محيى الدين لو خلفه فى منصبه ٠٠ أى التفاهم مع أمريكا ٠٠ وكان سيتجه نفس الاتجاه الذى اتجهه أنور السادات لو استمر حيا لم يميت فى سبتمبر ١٩٧٠ ١٩

نريد أن نقول للناصرين ٠٠ أنه أولى بهم أن ينقدوا عبد الناصر ويحملوه مسئولية تولي أنور السادات الحكم (وهو أمر ما كان يحلم هو به شخصيا) ٠٠ قبل أن ينقدوا سياسة السادات ٠٠ ذاته ٠٠

مكر الفلاح المصرى فى الحرب والسلام ؟

هناك فقرة أو عبارة وردت فى كتابي عن حرب أكتوبر هي التي اثار
اعجاب السادات اكثر مما ورد فى الكتاب كله كما اكتشفت بعد ذلك فى
حديث معه ..

لقد كتبت فى كتابي حرب الساعات الست ما يأتى :

« ولو أن الذين يجهلون أنفسهم فى محاولة فهم أسلوب السادات
فى القيادة عنوا بقراءة كتاب صغير - وليس مجلد - كتبه الرئيس بنفسه
منذ أكثر من خمسة عشر عاماً بعنوان « يا ولدى هذا عمك جمال » لتيسر
عليهم فهم هذا الأسلوب »

فى هذا الكتاب عبارة قصيرة هي مفتاح المدرسة السياسية للقائد
المصرى الذى ورث تركة مثقلة - من عهد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر
وأهمها وأكثرها ثقلاً هي القضية الوطنية .

يقول أنور السادات فى كتابه ذاك أن قادة ثورة ٢٣ يوليو (وأنور
السادات منهم) بحثوا كيف يحلون مشكلة المشاكل حينذاك وهي مشكلة
الاحتلال البريطانى لمصر .

كان أمامهم الأسلوب الفيتنامي .. حيث كان الفيتناميون يحاربون
الفرنسيين حرباً شعبية شاملة ..

ولكن قادة الثورة لم يشاءوا سلوك ذلك السبيل لأنه سيتسبب فى
إراقة الكثير من الدماء علاوة على الدمار الشامل للمشئ ..

فاذا وجدت وسيلة أخرى تتفادى هذا كله فإن ذلك يكون أفضل
طبعاً .

ويمضى أنور السادات فى كتابه يقول ان قادة الثورة اهدوا الى وسيله
بسيطة جدا وربما كان هو الذى هدام اليها ١

اذ يقول فى عبارة مكثفة : « فعمدنا الى مكر الفلاح المصرى » وطبقت
الثورة هذا الأسلوب وكانت النتيجة أنها حققت جلاء القوات البريطانية
فعلا ٠٠ وحصلت مصر على استقلالها السياسى فالاقتصادى بل أصبحت
قاعدة لحركة التحرير العربية كلها ٠٠

ان « مكر الفلاح المصرى » يعنى الدهاء ٠٠ والذكاء الفطرى ٠٠ والصبر
جنبنا الى جنب البساطة والعراقة ٠٠

ولقد عمد أنور السادات ببساطة الى مكر الفلاح المصرى فى مواجهة
مشكلة الاحتلال الاسرائيلى ٠٠ من التمويه للاعداد لحرب أكتوبر ٠٠ حتى
توصل الى إجلاء اسرائيل عن سيناء ٠٠

واعتقد ان أنور السادات دفع فى النهاية ثمننا فادحا لحكاية مكر الفلاح
المصرى هذه ٠٠ اذ لا شك أن الولايات المتحدة كان لها ضلع أو ترحيب على
الأقل بمصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ٠٠ اذ كانت لا تطمئن الى ماذا سيحدث
منه بعد انسحاب اسرائيل فى ابريل ١٩٨٢ من بقية أرض سيناء ٠٠

ولقد كتبت كتب كثيرة عن حرب أكتوبر ٠٠ لكتاب مصريين ٠٠ وكتاب
اجانب ٠٠ والكثيرون منهم ذوم قدرات عسكرية وسياسية فى التأليف
والكتابة ٠٠ مثل المؤرخ المصرى د. عيد العظيم ومضان والمؤرخ العسكرى
جمال حماد وغيرهم كثيرون ٠٠ هذا غير الكتب التى كتبها مراسلون
عسكريون عاصروا تلك الحرب وكتبوا عنها وأنا واحد منهم ٠٠

ولذلك فأننا لن نتعرض لتلك الحرب الا من ناحية بعض الملاحظات
ايضا الجديرة بالتسجيل استكمالا للأمانة العلمية ونحن نتحدث عن
أنور السادات ٠٠

من المسئول عن حرب ١٩٧٣ :

من المناقشات والمجادلات السخيفة التى جرتنا اليها اللاموضوعية
التي شابت كثيرا من تحليلات وتفسيرات عدد من خصوم أنور السادات ٠٠
هي تلك التى دارت حول من كان المسئول عن حرب ١٩٧٣ ٠٠ جمال
عبد الناصر أم أنور السادات ٠٠

وجمال عبد الناصر توفى فى سبتمبر ١٩٧٠ ٠٠ وحرب أكتوبر جرت
فى عام ١٩٧٣ أى بعد وفاة جمال عبد الناصر بثلاث سنوات ٠٠ وكان

رئيس مصر في أكتوبر ١٩٧٣ هو رجل اسمه محمد أنور السادات ..
اذن لا شك أنه هو المسئول عن قيام تلك الحرب .. أى هو الذى أعد لها
مراحلها الأساسية طوال السنوات الثلاث التى تولى فيها الحكم .. وأجرى
البروفات الأخيرة لها على مجرى النيل عند القناطر والخطاطية .. ثم هو
الذى عين واختار القادة العسكريين .. ودبر الأسلحة .. وأعد الجو العربى
واستثمر المناخ الدولى .. ودرس الأوضاع فى إسرائيل .. وحدد تفاصيل
الخطة .. وميقات تنفيذها .. وأصدر القرار للقادة العسكريين ببدء
المعركة ..

وإذا كان قد حدث أنه هزم شر هزيمة مثل ١٩٥٦ و ١٩٦٧ لكان هو
الذى تحمل المسئولية كاملة أمام شعبه والتاريخ .. ولربما فقد منصبه
ان لم يكن عقله أو حتى حياته غيلة أو انتحارا أو محاكمة من المجهولين
الذين قد يصلون الى الحكم بعد هذه الهزيمة .. ولن يمثل أمام مثل ذلك
النوع من المحاكم سواء كان شعبيا أو اداريا أو تاريخيا جمال عبد الناصر
.. فان جمال عبد الناصر قد مات وانتهى منذ ثلاث سنوات .. وانقضت
الدعوى العمومية بالنسبة له بلغة القانون !

هذه بديهيات .. لا تحتاج الى مناقشة أو جدل ..

ولا يعنى تقرير واقع مسئولية أنور السادات عن اقدام مصر على
معاربة إسرائيل فى ٦ أكتوبر جريها لتحرير أرضها .. أن عبد الناصر
لم يفعل شيئا لهذا التحرير .. بل الصحيح أن جمال عبد الناصر بدأ منذ
اللحظة الأولى يستعد لتحرير الأرض المحتلة .. فهو قد أطلق صيحته
المشهورة : ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. ثم أنه أشعل حرب
الاستنزاف ضد إسرائيل ليؤكد استنمرار مقاومة الشعب للإحتلال الجديد
.. بل هو رفض أن يسمى ما حدث فى يونية ١٩٦٧ هزيمة بل لكسة حتى
يؤكد أن ما حدث كان أمرا مؤقتا لابد أن يقضى عليه ويغير الواقع الى اتصال
من جديد .. ثم ان جمال عبد الناصر بدأ يعد الجيش ويعيد تسليحه
من جديد ..

ويأتى بالمدرسين السوفيت .. وعندما عانت طائرات إسرائيل فى
السماء فسادا استعان بقوات دفاع جوى سوفيتية (١٧ ألف) حتى أمكنه
تدريب أطقم دفاع مصرية ..

وفى نفس الوقت الذى كان جمال عبد الناصر يسعى الى حل سلمى
ويقبل بالتفاوض غير المباشر مع إسرائيل عن طريق جوناو يارنج .. ويقبل
مبادرات روجرز .. فإنه كان يستعد عسكريا ليوم اشعال حرب التحرير
ضد المحتل الاسرائيلى ..

لا أحد يتمكن هذا فهو واقع .. ولكن عبد الناصر قد مات .. وخلفه
رئيس جمهورية جديد .. وقد كان ممكناً أن يكون هذا الرئيس واحداً من
الذين : أما رئيس لا يستمر في الاستعداد للحرب ويستبعد احتمال نشوبها
اطلاقاً ويركز على فكرة المفاوضات فقط .. وقد حدث هذا في تاريخ مصر
عندما استنكر كل من حزبي الأحرار الدستوريين واليسعيين عام ١٩٥١
موافقة وتشجيع حكومة الوفد الشعب على الكفاح المسلح بل وسماحها
للجماهير بحمل السلاح علانية .. ووصف محمود غالب باشا في مجلس
الشيوخ هذا الكفاح المسلح بأنه « عبث ولعب بالنار » ..

وكان ملك مصر فاروق لا يوافق على الكفاح المسلح ضد الانجليز
واشتراك في مؤامرة ضخمة لجرق القاهرة ليتخلص من الحكومة التي
سنتحت للشعب بالحرب ضد الانجليز عامي ٥١ و ١٩٥٢ .

اذن ممكن أن يكون الرئيس الجديد من تلك النوعية ..

ثم هناك الاحتمال الآخر أن يكون الرئيس الجديد من أنصار استخدام
القوة بجانب الدبلوماسية لتحرير الأرض .. فيواصل الاستعداد للمعركة
ضد العدو .. ويستكمل ما لم يتبع لسلفه أن يستكمل بسبب مونه الفجائي
.. وفي هذه الحال يكون خليفة اليوم هو امتداد لخلفه الأمس ..

وهكذا كان أنور السادات .. واصل الطريق الذي بدأه جمال
عبد الناصر .. وليس ذلك غريباً عليه فهو كان ثائراً ورفيق نضال
لجمال عبد الناصر .. والا لماذا عينته جمال عبد الناصر خلفاً له ؟

لما فتئ هذه اللامؤسسية التي تصل إلى حيد انكار دور أنور
السادات ؟ واسناد الفضل لجمال عبد الناصر بسبب النسخ على سياسة
السادات ؟ ..

انها كما ترى مناقشات وجدل مغرض يعكس عدم امانة .. وتجرد
عن أبسط تقاليد البحث والدرس والتحليل ..

ويبلغ الأمر مدى أبعد من هذا .. فيشطب آخرون - على طريقة
الفراعنة - اسم أنور السادات تماماً عن حرب أكتوبر .. فإذا ما تكلموا
وهم مضطرون للكتابة عنها يحكم أنها المعركة المجيدة الوحيدة في تاريخ
العرب في العصر الحديث .. فإذا بهم يذكرونها وكأنها لا ضابط لها
ولا ضائع ..

ويقولون كلاماً مضحكاً .. اذ يقولون حرب أكتوبر التي قادها الشعب
المصري .. أو قادها الجيش المصري ..

وكان تلك الحرب كانت بلا قائد أو مسئول .. وكان الشعب .. أو الجيش المصرى .. قام قومته على صوت نغز من الجهول .. ونظم الناس أنفسهم بأنفسهم وقسموا أنفسهم فرقا وكتائب .. ودخلوا الحرب «جهججون» دون أى قيادة أو حساب .. كانوا مصر لم يكن لها رئيس .. ولا للجيش قائد أعلى !! ..

هذه طفولة .. ولكنها طفولة غير آمنة ..

والمفروض أنه فى جميع الأحوال يجب اسناد الفضل لذويه .. ولو أن الذين خاصموا السادات على أساس شريف - كانوا يعترفون بفضله أو دوره فى كذا وكذا مثل حرب أكتوبر ولكنهم ينتقدونه فى كذا وكذا .. لكانوا قد كسبوا احترام الآخرين وربما كسبوا معركة الجدل ..

هذه ملاحظة .. أما الملاحظة الأخرى .. فهي عن الثغرة التى حدثت خلال الحرب .. أى عندما استطاعت القوات الإسرائيلية عبور القناة .. والانتقال بقواتها الى الضفة الغربية للقناة ثم تقدمها حتى أصبحت على مداخل السويس ..

إن السادات قد كان غير أمين فى عرضه لموضوع الثغرة هذا .. فقد حرص على التهوين من شأنها .. ولا أدنى من أين وكيف جاءت فتوى الجنرال بوئر الذى وصفها بأنها « حركة تليفزيونية » ..

فما كانت حركة تليفزيونية ولا هم يحزنون .. لقد كانت تجول خطيرا فى ميزان الحرب ونجع أنور السادات وأجهزة الاعلام فى القاء ستار كثيف على حقيقتها .. حتى نحن المراسلون الحربيون لم نحط علما بالحقيقة الا بعد جهد شاق .. ونبه علينا ألا نذكر تلك الحقيقة ..

لقد استطاعت إسرائيل أن تنقل آلاف الجنود الى غرب القناة .. وأن تأسر خمسة آلاف جندي مصرى وهو ما لم يخلت طوال الحرب والجيش المصرى فى الشرق فلم يتجاوز عدد الأسرى منه بضع مئات .. وتدققت الدبابات الاسرائيلية فى الغرب .. وضرب الطيران الاسرائيلى قواعد الصواريخ المصرية للدفاع الجوى .. وأصبحت سماء المعركة من الجانب المصرى مكشوفة تمرح فيها الطائرات الاسرائيلية الأمريكية الجديدة التى بدأت تتدقق على إسرائيل ..

لقد قصد أنور السادات من حرب أكتوبر تحريك القضية .. ولذلك فهي حرب تحريك لا تحرير .. أو بالأحرى حرب تحرير عن طريق التحريك .. ذلك لأن أنور السادات كان يعرف أنه ليس بوسعه أن يلحق هزيمة

كاملة بإسرائيل بمعنى أن يطردها تماما من سيناء لأن سلاحها الجوي سيضرب جيشه ٠٠ والولايات المتحدة ستساعدها بعدد من الطائرات تتيح لها التفوق دائما ٠٠ بل يمكن أن تتحرك أمريكا في تدخل سافر ضد مصر إذا ما توغلت القوات المصرية الى حدود إسرائيل اذا فرضنا أنه أمكن تغلبها على المقاومة الإسرائيلية والوصول الى تلك الحدود ٠٠ والاتحاد السوفيتي لن يجازف بالصدام مع أمريكا اذا ما شاركت في القتال ٠٠ بل هو فقط يريد حربا محدودة من أجل التحريك ٠٠

١٠ بل وربما تحرك أنصار إسرائيل الآخرون دوليا وهو يرون القوات المصرية تقترب من حدود إسرائيل وهي تصرخ وتستغيث من الفيلان العرب ٠٠

كان أنور السادات قد حسب حسبته جيدا ٠٠ فهو يدرك أن حربته ضد إسرائيل في سيناء لا يمكن أن تكون حربا شعبية فإين الشعب في تلك الصحراء ومن هنا جاءت فكرته بعد الحرب في توطين مليون مصري فيها ٠٠

أما القوات السورية فما كان يمكنها أن تطبق على إسرائيل من الشمال فمستواها محدود كما انكشف الموقف بعد يومين فقط من أخذ الاسرائيليين على غرة في هضبة الجولان ٠٠ اذ تحول الجيش الاسرائيلي الى الهجوم حتى تقهر السوريون أمامه ووصلوا الى مشارف دمشق ولولا المعونة العراقية واللواء المغربي الباسل لأمكن للاسرائيليين دخول عاصمة الأمويين ٠٠ ولقد خسرت مصر أكثر من ٤٠٠ دبابة في معركة الدبابات الشهيرة في سيناء التي بادر اليها أنور السادات لتخفيف الضغط على السوريين من هجمة الجيش الاسرائيلي ٠٠

وبسبب الثغرة أصبحت إسرائيل في موقع المحاصر للجيش المصري الثالث ٠٠ وقد كانت أول رسالة بعث بها محمد حسنين هيكل لكيسنجر عندما جاء الى مصر تتكون من عبارة واحدة ٠٠ رفع الحصار عن الجيش الثالث ٠٠

والج هنري كيسنجر على جولدا مائير أن ترفع الحصار ٠٠ وهددها بأنها أن لم تفعل فإن السوفيت سيفعلون ذلك ٠٠ وكل هذا مكتوب ومسجل في مذكرات كيسنجر وكل الكتب الأجنبية التي كتبت عن الحرب وكتابات الأستاذ هيكل ذاته ٠٠

وهذا الوضع الذي أنشأته الثغرة ٠٠ أضعف من النتائج التي كان يتوخاها أنور السادات من حرب التحريك التي قام بها ٠٠

فهو كان يريد ضرب اسرائيل ضربة قوية ويعبر خط بارليف :
ويصبح بهذا العبور وتلك الضربة اليد العليا في المفاوضات التي سيهرع
الأمريكيون والسوفييت الى تنظيمها فوراً بالاتفاق مع مجلس الأمن . . ويمكن
حل القضية على أساس الجلاء الشامل عن الأرض المحتلة وإيجاد حل للقضية
الفلسطينية .

ما هو المقابل الذي كان يتصور أنور السادات أن اسرائيل تريد مقابل
هذا الجلاء . .

قال لي أنور السادات ذات مرة : . . انه كان يتصور أنه السلام وعمل
علاقات طبيعية مع العرب . .

فلما قلت له أني شأهت وأنا في زيارة لهولنده حديثاً تليفزيونيا
في التليفزيون مع جولدا مائير . . وجه اليها المذيع السؤال التالي وكان
ذلك عام ١٩٧٢ :

هل يمكن أن تنسحب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة مقابل
اعتراف العرب بإسرائيل ؟

اجابت جولدا مائير :

مسألة الاعتراف بنا لم تعد تهمنا . . ألا ترى أن ألمانيا الديمقراطية
لا يعترف بها الا عدد قليل من الدول ولكنها موجودة وقائمة . . مسألة
الاعتراف بنا كانت مسألة مهمة أيام زمان . . ١٩٤٨ . . ١٩٥٦ . . حتى
١٩٦٧ . . كان ممكن نرد الأرض مقابل علاقات طبيعية . . أما الآن فالعرب
يصرون على القضاء علينا . .

ولما سألتها المذيع :

ماذا تريدون إذن ؟ . .

قالت : نحن لا نريد . . ان قرار مجلس الأمن قال الانسحاب من
أراض . . وليس كل الأراضي . . نحن نريد أرضاً لأمن اسرائيل فما عادت
هناك ثقة بالعرب . .

بعد أن فرغت من روايتي هذه قال السادات :

— علشان كده قمت بالحرب . . حتى أشعرهم بأن احتلال بوصة
من الأرض لن يجلب لهم الأمن بل الحرب . . ويا سلام عليهم وهم يستلمون
رفات جنودهم في الحرب بيبقوا زعلانين ومتأثرين بشكل ماشغبوش أبدا
رغم اني متعود أشوف اللطم والزهرة الزرقاء على وجوه النساء في ميت

أبو الكوم والسبت بتصرخ يا سبعى فى ميت أبو الكوم .. بيكرهوا الموت
قوى الاسرائيليون دول .. ويخافوا منه قوى !

من هنا فأننا نصف انتصارنا فى حرب أكتوبر بأنه انتصار نسبي ..
أنه انتصار لأنه أثبت أن الجيش المصرى ند للجيش الاسرائيلى يمكن أن
يضربه ضربات موجعة مثل الجيش الالمانى ضد الجيش الانجليزى مثلا ..
وليس جيشا مهزوما كما كان دائما .. وبالتالي فمن مصلحة اسرائيل أن
تتقى خطر الاصطدام بهذا الجيش مرة أخرى فهو لم يعد كجيوش أعوام
١٩٤٨ أو ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ ..

وهذا هو المعنى الحقيقى لقول السادات دائما أن حرب ١٩٧٣ هى
آخر الحروب .. وكان يقصد ذلك بين اسرائيل ومصر .. وفيها نوع من
التحذير لاسرائيل نفسها .. إنها حرب لن تجديكم فتيلا .. كما لن نعيدنا
بشيء .. كمثل من يقول حرب لا غالب فيها ولا مغلوب اذن الافضل أن
نبحث عن طريق آخر كالتفاوض لحل مشاكلنا .. مما يعنى تقديم تنازلات
متبادلة ..

ولما قلت مرة لأنور السادات تفسيرى لعبارته هذه « آخر الحروب »
ضحك متلهلا وقال : أنا قلت من زمان من يوم ما قرأت قولك عنى « ولجأ
إلى مكر الفلاح المصرى » انك فاهمنى كويس ! ..

وكرر نفس القول عندما كان يسألنى مرة عن تفسير لماذا لا يحب
الناس علاقته بالمهندس عثمان أحمد عثمان ويدور اللفظ حولها كثيرا ..

فقلت له ربما لأن المهندس عثمان رجل غنى جدا ويدل بتصريحات
فيها تهديد لأصحاب المساكن الفقراء (كان أيامها وزيرا للاسكان) ..
والناس عادة تحب أن يميل حكامها الى الفقراء بدلا من مجالسة الاغنياء جدا
.. وهم كل يوم يقرأون عن لقاءاتك به .. فالأغنياء فى نظرهم يحبون
عن الحاكم رؤية أحوال الرعية الغلابة ..

فاجانى أنور السادات بالسؤال :

— وما رأيك أنت فى هذه العلاقة ؟ ..

قلت أنا أفهمها من بعد أن اختلطت بالسلطة شوية وبدأت أفهم
أساليبها أقول لك بصراحة انك تستفيد من عثمان بأنه يربط الطبقة حولك
وحول النظام ! ..

سألنى .. وهو يتنسم وقد بدا أنه أدرك ما أريد أن أقوله :

– ازای یعنی ٠٠ طبقه ایه ٠٠ ونظام ایه ١٩ ٠٠ ده انت مسموم
بالشیوعية بتاعتك دى ! ٠٠

قلت :

– ان عثمان يأخذ مقاولات بمئات الملايين من الجنيهات ٠٠ ويوزعها
على المقاولين فى كل أنحاء الجمهورية ٠٠ والمقاولون قطاع كبير من
الرأسمالية ٠٠ فهو يربطهم ويربط مصالحهم بالنظام ٠٠ ولذلك هو مفيد
للسلطة ٠٠

واذا كان الانتصار نسبيا ٠٠ فانه ليس من المتوقع أن تكون نتائجه
كما لو كانت انتصارا كاملا ٠٠ وهذا ما غاب عن الكثيرين فهمه وإدراكه ٠٠

فانت تسمح عادة من يقول ان أنور السادات قد بدد نصر أكتوبر ٠٠
لكن الواقع أن أنور السادات حصل على ثمار أكتوبر ٠٠ صحيح أنه لو كان
قد اتبع سياسة تكتيكية سليمة فى بعض المواقف لكان قد حصل على
أفضل ٠٠ لكنه حصل فعلا على القدر الذى يناسب حجم ذلك الانتصار ٠٠

ان حرب أكتوبر انتهت باستفائة من أنور السادات بكل من الولايات
المتحدة والاتحاد السوفيتى للتدخل بقواتهما المسلحة لوقف زحف إسرائيل
فى غرب القناة انتهاكا منها لوقف إطلاق النار ٠٠

وأجرى السوفيت مناورتهم الشهيرة بعملية الإبرار الجوى لقواتهم
من المجر عبر يوغوسلافيا ورد الأمريكيون عليهم بإعلان حالة التأهب
الذرى ٠٠ فقال الروس ٠٠ اذا ابعثوا لنا بكيسنجر ٠٠ وتم الاتفاق على
وقف جدى لإطلاق النار وصدور قرار ٣٣٨ الذى عقد على أثره مؤتمر
جنيف ٠٠ الذى لم يهتم المصريون فيه بدعوة السوفيت لحضوره لأن السادات
كان قد بدأ يعتمد على أمريكا ويدفع لها الثمن مقدما فى شكل تصفية النفوذ
السوفيتى من مصر كما بادر بإعلان ذلك صراحة فى مواجهة كيسنجر فى
أول مقابلة له بعد وقف القتال مما أدهش كيسنجر نفسه ٠٠

كان السادات قد قرر أن يخطط خطة اكتساب ثقة أمريكا ٠٠ لأنه
كما قال لى مرة « لم تعد بيننا وبين أمريكا ثقة بعد صراعها الشديد مع
جمال عبد الناصر فى الخمسينات والستينات ٠٠ وأصبحت تعتبر أن مصر
دولة معادية لها فى المنطقة ٠٠

وعدم الثقة هذا ينسحب على أنا أيضا باعتبار أنى خليفة جمال
عبد الناصر ٠٠ مش أنا واحد من ثوار يوليو ٩ « ٠

وبعد حرب ١٩٧٣ كان أنور السادات مقتنعا تماما بأن الاستمرار في
محااربة اسرائيل أمر لن يؤدي به الى تحقيق تحرير الأرض .. بعد نجريته
مع الثغرة .. والكوبري الذي أقامته أمريكا مع اسرائيل .. قال لي مرة
يعرض موقفه وهو يجيب على سؤال طرحه بنفسه :

هل هناك جدوى من استمرار الحرب بينا وبين اسرائيل لحل مسئله
الشرق الأوسط ؟ أنا بأقول لك لا .. لا حرب ١٩٥٦ ولا حرب ١٩٦٧
ولا حرب ١٩٧٣ أثبتت أن الحل ممكن لذلك الرابع الذي هو أعتقد من
ذنب الضب ..

● زى ايه ؟

قال :

— المسألة أن فيه دول كبرى داخله فى الموضع .. والمصالحه
الأمريكية الأساسية أن اسرائيل نظل فى المنطقه لئلا ذلك يعط بل لا يسمح
الأمريكيون لها بأن تكون فى حالة ضعف .. لازم يكون أقوى من آل
العرب .. ولا يسمح الأمريكيون أن يكون مركزها مهدد .. لأن تهديدها
يعنى تهديد المركز الأمريكى نفسه .. والكلام ما زال يابور السادات ..
واسرائيل حليف قوى ومهم جدا للولايات المتحدة ولا أوافق على أنها الولاية
الواحد والخمسين .. لأن لاسرائيل شخصية مستقلة أيضا يجعلها حليف
وليس جزء فقط .. هى بين كده وكده ! ..

ألمانيا وانجلترا حلفاء لأمريكا لكن الفرق بينهما وبين اسرائيل ان
ألمانيا وانجلترا تقدر تعيش مستقلة عن أمريكا .. لكن اسرائيل لا يمكن
فهي مصنوعة من أمريكا .. وتأكل وتتسلح من أمريكا .. زى دائما
ما بأقول فى خطبى والمرحوم عبد الناصر من قبل ..

وأمريكا تقدر تكسب حلفاء لها .. حتى الاتحاد السوفيتى يمكن أن
تصلحه .. وتضحى بأى حاجة .. الا اسرائيل .. البترول .. والمال ..
دى بتاعتنا أخطر منطقة .. ولو صالحو السوفيت لازم يسحبوا لهم المنطقة
دى .. علشان دى أمريكية خالص .. روح أمريكا هنا .. وأنت رايت
ماذا حدث فى ١٠٪ فقط من البترول العربى ..

(تأمل النظرة التنبؤية البعيدة المدى فى كلام أنور السادات وكان
ذلك فى عام ١٩٧٥) ..

سياستنا لازم تقوم اذن على أن أمريكا لا يمكن أن تنخل عن اسرائيل ..
.. ولا تسمح للعرب أن يهددوها ويصحبوها فى مركز أقوى منها ..

وحيسكتوا عليها اذا ضربت أى بلد هنا والا هناك اذا ما رأت فيه خطر
عليها ٠٠ يبقى ايه الحل ؟ ٠٠

قلت بشكل أوتوماتيكي :

— يبقى السلام نتقى به خطرها ونعيش معها بس بعد ما تسبب
الأرض ٠٠

قال :

— عفارم عليك ٠٠ أهو ده الي أنا بأعمله ٠٠ أنا طول عمري وطني
وضد الاستعمار وأفهمه زيكم يعنى ايه امبريالية وصهيونية ٠٠ لكن السياسة
مش « جهجهون » ٠٠

وكان السادات مفرما باستخدام « جهجهون » هذه فى كلامه ٠٠ وهى
كلمة من صميم ريف المنوفية تقولها الفلاحة أمام القرن ومعناها دون نظام
أو ربط أو تخطيط ٠٠

وأنا دائما أستخدم فى كتاباتى عبارة معينة لوصف موقفى من اسرائيل
٠٠ فأقول اننى أنظر دائما اليها على أنها دولة معتدية مثلها مثل انجلترا ٠٠
علينا أن نطردها من أرضنا التى تحتلها ٠٠ ثم بعد ذلك نقيم سلاما معها
ونندفع فى شارع أكسفورد ستريت نتسوق ملابسنا من سان مايكل
وسى آند ايه ومذكرى ٠٠

الحقيقة أن هذا التعبير مصدره أنور السادات وهو يشخص لى نظرتة
الى اسرائيل فى ذلك الوقت المبكر عام ١٩٧٥ عندما كان أى زعيم عربى
لا يجروء على القول بالاعتراف بالدولة العبرية ٠٠ ولكن هذا التعبير يعكس
ما كان يطبخ فى فكر السادات بحيث أنه عندما جاء عام ١٩٧٧ لم يجد حرجا
من أن يشد الرحال الى اسرائيل ويلقى خطابه الشهير فى الكنيسة وفى
القدس ٠٠ دون أى تحرج ٠٠

ماذا بعد حرب أكتوبر

يبدو واضحا أنه بعد حرب أكتوبر ٠٠ اختط أنور السادات خفلة جديدة تماما لتحقيق الأمانى القومية العربية أو المصرية على الأقل ٠٠ هذه السياسة تقوم على أسس تالية :

● الاعتماد على الولايات المتحدة فى جنى ثمار حرب أكتوبر التى أدرك من خلال تطورها أن الحرب لن تحل مشكلة الشرق الأوسط لأن الكتلتين الكبيرتين متفقتان على عدم حدوثها واستخدام كل الوسائل للتأثير عليها أى على أمريكا لتساعده على تحقيق هدفه فى تحرير الأرض .

● التضحية بالصدقة السوفيتية اذا دعى الامر كئمن للحصول على تأييد أمريكا لمطالبه من اسرائيل .

● الاعتراف نهائيا بوضوح بالحقيقة الواقعة وهى وجود اسرائيل كدولة فى منطقة الشرق الأوسط يجب تسوية الأمور معها سواء بطريق المفاوضات غير المباشرة أو المباشرة .

وكان يدرك أن جبلا من التناقض وعدم الثقة موجود بين أمريكا ومصر طوال عهد عهد عبد الناصر تقريبا ٠٠ وأن عليه أن يزيح هذا الجبل ٠٠ وكما قلت من قبل انه كن يقول دائما ان : أمريكا لا تثق بنا أبدا ٠٠ ولأزم أكسب ثقتها ٠٠ ومرة سألته لماذا ؟

قال هى الطريقة الوحيدة التى تقف معنا ولو شويه ضد اسرائيل ٠٠ سألته :

● ولماذا لا تستخدم الصداقة السوفيتية المصرية للضغط على أمريكا للتوصل الى نفس النتيجة ؟ .

قال وهو يلوح بيده ..

بقى لنا عشرين سنة نجرب الحكاية دى ولم تات باى نتيجة ..
أمريكا أقوى من روسيا .. وروسيا لا تستطيع أن تواصل معناا للنهاية
ضد أمريكا .. حتى لو قلنا لها نحن معاك فى حلف وارسو .. حيثافوا
ويقولوا لا .. لا .. وعبد الناصر جرب مره كده .. قلت :

لكن ياريس .. الأمريكان استعمار خطير وذكى .. ولن يعطينا شيء
وسياخذ منا كل شيء ..

قال ..

أنا فاهم كل ده .. لكن لازم ألعب .. والا إسرائيل حتقعد خمسين
سنة فى البلد دى .. وبينك وبينها رمال لا نهاية لها يعنى لا تقول لى
حرب شعبية زى فيتنام .. زى ما سعد زغلول كان بيقول لنا فى بغداد ..
(يشير الى زيارة له الى بغداد وكن هناك مؤتمر صحفى أثار فيه الأستاذ
سعد زغلول فؤاد الذى كان يعمل فى صحيفة عراقية هناك موضوع حرب
فيتنام ولذا لا تسلك مصر نفس الطريق) ..

ومضى أنور السادات يقول ..

ما هو لو استمر الحال كما هو .. إسرائيل حتفضل قاعدة على
قلبنا .. وعمرنا ما حنعرف نتحرك فى حاجة ما دام فيه احتلال ..
وسنظل نصرخ وحنقول الشعارات بتاعتكم .. والاشتراكية والاستعمار
وتضامن الشعوب والاتحاد السوفيتى بطل التحرير .. وحالنا واقف فى
اليمن .. خلاص جيشنا رجع دون النجاح الى كنا عاوزينه .. يعنى
السعودية رجعت لها السيطرة على المنطقة وابتعد التهديد المصرى لها فى
نظرها .

وخلاص أنا سويت معها كل شيء وبقى لنا صداقات معها .. وعاونتنا
فى الحرب وعفى الله عما سلف .. لا زعامة مصرية ولا زعيم ..

لازم أسلوب جديد .. فى مواجهة المصيبة التى نحن فيها دى !
هكذا كان السادات يفكر ..

ولذلك فانى لم آكن أدهش عندما كنت أقرأ تصريحات تبدو غريبة
على سمع كل اليسار المصرى والعربى بل والعالمى حينذاك .. مثل ما قاله
السادات مادحا فى كيسنجر وزير خارجية أمريكا .

« أريد أولا أن أقرر حقيقة وهى أن الدكتور كيسنجر يبذل أقصى
ما يستطيع بصدق وإخلاص ..

ولقد تعاملت منذ أن قامت ثورة ٢٣ يوليو وأنا أحد المسؤولين فيها منذ ٢٣ سنة مع وزراء خارجية أمريكا المختلفين ابتداء من دالاس وروجرز ، واستطيع أن أقول أن دكتور كيسنجر يمثل تحولاً أساسياً في وجه أمريكا / وجه أمريكا كن فيينا جدا ، ولكن دكتور كيسنجر بعمله الصادق أعاد الثقة لنا نحن الذين كنا نفتقدها في أمريكا وهو رجل لم يخلف كلمته معي الى هذه اللحظة أي أنه رجل يثق فيه الانسان . . من أجل هذا أنا أثق فيه . أما عن الراديكاليين في العالم العربي فهذا أمر طبيعي جدا في العائلة الواحدة لا يمكن أن يتفق الاخوة على شيء ولكن نحن نفكر الآن بعقولنا وليس بعواطفنا » . وإذا شئنا ترجمة هذا الكلام الى (لغة الاشتراكيين العلميين) اذا جاز استخدام هذا التعبير . . فلن نجد فرقاً كبيراً بين تفسير أنور السادات لسياسة كيسنجر وتفسيراتهم المعادية . انهم كانوا ايامها يقولون مثلاً ان هناك جناحاً من الامبرياليين الجدد على رأسهم كيسنجر ونيكسون - الرئيس الأسبق - ممن يرون الى حد كبير حقائق العصر الحالي . . من تقدم في حركات التحرر الوطني وبنمو في قوة الاشتراكية العمليه ايامها فيضطرون الى تغيير سياسة دالاس واضرابه من دعاة الحرب الباردة وحافة الهاوية . . الى سياسة جديدة اساسها (المفاوضة بدلا من الصدام المسلح) .

بل ان هذا الوعي الامبريالي الجديد بدأ منذ أيام جون كيندي عندما أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قانوناً بمنع المعونة عن أية دولة تقوم أو تشرع في القيام بعمل عسكري ضد أمريكا أو تشرع في القيام بعمل عسكري ضد أمريكا أو أية دولة تتلقى مساعدات منها وكانت مصر هي المقصودة بهذا القانون وقد عارض كيندي هذا الموقف علناً في مؤتمر صحفي في نوفمبر ١٩٦٢ قال فيه بلحرف الواحد : « ان هذه الدول فقيرة ، واني لا أتحدث الآن عن الجمهورية العربية المتحدة بل عن معظم هذه الدول . ان هذه التهديدات بأن الولايات المتحدة تعتزم ان تقطع المعونة من شأنها أن تغري الدول العربية على أن نقول : (اقطعوها) » .

واستطرد كيندي قائلاً : « انها دول وطنية ومعترية بنفسها كما انها في الغالب تقدمية ولا أعتقد أن التهديدات الصادرة من الكونجرس سوف تؤدي الى النتائج المرجوة في اغلب الأحيان . كما قد لا تؤدي اليها الكلمة الهادئة .

ولكن أعتقد أن ثمة دافع كبير على القول انه عندما قطعت معونة سد أسوان لم يؤد ذلك الى أن تسير الجمهورية العربية المتحدة معنا بل أدى الى عكس النتيجة .

» وقد واجهت سياسة أنور السادات معاوضة قوية وتكونت جبهة

سميت بـجبهة الرفض ٠٠ وتركز الخلاف في الحقيقة حول قضية فلسطين ٠٠ والموقف من وجود الدولة الاسرائيلية ٠٠ ذواق الامر أن الحركة الوطنية العربية في الواقع منقسمة الى فريقين :

الفريق الأول :

فريق منها يرى ترابطا بين الاغتصاب الصهيوني التاريخي لمساحات من فلسطين منذ وعد بلفور بل قبله مما أدى الى تشريد شعب فلسطين وبين الاحتلال الاسرائيلي لأراض عربية في مصر وسوريا والأردن بعد عدوان ١٩٦٧ . ويرى ذلك الفريق أن القضية قضية وطنية عربية واحدة . أي احتلال صهيوني لأرض عربية تربطها وحدة جغرافية وسياسية ومصرية . ويترب على هذا الرأي أنه يلزم عدم نجزئة النضال العربي لتحرير أرض دون أرض ، باشغال حرب شعبية طويلة ولو لعشرات السنين ضد الاحتلال الصهيوني ومن يساندونه حتى تنتهي تلك الحرب بالقضاء على مصدر ذلك الاحتلال (اسرائيل) . ويضرب أنصار هذه الفكرة المثل بنضال الشعوب وخاصة في فيتنام وكمبوديا والجزائر . وهم يتحدثون دائما عن حماية انتصار الشعوب وضرورة وجود القيادات الثورية لمثل تلك الحرب الشعبية الدويلة الأمد وعن عدم الاكتراث بالتضحيات مهما كانت جسيمة للشعوب قادرة على إعادة بناء حياتها بعد الدمار الذي يلحق بها في معارك التحرير . وهم يشبهون الوضع في فلسطين دائما بالوضع في جنوب افريقيا وروديسيا وغيرها من نماذج الاستعمار الاستيطاني .

الفريق الثاني :

ولا خلاف بين هذا الفريق والفريق الأول فيما يتعلق بوحدة النضال والمصير العربي وتهديد الأطماع الصهيونية للعالم العربي كله ٠٠ ولكنه يرى أن الحل المطروح الآن أمام حركة التحرير العربية هو تحرير كل الأراض العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وعدم التعرض لوجود اسرائيل كدولة موجودة ومعترف بها عالميا . ولقد ظل ذلك الفريق يستخدم عبارة غامضة هي (تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني) دون أن يوضح ماذا يعنى بتلك الحقوق المشروعة ، وذلك بهدف عدم (التورط) صراحة في تقبل وجود اسرائيل ومن أجل عدم التناقض علانية مع رأى الفريق الأول . فصدور مثل تلك العبارة المبهمة في البيانات المشتركة يترك الباب مفتوحا لتفسير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني حسب وجهات النظر المختلفة .

على أنه بالتدريج بدأ ذلك الاتجاه يوضح ماذا يقصد بتلك العبارة وهو قصد لا يخرج عن إقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين

(الضفة الغربية وغزة) وعودة من يشاء من اللاجئين الفلسطينيين الى مواطنهم الأصلية أو تعويضهم تعويضا عادلا حسب رغبتهم .

وهذا الفريق يرى أن الدولة الفلسطينية فى تلك الحدود هى (الممكن الوطنى) الوحيد اليوم . وغدا فى المستقبل فى ظل ظروف كيفية أخرى يمكن تحقيق الحلم الاستراتيجى الثورى وهو الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية التى تضم المسلمين واليهود والمسيحيين وفقا للاختيار الحر لكل الأطراف أى لليهود والعرب معا بأسلوب ديمقراطى كامل .

حول هذين الرايين تنقسم الحركة الوطنية العربية . وللحقيقة والتاريخ فإن معظم التناقضات بين صفوف القوى الوطنية العربية تنبع من هذا الخلاف .

بل ان أعتى القوى العربية رجعية كانت تتلفح بعباءة الراى الأول فى حربها ضد جمال عبد الناصر وسياسته المعادية للاستعمار والتخلف فى المنطقة . وتثير حربا شعواء ضد التسليم والخيانة والتفريط فى حقوق عرب فلسطين . . وفلسطين المفتصة والشهيدة . . الخ . وكن أكثر العرب تخلفا وحماقة يتشدق بعبارات طنانة مثل . . القضاء على اسرائيل والقائما فى البحر أو على الأقل القذف باليهود مرة أخرى الى ديارهم الأصلية من حيث أتوا .

أعنى أن ذلك الشعار الثورى وليس الثورى المتعلق بقضية فلسطين كان قميص عثمان للهجوم على جمال عبد الناصر من جانب خصومه العرب فى تلك الأيام .

وكان قميص عثمان استخدمته جبهة الرفض ضد أنور السادات . فمن لا يعمل ويناضل من أجل القضاء على الدولة الاسرائيلية بقضها وقضيضها فهو (تصفوى) (واستسلامى) (وخائن) أو على الأقل (يحرك ولا يحرك) ويتهاون مع الاستعمار الأمريكى و . . الخ .

أين موقع عبد الناصر ؟ :

ولما كان هناك فريق كبير من جبهة الرفض ممن كانوا يتلفعون بعباءة الناصرية فانه قد يكون من المناسب أن نطرح سؤالا : ماذا كان موقع جمال عبد الناصر من الفريقين اللذين عرضنا رأيهما فى قضية فلسطين ؟ حتى يفهم أبناء الجيل الحالى الذين لم يعاصروا الأحداث الحقيقية .

هل كان جمال عبد الناصر يدعو أو يعمل للقضاء على اسرائيل لتعود فلسطين كلها دولة عربية ؟

لنستقرى التاريخ معا :

ان جمال عبد الناصر قد سمح بعد عدوان ١٩٥٦ للسفن الاسرائيلية ان تمر فى خليج العقبة ٠٠ ورغم عدوان اسرائيل الا انه كان يرد على دعاوى واستفزازات خصومه العرب بأن من يريد محاربة اسرائيل فلا بد ان يعرف انه يحارب الولايات المتحدة وأن ذلك لا يمكن تحقيقه الا اذا توحد العالم العربى وأصبح العرب قوة ٠

صحيح أن موقف عبد الناصر من وجود اسرائيل كدولة فى المنظمة ظل غامضا حتى حرب ١٩٦٧ ٠ بل انه فى مؤتمره الصحفى المشهور فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ الذى صحب المظاهرة العسكرية التى أراد أن (يهوش بها اسرائيل وأمريكا حتى لا تهاجم اسرائيل سوريا ، كان حريصا على أن يؤكد أنه ليست لدى مصر نية (العدوان) على اسرائيل انما كشفت للعالم أن اسرائيل هى التى تهدد وأن مصر (ستدافع) عن نفسها ضدها اذا حدث العدوان ٠

على أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح موقف عبد الناصر واضحا من الوجود الاسرائيلى فى المنطقة ٠٠ اذ سلم به تماما وبصرامة ٠

وكانت أول خطوة ظاهرة على الطريق هى قبوله القرار ٢٤٢ الشهير الصادر من مجلس الأمن وهو قرار يؤكد وجود اسرائيل مثلها مثل أى دولة مستقلة أخرى فى المنطقة ٠٠ ويؤكد ضمان حدود آمنة أما موقفه من قضية اقامة دولة فلسطينية فلم يحدد القرار شيئا بشأنها وانما اعتبر قضية الشعب الفلسطينى مجرد قضية لاجئين ٠ وكان جمال عبد الناصر هو الذى قبل جولات يارنج بين القاهرة وتل أبيب للبحث عن وسيلة لتطبيق قرار مجلس الأمن ٠٠ ثم هو الذى قبل مبادرة روجرز التى بدت كمحاولة أمريكية لوضع القرار ٢٤٢ المذكور موضع التنفيذ ٠

وصرح جمال عبد الناصر عدة مرات لصحف أجنبية وخاصة الموند الفرنسية وللصحفى الفرنسى ايريك رولو بالذات أنه مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل اذا انسحبت من الأراضى العربية المحتلة كلها ٠ (وكان كل ما يحدث أحيانا هو حذف مثل هذه التصريحات من الترجمة العربية لما تنشره تلك الصحف الأجنبية !) ٠

واستمع زعماء المقاومة الفلسطينية وخاصة السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى رأى جمال عبد الناصر ونصيحته لهم بقبول فكرة اقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين ٠

ونحن المصريين ونحن العرب لا نعيش فى المريخ والما نعيش على كوكب الأرض ٠٠ ولذلك لم نر قط أى استعداد أو تنظيم من أى نوع

أعدّه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لاثارة حرب شاملة مستمرة كالحرب
الفيتنامية من أجل استرداد الأرض التي اغتصبها الصهيونية من
فلسطين .

بل انه قبل وقف القتال عام ١٩٦٧ ولم يعول الحرب الى حرب
شعبية مثلا . . .

هذا هو موقف جمال عبد الناصر من مشكلة الوجود الاسرائيلي .
أى أن موقف رئيس الأمم هو موقف رئيس ما قبل الأمم . . بل نستطيع
أن نقول ان السادات قد خطا بالفضية خطوة واسعة الى الامام . .

اذ انه لم يمسك بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الشهير ، بل انه
وسمّع القضية امام العالم له على انها ايضا تحقيق الحقوق المشروعة
للشعب الفلسطيني في شكل دولة . وليست مشكلة لاجئين كما نص على
ذلك القرار ٢٤٢ . كما تمسك السادات بأن يكون الفلسطينيون طرفا
أصيلا في حل المشكلة مثلهم كمثل أى دولة عربية من دول المواجهة في
أى مباحثات دولية للتوصل الى تسوية شاملة للمشكلة . بل ان السادات
استطاع أن ينتزع من النظام الأردني الذي طرد وطارد المقاومة الفلسطينية
الباسلة اعترافا بالتدريج جزئيا حقا في البداية ولكن شاملا في النهاية
في مؤتمر الرباط بأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب
الفلسطيني .

وأصبحت منظمة التحرير مراقبا في هيئة الأمم . . وعضوا عاملا
في منظمة الدول غير المتحازة . . وأصبح الاعتراف بها عالميا بفضل مجهود
السادات .

أى الفريقين أصبح ؟

عندما نقول ان أصحاب الرأي الثاني - ومن بينهم جمال عبد الناصر -
هم أصحاب الرأي السليم فنحن لا نجاوز الحقيقة . . ان سلامة أى خطة
سياسة تقدرن بالدرجة الأولى بملاءمتها للظروف الموضوعية والذاتية التي
يمكن أن تكسب تلك الخطة السياسية (النظرية) قوة مادية على أرض
الواقع . ولا تتحدد سلامة أى خطة سياسية على الاطلاق بمدى ضخامة
الشعارات التي تطرحها تلك الخطة .

وبالنسبة لقضية فلسطين . . لقد أثبتنا انه في وقت من الاوقات
(١٩٤٨) كان شعار التقسيم هو (أحسن الحلول السيئة) . . أو الحل
الممكن الوحيد في تلك الفترة . . ومن هنا فقد كان الحل السليم . . أى
الحل الثوري .

بينما كُن شعار الحرب ضد اسرائيل الذي طرحته بعض القوى العربية وانحرفت وراءها قوى وطنية عربية أصيلة كان شعارا ديماجوجيا لم يؤد الا الى تنفيذ المؤامرة ضد الوجود الفلسطيني لا الوجود الاسرائيلي . .
وضد تقدم حركة التحرر الوطنية العربية عموما .

فاذا ما تناولنا الموقف الآن فاننا سنجد انه منذ عدوان ١٩٦٧ (وقبله طبعا) طرحت المقاومة الفلسطينية شعار القضاء على اسرائيل . .
وعندما لم يجد ذلك اسعد صدى في الراى العام العلمى بل سبب للقضية اضرارا محقة غيرت المقاومة الشعار واستبدلته بشعار آخر هو اقامة الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية . . ولكن هذا الشعار تحول في الحقيقة الى شعار للقضاء على اسرائيل من جديد . . ولكن من النافذة ؟
اذ أبرز أصحابه أن وسيلتهم لتحقيقه هى استمرار الكفاح المسلح لاقحام الكيان الصهيونى واجتثاث الصهيونية من جذورها واقامة تلك الدولة الفلسطينية المسودة وبدن اخيرا وانسب منظمة التحرير على اقامة دولة فلسطين واعترفت باسرائيل وسعت الى التفاوض معها .

ولا بد من الاعتراف هنا أن المقاومة الفلسطينية التى تمثل اعظم وأنبل ما أنتجه الشعب الفلسطينى شأن أى مقاومة شعبية فى العالم ليست هى المسئولة وحدها عن طرح مثل ذلك الشعار غير الواقعى .

انما ساعدها على ذلك نفر ممن يمكن تسميتهم بالمنتفعين بالقضية الفلسطينية خصوصا بعض الكتاب والصحفيين الذين تصدوا فى مجالات الاعلام والدعاية باسم المقاومة أو لصالحها . . ومجال الاعلام كما هو معروف هو أسهل المجالات (النضالية) فهو غالبا نوع من كفاح الغنادق ودردشات الكافيتريات والحفلات والسفريات التى لا تنتهى . .

وهذا النفر من الرجال مارسوا المزايدة على الثورة الفلسطينية وزينوا لها شعارات لا تعدو أن تكون نوعا من الأوهام السياسية من أجل الانتفاع والنصب والاحتيال وبعض هؤلاء يكاد يكون من مصلحتهم ألا تحل المشكلة الفلسطينية وأن يستقر الشعب الفلسطينى فى وطن لأن ذلك سيضع حدا للامتيازات والعمارات والمصروفات (الثرية) المختلفة أو بلقيل الاستمرار فى ارتداء بياب الشهداء والمناصلين المزدوقين ونحن نتكلم وعندنا تفاصيل ولكن ليس هذا وقت فتح ملف الثورة الفلسطينية ليكشف حقيقة أولئك المنتفعين من خارج تلك الثورة الذين انتفعوا بالمزايدة على نضال وتضحيات المناضلين الفلسطينيين البواسل الذين يربطون الأحزمة الناسفة ليفجروا ممتلكات وتجمعات العدو ويستشهدون فى بطولة وتضحية فذنين ويندفعون الى الشوارع فى انفاضة شعبية بأسلة . .
واستطاع السادات أن يحقق اتفاقية الفصل الأول بين القوات التى ردت

اسرائيل الى سيناء بعد ان كانت فى الضفة الغربية عند السويس ٠٠ ثم جاءت مفاوضات مع كيسنجر مارس ١٩٧٥ وفشلت لأن اسرائيل طالبت بانتهاء حالة الحرب ٠٠ ثم وقعت اتفاقية الفصل الثانية التى ردت اسرائيل الى ما وراء المضائق ٠٠ وأقيمت أجهزة الانذار المبكر ٠٠ ثم تعمد الموقف عند ذلك ٠٠ والسادات يواصل تحييد الولايات المتحدة فى صراعه مع اسرائيل لكن نتائج حرب أكتوبر ما كان يمكن أن تتعدى هذا إذ لم تنتصر انتصار كاملا فى تلك الحرب كما ذكرنا من قبل ٠ ولم يكن السادات هو الذى ابتكر محاولة تحييد أو استمالة أمريكا فقد سبقه جمال عبد الناصر إلى ذلك ٠ اننا عندما نستقرئ التاريخ نجد أن ثورة ٢٣ يوليو حاولت أكثر من مرة تقليل حدة عداة الولايات المتحدة لها ٠ بل واتبعت سياسة محاولة (تحييد) أمريكا فى الصراع العربى الاسرائيلى ٠ والذى يرجع الى الرسائل المتبادلة بين الرئيسين عبد الناصر وجون كيندى يلخص ذلك بوضوح ٠

وقبل عدوان ١٩٦٧ فى مؤتمره الصحفى الشهير فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ حاول تحييد أمريكا باستمالة بل حاول استمالتها إذ قال أمام كل صحفى العالم : لا ٠٠ طبعا باين من الكلام ان العلاقات بيننا وبين أمريكا سيئة جدا مقيش اتصالات بيننا وبين الولايات المتحدة فى الوقت الحالى ٠ احنا بنعتبر أمريكا متحيزة وواحدة جانب اسرائيل ١٠٠٪ ٠

طبعا هذا يؤثر على العلاقات بيننا وبين أمريكا ٠ مقيش مشكلة بيننا وبين أمريكا فى الأمر القائم ٠ لكن المشكلة بيننا وبين اسرائيل ايه الى دخل أمريكا فى الموضوع ؟

لأسباب طويلة نعرفها وللأصوات اليهودية فى أمريكا وللأسباب التاريخية المعروفة تحيزت أمريكا تحيزا كاملا لاسرائيل وتجاهلت تجاهلا كاملا حقوق العرب المشروعة ٠

واستطرد جمال عبد الناصر قائلا فى تودد الى أمريكا : « أمريكا كأكبر دولة ٠٠ كاقوى دولة ٠٠ كاغنى دولة يجب أن تكون عادلة فى معاملتها للعالم حتى ينظر اليها العالم بثقة واحترام ٠ »

بل اننا نرى عبد الناصر يمضى فى الشوط الى نهايته فبرغم وضوح معاداة أمريكا للعرب واستعدادها لكل دول العلم الغربى ضددهم وحشدها على غرار حشد جمعية المنتفعين بقناة السويس عام ١٩٥٦ ، فانه ما كاد يتلقى رسالة من جونسون المنافق الاكبر يقول فيها « أنه كان يفكر فى ارسال نائبه هيوبرت همفرى الى منطقة الازمة » ما كاد عبد الناصر يتلقى تلك الرسالة حتى بعث لجونسون فى اليوم التالى (٣ يونية ١٩٦٧)

برسالة يقول فيها انه قرر ايفاد نائبيه زكريا محيي الدين الى واشنطن
للاجتماع مع جنسون ليشرح له وجهة النظر العربية فى النزاع حينذاك .
وأعلن عن موعد سفر زكريا محيي الدين فعلا يوم ٦ يونية لولا
اندلاع الحرب فى ٥ يونية .
وقبل عبد الناصر القرار ٢٤٢ الذى اقترحه الغرب (بريطانيا)
وأيدته أمريكا .

وفى مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر رسالته المفتوحة الى نيكسون
وقال فيها مستمرا فى اتباع خط تحييد أمريكا بالحرف الواحد : « أريد
أن أقول اذا كانت الولايات المتحدة تريد سلاما فعليها أن تأمر إسرائيل
بالانسحاب . ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر إسرائيل
بأمرها . هذا حل .

والحل الثانى : اذا لم يكن فى طاقة أمريكا أن تأمر إسرائيل .
فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت أراؤنا فيه .
ولكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا وهو بالتأكيد فى طاقة أمريكا
ذلك الطلب هو أن تكف عن أى دعم جديد لها ما دامت تحتل أراضينا » .

وقبل عبد الناصر بعد ذلك مبادرة روجرز ١٩٧٠ . . ورحب بوزير
الخارجية الأمريكى وقبل وقف حرب الاستنزاف . ومع ذلك رفض
الأمريكيون وأصروا على رفض التعاون مع النظام المصرى . . لماذا ؟ .
ببساطة لأنه كان نظما وطنيا وعملوا دائما على تدبير المؤامرات لاسقاطه
وقتل قائده كما كشفت التحقيقات فى مخازى وكالة المخابرات الأمريكية
عن تدبير أربع محاولات لاغتيال جمال عبد الناصر .

وعندما خلف أنور السادات رفيق نضاله عبد الناصر فى الرئاسة
استمر فى نفس السياسة - سياسة محاولة (تحييد) أمريكا .

فمد عدة مرات فترات وقف حرب الاستنزاف . . وأجرى الاتصالات
الدولية العديدة .

وبعث بالرسل الى المسئولين الأمريكين . . وآخرهم حافظ اسماعيل
مستشار الأمن القومى حينذاك فى ٢٣ فبراير ١٩٧٣ ليتباحث مع
نيكسون رئيس الولايات المتحدة أيامها مطالبا اياه بتحمل مسئوليته
لاجبار إسرائيل على تنفيذ القرار ٢٤٢ الشهير الذى شاركت أمريكا فى
صنعه وإقراره .

ولكن نيكسون هز رأسه قائلا انه يرى أن الطريق الأمثل لحل
الأزمة هو اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين المتنازعين العرب وإسرائيل !

وتراجع روجرز وزير الخارجية وصاحب (مبادرة روجرز) عن تلك المبادرة ودعا العرب الى اجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل لتنظيم كيفية فتح قناة السويس واعادة الملاحة فيها على الفور ١

وفي ٢٥ فبراير من العام نفسه صرح جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط وقتها أن أمريكا ليس في نيتها استخدام أى ضغط على اسرائيل .

ولقيت خطب جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل حينذاك بشان رغبتها في لقاء مباشر مع الرئيس السادات للتفاوض معه في أى مكان يشاء تأييدا ومباركة أمريكية .

وعندما لم تجد النصائح الأمريكية آذانا صاغية لدى القيادة المصرية أعلنت الولايات المتحدة بعدها بأيام مد اسرائيل بثمان وأربعين طائرة فانتوم جديدة ١ وأعلن نيكسون اقتراحه المعروف باعادة خريطة الشرق الأوسط ومعنى ذلك تعديل الحدود (وهذا مطلب اسرائيل لضم والحق مزيد من الأرض العربية مما احتلته بعد عدوان ١٩٦٧) . ولكن كان مصير المحاولات المصرية في عهد عبد الناصر لتحديد الولايات المتحدة أو لاتخاذ سياسة أقل عدوانية الفشل ولكن المحاولة نجحت ولو جزئيا مع السادات . مع دفع الدين طبعا وهو اضعاف العلاقة بين مصر والسوفييت الذين كان السادات يؤمن بانهم لن يفيدوه بشئ في حل النزاع العربى الاسرائيلى وهو ما أثبتته الأيام بعد ذلك بل انهيار وجودهم وتفوذهم عالميا تماما . ولم تكن هناك محاولات مصرية فقط . بل كانت هناك محاولات عربية وخصوصا من الاصدقاء التقليديين للولايات المتحدة . كان النظام السعودى يطلب أمريكا باتباع سياسة أكثر تفهما بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيل على الأقل حرصا على المصالح الأمريكية في المنطقة اذا تفجر الموقف .

العدوان والحرب ضد أمريكا

ولان الكثيرين لا يعرفون تفاصيل ما جرى أيام حرب أكتوبر خاصة من جيل الشباب . فان المسلك الانتحارى الذى قام به صدام حسين رئيس العراق في الزح ببلاده في انون الحرب يوم ١٦ يناير ١٩٩١ وهو يعلم علم اليقين أن أمريكا قد حشدت ستمائة ألف جندي وآلاف الطائرات والبوارج والصواريخ لضربه ضربة قاصمة . قد ذكرنا نحن بموقف آخر لانور السادات انقذ القوات المسلحة المصرية من مؤامرة أمريكا عليها عندما بدأت تهدد اسرائيل بالأسلحة . فقد أعان انور السادات في وضوح في رسالته للرئيس حافظ الأسد يوم ١٩ أكتوبر انه لا قبل له

بمحااربة الولايات المتحدة فقد أصبح واضحا أن المدد الأمريكي يتدفق على إسرائيل . بل ان (المتطوعين) أمريكيين قد اشتركوا فعلا فى القتال ، سواء فى قيادة الطائرات الجديدة التى استعوضت بها اسرائيل خسائرها الفادحة ، فى الأيام الأولى للقتال وكذلك الدبابات الأمريكية التى كانت تنزل فى العريش بشحم المصانع .

ولم يعد هذا الاشتراك الأمريكى الفعلى فى حرب أكتوبر فى صف اسرائيل عندما أوشكت الهزيمة أن تلحق بها سرا . فقد نشرت عدة صحف أمريكية مثل (الجارديان والديلى وركر والميلتانت) معلومات تفصيلية عن هذا الاشتراك بأسماء الموانئ والمطارات التى كان يتم فيها امداد اسرائيل بالسلاح ، علاوة على امدادات (المتطوعين) من العسكريين الأمريكين وعددهم .

ولاهمية هذا الموقف فى تاريخ حرب أكتوبر نسجل هنا نص تلك الرسالة التى بعث بها السادات لحافظ الأسد فى ١٦ أكتوبر :

« لقد حاربنا اسرائيل الى اليوم الخامس عشر . وفى الأيام الأربعة الأولى كانت اسرائيل وحدها فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية والسورية وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين . وأكثر من مائتى طائرة . أما فى الأيام العشرة الأخيرة فأننى على الجبهة المصرية احارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

اننى ببساطة لا أستطيع أن احارب أمريكا وأن اتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى . لذلك فأننى قد أخطرت الاتحاد السوفييتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ - ضمان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة بانسحاب اسرائيل كما عرض الاتحاد السوفييتى .

٢ - بانه مؤتمر سلام فى الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفييتى .

ان قلبى يقطر دما وأنا أخطرك بهذا ولكنى أحس أن مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب » .

ومن المناسب أيضا أن نسترجع للقارىء بعض المعلومات عن مدى المساهمة الأمريكية فى حرب أكتوبر .

فى ١١ أكتوبر أعلن الرئيس الأمريكى نيكسون أن الولايات المتحدة تقوم فعلا بشحن الطائرات والصواريخ والقنابل من قاعدة بتسوانا الجوية فى فرجينيا، وأن ثمانى عشرة طائرة فانتوم قد وصلت الى مطار اللد فعلا .

وفى يوم ١٣ أكتوبر أعلنت أمريكا أنها شحنت ذخائر لأنواع المدفعية المختلفة وصواريخ من أحدث طراز بل انه فى يوم ١٦ أكتوبر - بداية الثغرة - بعثت القيادة البحرية الأمريكية بحاملة الطائرات (ايوجيا) لتعزيز قوة الأسطول السادس فى البحر الأبيض .

ولم يخجل رئيس أركان سلاح الطيران الأمريكى من أن يعلن على الملأ أن طيارين أمريكيين قد قادوا خمساً وثلاثين طائرة فانتوم بدون توقف الى إسرائيل . وأن الطائرات الاستراتيجية الأمريكية قد زودت تلك الطائرات بالوقود جواً وهى فى رحلة السبعة آلاف كيلو متر من أمريكا الى إسرائيل هذا غير عشرات الآلاف من الأطنان من الصواريخ والدبابات من طراز م - ٦٠ . كل هذا لتعويض ما فقدته إسرائيل فى المعركة وتمكينها لها من مواصلة الحرب .

ولا ننسى أن طائرتين أمريكيتين هما اللتان قامتا بمهمة الاستطلاع فوق الأراضى المصرية والسورية لمدة ٣٥ دقيقة يوم ١٣ أكتوبر وأعطتا الإسرائيليين معلومات عن وجود ٤٠ كيلو متراً تمثل المفصل بين الجيش الثانى والثالث . ومهد ذلك للثغرة .

ولقد اعترف المتحدث الرسمى بلسان وزارة الدفاع الأمريكية فى ١٩ أكتوبر بوجود عدد محدود من القوات الجوية الأمريكية العاملة فى إسرائيل وكذلك بوجود أطقم للخدمة الأرضية فى مطار تل أبيب ولتبرير هذا كله خرجت وسائل الاعلام الأمريكية تعزف معزوفة واحدة هى أن هناك خبراء وطيارين سوفيت وكوريين شماليين يساهمون فى المعارك الجوية ضد الطائرات الإسرائيلية . وما زالت هناك أسرار كثيرة عن الدور الأمريكى فى حرب ١٩٧٣ لم تكشف بعد وساعد على طمسها التطورات فى العلاقات المصرية الأمريكية فيما بعد .

وظل أنصار جبهة الرفض يرددون أن إعلان رفض القتال ضد الولايات المتحدة هو نوع من التقاعس أو الانهزامية فى مواجهة العدو . ولكن لماذا مواصلة القتال ؟ لماذا لا تطرق القيادة المصرية والسورية طريق الحل السلمى وتجربه ؟

أجاب عن ذلك أنور السادات فى حديثه معى المنشور فى مجلة روز اليوسف فى أبريل ١٩٧٥ :

، سؤال

سيادة الرئيس ٠٠ ما تزال نظرتك الى دور الولايات المتحدة في حاجة الى تفصيل أكبر ٠٠ لقد صرحت أكثر من مرة وكررت التصريح أثناء زيارة الرئيس نيكسون للقاهرة بأن الولايات المتحدة قد غيرت سياستها نحو مصر فما المعنى الذى قصدته بالدقة وما هى أبعاد هذا التغيير خاصة وأنا نرى الولايات المتحدة مستمرة فى تسليح إسرائيل وبنفس الحماس القديم ؟

أجاب الرئيس :

— ومن قال ان أمريكا لن تواصل تسليح إسرائيل ؟ لقد سلحتها قبل الحرب وأثناءها وبعدها ٠٠

ان الدبابات التى أسرع من العريش الى ميدان القتال رأسا كانت أمريكية وكل طائرة فانتوم أسقطناها أو أفلتت منا كانت أمريكية .
لقد أكلت أكثر من مرة أن التغيير فى السياسة الأمريكية ليس تحولاً عن مساندة إسرائيل الى مساندة العرب ولست أظن أنه سيكون كذلك أبداً . على الأقل فى حياة جيلنا الحالى ١٩

ان التغيير فى السياسة الأمريكية هو باختصار : فعل جديد أمام حقيقة عربية جديدة .

نحن غيرنا الصورة فتغير رد الفعل . قبل أكتوبر لم تبال الولايات المتحدة حتى بالاستيلاء البنا ورقضت أن تحصل قضيتنا على محمل الجدل أو حتى تدرجها فى جدول أعمال اهتماماتها فلما عبر الجندي المصرى القناة وحطم خط بارليف وحطم معه نظرية الأمن الاسرائيلى وفوجئت الولايات المتحدة بمصالحها البترولية عارية بلا حماية ٠٠ كذا لابد أن تعيد النظر فى سياستها وأن تسرع الى تغييرها ٠٠ وهو تغيير مصدره نحن ويجب أن نستفيد منه ونطوره ؟ ٠٠

وامتداداً لهذا الوعى بالتغيير الذى ألم بالسياسة الأمريكية ازاء التغيير الذى حدث فى الموقف العربى يمكن أن نفهم تفسير الرئيس لمعنى اعلانه لحافظ الأسد (وهو الاعلان الذى نشرنا نصه فى صفحات سابقة) انه غير مستعد لمحاربة أمريكا .

وقد فسر الرئيس ذلك فى حديثه معى أيضاً .

كان سؤالى :

الى أى مدى تتوقع أن تطور الموقف الأمريكى يا سيادة الرئيس ؟
البعض يقولون أن مصر هى التى غيرت موقفها وليس الولايات المتحدة ٠٠

وهم يستشهدون بحديث سابق لسيادتكم قلتهم فيه أنكم كتبتم الى الرئيس حافظ الأسد تقولون أن أمريكا دخلت بثقلها في الحرب وأننا على غير استعداد لمحاربة أمريكا . وكانت اجابة الرئيس واضحة أيضا كعادته اذ قال :

- نعم قلت هذا ، وكانت أمريكا هي التي تحاربنا فعلا . . . ولكن كيسنجر كان في نفس الوقت يوقف المستر هيث رئيس وزراء بريطانيا وقتها ليرجوه أن يتصل بنا لنقبل إيقاف القتال .

حدث هذا في ١٣ أكتوبر في عز انتصار قواتنا واندحار القوات الاسرائيلية ، وفي الوقت الذي بدأت فيه أمريكا تدخل بكل ثقلها وبأسلحة جديدة تماما ميدان المعركة .

ماذا كنت تفعل وقتها ؟

أمريكا قررت أن تحاربك ، وفي نفس الوقت تلج على وقف القتال معنى هذا أنها بدأت تدرك ما لم تكن تدركه من قبل . . . وأنها مستعدة لفهم جديد ولتبني سياسة جديدة .

هل كان على وقتها أن أستمع في الحرب بما يتبعها من آثار ، أم استفيد من التراجع الأمريكي ؟

اننى واثق من أن التاريخ سيحاسبني لو واصلت القتال ضد أمريكا بدلا من أن استفيد بتراجعها وأشجعه وأعمقه . وهذا ببساطة هو ما فعلته ، واعتقد أننا حتى الآن كسبنا من هذه السياسة ولم نخسر شيئا .

حكاية ٩٠٪ من أوراق اللعبة ؟

كان الرئيس السادات كثيرا وهو يعبر عن سياسته يقول بأن ٩٠٪ أو ٩٩٪ من أوراق اللعبة (يقصد قضية العدوان الاسرائيلي) في يد الولايات المتحدة .

وخصومه صوروا دائما أنها تعنى الاعتماد على الولايات المتحدة فقط في ازالة آثار العدوان الاسرائيلي وعندما ناقش الأستاذ لطفي الخولي رئيس مجلة الطليعة تلك القضية مع الرئيس أنور السادات قال له : . . . فانا عندما أقول ذلك (٩٠٪ من أوراق اللعبة في يد أمريكا) انما أقصد أنه بسبب أن اسرائيل تعتمد في حياتها اعتمادا كليا على أمريكا ابتداء من رغيف الخبز حتى الفائتوم فان ٩٩٪ من قوة الضغط على

اسرائيل - وهذا ما أعنيه بأوراق اللعبة - هو في أبهى الأمريكيتين .
لا أكثر من ذلك . واعتقد أن السوفييت وهم يارعون في الحسبانات
السياسية يوافقوننى على ذلك . ويبقى أساسيا بعد ذلك فى سبيل
تحريك هذا الضغط الأمريكى استخدام قوانا الذاتية - مصرىا وعربىا -
وكل القوى الصديقة والرأى العام العالمى بما فى ذلك الرأى العام
الأمريكى ذاته » .

وقد قال السادات نفس هذا الكلام تقريبا فى الكويت فى مؤتمر
صحفى يوم ٢٩ فبراير ١٩٧٦ اجابة على سؤال عن نفس الموضوع وأكد
أنه كى نستطيع انتزاع هذه التسعين فى المائة من ورق اللعبة من الولايات
المتحدة يجب أن نكون مستعدين وجاهزين وأقوياء والا فلن يسأل أحد
عنا قط . وواقع الأمر أن هذه الموضوعة السياسية التى طرحها
السادات هى ادانة كاملة للولايات المتحدة وتوصيف لها بأنها العدو
الأساسى والحقيقى الذى يعتدى على العرب والذى يجب على العرب أن
يوجهوا أسلحة ضغطهم ضده سواء كانوا فى الحرب أو السلام .

ذلك لأنه اذا كانت الولايات المتحدة هى التى تملك اجبار اسرائيل
على الانسحاب من الأرض المحتلة فانها هى العدو فعلا .

وهذه حقيقة معروفة يؤمن بها خصوم الولايات المتحدة ، ففيم
الخلاف بينهم وبين السادات إذن ؟

انهم يعتقدون أن اسرائيل أداة الولايات المتحدة وكلب جراسبتها فى
المنطقة . من إذن بيده مقود جذبه ومنعه من عقر المارة أو تسليطه عليهم ؟

و ضد من كان طلب السادات استخدام سلاح البترول ؟ . هل كان
ضد اسرائيل أم ضد سادة اسرائيل وعلى رأسهم الولايات المتحدة ؟ وضد
من سعى لاقامة التضامن العربى . . وضد من سعى لتقوية الأجنحة
الامبريالية المستنيرة جزئيا فى الولايات المتحدة وهى التى ترى اقامة
سياسة متوازنة بين العرب واسرائيل ؟

أليس ضد أكثر الأجنحة عدوانية وتخلفا ؟ . ومن أجل ماذا كان
السادات يتعامل فى إطار النضال الدبلوماسى وتحريك القوى الدولية
وعقد تحالفات مع قوى غربية حليفة تقليديا لأمريكا للاقرار بحقوق العرب
والفلسطينيين ؟

أليس هذا موجها لحصار الولايات المتحدة والضغط عليها ؟ وفى
نفس الوقت كان يتعامل مباشرة مع أمريكا ويتفاوض معها ويحاول
الحصول منها على أكبر قدر ممكن ا

الفارق الوحيد بين تصور الراضين لدور أمريكا وتصور السادات هو في الألفاظ .. الراضون وغيرهم كانوا يقولون الامبريالية .

والقيادة السياسية المصرية تقول معظم أوراق اللعبة في يد أمريكا .
أى أنها العدو الذى يحرك الأداة . ولكن بلغة رقيقة : والباب مفتوح فى
النضال السياسى لأشكال وأساليب مختلفة مرة تكون خطوة بخطوة ..

ومرة فى مؤتمر جنيف .. هكذا .. والمعيار دائما هو أمران :

الأول ألا يحدث تنازل عن المطالب الوطنية فى المرحلة الراهنة .

الثانى - النتائج التى يحققها التكتيك المستخدم من حيث تقريبها
للتوصل الى التحقيق الكامل للمطالب النهائية المحددة .

ومن الملائم هنا أن نقرا تفسير أنور السادات لاتباعه سياسة الخطوة
فى مناقشته مع الأستاذ لطفى الخولى التى أشرنا إليها من قبل والمنشورة
فى جريدة الأهرام ١٩٧٦/٢/٤ :

قال لطفى الخولى ونذكر القارىء هنا بأنه جاءت فترة كان يلتقى
فيها بالسادات كثيرا .

« وعلى حد تعبير الرئيس السادات فى حديث خاص أنه من خلال
دراسته لمتحرك السياسى الفيتنامى فإن اصطلاح (الخطوة خطوة) اصطلاح
فيتنامى فى الأصل وليس أمريكيا . وهو بالتالى سياسة فيتنامية ثورية
قصد بها كسب ما يمكن كسبه خلال المباحثات الثنائية بين « ليوديوك ثو »
وبين الدكتور هنرى كيسنجر الذى كان قد تفهم علم مصلحة أمريكا فى
التورط فى الحرب الفيتنامية . واستمر الفيتناميون فى اتباع سياسة
الخطوة مع أمريكا رغم تعثر مؤتمر باريس ، بل وقضله أكثر من مرة بسبب
ما عاناه من استقطاب حاد لأطرافه ، شل المباحثات شللا كاملا . ومنع
بسبب العلانية كل امكانية للمناورة من ناحية .

أو ممارسة للضغط الأمريكى العلنى على فيتنام الجنوبية من ناحية
أخرى . ولكن هذا كله أمكن التوصل اليه من خلال مباحثات الخطوة خطوة
الأمريكية الفيتنامية .

وتساءل السادات فى حديثه الخاص معى : ألم تقرا كتاب لى توان
الفيتنامى ؟ انه من حسن الحظ مترجم الى العربية فى بيروت .. لماذا اذا
اتبع الفيتناميون سياسة الخطوة خطوة كانوا ثوريين واذا اتبعنا نحن نفس
السياسة اتهمنا بعدم الثورية ؟

لقد حاولنا مرات ومرات أن نقنع اخواننا السوريين والفلسطينيين
بذلك ، وكذلك اصدقاءنا السوفييت ولكن لم يفهمونا ..

عندما يتخلصون من شكوكهم التي زرعوها في أنفسهم سيفهمون.
جيذا حركتنا . وارجو أن لا يتأخروا كثيرا ، فالوقت لدينا نحن العرب
ليس من ذهب فحسب بل من دم أيضا .. !!

كامب ديفيد ١٩٧٨ وكامب مدريد ١٩٩١ ؟

كانت مفاجأة كلسع النار لمن استمعوا الى أنور السادات عندما قاجاً
مستمعيه في خطاب له في نوفمبر ١٩٧٧ « انى مستعد أن أذهب الى أقصى
مكان في الأرض كي أطرح القضية .. انى مستعد الى أن أذهب الى
الكنيست ١٩٠٠

ساءلت نفسى : هل سيفعلها السادات حقاً .. هل سيزور اسرائيل
أم ماذا ؟ هل هى مجرد عبارات حماسية لتأكيد جدية مصر من أجل السلام
مثلما يقول المرء لصديق له مستعد أروح وراك جهنم ١٩

وكلمت حامد محمود وكان وزيراً وأحد أمناء حزب مصر .. وكانت
تربطنى به علاقة طيبة وسألته عن الحقيقة .. فقال انه فوجئ مثل ..
ويعجب من تصورى أن من الممكن أن السادات يعنى جدياً السفر الى
اسرائيل .

ولكنه أضاف قائلا لى ضاحكا :

ان اقتحام السيد الرئيس لستار الكراهية الحديدى مع اسرائيل ..
ما كان ممكناً أن يقوم به الا بفضل اقتحامه السابق لخط بارليف ..

وبالفعل .. ما كان بوسع أنور السادات أن يزور اسرائيل ونحن
مهزومون قبل أكتوبر ١٩٧٣ .. فمثل تلك الزيارة يومها تكون نوعاً من
حج المهزوم الى بيت قاهره .. لكن بعد الحرب يستطيع أن يزورها على
قدمين ثابتتين كما قال هو غصن الزيتون فى نفس اليد التى حملت البندقية
فى حرب أكتوبر ..

وكان أنور السادات قد كرر في بعض خطبه عبارة توضح سياسته وهي « الذي لا يتحرك يتجمد » والذي يتجمد ينعزل . . والذي ينعزل يختنق ويموت ! . أنا لا تهمني الإجراءات الى جنيف . . أنا لا يهمني الا الموضوع . . والموضوع عندي هو دولة فلسطين وتحرير الأرض المحتلة .

لقد تحققت بعض النتائج بعد الفصل الأول . . والفصل الثاني للقوات . . فقد استعادت مصر بعض آبار البترول التي كانت تحتلها اسرائيل وكسبت مصر من ذلك دخلا يقدر ببضع عشرات من الملايين .

● بالنسبة للقضية الفلسطينية صدرت عدة قرارات دولية تؤكد حق الشعب الفلسطيني في اقامة وطن ودولة كما اعترف مسئولون أمريكيون بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني بعد هذا بدا أن القضية قد سقطت في هوة التجمد . .

كما جاء وقت انتعش فيه الأمل في عقد مؤتمر جنيف خصوصا بعد أن صدر بيان أمريكي سوفيتي بذلك ولكن سرعان ما حدثت حملة ضغط اسرائيلية وصهيونية ضد هذا البيان وتساءلت وسائل الاعلام الأمريكية المحكومة بالصهيونية عن مبررات الرئيس جيمي كارتر في اشراك الاتحاد السوفيتي في حل قضية الشرق الأوسط ؟ - كما نسفت وصدرت بعد ذلك ورقة عمل أمريكية - اسرائيلية في الواقع البيان الأمريكي السوفيتي وبذلت آمال انعقاد مؤتمر جنيف في نفس الوقت بدأت اسرائيل نغمة جديدة عبر عنها رئيس الأركان الاسرائيلي جور بالتهديد بشأن حرب وقائية ضد العرب « تخرج الجيش المصري والسوري من حساب القوة العسكرية العربية لعشر سنوات على الأقل » علاوة على اذاعة تقارير صحفية تؤكد أن قوة اسرائيل أصبحت توازي ٢٦٠٪ من قوتها قبل حرب أكتوبر فبفضل الدعم الأمريكي طبعاً مع جيازتها للقنابل الذرية .

هذا كله في وقت بدا فيه أن الولايات المتحدة عازفة تماماً عن القيام بأي دور مما كانت تأمل فيه الادارة المصرية بعد أن كان الرئيس كارتر يتبرع بطمأنه ألبور السادات أنه قادر على الضغط على اسرائيل . بل يستنكر تصريحات رئيس الأركان بشأن الحرب الوقائية المشار إليها ضد العرب .

ولخصت مجلة النيوزويك الموقف عندها قائلة :

« كان واضحاً أن السادات يرى أن الولايات المتحدة بطيئة في دفع عملية السلام وكان كارتر يبدو ضعيفاً ولم تكن هناك طريقة تمكنه من لوى ذراع اسرائيل . وكاد العام ينصرم وينتهي وكل دفعة السلام التي بدأت منذ أول كيبور تكاد تتوقف » . . كما أن العجز السوفيتي قد بدا

واضحاً عن عمل شيء ما في الوقت الذي تتدهور العلاقات بينه وبين مصر يومياً بالإضافة إلى ازدياد الأزمة الاقتصادية في مصر مما أكد حاجتها الماسة للسلام وكان على أنور السادات أن يفعل شيئاً لإنهاء الركود وإعادة بعث القضية قضية الشرق الأوسط مرة أخرى إلى جدول أعمال الاهتمام العالمي .. فكما رأينا أن حرب أكتوبر لم تحسم النزاع العربي الإسرائيلي بعد التحول الخطير الذي حدث في مسار الحرب بنجاح الاسرائيليين في أحداث « الثفرة » التي أوضحنا من قبل أنها لم تكن لعبة تليفزيونية كما حاول الاعلام المصري تصويرها بل إنها كانت نقطة تحول خطيرة في حرب أكتوبر أخلت بالتوازن الذي مهدفت إلى تحقيقه تلك الحرب .

وإذا كانت حرب أكتوبر قد نجحت في تحريك القضية عام ١٩٧٣ فهل كان بوسع أنور السادات أن يحركها مرة أخرى عن طريق الحرب ؟ ...

لقد استقر في وجدانه أن الحرب لن تصلح لحل المشكلة بعد تجارب حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ .. وهذا التصور بالتأكيد يختلف معه تيارات وأحزاب وقوى سياسية أخرى .. ولكن تلك هي حدود الطاقة الثورية للقيادات العربية الحاكمة في منطقة الشرق الأوسط اليمينية منها واليسار ولاحظ أن ذلك كان في عهد وجود المعسكر الاشتراكي الذي كان يشد أزرها ويشجعها إلى حد ما .. ترى كيف سيكون الحال في أيامنا ومستقبل أيامنا بعد اندثار ذلك المعسكر وانفراد الرئيس بوش برئاسة كوكب الأرض ؟ ..

والواقع أن أنور السادات كما شرحنا من قبل كان قد أدرك أنه لا يستطيع الاعتماد على الاتحاد السوفيتي في انتزاع حقوقه من اسرائيل بالقوة بعد ما حدث في حرب ١٩٧٣ .

وكان أماله أما الحرب وهو عاجز عنها ولا شك بينما كانت اسرائيل تهلئ بها وأما البحث عن طريق آخر على طريقة الصدمة الكهربائية لبعث القضية من جديد ..

وكان أنور السادات قد لاحظ أنه حرب الاتصال غير المباشر مع اسرائيل من خلال زيارات كيسنجر المكوكية فلماذا لا يعتمد على الاتصال المباشر .. خصوصاً أن مثل ذلك الاتصال المباشر سيؤدي إلى الاتصال والتخاطب مباشرة مع الشعب الاسرائيلي نفسه .. والذي كان متجاهلاً دائماً خلال عمليات الحرب أو السلام .

وقرر أنور السادات أن يتوجه إلى اسرائيل مباشرة مع أن المستر بيجن وكل قادة اسرائيل كانوا يتمنون مقابلة الرئيس المصري

أو أي رئيس آخر في أي مكان في العالم لأنهم لم يكونوا يحملون بلقاء في قلب إسرائيل نفسها لكن أنور السادات المولع باستخدام أسلوب الصدمات الكهربائية قرر أن يقوم بصدمة جديدة .. فكان قراره التاريخي بزيارة إسرائيل ومخاطبة الشعب الإسرائيلي من فوق منبر الكنيسة ..

ولقد طرح البعض على أنور السادات أن يأتي بيجن إلى مصر وكان بيجن مستعدا لذلك إلا أن السادات رفض الفكرة لأنه رأى أنها سيقبل من قيمة مبادرته وآثارها والمغزى الهائل الذي قصده .. إن بيجن كان سيكسب تأييدا عالميا باعتباره مبادرا من أجل السلام وبزيارته للبلد الذي يعادى بلاده منذ ثلاثين عاما ..

أي باختصار كان بيجن سيكسب ما هدف السادات إلى كسبه ولم يكن أنور السادات يستشعر أنه سيقبل من قيمة مصر وكرامتها لقيامه بزيارة إسرائيل فقد كان يزورها من موقع الانتصار النسبي في حرب أكتوبر وقد سبق في الفصول السابقة أن أوضحنا أن ذلك الانتصار النسبي يعني أن الجيش المصري قد أثبت أنه نال للجيش الإسرائيلي ويستطيع أن يهزمه في معارك ويسبب خسائر موجهة لإسرائيل بعد أن كانت هزيمة الجيش المصري وأي جيش عربي (تقليدا عسكريا) في كل حرب مع إسرائيل ، كما أن أنور السادات خطط للدفاع في وجاهاته مع القادة الإسرائيليين للدفاع عن حقوق القومية العربية وعلى رأسها حقوق الشعب الفلسطيني .. بل أخطر من هذا فإن أنور السادات أجرى اتصالات سرية عن طريق تشاوشيسكو وغيره مع إسرائيل ليتأكد مقدما أنه سيكسب شيئا من رحلته فضمن أنه سيسترد سيناء على الأقل .. ومن هنا يتضح أنه لم يكن يفرط في حقوق البلاد أو يقدم شيئا دون ضمان ثمن في تلك الزيارة التاريخية ، لم يستطع اليسار المصري أن يستوعب هذه الحقائق جميعا وبادر باتخاذ موقف المعارض العنيف للمبادرة إلى حد الصدام مع النظام بالوقوف علنا إلى جانب هجوم العرب الذين تحولوا إلى أعداء الداء للنظام ..

هذا رغم أن اليسار المصري بالذات كان مفروضا أن يتجهج برد اعتبار أكبر زعيم عربي له .. إذ أن زيارة أنور السادات إلى تاريخية للقدس التي كانت اعترافا بالدولة الإسرائيلية كانت تعني أن موقف اليسار المصري وخاصة الشيوعيين عندما أيدوا قرار التقسيم الذي صدر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان موقفا سليما ..

وقد كلف هذا الموقف اليسار خسائر فادحة فقد اعتقلهم النظام الملكي في ١٥ مايو ١٩٤٨ لهذا السبب فقط (تأييدهم لقرار الأمم المتحدة)

وانتهمهم بانهم صهاينة وعملاء دوليون لها .. فقد كانوا القوة السياسية الوحيدة في العالم العربي مع رأسمالي كبير واحد شجاع هو المرحوم اسماعيل صدقي باشا الذين أدركوا الواقع السياسي عامي ٤٧ و ١٩٤٨ فوافقوا على تقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية ودولة يهودية .. بل وبلغت بهم الشجاعة والجسارة أن عارضوا حرب ١٩٤٨ ذات الأهداف الوهمية التي شجع الاستعمار البريطاني الرجعيين العربية حينذاك على شنّها فقد كان الانجليز يحتلون مصر والأردن والعراق ويريدون صرف الحركة الوطنية العربية عن هدفها الأول وهو طردهم أي الانجليز من تلك الأرض المحتلة ..

ولا نريد أن نتوسع في شرح ذلك الموضوع الآن فغنى عن البيان أن العرب مستحيل عليهم تحقيق قرار التقسيم اليوم .. كما أن الجميع أقصد جميع الدول والأحزاب والشعوب العربية تقريبا توافق اليوم على وجود إسرائيل كدولة ويسعون معها بشق الأنفس أن « تتكرم » بالموافقة على قبول دولة فلسطين بل تقبل التفاوض مع الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني (منظمة التحرير) .. « ويسوقون » عليها دول العالم من أمريكا لفرنسا ليطاليا لألمانيا وحتى نيام ان وجدت ١ ..

كان أنور السادات مبادرا خلّاقا عندما سبق غيره وأدرك حقائق العصر وكذب شعارات إسرائيل المزعومة .. وقرر التعامل مع الواقع واضعنا نصب عينيه أن مرور الوقت لا يفيد إلا إسرائيل .. ويضيع الحق العربي شيئا فشيئا ..

ولطالما صرخ بذلك ولكنه كان الصارخ في البرية .. وجاء من بعده حسنى مبارك ليكرر نفس التحذير الوقت في غير صالح الفلسطينيين .. فلم يستمع اليه أحد الا أخيرا ومتأخرا جدا بعد أن ابتلعت إسرائيل أكثر من ثلث الضفة الغربية مستعمرات ا

وكانت زيارة أنور السادات لإسرائيل اسقاطا لاتهام القوى اليسارية في مصر والعالم العربي بالصهيونية والعمالة لها .. والا اتهم النظام المصري كله ، بالصهيونية والعمالة لها أيضا بعد أن تحمست كل المؤسسات الدستورية في البلاد لهذه الزيارة ، بل ان الشعب المصري نفسه أيدها وفي حماسة شديدة ..

بل ان المبادرة التي قام بها السادات في رأينا قد أنقذت نظامه .. فقد كان الناس في حالة من التذمر شديدة .. ولم تقنعهم دعاوى الحكومة والسادات بالذات عن اعتبار ١٨ و ١٩ يناير هبة حرامية .. وكانت هيئة النظام قد سقطت حيث كان حديث السادات عن تلك الهبة فيه لباجة وتكرار

وغوغائية وجوفائية ان جاز التعبير وسخر التليفزيون ساعات مطولة ليكرر نفس الكلام فقد كانت ١٨ و ١٩ قد أحدثت فيه جرحا غائرا لم يستطع التحكم فيه بضبط النفس الى آخر يوم في حياته والأسعار ترتفع وبدأت سوءات النظام الانفتاحي تظهر ورائحة الفساد تزكم الأنوف ...

بالاضافة الى ذلك في المشكلة الوطنية بدا أن حالة الاحرب واللاسلم قد عادت من جديد .. وظهر استمرار احتلال جزء من أرض الوطن .. واستمرار وجود سرطان الاحتلال الاسرائيلي لأرض عربية أخرى .. وتبلورت القضية الفلسطينية أكثر .. ولم تفلح سياسة الانحياز للولايات المتحدة واساءتها بالاتحاد السوفيتي لا في استكمال التحرير ولا حل المشاكل الاقتصادية .. فقد كان الظن بعد وساطة أمريكا وزيارة نيكسون أن الخير الأمريكي قادم ..

قال لي أنور السادات ذات مرة ونحن في حديث بالاسكندرية .. ونحن نتحدث عن زيارة جنود وضباط البحرية الأمريكية الذين نزلوا من بوارج حربية أو حاملة طائرات لا أذكر .. أنه سمع كيف أن ساقى التاكسي كانوا يستقبلون هؤلاء الجنود بابتهاج شديد ويقولون لهم « انتم كنتم فين ؟ » .. لأنهم كانوا يدفعون لهم بقشيشا كثيرا .. وبالدولار أيضا !

وكان السادات يحكى لي هذا وهو مغتبط .. ولما قلت له ان ذلك دعائية مقصودة .. أو من الطبيعي ذلك لأن الأمريكيين أغنياء .. قال لي ملوحا بيده ..

— مش أحسن من أصحباك الروس .. روح شوف في الزمالك البياعين بيشتمو فيهم قد ايه علشان لا يتزكون قرشا واحدا من الحساب .. ويبدفوا بالمصرى ..

قلت ضاحكا ..

ما هو ده باتفاق بينكم وبين الروس .. لأن الخبير الروسى بياخذ ٣٠٠ جنيه فقط والأمريكي خمسة آلاف دولار ..

قال ضاحكا وهو يقلل على الموضوع ..

— مافيش فايده منك !

كان السادات قد اختار الجانب الذى ينحاز اليه فعلا .. واعتقد بعجز السوفيت عن تقديم الجديد بينما عقد الآمال على عطاء متوقع من جانب الأمريكيين ..

ولكن هذا العطاء قد تأخر .. وبالتالي بدأ التدمير يظهر ..
وكان لابد من عمل شيء .. تحرك ما في اتجاه القضية الوطنية أولا
فقد كانت تلك القضية دائما في مقدمة القضايا التي يهتم بها الشعب
دائما ..

على ان الشعب اذا كان قد ايد المبادرة بزيارة القدس .. والملايين
التي استقبلت السادات أثناء عودته لم تكن محشودة بالقوة او بالتضليل
.. انما كان ذلك تعبيرا عن آمالها في السلام والاستقرار بالخلاص من
الاحتلال ..

فان هناك قوتين رئيسيتين قد عارضتا هذه المبادرة ..
فحزب اليسار المصري شن حملة اعتراض وهجوم قاسية ضد
مبادرة أنور السادات .

وللحقيقة لم يكن حزب اليسار وحده الذي عارض المبادرة بل أيضا
جماعة الإخوان المسلمين التي كان لها ممثل واحد في البرلمان هو الأستاذ
كمال عياد الذي صوت ضدها جتبا الى جنب النواب اليساريين الثلاثة .

كما أن جريدة الدعوة في عدد ديسمبر ١٩٧٧ عارضت المبادرة في
مقال للأستاذ عبد المنعم سليم جباره . أما حزب التجمع فقد أصدر بيانين
أعلن فيهما معارضته لها الأول في ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ أي قبل سفر السادات
للقدس بيومين والبيان التالي في ٢٨ نوفمبر اذ لم يكن الحزب قد أصدر
جريدة الأهالي بعد .

وقد صدر بيان ١٦ نوفمبر موقعا من مقرر اللجنة السياسية في
الحزب حينذاك الدكتور يحيى الجمل ومن مقرر عام الحزب السيد خالد
محيى الدين وقد أكد البيان ما يأتي :

ان حزب التجمع ليس ضد الحل السلمي - من حيث المبدأ ولكنه
يرى لمثل هذا الحل شروطا تتلخص في استرداد الأراضي العربية المحتلة
والحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني .

ان الزيارة تضعف التضامن العربي الشرط الاساسي لتحقيق
ارغام اسرائيل .

الزيارة اعتراف باسرائيل وبالقدس عاصمة لها . ان الزيارة تتم
في وقت يزداد المتعصبون في اسرائيل تمصبا وأن بيعين رفض أي
تسأل .

ان الزيارة تشجع عددا من الدول على إعادة علاقتها مع اسرائيل .
وبعد أن عاد أنور السادات من زيارته للقفس طرح البيان الثانى
الحزب تساؤلات ثلاث :

١ - ماذا حققت الزيارة والسياسة الجديدة من نتائج ؟

٢ - وهل يؤدى هذا النهج الجديد فى معالجة القضية الوطنية
الى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ؟

٣ - وهل فات أوان التصحيح والبدء فى نقطة انطلاق سليم ؟

وخلص البيان الى أن الزيارة فشلت فى تليين موقف اسرائيلى
المتشدد وأن ما حدث هو دفع من جانب مصر دون مقابل من جانب اسرائيل
وأن النتيجة العلمية لتلك الزيارة هى الغاء مؤتمر جنيف وأن معنى ذلك
هو الاتجاه الى حل منفرد سواء شئنا أم لم نشأ .

وانعكست معارضة حزب التجمع للمبادرة على منظمة ديمقراطية
غير حزبية هى المجلس المصرى للسلام الذى يرأسه فى مصر السيد خالد
محمى الدين رئيس حزب التجمع اذ أن أنور السادات كان يتوقع أن يصدر
المجلس تأييدا لمبادرته باعتبارها جهدا من أجل تحقيق السلام فى المنطقة .

ولكن السيد خالد محمى الدين رئيس حزب التجمع لم يدع المجلس
للاجتماع رغم أن أحد أعضاء المجلس لفت الأنظار الى ضرورة انعقاده
وقدم استقالته احتجاجا على عدم الانعقاد فأصدر أنور السادات قرارا
بحل مجلس السلام وربما كان ذلك القسار أول قرار من قرارات
أنور السادات العصبية ضد معارضيه فى جهوده من أجل السلام وهى
القرارات الهوجاء التى تنالت بعد ذلك وأودت به الى السقوط فى مستنقع
الديكتاتورية الرهيبة التى أغرقته فى النهاية !

وقد عارض كاتب هذه السطور قرار السادات بحل مجلس السلام
رغم أنى كنت أول يسارى أعلن تأييده للمبادرة وما زلت أدافع عنها حتى
الآن كما هو معروف . كسبت أيامها لا نوافق على حل المجلس فإن الغاءه
يعنى قطعاً لبعض شعرات معاوية القليلة الباقية بيننا وبين اليسار وقوى
السلام العالمية ، التى تمثل أقوى جبهة وسند لنا فى معارك التحرير
الماضية والحالية والمستقبلية أيضا ولم يعد يبقى فى الحقيقة غير شعرة
واحدة هى منظمة التضامن الآسيوى الأفريقى التى كان يعمل
يوسف السباعى سكرتيرا عاما لها وقتها .

ولم يكن السادات ولا أنصار المبادرة فى ذلك الحين متفائلون بأنها
ستحقق المعجزات على الفور .

ولا نريد أن نستقيض في ذكر ما حدث بعد المبادرة ..

ولكننا نذكر فقط أن المعارضين لها من العرب انهموا صاحبها بالخيانة والعمالة .. رغم أن السادات قد طرح الحقوق العربية بشكل كامل وبأسلوب راق أثار عطف واحترام الرأي العام العالمي كله وأثر في الموقف في إسرائيل تأثيراً ضخماً ، حتى أن جريدة الجيروليزم بوسنت الاسرائيلية قالت وهي تعلق على زيارة مناحم بيجين بعد المبادرة لمصر في الاسماعيلية . « ان نقطة القوة في موقف الرئيس السادات هي والآثار التي تركها زيارته للقدس » .

ونحن نذكر أيضاً بالموقف العربي الذي تزعمته العراق ضد المبادرة .. فقد قررت الأغلبية اداة السادات .. ولكنها طرحت طريق التفاوض أيضاً مع إسرائيل لحل المشكلة في شكل دولي .. بينما كان المتوقع أن تطرح شعار الحرب مثلاً ..

ومادام الناس قد وافقوا على مبدأ المفاوضة .. فليس جوهرياً أن تتم المفاوضة في بيتك أو في بيت غيرك أو في مقهى ..

وليس صحيحاً أن السادات لم يستشر العرب .. بل انه استشار حافظ الأسد رئيس سوريا الذي رفض المبادرة فطلب منه السادات أن يعطيه هو وسائل العرب الفرصة ليحرب ولا يهاجمونه .

وان كان لهم حق المعارضة طبعاً .

ولكنهم هاجموا ولعنوا .. ثم عادوا بعد ١٣ عاماً الى نفس طريقه وعلى مستوى أقل وفي ظروف أسوأ ..

ونريد أن نوضح هنا في الحقيقة أن الاتصال والتفاوض مع إسرائيل ليسا أمراً جديداً على ثورة يوليو كلها .. فلم يكن أنور السادات وحده هو الذي « اتصل » مع إسرائيل بل في الحقيقة أن جمال عبد الناصر نفسه قد حاول ذلك الاتصال .. بل انه اعترف بوجود إسرائيل في مؤتمر باندونج الذي أقر بالمواقفة على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولتين وهذا موجود رسمياً في وثائق المؤتمر عام ١٩٥٥ .

بعض الناس الناصريين بالذات يتصورون أن الاعتراف بوجود إسرائيل نوع من رجس الشيطان وأن زعيمهم بل زعيم مصر كلها جمال عبد الناصر وقتها لم يعترف بذلك الوجود بل كان يبغى القضاء على إسرائيل .. وهو نفس ما تردده الصهيونية عن فكره .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. وقد سبق أن أشرنا الى ذلك في صفحات سابقة .. ولكننا نضيف بعض الحقائق فلي نفس العام الذي صدرت فيه قرارات باندونج

جرت اتصالات سرية بين مصر واسرائيل للاتفاق على السلام على أساس قرار التقسيم ولكن جولدا مائير تراجعت فى النهاية ٠٠٠ وهذه الاتصالات ذكرها السيد محمود رياض وزير الخارجية الأسبق فى مذكراته ٠

وكان للصطفى المرحوم الأستاذ ابراهيم عزت بروز اليوسف دور فى هذا الاتصال كما هو ثابت فى كتابه كنت فى اسرائيل ٠٠ الذى صدر عام ١٩٥٥ وفى كتاب للسيد محمد نجيب رئيس الجمهورية الأسبق ألفه عام ١٩٥٤ ونشر بالإنجليزية عام ١٩٥٥ قال بوضوح أن الثورة كانت مستعدة للاتفاق مع اسرائيل لو أنها أصبحت دولة مسالمة واعترفت بحقوق الشعب الفلسطينى ونشرت مجلة الاهرام الاقتصادية ترجمة لهذا الكتاب على حلقات ٠

وعام ١٩٦٦ عندما كان بعض العرب كالاردن والسعودية يضغط على جمال عبد الناصر لاثارة حرب ضد اسرائيل كان يرفض ذلك ويقول أنه لا يمكن اثارة مثل تلك الحرب الا بعد اتمام الوحدة العربية لأن من يحارب اسرائيل يحارب أمريكا ٠٠

ولكن الاهم من ذلك أنه بعد هزيمة جمال عبد الناصر عام ١٩٦٧ بدأ يجرى اتصالات سرية باليسار الصهيونى من حزب المابام وجماعة ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى وبمجموعة مجلة « نيو آوت لوك » التى كان يرأسها سمحا فلابان ٠

وكان رسوله فى تلك الاتصالات السيد أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار ورئيس تحرير أول مجلة أصدرتها الثورة « التحرير » وكان رئيس تحرير مجلة روز اليوسف الأسبق ٠٠ وكان الوسيط فى اتسام تلك الاتصالات هو وعدد من الشيوعيين المصريين اليهود اللذين طردهم الملك فاروق من مصر فى أعوام ٤٩ - ١٩٥٢ مثل المرحوم هنرى كورييسل ويوسف حزان ٠٠ وكانت جريدة « ها آرتس » الاسرائيلية هى أول جريدة اسرائيلية تنشر حديثا مع كاتب مصرى بارز هو السيد أحمد حمروش فى ذلك الوقت المبكر من عام ١٩٦٨ ٠

وحكى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه الكبير عن دور هؤلاء اليهود فى حرب ١٩٥٦ والاتصالات السرية التى كانت بين نظام مصر وبينهم فى صالح مصر ٠٠

ولقد كتب الكثير جدا عن كامب ديفيد واتصال السادات مع اسرائيل ٠٠

ولذلك لا نريد أن نخوض كثيرا فى الدفاع عن سياسة السادات فى هذا المجال ٠٠ لماذا ؟

لأنه فوق الدفاع المشار اليه فقد أثبتت الخبرة التاريخية أن سياسة السادات كانت سياسة صائبة عموماً . والعالم العربي كله يتقدم حثيثاً من أجل محاولة تحقيق ماحول الوصول اليه في أعوام ٧٧-٧٨-١٩٧٩ .
وقد ثبت فساد الزعم بأن كامب ديفيد قد جلبت الانقسام في العالم العربي وغيرت مسار التاريخ فيه الى أسوأ

وهذه مزاعم تعنى أن الدول العربية جميعاً دول قاصرة . . .
إذاً ما اتخذت مصر سبيلاً آخر في سياستها مخالفاً لها وقعت في هوة الفشل والتخبط

فقد اجتمعت كل تلك الدول بعد مبادرة السادات . . . وأرغمت وأزبدت . . . فماداً فعلت ؟ . . . لم تتقدم خطوة واحدة على طريق حل القضية . . . رغم أنه كان معها الاتحاد السوفيتي . . . وكان معها العراق الدولة العربية القوية . . . بل التي ثبت بعد ذلك أنها أقوى من كل البلاد العربية أخيراً بكل هذا التسليح الخطير بما فيه التسليح الذري أو الطريق الى حيازة الاسلحة الذرية . . . وكانت هناك سوريا . . . وهي دولة قوية ومسلحة من الاتحاد السوفيتي جيداً . . . ثم الجزائر . . . و . . . و . . . الخ . . .

وفي عام ١٩٧٩ بدلاً من أن يستخدم هذا العالم العربي قوته التي بدت ظاهرة في العراق في الضغط على اسرائيل وأمريكا وليس الحرب . . . فضل العراق أن يتجه الى محاربة إيران (٤٥ مليون واسرائيل ٣ مليون أيامها) . . . ووقفت دول عربية بجانب إيران . . .

وتركت قضية فلسطين عارية في العراق . . .

أين جدية أي قوة عربية (غير الشعب الفلسطيني) في حل مشكلة النزاع العربي الاسرائيلي ؟ . . .

وعندما غزت اسرائيل لبنان ١٩٨٢ . . . ماذا فعل السوريون ؟ . . . سمحوا للجيش الاسرائيلي بالمرور على بعد ١٠٠ متر من قواتهم . . . وكان يتوقعهم أن يجروا العالم العربي كله في حرب ضد اسرائيل باعتبارها دولة غازية لبلد عربي جديد . . . ولكنهم لم يفعلوا وخشوا العواقب . . . وكأنهم يعطون لانفسهم الحق في أن يخافوا من أي مغامرة . . . بينما على غيرهم أن يغامروا ويخوضوا الحرب . . .

ونحن نقول أيضاً . . . ماذا كان سيحدث لو أن العرب المدعوين جميعاً حضروا اجتماع مينا هاوس أي المؤتمر الدولي لقضية النزاع العربي الاسرائيلي في أوائل عام ١٩٧٨ . . . لكننا قد كسبنا جميعاً نحن العرب

سويا .. أو خسرنا جميعا سويا ايضا .. ولماكن البحث عن وسائل
أخرى متضامين ..

والاجماع الذى رفض الفلسطينيون حضوره عام ١٩٧٨ حيث كانت
منظمتهم ستكون على قدم المساواة مع غيرهم .. يسعون الى تحقيق أقل منه
منذ عام ١٩٨٥ اذ أن العالم كله يسعى الى اقناع اسرائيل بأن تقبل بجلوس
موظف من مصلحة الانتخابات عندها مع ممثل من المنظمة لمناقشة انتخابات
محلية فى الضفة والقطاع .. وأصرت اسرائيل على الرفض .. بل انها
أرغمت المجتمع الدولى كله على قبول منظمة التحرير شرطها بعدم اعلان
وفدها فى مفاوضات السلام بمسيره أنه يمثل منظمة التحرير الفلسطينية ..

ان مصر لها السيادة على سيناء .. وهى سيادة منقوصة حقا ..
اذ لا تستطيع ارسال جيوش كما تشاء لها .. ولكن من قال ان مصر تريد
ارسال جيوش الى سيناء .. بل ان مصر لم ترد قط ارسال جيوش
لسيناء الا فى حالة الحرب مع اسرائيل .. ونحن منذ ١١ عاما قد أنهينا
حالة الحرب معها .. وكل المشاكل تحل بالمفاوضات .. وليس أدل على
ذلك من تجربة طابا .. بل وعمليات اغتيال السياح الاسرائيليين على
الحدود بواسطة جنود مصرية .. حلت بالتفاوض ايضا ..

ولكن هل هناك من يمنع مأمور مركز شرم الشيخ مثلا من
أن يبنى مدارس أو مصانع أو مناجم أو مساكن على أى قطعة أرض
فى مركزه ؟ ..

ونود هنا أن نلفت الأنظار الى قضية هامة ربما لم يشر اليها أحد
بصراحة من قبل .. وهى أن الاتفاقات السياسية سواء معاهدات السلام
أو اتفاقات الهدنة تعكس الواقع العسكرى وتوازن القوى ..

لقد أوضحنا فى حديثنا عن حرب أكتوبر أننا لم ننتصر انتصارا كاملا
بل انتصارا نسبيا .. والحرب تغير اتجاهها بعد الثغرة .. ولم يحرر
الجيش المصرى كل سيناء ..

أى لم تكن مصر هى الطرف الأقوى بعد نهاية الحرب .. ان الطرف
الأقوى كان أمريكا واسرائيل معا .. ولكن كانت مصلحتهما عدم
استئناف الحرب من جديد .. فقد كان الأمريكيون يخشون عواقب ذلك
الاستئناف ولا شك ..

لذلك كان الحل النهائى للمشكلة يرغم مصر على تقديم بعض
التنازلات .. مثل أى دولة فى مثل ظروفها مع عدو أقوى .. ولو أنه يريد
التوصل لتسوية مع تقديم تنازلات .. وهكذا يجب النظر الى اتفاقيات

السادات مع اسرائيل ٠٠ وقد أرغم عبد الناصر على تقديم تنازلات جديدة لبريطانيا في اتفاقية ١٩٥٤ للجلاء وكذلك قدم بن بللا للفرنسيين ٠٠

لو فرضنا أنه أشعل الحرب في نوفمبر ١٩٧٧ بدلا من المبادرة ٠٠ من من السادة الرافضين المتشجنين كان يمكن أن يضمن النتائج في صالحنا ١٠٠٪ بحيث نرغم اسرائيل على الجلاء دون وجود قوات دولية ودون أن تشتت شيئا بالنسبة للجيش المصري ٠٠ الخ ؟ ٠٠

ونريدهم أن يسألوا أنفسهم ٠٠ لقد تبين أن السيد صدام حسين رئيس العراق كان يملك أقوى قوة عسكرية في المنطقة ولديه صواريخ وأسلحة بيولوجية وكيميائية ٠٠ ويسعى في حماس لصناعة أسلحة ذرية ٠٠ لماذا لم يفكر يوما ما في عرض استعداده مع أي دول عربية لاستخدام تلك القوة ضد اسرائيل ٠٠

انه حتى لم يفكر قط أن يستخدمها للضغط عليها ٠٠ مع أنه كان بإمكانه أن يساوم أمريكا والعالم العربي على ضرورة إجبار اسرائيل للحضور الى مؤتمر دولي تقدم فيه تنازلات ٠٠

لكن ماذا صنع النظام العراقي ؟ ٠٠ انه وجه كل تلك القوة العسكرية الجبارة ضد بلد صغير جدا لا يكاد يملك جيشا واحتله في بضعة ساعات ليستولى على بترول وذهب وسباراته وتحفه وحتى ثلاثاته وأجهزة التلفزيون ؟ ٠٠

لماذا لم يوجه سهامه تجاه اسرائيل ؟

اما لأنه لا يعاديه أصلا وليس لديه أي قسط من الوعي رغم كل منشورات حزب البعث الذي يتزعمه ٠٠ واما أنه يخشى اسرائيل ونتيجة مغامرة الحرب ضدها ٠٠ لأنه كان يعرف أيضا أن أمريكا ستؤازرها وتقف ضده ٠٠ بينما الكويت لقمة سهلة ٠٠ وكان يتصور لحماقته الشديدة وجهله السياسي الفادح أن أمريكا لن تحاربه من أجل الكويت ٠٠ وكانت النتيجة أنها لم تحاربه وجدها بل حششت العالم كله لمحاربته بما فيها القوى العسكرية الأساسية في العالم العربي ٠٠ وكان المتحدث العسكري لقوات التحالف سعوديا اسمه ابن قحطان أضحك العالم العربي كثيرا كما كان القائد الرسمي أميرا سعوديا !!

الى هذا الحد من النتائج الرهيبة والتناقضة والا معقولة أدى خوف النظام العراقي من اسرائيل ٠٠ فلماذا يريد البعض انفراد مصر بالحرب مع اسرائيل ٠٠ انهم حقا يريدون محاربتها بأثر جندى مصرى ؟

لكن هل كانت سياسة انور السادات ازاء حل النزاع العربى الاسرائيلى سليمة مائة في المائة ؟ ..

بالتأكيد لا .. وقد كان ممكنا لو تلافى السادات بعض الأخطاء أن يحصل على نتائج أفضل .. اننا نعلم طبعا أن انفضاض العرب عن مشاركته فى التفاوض مع اسرائيل وامريكا قد أضعف جانبه كثيرا .. اذ أصبحت مصر وحدها هى التى تواجههما .. وهى أول مواجهة بعد طول عداء مع اسرائيل .. ومع أمريكا ذاتها خلال سياسة جمال عبد الناصر المعادية لها ..

على أن ذلك الانفضاض العربى لم يقتصر تأثيره على اضعاف جانب المفاوض المصرى .. بل أدى السبب العربى والهجوم غير الموضوعى من جانب خصوم السادات من العرب والفلسطينيين الى التأثير فى موقف ذلك المفاوض بالنسبة لساير قضايا العرب مع الجانب الاسرائيلى والامريكى .. وماذا يمكن أن يفعل السادات عندما يرد عليه مناحم بيجين وهو يفاوض دفاعا عن الحق الفلسطينى قائلا : ياسسيدة الرئيس عن اى فلسطينيين تتحدث وهم يتهمونك بالخيانة لهم خارج هذه القاعة ١٩ ..

لقد خلق الهجوم العربى الاستفزازى مناخا فى مصر يدعو الى المصرية .. والبعد عن العرب ولعل الناس مازالوا يذكرون كيف سارت مظاهرات فى القاهرة بعد اغتيال المرحوم يوسف السباعى تهتف لا فلسطين بعد اليوم وهى لم تكن مظاهرات مصنوعة بل هى تعبير عن انطباعات وآراء بعض الناس محدودى الوعي الذين استفزهم السلوك الفلسطينى الذى وصل الى ذروته باغتيال السكرتير العام لمنظمة التضامن الآسيوي الافريقى ..

أضف الى ذلك أنه بعد حرب أكتوبر ماذا فعل العرب لمصر .. لقد كانت البلاد خرابا يبابا كما يقولون .. بينما زاد سعر البترول عشرة اضعاف .. وكانت البلاد فى حاجة الى التعمير والتطوير .. ولكن التعاون العربى كان محدودا جدا .. ورفضت أى محاولة لعمل خطة عربية مشتركة تصنع من العرب كتلة اقتصادية سادسة كما كان يدعو السادات ..

فى نفس الوقت لم يتدفق الخير الأمريكى بعد وقف القتال .. وهذا طبعا أثر فى موقف السادات بزيادة الاتجاه نحو المصرية والاتجاه الى حل المشكلة المصرية أساسا ..

ولقد أخطأ السادات عندما استجاب للاستفزازات العربية .. وهبط بذلك بمنزلة مصر الى مستوى الصغار .. ولقد جاء وقت كان شغل

السادات الشاغل هو الرد بعنف على حكام العرب المعارضين لسياسته ..
واستخدم أساليب لا تستخدمها الا الصحف المهاترة .. وهذا بالعكس
أتى بنتائج عكسية اذ شجع حملات جمعيات المنتفعين من رفض سياسته
وبما كان أكثرهم .. وجعل لهم سعرا .. واستطاعوا استمالة جماهير
كثيرة .. فقد كان السادات يعالج الأمور مع أبغض دولتين لدى قلوب
العرب جميعا .. اسرائيل الصهيونية في المقدمة .. ثم الولايات المتحدة
ذات الشهرة العالمية في الاستعمار والامبريالية ..

وأخطأ السادات عندما لم يستطع أن يلعب بالورقة الروسية ..
لقد بادر بتقديم عملية اقضاء السوفيت دون أن يساوم عليها من البداية
.. وبدا ذلك واضحا من عملية طرد الخبراء السوفيت من مصر ..
اد لم يحاول محاولة جدية مساومة أمريكا عليها واقتضاء الثمن .. وهذا
بالضبط ما اعترض عليه د. عزيز صدقي والأستاذ محمد حسنين هيكل ..
انه تباحث مع الأمير سلطان حقا .. لكن بعد أن كان قد اتخذ
القرار ..

وأخطأ السادات عندما جلس الى كيسنجر لأول مرة .. وبادره
بالقول أنه متفق مع الأمريكيين في ضرورة استبعاد الوجود السوفيتي من
المنطقة .. مما أثار دهشة كيسنجر ..

ولقد أخطأ السوفيت حقا مع أنور السادات كما سترى فيما بعد ..
في حلقات قادمة .. ولكن أنور السادات كان مفروضا أن يساوم بهذه
الورقة ويستفيد بأي جهد سوفيتي محتمل ..

ولكنه تخلص منهم رويدا رويدا .. واستفزههم استفزازا شديدا حتى
وصل به الأمر الى الهجوم على نظامهم الاجتماعي ومقارنته بالنظام
الرأسمالي الغربي ..

وهذا الأسلوب ساهم في دفع السوفيت الى المقامرة على جواد خاسر
وهو جبهة الرفض العربية عندما دعا السادات لعقد مؤتمر مينا هانوس ..
وندموا على ذلك الموقف فيما بعد ندما شديدا ..

لقد كان المسيطر على عقلية السادات أنه يجب أن يسعى لكسب ثقة
أمريكا وأن الثمن لكسب تلك الثقة كان من الطبيعي أن يكون نادحا ..
بل انه في آخر لحظة وهو يتهيأ للسفر الى الولايات المتحدة لبدء مباحثات
كامب ديفيد كان يتشكك في أنه سيحصل على ما يريده منها .. وتحضرني
في ذلك حكاية سآحكيها بعد أن انتهى من تسجيل خطأ آخر للسادات ..

ان السادات عندما قرر موعد حرب أكتوبر عمل على الفور على راب صدع الجبهة الوطنية فقرر إعادة الصحفيين (وأغلبهم يساريين) الذين كان قد استحدث مناورة لاقصائهم عن الصحف استخدم فيها أحد رجاله اليمينيين المتخلفين جدا .. نقول أعادهم الى صحفهم - مسترضيا المثقفين .. ووقف الجميع صفا واحدا لمواجهة العدو ..

لكن أنور السادات لم يفعل ذلك عندما بدأ يدخل فى التفاوض مع اسرائيل فى الولايات المتحدة ..

لقد أفسد علاقته بل قضى عليها عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ مع اليسار المصرى وكل القوى الديمقراطية .. وشن حملة عليهم جميعا .. وتوعدهم وبدأ حملة للتنكيل بهم وسنعرض لهذا عند حديثنا عن السادات واليسار ..

لم يحاول السادات أن يصلح ما فسد .. بينه وبين تلك القوة ذات التأثير العالمى .. ناهيك عن التأثير الداخلى .. وبذلك حشدت قوى اليسار العالمى كلها بفرقه المختلفة ضد مفاوضات كامب ديفيد .. ويبدو أن هذه المسألة كانت تقلق أو تشغل بال السادات .. كما تدل على ذلك الحكاية التالية التى أشرنا اليها من قبل ..

كان السادات قد أخرجنى من تمثيل روز اليوسف فى رئاسة الجمهورية بسحب كارنيه تصريح الدخول .. ولم يعد يقابلنى ورفض طلبا منى بمقابلته عقب هذا السحب ..

ولكن لما طلبت مقابلة السيدة جيهان السادات استقبلتنى على الفور .. وظلت تستجيب فى الحقيقة لكل طلب من جانبى لمقابلتها .. وفى مرة قبل سفر الرئيس الى كامب ديفيد طلبت منها أن تستحث الرئيس على أن يقابلنى لأتحدث معه فى الموقف السياسى حينذاك ..

وسافرت الى الاسكندرية وأنا موقن مقدما أن طلبى سيرفض كما سبق أن رفضه بعد سحب الكارنيه ..

وبعد يومين من وجودى فى الاسكندرية فوجئت برئيس تليفونات الاسكندرية يتصل بى فى المنزل ويقول لى ان رئاسة الجمهورية قلبت الدنيا رأسا على عقب للبحث عنك وهم لا يعرفون رقم تليفونك هنا .. فاتصلوا بنا .. وكان صعبا أن نعرض عليك لأن الرقم القديم قد تغير ..

ولما سألته عن من الذى يسأل عنى فى رئاسة الجمهورية قال لى انها السيدة حرم الرئيس ..

بعد نصف ساعة اتصل بي الأستاذ أحمد فوزى سكرتير السيدة جيهان وهو شاب مهذب جدا وواسع الاطلاع .. وقال لي أن السيدة جيهان تريدني لأمر عاجل .. ولكن ما دمت في الاسكندرية فهو سيجعلها تكلمني في التليفون صباحا بدلا من عودتي ليلا الى القاهرة ..

في الثامنة بالضبط طلبتني .. وقالت لي ان الرئيس يسلم عليك .. ويقول لك أنه سيقابلك بعد عودته من أمريكا .. ولن يقابلك وحدك بل سيقابل رئيس اليسار كله الأستاذ خالد محيي الدين .. ويتكلم معكم في كل شيء .. بس ادعوا له أن يوفق في مهمته ..

وهو يؤكّد لك أنه خلاص مش زعلان منكم ولا حاجة .. والى فات مات بس سيراكم بعد عودته ..

وتمنيت لها وللرئيس التوفيق وشكرتها فقالت .. شكرا على ايه انتم ناس وطنيين .. وماتزعلوش من الرئيس .. انتم مش عارفين اعباء ومتابعيه قد ايه ! ..

بعد الحديث أخذت أفكر في مغزى هذه الرسالة والاهتمام الذي أبدته السيدة جيهان بالاتصال بي لتوصيل الرسالة ..

ولم يكن صعبا على أن أستنتج أن السادات يحتفظ بخط الرجعة .. فإذا فشل في أمريكا .. فانه سيعود ويتبع سياسة جديدة .. ويصفي مشاكله مع اليسار وغيره ..

وإذا نجح .. فاعلمه الظن أنه لن يفعل شيئا من هذا ..

وبالفعل عندما عاد السادات من رحلته بعد أن وقع اتفاقية كامب ديفيد لم يلتق بأحد من اليسار .. لا الأستاذ خالد محيي الدين .. ولا أنا ولا غيرنا .. مع أنني كنت قد أبلغت الرسالة الى الأستاذ خالد .. والحقيقة أنه أبدى تشككا في جدية السادات في حديثه الطيب ونواياه بالنسبة لليسار !

هذه هي أخطاء السادات الأساسية وهو يبذل جهوده لحل المشكلة الوطنية المصرية والعربية .. ولكن على أي حال ان ذلك لا ينتقص في النهاية من أنه قد حرر سيناء .. ووضع أسسا لحل المشكلة الفلسطينية .. يعود العالم اليها وعلى رأسهم الفلسطينيون بل أقل منها بعد ١٣ عاما ..

ان النواقص الموجودة فى السيادة المصرية على سيناء .. مستزول
وتذبل وتختفى عندما نتوصل الى تسوية شاملة عادلة للنزاع فى الشرق
الأوسط .. فتهب النفوس ويعم الاستقرار وتنتهى عداوات الماضى ..
وتحل الثقة والتعاون محلها ..

وهذا يعتمد ليس فقط على التخطيط والسلوك العربى فقط ..
بل أيضا على السياسة الاسرائيلية ومدى نجاح النضال العربى فى
تشجيع قوى السلام العادل فى اسرائيل على التحرك والحق الهزيمة
باليادات التوسعية العنصرية التى تسيطر على اسرائيل منذ قيامها ..
وتواصل التعنت والتشدد ..

ويومها ستختفى أى نواقص فى السيادة .. والعرب والفلسطينيون
يدخلون مفاوضات مدريد وهم يعلمون أنهم سيقدمون تنازلات .. وأول
تنازل قدمه الفلسطينيون هو الرضى بالحكم الذاتى عدة سنوات قبل بحث
الموضوع برمته من جديد !! ..

خلاصة القول .. ان جمال عبد الناصر .. تسلم مصر وهى محتلة
بالانجليز .. وجاهد حتى حصل على جلائهم منها .. بعد تقديم تنازلات
فى معاهدة ١٩٥٤ .. ثم لما جاءت الفرصة استرد كل تلك التنازلات
واستكمل السيادة المصرية كلها ..

ثم عاد الاحتلال الاجنبى أرض مصر فى حرب ١٩٦٧ فى عهد
جمال عبد الناصر .. وتسلم السادات مصر وجزء من أرضها محتل ..
فاستطاع أن يستردها متحررة من كل محتل اسرائيلى .. وهذا فى حد ذاته
يجعل السادات يحتل مكانة بطل من أبطال تحرير مصر على طول تاريخها
فى مواجهة الغزاة الأجانب .. والذين يحملون على السادات أو لا يدركون
قيمة النصر الذى حققه عندهم أن يطرحوا على أنفسهم السؤال التالى :

هل كان ممكنا أن تتجه مصر الى مناقشة مشاكلها الداخلية وحل
تناقضاتها لو كان العدو المحتل مازال جاثما على صدرها ؟ .. ان اتفاقية
السلام مع اسرائيل قد فتحت الباب على مصراعيه كى تهتم مصر بشئونها
الداخلية بتركيز أساسى ؟ ..

وسؤال ثان ..

اننا لم نشهد حملة على جمال عبد الناصر الذى تسبب بأخطائه
السياسية الفادحة فى السقوط فى فخ الهجمة الاسرائيلية الامبريالية
على مصر .. وأيضا فى هزيمته الفادحة الفاضحة التى جعلت مصر لا تستطيع
المقاومة للغزو الاسرائيلى ولو لبضعة أيام .. على الأقل لتهمز مصر هزيمة

مشرفة .. ولولا المساندة السوفيتية .. وتضامن اليسار العالمى مع مصر
لظهرت الهزيمة بشكلها الفاضح الحقيقى اذ اثارت الضجة والدعاية اللتين
قامتا بها تغطية هائلة عن مسئولية نظام عبد الناصر وفساده الذى جعله
يهزم هذه الهزيمة المنكرة . فى ساعات وليس فى أيام . ويبدو عجزه
واضحاً وكذلك فساد النظام من الداخل .. الى الحد الذى لم يستطع أن
يحرك أى مقاومة شعبية ضد الغزو كما يحلو لدعاة الشعبية على غرار
حرب فيتنام أن يقولوا أيام السادات .

نقول اننا اغتفرنا هذا « التطيش » المعتمد لأننا كنا نركز على
الصهيونية والامبريالية المعتديان الاثيمان ..

ولكن بعض الموضوعية تقتضى تقدير الرجل الذى حارب العدو
وانتصر عليه نسبياً .. وحرر الأرض .. واستردها .. حتى لو كانت
هناك نواقص .. فتلك مهمة من بعده .. ومن يدري لو لم يكن قد مات
لربما استأنف فى الوقت المناسب تحركه للتخلص من تلك التنازلات !

على أنه من المناسب أن نختتم هذا الحديث بشهادة من شخصية
بارزة فى أقوى قوة سياسية كانت تناهض سياسة السادات بالنسبة
لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى وهى اليسار المصرى والعربى
عموماً ..

والاستاذ لطفى الخولى شخصية بارزة من شخصيات اليسار ..
وعلى علاقة وثيقة بمنظمة التحرير الفلسطينية حتى أنه قيل ان أبا عمار
طلب من الرئيس حسنى مبارك الموافقة على ضم لطفى الخولى للوفد
الفلسطينى للتفاوض مع اسرائيل فى مدريد !

لكن على أى حال ان لطفى الخولى قد عين فى الوفد المصرى الذى
يرأسه وزير الخارجية المصرى الممتاز عمرو موسى .. بل ان عدداً آخر من
ذوى الميول اليسارية قد عينوا فى ذلك الوفد مثل الدكتور قدرى حفى
عميد كلية الطفولة .. وهو فوق أنه عالم بارز الا أنه قضى فى الاعتقال
أيام جمال عبد الناصر خمس سنوات من عمره .. وهناك الدكتور على الدين
هلال الذى يوصف بأنه خليفة الكاتب اليسارى الكبير أحمد بهاء الدين
أستاذ حمل من الكتاب المستنيرين .. ثم هناك الدكتور المؤرخ الموضوعى
العالمى المزهج د . لبيب بونان ..

ولذلك صرح القول من كان يصيد ان لطفى الخولى يتفاوض
أسحق شامير ؟! وقد حدث اللقاء والتفاوض والحوار فعلاً بينهما .. وبين
الوفدين المصرى والإسرائيلى ! ..

يقول الأستاذ لطفى الخولى فى حديث صحفى هام نشر بمجلة آخر ساعة فى يوم الأربعاء ٢٠ نوفمبر ١٩٩١ عن تقييمه للسياسة الأمريكية فى الوقت الحالى :

« ان أمريكا تنفرد لأول مرة بسلطة القرار العالمى ومن ثم أصبح لأمريكا مصالح بصيغات جديدة ... وتحولت من الوجه القبيح والاعتماد على إسرائيل فى التصدى لآى نظم راديكالية الى محاولة تحسين صورتها وتجميل شكلها بمحاولة الدفاع عن حقوق الانسان والشرعية وحل مشاكلها فى المنطقة نفسها ..

ويستطرد الأستاذ لطفى فيقول :

وبالتالى أصبح هناك ما يسمى بالتحالف العربى الأمريكى الذى لم يكن قائما من قبل بجانب التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الأمريكى القائم ... ولأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى توجد مصلحة أمريكية تتفاوض مع المصلحة الاسرائيلية فى التوسع !!

وهذا كلام لا يحتاج الى تعليق وبصرف النظر عن رأينا فيه ... الا أنه يعنى شيئا واحدا أن أنور السادات لم يكن واحدا أو عميلا أمريكية عندها تصور أنه يمكن تحييد أمريكا ولم يكن مخطئا عندما حاول ذلك باستماتة .. فقد ثبت كما يقول الأستاذ لطفى الخولى أحد قادة اليسار ان ذلك قد حدث أو بدأ يحدث على الأقل !

ارجعوا اذن الى الصفحات التى سودتها أقلام أغلب اليسار المصرى والعربى ضد هذا الاتجاه من جانب أنور السادات ..

ويقول الأستاذ لطفى الخولى أيضا فى حديثه المذكور عن رأيه فى اتفاقية كامب ديفيد التى وصفها بأنها لها سلبياتها ولها ايجابياتها ... ولكنه تحدث عن اصرار السادات على حل مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى بطريق سلمى .. بطريق التفاوض فقط لاغير بقوله بالجرف الواحد ان الفكرة التى انطلق منها السادات والتى تقول ان الخصم العسكرى سواء من الجانب الاسرائيلى أو العربى غير ممكن ولا مجد .. ومن هنا بدأت تتبلور فكرة الهجوم السلام على إسرائيل وليس العسكرى هذه الفكرة ثبت صحتها وهذا بسببها للامانة التاريخية !! ..

اذن أخطأ اليسار .. وأصاب السادات !

ماذا كان يمكن أن يكون عليه الموقف لو اتخذ اليسار بالامس موقف لطفى الخولى اليوم من سياسة أنور السادات لحل الصراع العربى الاسرائيلى ..

وكذلك سائر القوى الوطنية العربية .. حزب البعث السوري ..
والعراقي ومنظمة التحرير من المؤكد أن الحصيلة كانت ستكون أكثر
بكثير .. ولتفادينا سنوات من الترقب والجهد والقلق .. ولتفادي
الشعب الفلسطيني سقوط مئات وآلاف الضحايا علاوة على عذاب
الاحتلال نفسه ..

ومسلك السادات ازاء مفاوضاته مع اسرائيل .. قد جعل بعض
المراقبين السياسيين الغربيين والاسرائيليين يقولون عنه أنه قد خدع
اسرائيل .. بل صدر كتاب في كندا بهذا المعنى ..

لكن دائما هناك حجة يتعلل بها الذين يرون نفسه يقتفون أثر
السادات في سياسته لحل المشكلة مع اسرائيل .. فالفلسطينيون اليوم
يوافقون على الحكم الذاتي .. والسوريون يتفاوضون ويتمنون أن توافق
اسرائيل على ترتيبات في الجولان قريبة من الترتيبات في سيناء ..

والحجة تقول .. وقد سمعتها من بعض أعضاء الوفد الفلسطيني
بالذات في لقاء اتينا في مدريد بمؤتمر السلام .. ان لكل تصرف ظروفه
التاريخية .. ويعتبرون بهذا أن معارضة سياسة السادات ١٩٧٧ كانت
سليمة وصح ١٠٠٪ .. وسياستهم هم اليوم (التي هي في جوهرها
سياسة السادات سليمة وصح ١٠٠٪ أيضا) ...

والحقيقة ان معيار صحة أي سياسة تجاه أي مشكلة هو مدى
تحقيقها للنتائج التي أدت اليها .. مالم يتدخل عامل غير متوقع كوقوع
كارثة طبيعية مثلا .. ولقول طبيعية لأنه لو حدث تدخل بشري أي من
دولة ما مثلا .. لا يعطى عذرا لأن السياسي الماهر يجب أن يتوقع كل
الاحتمالات .. ولذلك ضحك الناس وسخروا ..

عندما قيل تبريرا لهزيمة عام ١٩٦٧ ان الطائرات التي كان متوقعا
أن تأتي من الشرق جاءت من الغرب ..

كما سخر الناس من تبرير السادات لعدم تنفيذ ما وعد به في عام
الحسم بالضباب لأن أي راصد جوي يعرف احتمالات الضباب ويضعها في
حسابه ولم يكن مفاجأة أو كارثة طبيعية ..

مثلا لو أن الصين سمعت كلام الاتجاهات التي دعت أيام الثورة
عام ١٩٤٦ الى غزو فورموزا وتحريرها .. لكان تنفيذ ذلك يعني اصطداما
بالأسطول السابع الأمريكي ودخول الثوار في حرب جديدة طويلة مع
الأمريكيين .. فأجلوا التحرير .. فكانت النتيجة أن الصين أصبحت
دولة عظمى ..

وبالمثل لو رفضت جبهة التحرير في فيتنام العرض الفرنسي بإقامة دولة مستقلة في نصف فيتنام في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ .. لما أمكن وجود قاعدة ساعدت النوار في فيتنام الجنوبية .. مما أدى الى توحيد الشطرين في دولة واحدة ..

ان السياسة التي اتبعها أنور السادات ١٩٧٧ أدت في الحصيلة النهائية رغم أى نواقص الى استرداد مصر لأرضها .. والسياسة التي اتبعها سائر العرب أدت الى بقاء الأرض محتلة حتى يومنا هذا .. وانقسام منظمة التحرير .. وغزو لبنان .. و .. و .. الخ ..

لو كان الجميع تضامنوا .. وتفاوضوا معا .. لكانت الصورة مختلفة .. وبالمثل لو كان العرب قد قبلوا قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لكانت الصورة قد اختلفت .. وأهداف ومستويات النضال العربى كانت ستكون أغنياء أخرى ..

لا بد من الاعتراف بالخطأ للأمانة التاريخية على الأكل ..

السوفيت جابوا لنا السمينة

هكذا كان أنور السادات يقدم الاتحاد السوفيتي الى الشعب المصري بعد توليه السلطة .. وهو يشير بذلك الى العادة في الريف المصري عندما تتبارى أسر الفلاحين في تقديم صينيّات الطعام لاطعام القادمين لتقديم العزاء في حالة وفاة أحد أبناء القرية .. وهي كما ترى صورة نبيلة من صور التضامن في الريف .. يضيفها السادات على الاتحاد السوفيتي باعتباره يقف موقف التضامن والمساندة لمصر في قضاياها المختلفة ..

وأذكر مرة أن السادات في أول اجتماع له بالاعلاميين في قصر عابدين وكان حاضرا الاجتماع على صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف .. أن أشاد السادات بموقف الاتحاد السوفيتي من مصر ومن العرب عموما .. ثم قال بلهجة حاسمة : من يريد منكم مهاجمة الاتحاد السوفيتي فليقص قلمه ! ..

وكان موقف السادات هذا في بداية حكمه .. استمرارا لخط عبد الناصر وتقديره للدور السوفيتي .. هذا التقدير الذي جعله يهرع الى موسكو عندما زادت غارات العمق الاسرائيلي على مصر ليطلب من السوفيت أن يزودوه لا بالصواريخ المضادة للطائرات فقط بل بالرجال الذين يوجهونها .. وكان معنى ذلك انتقال أكثر من خمسة عشر ألف عسكري سوفيتي الى مصر .. يديرون تلك الصواريخ في كل مكان في مصر .. حتى يتم تدريب مثلهم من المصريين .. وذلك لحماية سماء مصر وأرضها ..

وقد تردد السوفيت في الاستجابة للطلب بل ورفضوه أمام جمال عبد الناصر بحجة أنه من سياستهم عدم ارسال قوات سوفيتية

خارج دول حلف وارسو .. فنهض جمال عبد الناصر فى منظر تاريخي
مشهود وهو يزور جاكته وتدمع عيناه قائلا : حسنا أنا سأعود الى مصر ..
لأترك مكاني لرئيس آخر يستطيع أن يتفاهم مع الأمريكين ! ..
لمجذبه بريجنيف من طرف جاكته قائلا فى لهجة تضامن ودية :

— اجلس أيها الرفيق جمال عبد الناصر واغطنا فرصا لاعادة بحث
الموضوع مرة أخرى ! ..

واستأذنه فى اجتماع قصير للمكتب السياسى .. وبعد فترة جاءوه
متهللين قائلين نحن نوافق على طلبك ..

وفى اليوم التالى كانت الكتائب السوفيتية تتدفق على مصر جوا
وبحسرا ..

لكن الحال تبدل .. فلم يكده يمضى عامان على السادات فى السلطة
حتى كان طرد الخبراء السوفيت من مصر .. وتآزم العلاقات .. ثم حرب
١٩٧٣ التى تحسنت العلاقات فيها .. ثم عادت فسات منذ تملصت مصر
من حضور الاتحاد السوفيتى مؤتمر جنيف الذى نص عليه قرار مجلس
الأمن رقم ٢٣٣٨ .. وظلت العلاقات تزداد تدهورا .. وإن كان يبرق من حين
لآخر أمل فى تحسنها من جديد .. حتى ألغى السادات معاهدة الصداقة
مع الاتحاد السوفيتى ..

وانتهى الأمر بأشتعال حريق التناقض بين البلدين حتى قطعت
العلاقات الدبلوماسية بين البلدين من جانب أنور السادات .

ولقد كان السادات دائم الشكوى من طريقة تعامل السوفيت معه ..
كان يشكو مثلا من أنه كلما أرسل رسالة الى القيادة السوفيتية ..
فإنه لايتلقى فى بعض الأحيان ردا فى الوقت المناسب كما يحدث مع
رؤساء الدول عادة .. فإذا ما استعجل الرد قال له السفير السوفيتى ..
إن القيادة السوفيتية فى القرم .. أى فى اجازة .. « يعنى الدنيا واقفة
مع مصر بس .. معايا أنا يعنى وماشيه مع أمريكا وفرنسا .. و .. و .. »
هكذا قال لى السادات مرة أخرى ..

وكان يشكو فى خطبه دائما من أن السوفيت « شكاكين بشكل » ..
كل شيء يأخذوه ويفحصوا فيه أيام « مش يوم والا ثنين » ويقلبوه ذات
اليمن والشمال .. « ويقولوا عن طريق المترجم بتاعهم لازم نشوف جذور
الأشياء !! والكلام بتاعكم ده الى لا بيودى ولا يجيب .. والحقيقة أن
السوفيت كانوا يشكون فى أنور السادات شكاً عظيماً لأسباب سنشرحها
فيما بعد ..

على أن السادات كان يشكو أيضا من الأسلوب البيروقراطي للسوفيت في الوقت الذي بهره فيه سرعة وبساطة التعامل الأمريكي عندما بدأ في اتصاله بهم بواسطة كيسنجر .

روى لي السادات القصة التالية :

وهي تدل على البيروقراطية السوفيتية وأسلوب التعامل الأمريكي .
قال : أنت عارف يا عبد الستار أزاى الأمريكان اتفقوا معايا على أنهم يطهروا قناة السويس من آثار حرب ١٩٧٣ وتفتكر السوفيت عملوا ايه ؟
- كيسنجر وهو معي قلت له والله ياهنرى احنا عاوزين أمريكا تطهر لنا القناة علشان نفتتحها بقى .

- فقال كيسنجر وهو يختار كلماته في حرج شديد : والله ياسيدى الرئيس ده بس حقتضى ان الأسطول الأمريكى بعض سفنه حتيجي القناة لأنه مفيش طريقة لحمل المخلفات الموجودة في البحر الا بواسطة قطع حربية .. فهل تسمح بهذا ؟

- فقلت له : نعم مفيش مانع ! وظهرت الدهشة والفرح على وجه كيسنجر فقال حاضر سنرى . (ويستكمل السادات حديثه) فأتضح أن الطائرة التي يركبها فيها جهاز لاسلكى يحدث البيت الأبيض للرئيس الأمريكى مباشرة .. فتحدث وعاد لي في المساء وقال : الرئيس في الولايات المتحدة الأمريكية وافق ..

- وعلى طول وبسرعة وقال لي : انه بعد يوم كذا سوف تحضر أول سفينة أمريكية لتبدأ العمل .. هكذا بمنتهى السرعة ..

أما بالنسبة للاخوان السوفيت وكانوا قد أخذوا القطاع الجنوبي من القناة ليقوموا بتطهيره فماذا فعلوا ؟

يقول السادات : أحضرت السفير السوفييتى وأعلمته بأن أمريكا وأوروبا سوف تساهم معنا في تطهير القناة وأنه يجب عليكم المشاركة في ذلك (أنا قلت أجيب الروس علشان مايقولوش الأمريكان دخلوا بس) .
- فقال السفير السوفييتى : حاضر سوف أبلغ الحكومة وتركنى وخرج .

فعاد لي بعد ثلاثة أيام قائلا : من فضلك اكتب لنا جواب موجه للحكومة السوفيتية مفاده أنكم تريدون منا المساهمة في تطهير القناة . ثم تتعهدون لنا بدفع التكاليف !

فرد السادات : أنا لا أنا كاتب جواب ولا دافع فلوس : أنا عندى فلوس أدفع لكم ؟ .. مش عايز .. الله الغنى !

فخرج السفير وغاب وبعد كذا يوم عاد لي وقال لي : يا سيادة الرئيس
القيادة السوفيتية في الكرملين وافقت على أن تأتي تظهر ومجانا ولكن
اكتب لنا جواب .. فرفضت .. ولكنهم وافقوا في الآخر !

وقال السادات : أنا أعطيتهم جنوب قناة السويس على أساس أن
دلائل ميج لهم وقعت فيها ففضلت إعطائهم هذا الجانب حتى أن أخرجهم
ياخذهم حتى لا يأخذهم الأمريكان إذا حصلوا عليهم من التطهير !

لكن هل جاء الانهيار أو الذبول في العلاقات المصرية السوفيتية
رغما عن أنف السادات أم هو نتيجة مخطط .. نفذ هو بذلك وبثوذه ..
وهل كانت هناك عوامل ولو من جانب السوفيت ساعدت على تحقيقه لهذا
المخطط ..

من أحاديث كثيرة .. وقد كان موضوع العلاقات المصرية السوفيتية
مثار حديث عدة مرات بينه وبينى .. يتضح لي .. أن هناك عاملين
رئيسيين قد سببا التصدع في العلاقات المصرية السوفيتية .. في البداية
تشككوا قيادة جماعية حتى تملثوا الفراغ الذي تركه جمال عبد الناصر !

أؤكد أن السادات قال لي مرة .. انه غضب غضبا شديدا عندما قال
كوسيجين له وأبقية رجال عبد الناصر عندما جاء يقدم العزاء فيه : لابد أن
تشككوا قيادة جماعية حتى تملثوا الفراغ الذي تركه جمال عبد الناصر !

يقول السادات في بساطة شديدة : رغم أني حقيقى كنت مصدوم
خالص في وفاة المرحوم .. وكلنا كنا حزانى .. وأقول لك ايه .. كنا
تايهين من عشارقين جنعمل ايه بعد عبد الناصر ..
قلت له ..

- زى الشعب كان شاعر باليتم !

قال ..

- تمام .. لكن يا أخى الكلمة بتاعت كوسيجين دى كانت كالخبطة
فوق دماغى .. يعنى أنا مش مالى عينهم والا ايه .. ما أنا الرئيس مؤقت
والا مش مؤقت .. والا كان معنى الكلام ده أنهم يثقلون بناس معينة من
بتوع عبد الناصر وكأنى أنا خارج الدائرة وعاييزهم يشاركوا علشان
ينفذوا الى هم عاوزينه ..

وقد علمتنى كلمات السادات هذه أنه في وسط خضم الأحزان
والصدمات عند النكبات الخاصة بوفاة حاكم ما .. فإن رجاله مهما
تعلقوا به .. فإن التفكير في السلطة والحرص على استمرارها يحتل مكانه
اللائق في أذهانهم حتى لا يفلت الزمام .. فعند وفاة عبد الناصر مثلا

قرروا إخفاء خبر الوفاة فترة من الزمان حتى يمكن اعداد الجيش جيدا
مخافة حدوث هزات .. وكذلك الأمن الداخلى ..

وعندما اغتيل أنور السادات جلس حسنى مبارك أمام التليفون فى
المستشفى يعطى التعليمات حتى يضمن عدم حدوث تطورات انقلابية
أو فوضوية أو ضد الأمن .. وقالت جيهان السادات بعدها أنها قالت له
وهى فى الغرفة التى رقد زوجها فيها مضرجا بدمائه : سيادة الرئيس البلد
عاوزاك الآن .. وأنا حا أخد بالى من كل حاجة (تقصد النقل للمشرحة
و .. الخ)

ورغم أن السوفيت لم يكن لديهم أى شىء فى تاريخ أنور السادات
أثناء حكم جمال عبد الناصر يوحى بأنه سيتخذ مواقف ضدهم أو ضد
سياسة سلفه إذ لم يكن لهم احتكاك سابق به .. اللهم الا عندما زار
السادات على رأس وفد برلمانى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦١ وانتقد
خروشوف سياسة مصر المعادية للشيوعية مع أنها تعلن أنها تأخذ
بالاشتراكية سبيلا لبناء اقتصادها .. ولكن حتى فى هذه الزيارة
لم يتصرف السادات تصرفا « يعكر » صفو السوفيت إذ أنه لم يرد على كلام
خروشوف .. وعاد الى مصر حيث رد عليه عبد الناصر فى رسالة نشرتها
جريدة الأهرام - الا أن الذى أثار شكوك السوفيت ضد السادات بعد ذلك
هم رجال عبد الناصر الذين جاءوا به فى البداية متصورين أنه سيكون
مُنْفِذا لأغيب اتجاهاتهم هم .. عندما رأوه يدلى بتصريحات ضد الحراسة
وعن الشرعية الدستورية وسيادة القانون .. ويفتح الباب لنشاط
الجماعات الاسلامية .. ثم يمد فترة وقف حرب الاستنزاف ..

على الفور بدوا يهاجمونه لدى السوفيت ويحذرون منه .. ويصورون
الأمر وكأنه يمثل هجمة اليمين على ثورية نظام عبد الناصر اليسارى والأهم
الصدى للاتحاد السوفيتى ..

والمرء يدهش حقا .. عندما يرى بعض رجال عبد الناصر هؤلاء
يعتمدون اعتمادا كاملا على السوفيت ويستعدونهم على رئيس جمهورية
مصر .. كما ظهر فى الأحاديث والحوارات التى نشرتها جريدة الأهرام فى
عهد رئاسة الأستاذ حسنين هيكل وما سجل فى المحكمة التى حاكمتهم
والكتب التى صدرت .. ويتساءل كيف أن هؤلاء الرجال كانوا ضد
الشيوعيين ولم يعذب وينكل بالشيوعيين فى عهد كما نكل بهم فى عهدهم
.. ما سر توثق علاقتهم واعتمادهم هذا على السوفيت ؟ .. الاجابة كى
يبقوا فى الحكم فقط. فيما يبدو .. بل ان المرء يشك كثيرا الآن أن عدائهم
لرأسمالية والنمو الرأسمالى الكبير .. كان فقط لأن ذلك يهدد سيطرتهم

هم على الحكم ٠٠ اذ هم كانوا يعيشون فى مستوى الأباطرة ٠٠ وان كانوا لم يسرقوا ولم ينهبوا فى الحقيقة ٠٠ وبمجرد ترك الواحد منهم الحكم كان يتعيش على معاشه ٠٠ أو ما سبق أن امتلكه أو على أى اعانات خارجية ومنها اعانات من كرم حاتمى لبعض المسئولين فى بعض دول الخليج .

ولم يتفهم السوفيت اطلاقا أيامها دعوى السادات للديمقراطية ففأخذ الشئ لا يعطيه اذ السوفيت أنفسهم ليست لديهم ديمقراطية ٠٠ بل كانوا يعتبرون الديمقراطية رجس من عمل الشيطان ٠٠ لا شئ الا لتمكين الرأسمالية من رقاب عباد الله ٠٠ لذلك كانوا يرون أن دعوة السادات للديمقراطية هى طريقه الى إعادة مصر الى الطريق الرأسمالى ٠٠ وكانوا يرون أن مثل تلك العودة ستؤدى بالضرورة الى عودة العلاقات الطيبة مع أمريكا ثم النفوذ الأمريكى ٠٠ لذلك بدءوا يتوجسون ريبة ٠٠ ويعلنون تخوفهم ٠٠

انقلاب السودان

ولكن السبب الثانى فى تصدع العلاقات بل هو السبب الرئيسى فى تصدعها فى رأينا ٠٠ هو موقف السادات من انقلاب السودان ا

فى سنة ١٩٧١ فى يوليو كنت فى برلين الشرقية وجاءنى زميلى الأستاذ بهيج نصار الذى كان يعمل فى مجلس السلام العالمى بفنلندا وقال لى : حصل انقلاب يسارى فى السودان واستولوا على الحكم فى خمس دقائق ومستقرين فقلت له : قالوا ايه فى بيانهم الاول عن مصر ؟ قال : لم يقولوا شيئاً سوى أن مصر شقيقة وعلاقتنا بها جيدة فقط فلطمت على وجهى وقلت له : يبقى الانقلاب ده حيقع ٠٠

قال : لماذا ؟؟

قلت له : حد يعمل انقلاب فى السودان ولا يشيد بمصر ويؤكد حرصه على العلاقات مع مصر وعلى التعاون والاتحاد والتنسيق معها ؟؟

وبدا لى الأمر أن أصحاب الانقلاب جماعة شيوعيون يبدو أنهم سيتخذون موقفاً سياسياً متطرفاً من أنور السادات وضد نظام مصر الحالى .

— ولم تمر ثلاثة أو أربعة أيام الا وعلمت بأسقاط النظام فى السودان وكان وجودى فى أوروبا يتيح لى فرصة أكبر لمعرفة كيف تمت عملية تحطيم الانقلاب .

— ومن الأشياء التى أوردتها الجرائد فى الخارج أن الدميرى عندما استحدث طريقته فى اعدام قادة الانقلاب جمع هؤلاء القادة وظل يتشفى

فيهم ويقول لهم (أنا مش أرسلتك للعلاج ؟ ألم أخدمك فى ذلك ؟؟ ٠٠
٠٠٠ الخ .

وكان هناك قرار من المحكمة بإعدام الشفيح رئيس اتحاد العمال
فروت الصحف الأجنبية أن السفير السوفييتى أراد مقابلة الرئيس السادات
ففهم السادات الهدف من الزيارة فكلم النميرى بسرعة تليفونيا يقول له
خلص أمورك مع الشفيح قبل أن يحدثنى بأمره السفير السوفييتى (
وبالفعل حدث ذلك اذ أعدم النميرى تلك الشخصية الدولية على الفور .

ففهم الاتحاد السوفييتى أنه خدع بسياسة أنور السادات وأنه لم
يصدق القول .

ولنرجع الى أحداث الانقلاب لنرى دور مصر فيه ٠٠ فنحن نعرف أن
النميرى استولى على الحكم فى السودان فى مايو سنة ١٩٦٩ بمساعدة
مجموعة من الضباط تضم الاتجاهات الوطنية المختلفة ومنها الضباط
الشيوعيون .

لكن جعفر النميرى انفرد بالسلطان وتخلص من كل الضباط سواء
شيوعيين أو غير شيوعيين وأقام ديكتاتورية عسكرية متخلفة داخل السودان
وفى شهر يوليو سنة ١٩٧١ قامت مجموعة ضباط من الذين طردهم
بالانقلاب واستولوا على الحكم بسرعة مذهلة فى أحد أيام رمضان وتم القبض
على النميرى ووضعوه فى السجن ٠٠ ولكنهم كانوا سنجا ومعتنقين كلاما
نظريا وأعلنوا فى خطابهم عن هويتهم ولم يقوموا بمناورة للتعمية عن تلك
الهوية ولم يعلنوا الأحكام العرفية اعتمادا على الجماهير وعلى المظاهرات التى
شارك فيها طبعاً أنصار المهدي والاخوان المسلمين أى خصوم اليسار .
وقرروا ألا يعدموا أحدا ولم يقبضوا على كل أعوان النميرى وأعلنوا قراراتهم
فى بيان عادى ولم يتجهوا الى مصر وقالوا اننا نحافظ على العلاقات مع
الشقيقة مصر فقط (وتجاهلوا موثيق الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا ٠٠

ووضعوا برنامجا معلنا لهم يساريا يثير استفزاز ومخاوف البرجوازية
العربية كلها وليس السودانية فقط ا فى الوقت الذى كانت هناك علاقات
وثيقة بين نظام النميرى ومصر .

علاوة على أن النظام الجديد لم يشعر بقوة الجيران ومدى امكانياتهم
فى ضرب الانقلاب وبأن لهم أعوانا داخل السودان ولم يدركوا أن النظامين
المجاورين لنظام النميرى نظامان معاديان تماما لليसार وهما نظام أنور
السادات ونظام القذافي بالذات .

فالقذافي أيامها كان متخلفا ورجعيا جدا وكانت كل مهمته توجيه
الشتائم للاتحاد السوفييتى والشيوعية .

— ماذا كان دور مصر وليبيا في هذا الانقلاب ؟؟؟ .

كان زعيم الانقلاب المرحوم بابكر النور وكان ضابط جيش يسارى وكان يعالج فى لندن وكان معه زميل وطنى يدعى فاروق حمد الله . . أما من قام بالانقلاب فهو ضابط شجاع اسمه (هاشم العطا) وأعلن أن (زعيم الانقلاب فى لندن) . . وهذا كان خطأ منه وقال أن الزعيم سيأتى الى الخرطوم مساء يوم الجمعة المقبل . . بعد ثلاثة أيام مستقلا طائرة كذا الساعة كذا على الخطوط الجوية البريطانية التى ستقلع من لندن وطبعا هذا أسلوب ساذج وكأننا لا يوجد متآمرون فى العالم !

وكان هدف القذافى والسادات احباط هذا الانقلاب الشيوعى . . فقام السادات والقذافى بالاتفاق مع وزير سودانى بيوغوسلافيا يدعى (منصور خالد) ونظموا مؤامرة ضخمة جدا وشاركت فيها المخابرات البريطانية وتيتو وجزيرة مالطة أنجحتها سداجة الزعماء السودانين القادمين من لندن الذين ذهبوا الى مطار هثرو ليركبوا طائرة ركاب بريطانية عادية والحكومة الانجليزية فتحت لهم باب كبار الزوار وألف صحفى أحاط بهم . . وركبوا الطائرة وعند مرورها بليبيا هبطت الطائرة فى ليبيا وقال الطيار القائد للطائرة أن هناك طائرات تهدده بالنزول فى ليبيا وهبط فى المطار والقذافى بكل بساطة تسلم بابكر النور وفاروق حمد الله وسلمهم فى رعونة وغدر للسودان ليذهبهم النمرى . أما أنور السادات بدوره فقد أرسل للسودان ابر دبابات وطلبة الحربية المصرية الذين كانوا معسكرين فى السودان .

وفى نفس الوقت كى يخدع السادات الانقلابيين بعث اليهم باثنين من العناصر اليسارية المعروفين لقادة الحزب الشيوعى السودانى وهما الأستاذان أحمد فؤاد رئيس بنك مصر حينذاك وأحمد حمروش رئيس تحرير روز اليوسف وقتها . . وذلك كى يطلبوا من رجال الانقلاب عدم اعدام جعفر نميرى . . وأكد لهم هاشم العطا أنهم لم يفكروا فى اعدامه . . وأن غاية ما سيحدث هو أنه سيقدم للمحاكمة باعتباره دكتاتورا . .

والطريف أن زوجة جعفر نميرى كانت هناك فى لقاء مع هاشم العطا . . لتطمئن على زوجها . . ورئيس الانقلاب يطمنها ويطيب خاطرهما . . بينما سفك زوجها فيما بعد دم العطا وكل زملائه فى تلند وحشى ! ودفع النمرى الثمن فادحا بعد ذلك اذ من يومها تصدعت مكانته فى العالم العربى ، بل فى العالم كله كما عود الشعب السودانى على عمليات التصفية البدنية للخصوم السياسيين وتعذيبهم كما هو حاصل اليوم فى عهد ما يسمى بالجهة الاسلامية بقيادة انقلاب البشير .

طبعاً ٠٠ وتجولوا فى الشوارع مع عدد من الضباط والجنود من أنصار
نميرى ٠٠

وتحطمت معنوية الانقلابيين وأنصارهم عندما قبض القذافى على
زعمائهم باجبار الطائرة على الهبوط ٠٠ وفشل الانقلاب وعاد نميرى الى
السلطة ٠٠

وأجرى مجزرتة الشهيرة لقادة الانقلاب بعد محاكمة سرية ٠٠ رغم
أنه بدأها علنية ٠٠ ومن بين الذين أعدمهم رئيس اتحاد عمال السودان
الشفيع وزئب رئيس اتحاد العمال العالمى كما ذكرنا من قبل ٠٠ الذى
طالما أيد الشعوب العربية ونضالها ومن بينها السودان ٠

ولسخرية القدر اتضح أن الشفيع كان يعارض فى اللجنة المركزية
للحزب الشيوعى تأييد الانقلاب العسكرى ٠

وقد خدع السادات السوفييت عندما قام انقلاب السودان ٠٠ إذ
اقترحوا عليه أن يعترف به فور قيامه فرد قائلاً أنه لا يستطيع أن يعترف
به ٠٠ نحن ننتظر ونرى ٠٠ فطلبوا منه عدم التدخل فوعدهم بذلك ٠٠
ولكنه فى الحقيقة كما رأينا تدخل ٠٠

ورغم أن دور السادات لم يكن ظاهراً فى حينها ٠٠ إلا أنه كشفه
بعد أيام عندما قال فى إحدى خطبه : وأثبتنا أن لنا فى السودان أنياباً
حاددة ! ٠٠

وكان واضحاً أنها رسالة موجهة منه للسوفييت ٠٠ حتى لا يفكروا مرة
أخرى فى إقامة نظام موال لهم على حدود مصر ٠٠

وعندما جاء القادة السوفييت الكبار الى مصر ومنهم بونا ماريف
المرشح لعضوية المكتب السوفييتى ٠٠ أبدوا غضبهم (فى شكل دبلوماسى
مهذب) للسادات على تدخله فى السودان ٠٠

وقال لى السادات مرة أنه قال لبونا ماريف بمجرد أن جلس إليه ٠٠
أنا رجل صريح ٠٠ وأريد أن أقول لكم اذا كنتم تتصورون أنه ممكن أن
يقوم نظام شيوعى فى بلد عربى فهذا وهم ٠٠ هذه المنطقة فيها الدين
الاسلامى ويتعارض مع الشيوعية ٠٠ ومن الأفضل أن تقيموا سياستكم
على هذا الأساس ٠٠

وكرر : لا أحد سيسمح بإقامة نظام شيوعى فى بلد عربى أبداً ٠٠
وقال لى السادات ضاحكاً ٠٠ انه واضح أن بونا ماريف (اتأخذ)
من الكلام ده ٠٠ هو جاي يتكلم فى الموضوع علشان يقول يصح وما يصحش
٠٠ لاقانى قابلته على طول بالمقيد والمختصر معاً ! ٠٠

ركب طلبة الكلية الحربية المصرية الدبابات بعد أن زودوها بالابز
التي أرسلت لهم على نفس الطائرة التي أقلت مبعوثي أنور السادات خلسة

انهارت الثقة تماما فى أنور السادات من جانب السوفييت ٠٠
وأيقنوا تماما بحكم ادراكهم أن الغرب قد شارك فى اسقاط الانقلاب
اليسارى ٠٠ وأنه صاحب المصلحة الأولى فى ذلك الاسقاط ٠٠ فان
السادات كان حليف الغرب فى العملية كلها ٠٠ أى تربطه مصالح به ٠٠
وان أدى هذا الحلف الى افقاد السوفييت موقعا لهم فيه نفوذ ومكانة ٠٠
فما لا شك فيه أن السودان لو كان قد قىض للانقلاب أن ينجح كان
سيكون منطقة « نفوذ » سوفيتية لا فى أفريقيا فقط بل فى العالم العربى
كله ٠٠ وسيتأثر الوضع فى ليبيا ٠٠ وفى مصر ٠٠

والواقع أنه لو كان عبد الناصر نفسه فى الحكم لسلك سلوكا ربما
بطريقة مخالفة لافشال تحول السودان الى الشيوعية أيضا ٠٠ ونحن نذكر
جيذا موقف عبد الناصر ضد التطورات اليسارية فى العراق بعد أن
قامت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ هناك ٠٠ وتدعم مركز الحزب الشيوعى
العراقى ٠٠ وقامر السوفييت على تأييد ثورة العراق وتصوروا أنها ستكون
الركيزة الثورية لنشر الشيوعية فى العالم العربى ومركزا « للنفوذ »
السوفييتى فى مواجهة الاستعمار الأمريكى فى المنطقة ٠٠

فقد شجع عبد الناصر البعثيين ليقضوا على الشيوعيين وعبد الكريم
قاسم وحملت الطائرات المصرية مدافع بور سعيد الرشاشة لتحصد أرواح
الحصوم فى شوارع بغداد ٠٠

السياسة اذن قديمة ٠٠ عبد الناصر ٠٠ فالسادات ٠٠ فما يحكم
سير الأمور هو المصلحة ٠٠ ولقد أثر انقلاب السودان وموقف مصر منه
فى الفكر الشيوعى العالمى نفسه تجاه البلاد المستقلة ٠٠ لا مجال هنا
لذكره لكن من يومها تعامل السوفييت بحرص وبغير سخاء معها ٠٠
انعكس عدم الثقة السوفيتى هذا فى أمرين :

أولا : اصرار السوفيت على عقد معاهدة بينهم وبين مصر ٠٠

وثانيا : فى عمليات توريد الأسلحة لمصر ٠٠ وان كان هناك عامل
آخر ساعد فى تلكؤ السوفييت أحيانا فى توريد الأسلحة فقد سيطرت
عليهم فكرة أن اعطاء مصر أسلحة تساعد على الهجوم سوف يسمح
بقيام حرب عالمية ثالثة محتملة وهم سيتورطون فى ذلك لأنهم لم تكن
لديهم أية ثقة فى الجيش المصرى أنه من الممكن أن ينتصر فى حرب بعد
تجربة سنة ١٩٥٦ وبعد تجربة سنة ١٩٦٧ ٠٠ والهزيمة فيها حيث
كتبت أيامها صحيفة البرافدا السوفيتية ان الهزيمة حدثت لسيطرة
البرجوازية العسكرية المصرية على الجيش المصرى) ٠

وكانوا يرون أن الوضع ظل على ما هو عليه ولم يحدث أى تغيير لا فى الجيش المصرى ولا فى المجتمع ثم جاءت أخبار التناقض بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر وما ورد من فضائح عن الحرب كشفت عنها حرب سنة ١٩٦٧ وعدم قيام كبار الضباط بمسئوليتهم تجاه تلك الحرب ومحاكمة المشير والانتحار وغيرها من الفضائح فى هذه الفترة .

ومن هنا كانوا يخشون حدوث حرب عالمية ثالثة لتوقعهم أن أى حرب سوف تدخلها مصر فسوف تهزم فيها وهذه نقطة حرجية قد تضطرهم الى الاشتباك فى صدام أو مناورات مع الولايات المتحدة وهذا بالفعل ما كاد يحدث فى سنة ١٩٥٦ عند الانذار البريطانى وأيضاً فى سنة ١٩٦٧ عندما قالوا للأمريكان (أوقفوهم والا أوقفناهم نحن عند الشاطئ الشرقى لقناة السويس) ويقصدون بذلك اسرائيل .

لذلك كانوا يرفضون اعطاء الأسلحة لنا أو هذه كانت وجهة نظرهم . وطبعاً أثبتت الأيام أن وجهة النظر هذه خاطئة لأن الجيش المصرى استطاع أن يضرب اسرائيل فى المعركة . لكن حدث ما تخوفه الروس وهو أننا بعد الثغرة حدثت لدينا فوضى فى الجيش المصرى ولاحت بوادر غير مطمئنة واستغاث السادات بكل من أمريكا والاتجاه السوفيتى .

ويجب ونحن نناقش موقف الاتحاد السوفيتى من قضايا مصر ومن قضايا التحرر عموماً أن ندرك أن الخطر الأهم والرئيسى الذى ينظر اليه الاتحاد السوفيتى هو الصدام بينه وبين الولايات المتحدة . هذه كانت هى القضية الرئيسية ومحور السياسة السوفيتية منذ الحرب العالمية الثالثة . التركيز على ألا يحدث صدام مسلح بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية . حتى تلاشى كل شئ حالياً ولم تعد هناك مساعدات لآى حركة تحرر . ولا خوف من حرب مع الولايات المتحدة بل تبعية اختيارية لها !

ولقد شرحنا من قبل نظرية أنور السادات فى كيفية التوصل الى تحرير البلاد بعد حرب أكتوبر من خلال كسب الولايات المتحدة الى نوع من الحياد بين العرب واسرائيل . فذلك « التحييد » فى حد ذاته يؤدي الى مساعدتها للعرب .

وأدرك أن واحدة من الوسائل التى عليه استخدامها للتوصل الى هذا الهدف . هو تقليص علاقته مع الاتحاد السوفيتى . ليس هذا فحسب بل تقليصها مع العالم العربى كله . ولذا بدأ بعد نهاية حرب أكتوبر أن الاتحاد السوفيتى كما لو كان قد جوزى بجزء سنمار حسب المثل العربى الشهير . اذ بدأت حملة اعلامية ترهب بالولايات المتحدة

التي ساندت اسرائيل وكانت السبب في حدوث الثغرة ٠٠ بينما الاتحاد السوفيتي الذي وقف الى جانبنا ٠٠ بدأت حملة منظمة من الهجوم عليه والتشكيك في جدوى مساعدته لنا ! وهذا طبعا كان له مردود سوفيتي عنيف ذكرهم بالاهانة التي وجهها آنور السادات للعسكرية السوفيتية عندما أمر بالاستغناء عن الخبراء السوفيت بذلك الشكل المفاجيء والمهين كما قال بحق زميلنا الأستاذ عبد الملك خليل مراسل الأهرام في موسكو والخبير المصري البارز في الشئون السوفيتية .

ورغم أنه بعد عام واحد من طرد الخبراء طلب السادات مساعدات من موسكو ٠٠ ودخل الحرب وقال قولته الشهيرة للسفير السوفيتي : لقد انتصرنا بسلاح سوفيتي ٠٠ وهكذا يجب أن يكون التعاون بيننا) . وتصور البعض أن شهر العسل سيعود من جديد بين مصر والسوفييت ٠٠ ولكن ذلك كان مجرد أضغاث أحلام ٠٠

اذ ساءت الأمور وتدهورت ٠٠ حتى عندما حدثت المبادرة أخطأ السوفييت خطأ فادحا جديدا عندما رفضوا أن يلحقوا بالمؤتمر الدول في مينا هاوس في أوائل عام ١٩٧٨ الذي دعا اليه السادات ٠٠ اذ قاموا على جواد خاسر هو جبهة الرفض التي كان يتزعمها العراق وسوريا حينذاك ٠٠

كان السوفييت يعيشون على أمل أو وهم صوره لهم هؤلاء الرافضون أن هناك قوى شعبية عامة تترصد بأنور السادات وسنخلعه وهذه القوى هي قوى الشعب التي يقودها الناصريون .

وزعموا لهم أن مقتل نظام السادات هو عمل علاقة مع اسرائيل ٠٠ اذ الجمهير المصرية والعربية معبأة ضد مجرد الاعتراف بها ٠٠ اذن لابد ان نظامه هالك وساقط ساقط بعد زيارته للقدس ٠٠ واجرائه المفاوضات .

وكان ذلك قصورا في الفهم السياسي لدى السوفييت ٠٠ وقد أكد لي هيرمان ايلتس السفير الأسبق للولايات المتحدة في مصر وقد قابلته في نيويورك عام ١٩٨٠ أن السفير السوفيتي في القاهرة قال له أيام مؤتمر مينا هاوس أنه أشار على حكومته أن تنضم اليه ولكنهم قالوا له من موسكو أننا متضامنون مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ٠٠

وكان السوفييت يعتبرون أن مؤتمر ميناهاوس للتفاوض مع اسرائيل نقطة في صالح غريمتهم الولايات المتحدة ٠٠ واذا نجحت أمريكا في عقد صلح بين العرب واسرائيل أصبحت المنطقة كلها تحت النفوذ أو صديقة للولايات المتحدة على الأقل ٠٠ فبضيع النفوذ السوفيتي تماما ٠٠ لذلك كانوا يأملون أن المقاومة العربية الممثلة في الدول المعارضة ٠٠ بالاضافة

الى الشعور الشعبى العام سيطيح بكل هذه المحاولات .. والمدخل لذلك
الاطاحة بنظام السادات ..

وناوش السادات كثيرا الاتحاد السوفييتى بعد ذلك وتحرش به ..
وعمد الى الأساليب القديمة بالاتهام بالتجسس لعدد من السوفييت الذين
ما كانوا الا صحفيين يقومون بما يقوم به أى صحفى من جمع التحقيقات
والأخبار عما يجرى ..

وتعود السادات أن يشتم الاتحاد السوفييتى صباح مساء فى خطبه
ويهاجم نظامه الداخلى .. ويربط بينه وبين اليسار فى مصر ..

وكما خسر الاتحاد السوفييتى من جراء تخليه عن أنور السادات
تماما وفقا لتصوراته وتوهماته .. كذلك خسر أنور السادات اذ لم يستطع
أن يجد نصيرا دوليا كبيرا يساعده فى استخلاص حقوق أكثر فى مفاوضاته
مع الاسرائيليين .. أى أنه فقد الورقة الروسية تماما ..

وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادى اذ تلكا السوفييت فى تزويد
مصر بقطع الغيار للمصانع السوفيتية .. وبدءوا يطالبون بديونهم ..
فقال السادات فى نوبة حماس طائش : لن نسدد الديون ..

على أنه من المتناقضات أن السادات خدم السوفييت خدمة جليلة
دون قصد طبعاً عندما أعلن فجأة قبل مصرعه بفترة قصيرة .. أن أمريكا
تورد السلاح للمجاهدين الأفغان عن طريق مصر .. وكانت أمريكا تخفى
ذلك عن العالم .. ووضعها فى حرج مع السوفييت .. وقيل أيامها بعد
إذاعة السادات هذا الأمر قررت أن الولايات المتحدة قررت من لحظتها التخلي
عنه .. وتركته يموت !! ..

السادات والقذافي وجها لوجه ١٩

من علامات الطريق في علاقة أنور السادات بالبلاد
العربية اخترنا علاقته بليبيا فقد كانت فصولها أكثر
ضجيجا واثارة ..

وكننت قريبا جدا منها .. لفترة من الزمان ..

السادات وليبيا

« كان النبأ مثيرا كالقنبلة .. »

ولم يكن سهلا أن يصدق قراء « روز اليوسف » مع أنه مكتوب بخط عريض بارز على غلافها : القذافي يتحدث الى روز اليوسف !

وليس هناك بالطبع ما يثير في أن يتحدث رئيس أية دولة الى أية صحيفة . ولكن الظروف التي ظهر فيها الحديث هي التي جعلته قنبلة !

كانت العلاقات بين مصر وليبيا في قمة التوتر . والسبب المتبادل هو المادة الوحيدة التي تنشرها صحافة كل من البلدين أو تذيعها اذاعته . وتفاقم التوتر الى أن كلا من الصحافتين أصبح ههما « اهانة » رئيس البلد الآخر شخصيا بالاسم . واضطر المشرفون على عقد مؤتمر عدم الانحياز في كولومبو في (أغسطس ١٩٧٦) أن يضعوا خطة محكمة لضمان ألا يلتقي الرئيسان بالصدفة في أي مكان طوال أيام المؤتمر .

وزاد الطين بلة أنه في تلك الأيام غمرت وجه مصر موجة من القنابل - الحقيقية لا الصحفية - في أماكن التجمعات العامة بمحطات السكك الحديدية ومكاتب الحكومة . الخ .

في ظل هذه الظروف كلها . لم يكن شيئا طبيعيا أن تصدر أي صحيفة مصرية وعلى غلافها حديث للرئيس الليبي معمر القذافي !

ثم ان مادة الحديث كانت على تناقض تام مع الجو السائد . فالقذافي كان في حديثه يتبرا من مسئولية موجة القنابل ويتهم بها جهات مصرية . وكان يلقي مسئولية النزاع على عاتق مصر ويتهمها بالتحضير للعدوان على ليبيا . وكان ينفي أي هجوم من جانبه على شخص الرئيس السادات

ويطالبه بالحاح بالموافقة على عقد لقاء بينهما ويعلن مقدما أنه سيرضى حكمه كوالد له .

ولا شك أن نشر شيء كهذا فى الظروف التى سبق شرحها « كان نوعا من السباحة ضد التيار » وكان ينطوى على شيء من التحدى والمغامرة فضلا عما يمكن أن يثير من استفزاز وما يمكن أن يجلب من صراع ..

ولكن الذى حدث أن عدد روز اليوسف نفذ من السوق بعد ساعة من صدوره .. واضطر المسئولون عن التوزيع الى دفع مبالغ كبيرة لاسترداد عدة نسخ من السوق لأرشيف المجلة ا

وأحدث نشر الحديث ضجة فى العالم العربى أيضا .. وأحدث الضجة الأكبر فى ليبيا نفسها .. واشترى مكتب العلاقات الليبى فى القاهرة عدة آلاف من النسخ وأرسلها الى ليبيا .. حيث تبخرت فى دقائق .. فقد كانت أول مرة يرى القارئ الليبى فيها صحيفة مصرية لا تشتم رئيسه وانما تنشر حديثا معه .

كان مجرد النشر هو المفاجأة سواء للقارئ المصرى أو للقارئ الليبى ولكن الحديث كان ينطوى على ما هو أهم .

كان جزء كبير من حديث الرئيس الليبى أشبه برسالة موجهة الى الرئيس المصرى ، وكان معظم ما يقوله يبدأ بتعابير مثل :

قل للرئيس السادات كذا - أطلب من الرئيس السادات كيت ..

وفى بعض الفقرات كان واضحا أن الرئيس الليبى يطلب من محدثه - عبد الستار الطويلة - أن يقابل الرئيس السادات وينقل اليه الكلام حرفيا ويناقشه فيه .. وبالذات فى اقتراح عقد لقاء خاص بينهما .

ولم تستطع « روز اليوسف » أن تقاوم الاحساس بأن الرئيس الليبى يطلب منها القيام بنوع من الوساطة بينه وبين الرئيس السادات لكنها تجنبت أية اشارة الى احساسها هذا عندما نشرت الحديث .. واكتفت بأن تكلف عبد الستار الطويلة بطلب مقابلة الرئيس المصرى .. وتقديم تقرير كامل عن حوار مع القذافى ابراء لذمتها السياسية .. وتمت هذه المقابلة فعلا ..

سافر عبد الستار الطويلة الى أوروبا فى رحلة لم يكن فى برنامجها على الاطلاق زيارة ليبيا .. ولكن السفير الليبى فى بون قلب البرنامج رأسا على عقب وفاجأه ببرقيات من العاصمة الليبية تطلب سفره فورا الى ليبيا لمقابلة الرئيس القذافى ..

وهناك في ليبيا كان الرئيس هو الذى يسأل والطويلة هو الذى يجيب .

وكانت أسئلة الرئيس الليبي تنصب على مسألة واحدة ، ماذا كان رد فعل السادات لحديثه ؟ وماذا كان جوابه على اقتراح اللقاء بينهما . . وهل تستطيع روز اليوسف أن تواصل دورها الوطنى هذا . . أم لا تستطيع ؟

واستمر الحوار على امتداد يومين . .

« وخلال هذين اليومين تطور الحديث الى تكليف صريح بالوساطة وطلب الرئيس الليبي أن يعود اليه عبد الستار الطويلة برد واضح . . ونمنى له النجاح فى مهمته . .

ولم تتردد روز اليوسف هذه المرة فى تكليف الطويلة بطلب مقابلة الرئيس السادات ونقل الرسالة اليه قبل أن تنشر حرفا منها . فالرئيس الليبي لم يقابله هذه المرة ككاتب صحفى وانما كرسول سياسى يجب أن يؤدى الرسالة أولا وبعدها يمكن اعتبارها مادة صحفية صالحة للنشر » .
السطور السابقة كتبها الكاتب الكبير صلاح حافظ رئيس تحرير روز اليوسف الأسبق وكبير المحررين بجريدة العالم اليوم اليومية . .
رأينا أن نستهل بها الحديث عن المسألة الليبية !

البداية

كان بينى وبين العقيد القذافى رصيد ٠٠ وربما كان ذلك قد شكل دافعا خفيا وراء حرصى على السعى الى مقابلته فى كولومبو فى أغسطس عام ١٩٧٦ أثناء عقد مؤتمر علم الانحياز هناك ٠٠ حيث دار بيننا ذلك الحوار الذى تفجر فى العالم العربى بل العالم كله كالقنبلة ٠٠

فالواقع أنه لم يكن ذلك أول حوار دار بين العقيد وبينى ٠٠ فقد سبق ذلك حوار جرى صيف عام ١٩٧٣ فى شهر يوليو بالذات ٠٠ ولهذا الحوار قصة ٠٠

دق جرس التليفون بعد ظهر يوم من أيام ذلك الشهر فى مكتب عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف وقال قائل من قصر القبة أن العقيد القذافى يود الحضور الى مؤسسة روز اليوسف لاجراء حوار مع محرريها ٠٠ فى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم ٠٠ ووافق الشرقاوى على الفور !!

ماذا كانت الصورة فى ذهنى عن العقيد القذافى قبل ذلك اللقاء ؟

انه شاب متحمس ٠٠ يبدو عصيبا متطرفا محدود الخبرة (وفعلا) فى بعض أحكامه وأفكاره ٠٠ ومعاد فى تعصب متخلف للماركسية وللاتحاد السوفيتى ٠٠ وهو ديكتاتور يزج بمعارضيه فى السجون والمعتقلات ولا بأس من تعذيبهم عذابا الينا ١٩

وهو متحمس للوحدة العربية بشكل (دروشة) ويرفع لواء اقامة دولة الاسلام بينما يعذب الاخوان المسلمين الأصحاب الأصليين لهذا الشعار

وهو صاحب ومدير أكبر عملية اختطاف دولية جوية لقادة وطنيين من أبطال الشعب السوداني فاروق حمد الله وأبا بكر النور ٩٩

وكان يلفت نظري فيه أيضا أنه ٠٠ أى العقيد القذافي ٠٠ الذى من حقه أن يختلف وينقد سياسة مصر يعالج الأمر فى عصبية واندفاع شديدين تجعل نقده يضيع فى زحام من الألفاظ الضخمة ٠٠

ويبدو أن حرب أكتوبر قد زادت توترا وعصبية واستمعت أيامها الى تحليل جدير بالتأمل عن هذا التوتر :

يقول التحليل أن أنصار القذافي فى مصر والعالم العربى قد زينوا له أن يكون خليفة لعبد الناصر فى المنطقة ٠٠ ولقد كان القذافي يقاتل لهذه الخلافة من عجز النظام المصرى عن محاربة العدو الاسرائيل ٠

وكلنا يذكر تلك الأيام السوداء البائسة قبل ٦ أكتوبر ٠٠ ولكن ما أن عبر السادات قناة السويس ٠٠ حتى بدأ للعالم قائدا شامخا عملاقا ٠٠ ولم يعد هناك عجز يمكن أن يكون وقودا لزعامة أخرى تعد وتهبى للعالم العربى ٠٠

ومن هنا جاءت عصبية القذافي التى تمثلت فى هجماته العنيفة على سياسة مصر وعلى مسار حرب أكتوبر ٠ كما يقول أصحاب ذلك التحليل ٠

ومثل ذلك « التحليل » قد انتشر فى أرجاء كثيرة فى العالم العربى ولا شك أنه لعب دورا سيئا فى توسيع هوة الخلاف بين مصر وليبيا ٠

وفيما بعد قال لى القذافي عن هذا التحليل كما سيرى القارئ فى الصفحات القادمة أنه « تحليل أمريكى » ٠٠ يهدف الى الايقاع بينه وبين السادات ٠٠

ولم تكن حكاية « النظرية الثالثة » تثير دهشتى فمن حقائق السياسة فى عصرنا الحالى أن الدولة المستقلة حديثا تبحث لها عن طريق مستقل للتطور السياسى والاجتماعى ٠٠ ولم يأت اسم العالم الثالث عبثا ٠٠

ومن هنا ظهرت موائيق وطنية متعددة تحمل اسم نكروما ونيريرى وجمال عبد الناصر ومن قبلهم فى شكل بدائى سوكارنو ٠٠

ولكن العقيد القذافي اشتهر عنه أيضا فى ذلك الوقت أنه يمارس حكما ديكتاتوريا لا علاقة له بالديموقراطية ٠٠

ولا شك أن العقيد القذافي قد تصرف منذ ثورة الفاتح من سبتمبر تصرفات معادية لقوى وطنية عربية مثل الشيوعيين والبعثيين وغيرهم فى السنوات الأولى من حكمه ٠٠ مما زاد فى كم وكيف القوى الساعية لتقسيم

الوحدة الوطنية العربية في وقت كان عبد الناصر قد عمل في سنواته الأخيرة على تدعيم هذه الوحدة .. كما أن حزب البعث العراقي كان قد بدأ بعد ثورة ١٩٦٨ خطوته الأولى على طريق رأب الصدع الوطني في العراق والاتجاه نحو تحقيق الجبهة الوطنية التقدمية هناك .

وقد أثارت سياسة القذافي المشكوك أيامها في نفوس الكثيرين .. ومن هنا استسهل البعض التفسيرات المبسطة كالعادة واتهموه في وطنيته ..

ان الحوار مع القذافي قد كشف لي تماما عن سذاجة تلك التفسيرات السطحية وترسخ في أعماقي اليقين بوطنيته مع وعي وتكشف واسع لأفكاره ومنهجه وتناقضاته الفكرية والسياسية مع التيار الذي انتمى إليه ..

ولم أدهش أبدا بعد ذلك من قراءة أية أخبار عن تصرفات أو تصريحات تبدو غريبة للعقيد وان كنت لم أكف عن انتقاد بعضها ..

بل حتى « المسيرة الوندوية » التي أثارت ضجة كبيرة أيامها لم تثر دهشتي .. وان كنت قد أيقنت من خطرها الداهم كأسلوب اجباري لفرض وحدة اندماجية لا تريدها الجماهير المصرية الآن - وكفرصة لعناصر اليمين والتخريب الخفية لاثارة تخريب وحريق في القاهرة أخطر وأوسع مدى من حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ المشهور تحت شعار تحطيم أوكار الرذيلة في شارع الهرم ..

والواقع أنني أيامها كنت أترقب في قلق وجزع موقف القيادة السياسية المصرية ازاء تلك المحاولة الفجة والارهابية لفرض الوحدة .. وكنت أخشى أن ترهب القيادة من حكاية الوحدة فتفتح الباب للمسيرة فتحدث كارثة تخريبية في البلاد تطيح بالنظام كله ..

وتنفست الصعداء كما تنفس الكثيرون عندما وقفت القيادة المصرية وقفة قوية صلبة وذكية ازاء تلك المحاولة الهوجائية .

وأحسست ان تلك المسيرة وما صاحبها من تنصل للعقيد من المسؤولية عن حدوثها كانت بداية حفر أخدود عميق لا بين القيادتين السياسيتين في مصر وليبيا فحسب بل بداية تشكك قوى سياسية واجتماعية أخرى كانت ترحب بالوحدة بين البلدين ..

ان سياسة أنور السادات كانت تتميز بأنها تعتمد على الوضوح تماما والوضوح لا يتناقض مع العبقرية والبراعة والمناورة والمكر السياسي .. ولقد حدد السادات منذ البداية موقفه من الوحدة مع ليبيا .. انه وافق عليها .. على أن تنفذ على خطوات .. وهو نفس موقف جمال عبد الناصر .

والسادات قد اصطلم بما سمي بمراكز القوى أيامها عندما اعترض السيد على صبرى وزملاؤه فى اللجنة التنفيذية العليا على مثل ذلك الاتجاه للوحدة مع ليبيا ٠٠

وقد كان ذلك مثيرا للدهشة ٠٠ لكن الحقيقة أن السادات كان يريد تقوية مركزه بدعاه كهنه عن الوحدة ٠٠

ولقد تعاون السادات تماما مع العقيد القذافى ٠٠ وفتح له باب مصر على مصراعيه ٠٠ بل وباب بيته ٠٠ وتجاهل كل ما كان يدعو اليه بعض الناصريين علنا من خلافة موروثة للقذافى لمكان عبد الناصر الذى خلا بوفاته ٠٠ وهى دعوة لم نسمع يوما من الأيام نقدا لها من العقيد ان لم يكن استنكارا لها لأنها تشق الصف الوطنى العربى وتمثل كميناً أو فخاً للعلاقات المصرية الليبية ٠

وتجاهل السادات أيضا تحرك بعض القوى التى نسبت نفسها للقذافى ان حقا أو كذبا وحاولت تكتيل نفسها وغيرها من حوله داعية له فى الجامعات وأوساط المثقفين ٠٠ بل وفى الريف فقد كان البعض يسميه - أى القذافى - بعمر بن الخطاب ٠٠

لا شك أن الكثيرين من خصوم الوحدة أو التقارب بين البلدين قد استخدموا هذا كله للوقية بين الاثنين : السادات والقذافى ٠٠

ولكن السادات لم يبال بهذا كله ولم يلتفت اليه ٠ ولكن أسلوب المسيرة وأسلوب العقيد فى مواجهتها قد خلق شرخا فى جدار العلاقة - لأنه لا شك قد بدا للسادات أنه لا يستطيع التعامل بسهولة مع القوائد الشباب لليبيا ٠٠ فما دام الاعتراف بالمسؤولية قد افتقد السبيل الى تحديده ٠٠ فكيف يمكن التعامل على مدى استراتيجى عميق مثل مدى الوحدة بين البلدين ؟

ومع ذلك أوكل أمر انجاز الخطوات نحو الوحدة الى اللجان المحددة ٠٠ ولكن هذه اللجان لم تنجز شيئا - لأن حماس العقيد للوحدة قد فتر بعد اذ لم تعد وحدة اندماجية مباشرة - وبعد أن فشلت المسيرة فى تحقيق هذا الهدف ٠٠

ولم يعد عند مصر بعد ذلك مبرر للتعجل بتلك الوحدة ٠٠ ومما لا شك فيه أن القناعة قد توافرت للرئيس السادات بأن هذه وحدة مشروطة ولها ثمن - بل ان أية خطوة على طريق معاونة مصر فى نضالها من أجل التحرر خطوة مشروطة أيضا ٠٠ بل ولها ثمن ٠٠

وهنا لابد من أن أروى ما حدثتني به شخصية سياسية لعبت دورا هاما بين القيادة السياسية المصرية والعالم العربى ..

عن خبرتها فى التعامل مع القيادات العربية المختلفة ..

قال : كلما ذهبت الى مسئول عربى ممن ينتمون الى ما يسمى بالرجعية العربية وطلبت شيئا من أجل المعركة رجب على الفوز وهش وجهه وبش .. وقدم ما يستطيع قورا .. بينما كلما ذهبت الى مسئول ممن ينتمون الى ما يسمى بالتقدمية .. «وجع دماغى» بالحديث عن المعركة وشروط المعونة وتلكا فى تقديمها .. وقدمها من بين أسنانه !!

وأضافت تلك الشخصية السياسية قائلة بالحرف الواحد :

— الواحد اتلخبط كشاب .. مين التقدمى ومين الرجعى ١٩ وهذه قصة لا تحتاج الى تعليق ..

ويسأل أى مصرى نفسه كم قدمت ليبيا والعراق والجزائر وهى دول بترولية من معونات لمصر وكم قدمت السعودية والكويت والامارات وقطر وعمان .. ١٩

انها قدمت حقا بعض الأشياء .. ولكن أقل مما يلزمه واجب واحساس التقدميين تجاه معارك ضد الامبريالية !

هكذا كان مسار العلاقة بين الثورة الليبية وبين مصر كما رأيته ..

على أن هناك ثلاث مسائل أخرى لها ارتباط بذلك المسار والمتابعة .

المسألة الأولى : إنه أتيج لى من خلال زيارات عديدة للبنان حيث كنت أنشر بعض كتبى هناك .. أن أتابع قراءة ما تنشره الصحف الموالية للعقيد القذافى كما تواضع «الشارع السياسى» على تسميتها .

وكانت لى أحاديث مطولة مع صديقى ورفيق النضال المرحوم الشهيد ابراهيم عامر أحد كبار الصحفيين المصريين والعرب الذى كان يعمل مديرا لتحرير مجلة « بيزوت النساء » ثم جريدة السفير فيما بعد وتوفى شهيدا . لصراعات الرافضين الدموية .. لقد بدا واضحا لى أن العقيد القذافى يفضل بعض الاقلام اليسارية الناصرية أو المتعاطفة مع الماركسية لتجريد تلك الصحف والدفاع عن سياسته لأنها أقدر على الدفاع عنه وتقديمه للرأى العام بصورة ثورية ..

وربما كان ما قاله الراحل عبد السلام جلود ذات مرة فى ندوة اتحاد الطلبة الليبى فى الاسكندرية عام ١٩٧٧ «وكنث حاضرا فيها — ما يفسر

مسلك العقيد القذافي تجاه اليساريين عموما .. وقد تعلم من عبد الناصر فعلا !! ..

قال الرائد جلود في تلك الندوة علنا وهو يهاجم الشيوعية والشيوعيين كالعادة أيامها :

« ان جمال عبد الناصر سأل نفسه : أيهما أفضل هل يحبس الشيوعيين في السجن أم يحبسهم في « الطليعة » حيث يؤذنون في ماطة ؟ ..
والطليعة مجلة ماركسية شهرية كانت تصدر عن دار الأهرام في موازاة الأهرام الاقتصادي اليميني النزعة حينذاك ..

وكنت قد سمعت في بيروت قصة من مصدر سياسي أثق به : ان بعض الناصريين في مصر قالوا للعقيد القذافي : لماذا تحارب الشيوعيين وتحمل عليهم ؟ انه من الممكن استخدامهم من أجل تحقيق أهدافك القومية والوحدية .. اذ لا خطر من الشيوعيين في أى مكان في العالم العربى لسنوات مقبلة طويلة على الأقل فهم لن يصلوا الى السلطة - اذن ماذا يريد الشيوعيون ؟ - انهم مجموعة من المثقفين ذوى الصوت العالى .. أقصى أمنية للواحد منهم أن ينشر كتابا أو يحرر مجلة أو يصدر مجموعة قصص - أو « يهاتى » في ندوة ومؤتمر .. الخ !! »

لماذا لا تعطيه هذه الفرصة فتستوعبهم وتستفيد بأفكارهم وطاقتهم ونشاطهم وهم قنوعون جدا ومخلصون جدا فيما يقتنعون بتنفيذه ! واذا خالفوك فسيعلنوا ذلك للخلاف !

وفيما يبدو أنه للعقيد القذافي قد أخذ بهذه النصيحة ولكن خارج بلاده اذ لم يسمح قط وما زال لاي آراء معارضة تنشر على الإطلاق لا يمين ولا يسار !!

المسألة الثانية : هي قصة عن زميلي الأستاذ محمود السعدني أحد رؤساء تحرير مجلة صباح الخير السابقين والذي حكم عليه بالسجن في قضية مراكز القوى عام ١٩٧١ لعلاقته الوثيقة ببعض أقطابها ..

فجأة بدأت إذاعة ليبيا (التي سمعتها بعض الصحف بإذاعة منتصف الليل) تهاجم سياسة مصر وقادتها والرئيس السادات شخصيا .. وانحدرت في أسلوب الهجوم حتى وصفت الرئيس (بخديوى مصر) واستخدمت عبارات لاذعة وساخرة جعلت الكثيرين يتصورون أن الأستاذ محمود السعدني هو الذى يقف وراء تلك الحملة ويعد موادها .. بل واكدت أجهزة عديدة ذلك التصور ..

وكانت السلطات المصرية قد سمحت لمحمود بمغادرة مصر بعد أن أفرج عنه ٠٠ بل كان السادات كريما إلى حد كبير ٠٠ إذ وافق عثمان أحمد عثمان على الحاقه بعمل بأجر كبير في شركته ٠٠ بل إن السادات قد وافق على موقف عثمان الشهم بصرف اعانة كبيرة لأسرة محمود وهو في السجن ٠٠ ولكن محمود كان يريد العودة للصحافة ٠٠

وكان مثيرا للدهشة طبعاً أن يعتمد محمود إلى هذا السلوك إلى أن حدث وأنا في لندن عام ١٩٧٥ أن جاءني محمود في الفندق الذي كنت أقيم فيه ٠٠ وسألني عما يشاع عنه وذكرت له حكاية اتهمه بأنه وراء حملة « خديوى مصر » ٠٠

فأبدي دهشته وقال بلهجته الساخرة : اذن ليس لديكم حكومة في مصر ما دمت لم تتوصلوا إلى الفاعل الحقيقي في تلك الادعاءات ؟

ونفى السعدني مسئوليته عنها تماما - ولكنه حكم لي قصة لقائه مرتين بالعقيد القذافي في ليبيا وانطباعاته عن الرجل وهذا ساعدني في رسم صورة أوضح عن الثورة الليبية والتهورات الداخلية فيها ومن يحاولون استغلال تلك الثورة واثارة الوقيعة بينها وبين مصر وتعميق تلك الوقيعة .

المسألة الثالثة : هي حضور الرائد عمر المحيثي أحد صانعي ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا وأحد قادتها لفترة طويلة من الزمان حين تناقض مع قائدها القذافي مما اضطره للهروب إلى تونس ثم إلى مصر ٠٠

وكتب أتابع ما يكتبه المحيثي في الصحف المصرية ضد القذافي وأهز كتفى في أسى ٠٠ إذ يستطيع بعض هؤلاء الشبان الوطنيين المتحمسين في العالم الثالث أن يقوموا بثورات تدك عروشاً وتطرد استعماراً عاتياً ثم في النهاية تعاركون مع بعضهم البعض ولا يستطيعون حتى اختيار أسلوب حضارى للفرار فيهاجم بعضهم بعضاً بأشد ما يهاجمون عدوهم وربما عمدوا إلى التصفية الجسدية ٠٠ أو يستسلمون لأفكار متخلفة عن طرق التقدم والتطور لبلادهم فتكون النتيجة أنهم استبدلوا استغلالاً باستغلال وطنى ٠٠٠ الخ .

لقد لفت نظري وصف المحيثي للقذافي بأنه 'خائن' : ثم تماديه في رواية حكائية سينمائية عن أن القذافي لقيط لأم أو خال يهودى في إسرائيل لا أذكر جيداً ٠٠

مسألة أبعد أن تكون مسئولية العقيد القذافي لو صحت ٠٠ ولا تشينه قط ٠٠ « فويل براندت » أعظم مستشار في تاريخ ألمانيا الغربية كان لقيطاً وأعلن هو ذلك عدة مرات !!

وبالمناسبة لم تمض سنوات حتى أبرم القذافي وحدة مع المغرب
خصيصا كي يصل الى تصفية عمر المحيشى بدنيا .. وهذا هو العالم الثالث
البدوى والقبلى ا

علقت صحف العالم بعد نشر الحديث مع القذافي مثل الصحيفة
النمساوية التى تساءلت هل يعنى نشر ذلك الحديث وجود وساطة بين مصر
وليبييا ؟

لقب نشر ملخص الحديث فى النيويورك تايمز والدبلى تلغراف
والجارديان والمونيه وفرانس سوار والفيجارو والهيرالد تريبيون .. ودى فليت
.. وغيرهما ..

وأذاعت مقتطفات منه كل إذاعات العالم ..

لماذا هذا الاهتمام ؟

ان مصر قلب للعالم العربى .. وليبيا واحدة من دول البترول فى
المنطقة العربية .. وقد أنهكت الحروب مصر وفقا للمخطط الاستعمارى
الصهيونى ..

استطاع ذلك المخطط أن يجعل مصر والعالم العربى من عام ١٩٦٧
فى حالة دفاع عن النفس .. وليس فى حالة هجوم على المصالح الاستعمارية
فى المنطقة لاستئصال شأفتها واستكمال تحرير المنطقة ..

ان الوحدة بين مصر وليبيا .. تعنى خطرا على ذلك المخطط وضربة
قوية له .. لماذا ؟

لأنه أموال ليبيا بالإضافة الى أموال مصر وقدراتها البشرية قادرة على
تطوير تلك الدولة الجديدة اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا بحيث تكون
المسيطر الأول على « بحيرة » البحر الأبيض المتوسط ..

والعمق الاستراتيجى فى ليبيا يعطى مصر فرصة عظيمة فى نضالها
العسكرى - ان احتاج الأمر - ضد اسرائيل لاستكمال انتزاع الأرض المحتلة
أو لو قامت بعدوان ضد مصر ..

وسيكون الأمر كارثة أفدح على المخطط الاستعمارى لو أن تلك الوحدة
أو التضامن الوثيق شمل السودان أيضا ..

والناظر الى خريطة تجمع بين مصر وليبيا والسودان سيجد البلدان
الثلاثة تشكل إفريقيا صغرى .. ماذا اذا ما تجمعت موارد السودان
الطبيعية ومزارعه الشاسعة ومياهه الغزيرة مع امكانيات ليبيا ومصر

لأصبحت الدولة الجديدة أو الاتحاد الجديد - سمه كما تشاء - قوة عظمى
فى القارة الافريقية وفى العالم الثالث بل فى العالم كله ؟ ..

ومن هنا فان هناك اهتماما كبيرا جدا من الغرب بتطورات العلاقة بين
مصر وليبيا ..

وليس بخاف أن الغرب يهمة ألا يحدث تقارب بين البلدين اطلاقا ..
وهذه هى الأسباب الجوهرية وما عداها أسباب فرعية ..

ان المخططين والمنظرين والمفكرين و (مجموعات العمل) فى الدول
الكبرى تنظر الى عشرات السنين القادمة وتحاول استكشاف خريطة العالم
مقديما .. بل وتحديد شكل تلك الخريطة بالتدخل المباشر وغير المباشر ..

اللقاء الثانى مع القذافى :

سافرت الى بوق وهناك كان من الطبيعى أن يدور الحديث بين حمدى
عزام المستشار الصحفى أيامها هناك وبينى حول حديث القذافى .. ودار
نفس الحوار مع السفير المصرى محمد إبراهيم كامل وقتذاك ..

ولفت نظرى أن الاثنين غارقان فى هموم المشاكل العربية وخاصة
الصراع المصرى الليبى بطريقة أثارت دهشتى ..

ولما سألتها عن تفسير لهذا (المد العربى) فى سفارتنا فى بون ذكرنا
أن ذلك مد يشمل كل السفراء العرب هنا .. خصوصا أن السفير الليبى
متحمس جدا لقضية التقارب المصرى الليبى وقد تحمس جدا لحديث
رون اليوسف ..

وسألت : من السفير الليبى فى بون ؟

قال : حميدى عزام ..

مفتاح الشريف ..

وقفيت من مقعدى صائحا : مفتاح ؟ ..

كنت أعرفه معرفة وثيقة وترك فى نفسى أثرا عنيقا .. تزيجته هذه
الصيحة المتلهفة ..

لقد التقيت مع مفتاح الشريف مساء ذات يوم فى قاعة بلدية بولونيا
حيث كانوا يعدون لعقد مؤتمر السلام والعدل فى الشرق الأوسط صيف
عام ١٩٧٢ ..

اول مؤتمر دولى التقى فيه عرب واسرائيليون لأول مرة لكن على

مستوى شعبي وكان هناك وفد من الاتحاد الاشتراكي ووفد يساري بزعامة
خالد محيي الدين ..

وتعرفت به لأول مرة .. وشاءت ظروف المؤتمر أن نقيم معا في
غرفة واحدة في فندق واحد لمدة أسبوع ..

وكان مفتاح شريف يعمل حينذاك مديرا لمكتب الجامعة العربية في
روما ..

وأدهشني أن توجد شخصية شابة ليبية على مثل هذا القدر من الوعي
والثقافة والنظرة العالمية ..

وربما كان ذلك أول احتكاك لي بالاخوة الليبيين .. وتوثقت علاقتنا
بسرعة عجيبة وربما مما ساعد على ذلك الوثائق أنني سقطت مريضا فجأة
في الفندق فاكشففت بجانبنا انصافيا عميقا في هذا الشاب الذي كان يعمل
بالسياسة العربية من الصباح الباكر لما بعد منتصف الليل في ذلك المؤتمر
الذي ضم عشرات الوفود من بينها وفد اسرائيل لأول مرة تهيضه وفود
عربية ..

وقال لي مفتاح أيامها بتواضع شديد أن هناك الكثيرين من شباب ليبيا
الواعي المتفتح أكثر منه فتساءلت أيامها :

لماذا لا يحتل مثل هؤلاء الشباب الواعي مواقع القيادة والوزارة في
ليبيا ؟

المهم .. كانت مفاجأة لي أن مفتاح الشريف سفير للبحر في بون ..
اتصلت به تليفونيا واتفقنا على موعد في اليوم التالي :

وعندما التقينا أشاد مفتاح بمبادرة روز اليوسف والدور الذي قامت به
وتحدثنا طبعاً عن تفاصيل المقابلة ورد الفعل عند المسؤولين في مصر ..

ثم قال مفتاح فجأة .. أسمع ان العقيد كما نشرت في روز اليوسف
دعائك لزيارة ليبيا وأنت قلت لي التفاصيل الآن فلماذا لا تبلى دهوته وتطير
إلى ليبيا لمواصلة الحوار مع العقيد ؟
قلت له :

- وما المناسبة ؟ .. لقد فتحنا الباب وعل المسؤولين في البلدين أن
يحرروا الاستثمار من كدحه ..

قال مفتاح :

- واضح ان الموقف متجمد ولم يتحسن بل ما زالت الحملة الاعلامية

المتبادلة على أشدها .. وأنا أرى الآن أن الموقف ملائم جدا لمواصلة الحوار
واقناع الطرفين بالالتقاء لأن هناك أرضية مشتركة تجمعهما .

— ما هي هذه الأرضية .

قال سفير ليبيا في بون :

— الفلسطينيون يا صديقي .. ان السوريين يبيعون الفلسطينيين
كل يوم .. والمقاومة الفلسطينية في خطر أى أن قضية إزالة العدوان
كلها في خطر وواضح أن مصر ضد هذه الإبادة — وكذلك ليبيا — اذن هناك
موقف مشترك بين البلدين .. لماذا لا يشكل نقطة التقاء بينهما ؟ فتذهب
للقاء العقيد وتحدث معه عن هذا ؟ ..

ورغم وجهة منطلق صديقي السفير .. الا اني كنت مرتبطا ببرنامج
في فرنسا وايطاليا فاعتذرت .. فقال لي واضعا اياي امام الامر الواقع :

— اسمح .. أنا عندما علمت أنك هنا أمس من معادنتك التليفونية
أبرقت الى طرابلس في الحال أقترح عليهم أن يدعوك الى هناك بناء على
دعوة العقيد السابقة فأرسلوا برقية مساء نفس اليوم يطلبون فيها أن
أبلغك برجاء الطيران فورا لمقابلة العقيد ..

ومع ذلك فالى لم أعط السفير ردا أكيدا اذ كنت مترددا ..

وقلت له اني سأسافر غدا في الصباح الباكر الى ميونخ وسأنزل في
الفندق أوروبا الذي يسلكه محمد الفقي وهو مصري ، وأعطيت مفتاح رقم
تليفون صديق مصري اسمه الأستاذ/ مجدى الجوهري أحد الوجوه المصرية
الوطنية المضيئة في الخارج فقال لي مفتاح أنه يعرفه جيدا .

في اليوم التالي بعد وصولنا الفندق في ميونخ .. اذ بصديقي مجدى
الجوهري ياتيني مهرولا ويقول أنه تلقى مكالمة تليفونية من سفير ليبيا في
بون يقول فيها أنه تلقى برقية ثانية بضرورة أن أطيّر الى طرابلس لمقابلة
العقيد ..

وقال مجدى ان تذاكر الطائرة لي ولزوجتي متاثينا حالا هنا على
فندق أوروبا ..

وبعد قليل جاء رسول خاص يحمل التذاكر بحضور محمد الفقي
ومجدى الجوهري ومصريين آخرين : المهندس ابراهيم محمود ورجل الأعمال
محمود الجندى في ميونخ وأسقط في يدي وقررت السفر ..

وأنا أحكى هذه التفاصيل لأن لها أهمية فيما بعد .

ثم دق جرس التليفون واذا بالمتكلم مفتاح الشريف الذى ابلغته انى موافق على السفر ولكنى ساعيد التذاكر الخاصة بزوجتى لأنها لن تسافر .

وواقع الأمر اننى كنت قد قررت ألا تسافر زوجتى معى لأنه لا عمل لها فى مثل تلك المهمة . . ومن ناحية أخرى اننى حسبت احتمالات المستقبل فقد يأتى مسئول غير السادات لا تعجبه محاولة التقارب مع ليبيا فيزج بى فى السجن مثلا فلا داعى لأن يزج بزوجتى. أيضا وهى لا ناقة لها ولا جمل فى السياسة . . .

وعندما وصلت الى ليبيا اتصلت بى سكرتارية العقيد بمجلس قيادة الثورة وأبلغنى المتحدث أنهم كانوا فى انتظارى وأن العقيد يرحب بى ويريد أن أقضى معه يومين فى أجدايا ابتداء من ٧ أكتوبر حيث ستقام الاحتفالات بالذكرى السادسة للقضاء على الفاشيست . . كما أنه يريد منى أن احضر معه لقاء فى جامعة (تاريونس) فى بنغازى يوم ٨ أكتوبر . .

وتذكرت ما كان العقيد قد ذكره لى فى كولومبو انه يريدنى أن آتى الى ليبيا لآلف معه أسبوعا فى ربوعها لأرى بنفسى الواقع هناك سواء تجربة الديمقراطية أو مكانته هو وسط الشعب الليبي . .

وقلت للمتحدث اننى مستعد للسهر ليل نهار كيفما يريد سيادة العقيد ولكن لابد من أن يتم ذلك فى حدود ثلاثة أيام لانى مضطر للطيران الى أوروبا صباح السبت فى التاسعة . . (كان الحديث يوم الأربعاء) . . وقال المتحدث . . اننا على أى حال سننقلك الى أجدايا ومعك مرافق من إدارة الاعلام بوزارة الخارجية وسيارة خاصة . .

بعد ظهر نفس اليوم التقيت بوكيل وزارة الخارجية الأستاذ أبو زيد دورده الذى رحب بى وأبلغنى انى سالتقى بالعقيد فى أجدايا وانى سأسافر غدا فى الطائرة التى ستقل الوزراء والدبلوماسيين الى أجدايا . . (يلاحظ أن أجدايا هذه تبعد عن طرابلس بأكثر من ١٠٠٠ كيلومتر) .

أثناء الاحتفال أبلغنى الأستاذ طه وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية أن العقيد يريد أن أبقى الليلة هنا فى أجدايا ولا أعود للنوم فى بنغازى مع الدبلوماسيين لآكون معه وأرى بنفسى . .

ومن حين لآخر كنت أفاجا بشخصية ليبية ، رئيس قبيلة . . مثقف . . وزير . . ضابط . . طالب . . تآنى ويسلم على بحرارة ويشيد باتجاهات التقارب بين مصر وليبيا . . والكتاب الشرفاء . . الخ . .

وكلهم تمنوا أن ينصلح الحال بين البلدين . . والشعور العام الذى

يغمرهم هو الاحساس بالأسف والمرارة لما يتصورونه هجوما من مصر عليهم
سواء اعلاميا أو بحكاية حشد الجيوش المصرية على الحدود ..

بعد الاحتفال انتقلنا الى الخيام .. كانت هناك ثلاث خيمات كبيرة
.. جلس القذافي وبقية أعضاء مجلس الثورة والوزراء فى شكل تجمعات
هنا هنا وهناك ودعاني الأستاذ طه الى الجلوس معه ومع مجموعة أخرى ..

ثم جاءونا برمان دون أطباق .. ووزعوا على كل مجموعة ثلاث أو أربع
رمانات أخذت كل مجموعة تدقها على أرض الخيمة يوزعونها على بعضهم
البعض ويأكلونه ويلقون بالقشر فى جرائد يومية قديمة ..

ومن بين المجموعات مجموعة العقيدة القريبة منى .. وذهبت اليه
فبادرنى بالتحية وقال ضاحكا فى صوت عال : يا رب الشيوعى الحكيمى
ينفع دبلوماسى كويس ! ..

قلت وهو يجذبنى من بنطلونى للجلوس .. والله الحكاية مش عايزة
دبلوماسى ولا حاجة هى عايزة مبادرات من سيادتكم غير الخطية التى قلتها
من ساعة ..

قال :

— انا عارف ان الخطية مزعك لكن اعمل ايه .. ماشفتش خطبة
الرئيس السادات فى ذكرى عبد الناصر .. بيخطب فى مرقى أمام الشعب
الليبي يا أخ غنبة الستار .. ثم رئيس الأركان الجمصى يقول ان الجيش
المصرى على الحدود لمهمة استراتيجية .. ايش يعنى مهمة استراتيجية ؟
يفزونا يعنى ؟ اتفضلوا اغزونا بقى ١٩ ودوسوا على الشعب الى انت شايقه
ده بالدبابات !! ..

قال وهو يدفع لى بنصف رمانة ضاحكا :

— خذ كل رمانة وما تكشرش كده .. أنا جيتك من أوروبا لاني عارف
أنك عربى مخلص .. لكن الزعل لن يحل مشكلة .. بالعقل كده .. أقف
أقول للشعب الليبى ايه فى مناسبة زى دي هزيم فيها الايطاليين والرئيس
السادات يكرر انى لن أفلت من بين يديه ١٩ وده حتى مش مهم الهجوم على
بائى مجنون ولا مجرم .. لكن بالنسبة للشعب الليبى انتم تهددون
أمنه واستقلاله بحشد الجيوش وتصريحات الجمصى .. لابد اذن أن أطمئن
الشعب وأعطيه الثقة فى نفسه وأنه قادر على رد أى عدوان ..

وسكت لحظة والتفت الى مصطفى الخروبى وقال :

— قل له ازاى احنا أصدرنا أمرا لقاعدة جمال عبد الناصر أن تمد
الجيش المصرى المحتشد على الحدود لضربنا بالتموين الأكل والشرب والجبن
والشساي ..

قلت :

— هذا كله لا يهم .. المهم هو هذا الأسلوب الاستفزازى الذى تمارسه
ضد مصر كما بدا لى اليوم فى ذلك الاحتفال ..

ثم توقفت لحظة وقلت : هل يمكن أن نبدا حوارا ؟ ..

فقال : شوية .. حتى يحين موعد لقائى مع الدبلوماسيين لتحيتهم ..
أو بكره الصبح .. وأضمن تخرج تمشى بين الخيام وتفرج وتتكلم مع
الشعب الليبى وشوف بنفسك ..

ثم قال القذافى لى : لماذا لم تنشر ان النميرى عميل المخابرات
الأمريكية .. أنا مش قلت لك ده ١٩

قلت : سيادة العقيد .. نحن نحاول أن نصلح حتى ، بينك وبين
النميرى فكيف ننشر ذلك الهجوم ؟

فضحك وقال : أما نشوف الدبلوماسى الشيوعى حينفع ولا لا ؟ ..

استأنفنا الحوار فى اليوم التالى ٨ أكتوبر فى الخيمة وحدنا تماما
واستمر الحوار ثلاث ساعات جاءه خلالها الأستاذ طه ثلاث مرات يلفت نظره
لواعيد أخرى .. فيؤجلها .. حاولت القيام مرتين لعدم احراجه بالنسبة
لواعيدة وكان يتشبت بى ..

اقتحم جلستنا فى الخيمة شيخ قبيلة مهيى تبين لى أنه والد عضو
مجلس قيادة الثورة الراحل محمد المقرير وقال للعقيد :

— انت المصرى ده واخطك منا !

قال العقيد :

— لا ده أخ مصرى كويس .. ضد الأمريكان ومع الاشتراكية وبدوى
مثلنا .. وعنده انضباط وطنى !!

وتمت ببضعة عبارات شكر ..

قلت له ضاحكا :

— اذا كنت تعتبر نفسك متطرفا فى الوطنية وبديلا عن عبد الناصر
حقا .. وتتصور أن السادات واقع تحت تأثير عناصر من اليمين فلماذا لاتكوه

واسع الأفق وتحاول التعاون معه في أى نقطة اتفاق .. وتكون صبوراً في التعامل فتفوت الفرصة على من يريدون هدم التضامن العربى وافتساح العلاقة بين مصر وليبيا - لابد أن يكون تفكيرك جبهوياً - لأنك لم تحاول أن تجد نقطة اتفاق واحدة بينك وبين من يختلف معك .. ونحن اليسار قد مارسنا التعامل مع القادة الوطنيين من أمثالك وأمثلة السادات ونفذنا دورنا فى أى تحالف مع احتفاظنا بحق واحد هو حق الاعتراض والنقد ونحن صرحاء وأمناء فى النقد .. فإذا أقتلعنا بعدم جدوى الانسحاب الوطنى كما تسميه أنت أعلننا ذلك بصراحة وسببنا .. ومع ذلك فإن معظمكم لا يريد هذا النمط من الناس .. تريدون من يقول نعم ولا يقول لا .. ولا تقبلون الخلاف والمواجهة الصريحة ! ..

ولقد كان المرحوم جمال عبد الناصر وغم مجادله الوطنية العظيمة من ذلك النوع من القادة ..

قال لى : كيف ؟

قلت :

- ان عبد الناصر لم يكن يؤمن بالجماعية إطلاقاً .. ولم يترك حزباً أو تنظيمياً يداخ عن منجزاته ولو أن السادات عقب توليه السلطة بحث عن ذلك الحزب لما وجدته .. بل وجد حقة غير جماهيرية تتأخر عليه .. وان عبد الناصر كان قد فرض ما كان يفكر به حسين هيكل وهو تأميم الصراع الطبقي فى مصر !

وهذا تجاهل لحركة التطور الانشغالى وصراع الطبقات وأشباه بمحاولة اخماد لهيب الشمس !

وتحدثنا فى هذه القضية طويلاً ..

ثم قال لى العقيد :

- نحن يا أخى متفقان فى هذا التحليل من عبد الناصر تماماً .. فعلا عبد الناصر لم يكن يثق فى الجماهير وأنا أحاول هنا تفادى ذلك الخطأ بالموتمرات الشعبية واللجان الشعبية ..

وبعد أن انتهيت من لقائى بالقذافى فى أجدايا الليبية .. طرت صباح السبت عائداً من طرابلس الى بون .. بعد أن ودعتى مندوب وزارة الخارجية فى قاعة كبار الزوار ..

واستقبلنى فى مطار كولونيا بألمانيا الغربية مفتاح شريف سفير ليبيا ..

وتوجه بالسيارة الى النادي الأمريكى الدبلوماسى فى بون حيث تناولنا طعام العشاء .. دار بيننا حديث طويل عما جرى فى طرابلس ونحن نتناول العشاء .. وفى الواحدة صباحا كنت آوى الى فراشى .. حتى الصباح عندما جاءنى السفير الليبى وأوصلنى بسيارته الى المطار لأعود الى القاهرة .

طلبت عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس الإدارة فى التليفون بمجرد وصولى .. وكما حدث فى المرة الأولى .. كانت توجيهاته فى المرة الثانية .. سجلت كل شيء فى مذكرة طويلة .. ضربت على الآلة الكاتبة وسجلت منها نسختين لرئيس الجمهورية ووزير الخارجية أما الثالثة فقد دفع بها الشرقاوى لصالح حافظ رئيس التحرير ..

على أن لمسة واحدة جديدة أضافها الشرقاوى هذه المرة .. عندما قال لى انه تلقى برقية من مطار روما بعزمنى على السفر الى ليبيا .. وأنه تكتم على الخبر عن الجميع .. وطلب منى أنه اذا سألنى أحد أن أقول اننى سافرت بتكليف منه (أى من الشرقاوى) وأضاف قائلا : أنا مسئول مسئولية كاملة عن سفرك وما دار بينك وبين القذافى .. فقد يغضب البعض ويشيرون حملة ضدك أنك تتصرف وحدك فى أمور سياسية عليا كهذه ..

ولقد عنيت بذكر هذه اللمسة .. لأبين المناخ الصحى الذى كنا نعيش فيه فى مؤسسة صحفية يرأسها عملاق مثل المرجوم عبد الرحمن الشرقاوى .. فذلك موقف نادر لا يتخذه رئيس مؤسسة بسهولة .. فقد يغضب كبار المسئولين فلماذا يخل نفسه المسئولية ؟

ومن ناحية أخرى ان مثل هذه المساندة .. تشجع الصحفى على اقتحام الصعاب والبخوض فى ميادين شائكة ولا شك .. وفرغنا صلاح حافظ وأنا من اعداد حديث القذافى ثم .. استدعيت لمقابلة الرئيس السادات ..

وكان صلاح حافظ قد سافر مع الرئيس الى الرياض .. وعاد من هناك وحديثى عن أن الرئيس قد أبلغه هناك أنه قد أعجبه حديثى الأخير مع القذافى الذى أرسله له رئيس مجلس الإدارة .. وطبعاً أسعدنى هذا الإعجاب كثيراً .. لأن معنى ذلك أن القاهرة مستمرة فى موقفها من الاستعداد للتوصل الى تسوية مع ليبيا .. ولقد تأكدت من هذه الحقيقة عندما جلست الى الرئيس السادات استمع الى تقديره للموقف وأوجزه فى النقاط التالية :

ان مصر لا ترفض اللقاء مع ليبيا وتصفية الأمور المتعلقة .. لكن المشكلة الأساسية هى الضمانات .. الضمانات لأن تصبح مبادرة العقيد

القذافي جدية .. فقد دلت التجارب العديدة من قبل على أنه كلما حدثت تقدم خطوة الى الامام فى مجال التقارب بين البلدين حدثت خطوتان بعد ذلك الى الوراء من جانب العقيد ..

وإذا كان العقيد يؤكد قوميته واهتمامه بقضية فلسطين وبالمعركة من أجل التحرير .. فان ذلك لابد أن ينعكس فى شكل مادى عملى ..

ان المساهمة فى المعركة لا تكون بالكلام والتصريحات وعقد المؤتمرات العربية والدولية فقط وانما تكون بالمساهمة العملية فيما يقوى الموقف العربى ويدعمه .. ومصر لا تريد أموالا من العقيد لا فى شكل معونة أو قروض .. انما تريد من ليبيا أن تساهم فى المعركة عمليا ..

وتتوقف جدية الرغبة الليبية لتصفية الموقف على هذا الدليل العملى - فهو فوق أنه أفضل الضمانات - فهو يقرب بين الأشقاء الواقفين فى صف واحد ضد العدو فليس أفضل من التضال المشترك تدعيما للتقارب بل الروابط الاخوة ..

فى تلك الفترة كان السيد بشير الرابطى رئيس مجلس الأمة الاتحادى قد بدأ يقوم بدور فى حل المشاكل بين البلدين .. وأعلن انه التقى بالرئيس السادات بعد لقائه مع نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك ..

ونشرت روز اليوسف الحديث الجديد مع العقيد القذافي واخترنا له عنوانا «القذافي يوسط روز اليوسف» .. وسيقرأ القارىء وكذلك الحديث الأول للعقيد فى ملاحق هذا الكتاب ..

وأحدث نشر هذا الحديث ضجة جديدة فى العالم العربى .. تردد صدهاء فى العالم كله أيضا .. وازداد تفاؤل الشعوب العربية بقرب رآب ذلك الصدع للعلاقات العربية .. ولكن القوى المضادة للتقارب العربى كانت أقوى ..

ففشل كل شيء وتكسرت جهود الوساطة !

لكن لماذا فشلت محاولات الوساطة .. بل تحطمت العلاقة بين مصر وليبيا فى عهد السادات تماما حتى وصلت الى توجيه السادات ضربة مسلحة فى ليبيا مما أدى الى تدخل المرحوم هوارى بومدين رئيس الجزائر ووساطته فى وقف القتال ..

ليس الأمر بقاصر على اختلاف السياستين بين البلدين .. فذلك أمر موجود بين دول كثيرة .. ومع ذلك لا يصبح الخلاف حادا بهذه الدرجة .. الواقع فى رأى أن هناك سببين أساسيين لهذا :

اولهما : أن السادات لم يخطط جيدا لعملية التضامن بل الوحدة مع

ليبيا ٠٠ انه عرض مثلاً على القذافي أن يكون أميناً للاتحاد الاشتراكي العربي لا أكثر ولا أقل في دولة الوحدة ٠٠ بينما عرض القذافي أن يكتفي بمنصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية والليبية ٠ فرفض السادات ولكن السادات رفض هذا باصرار غريب وفي تخوف شديد كما بدا لي من مناقشة جرت معه ٠٠ اذ قال لي ده رجل مجنون يقلب لي الجيش الى لجان شعبية ويصطدم لي بأمريكا وحتى مالطة ١ ٠ فقلت له هل يمكن أن تكون هناك خفية من قيادته للانقلاب ؟ ٠ فلوح السادات بيده وسكت ٠٠ والحقيقة أن بعض رجال الرئيس أثاروا هذه المسألة معه وأقنعوه أن قيادة القذافي للقوات المسلحة تمكن من تدبير انقلاب ٠

وطبعا هذه الفكرة سخيفة جدا لأنه لا توجد فرقة من الجيش المصري يمكن حثها على التحرك لقلب نظام الحكم المصري بواسطة أوامر من قائد غريب عن مصر ٠٠

وإذا ما تحركت فرقة ليبية فسيوجد ضباط مصريون يحركون فرقاً مصرية ٠٠ وهكذا ٠٠

ولقد كان يوسع السادات بعد شهر من اتمام الوحدة مع ليبيا أن يستبعد القذافي من قيادة الجيش أو يحيطه برئاسة مصرية في الأركان وهكذا إذا ما ظهرت قرائن على أن القذافي يحاول تدبير أعمال مذاتة انقلابية ٠٠ ولكن الموضع كان أقوى من هذه الجول البسيطة ٠٠

مثلاً كان يقال للسادات أن القذافي يخطط لأن يكون جمال عبد الناصر مصر وأنه يطالب بالوحدة لكن يحكم مصر ويتردك من السلطة ٠

وكان يقال للقذافي ٠ لا تهول وحده مع مصر لأن السادات كلي تخطيطه أنه يعمل هناك مصدراً لتمويل النقود لمصر وفي أي لحظة يتردك فتعود الى بلدك في خيمة في الصحراء من جديد ١ ووقع في روع البرجوازية الليبية فعلا أن مصر ستتهب مال ليبيا وأدركت من متابعتي أن هناك أناساً غير القطاعات التجارية التي تخشى من السيطرة المصرية على ليبيا ٠

كان هناك مجموعة المنتفعين من الخلاف المصري الليبي وهم مجموعة من المصريين المقيمين في ليبيا من مدة ولم يكن من مصلحتهم حدوث تفاهم بين مصر وليبيا لأنهم لن يجدوا رزقهم من ذلك خاصة وأنهم كانوا يعيشون على حكاية أنه لا يوجد ثور يون في المنطقة سوى القذافي وعبد الناصر أما السادات فهو خائن ومرتد وأن الشعب المصري مع القذافي وفي انتظار أن يمسك السلطة ويحكم مصر وأن يقضي هؤلاء المرتدين عن السلطة كما

لو كانوا يقدمونه على أنه محور مصر من التذبذب أو التردد أو الخيانة الساداتية لمصر ! .

وهنا في مصر كان يوجد ساداتيون لم يحتاجوا للوحدة بين مصر وليبيا لخصيتهم من أن يأتي القذافي فيضيف قوة جديدة الى قوة الناصريين في مصر وخاصة أن القذافي قد عدل عن كثير من الأفكار التي كانت تخيف قوى اليسار في مصر وأصبح يتحدث صراحة على أنه ليس لديه تناقضات لا مع الاشتراكية ولا مع الاتحاد السوفييتي . . . وقد حدثت أمامي حكاية تكشف عن الاتجاه الحقيقي لدوائر في الحكم تجاه القذافي .

عندما انتهى اجتماع أسرة روزاليوسف به صيف عام ١٩٧٣ والذي انتقدته أنا فيه نقدا شديدا وكانت أول مرة التقى به فيها .

فقد اتصل في بيتي مساء وزير الداخلية قائلا :

— ايه الروائع الي انت قلتها دي النهاردة مع القذافي ؟

— فقلت له هو الكلام وصلكم حالا ؟

— قال نعم .

استغربت أنا أن الحكومة المصرية مسرورة من أن واحداً بهدل « القذافي ورفض الوحدة معه وأنا الذي كنت أتصور عندما وجهت له سهام النقد أنني أتحالف سياسة النظام ولن يسر بذلك طبعاً .

وفهمت الموقف الحقيقي للحكومة من الوحدة وهو أن ما يقال هو غير الحقيقة وأن احضار القذافي بمصر الهدف الحقيقي منه هو احراجه والكشف عن جهله أمام القوى السياسية في مصر . وهذا ما حدث بالفعل في لقائه في أخبار اليوم في حوار مع النساء فقد قال كلاما غريبا مثل أن المرأة أقل من الرجل لأنها تحيض وتارت عليه بعض النساء مثل أمينة السعيد ! .

وكانت هذه الجولة فاشلة بالنسبة للقذافي أفقدته التأثير الذي كان محاطا به وتبين أنه ضعيف سياسيا ويقول كلاما ساذجا وغريبا عن المجتمع المصري المتحضر المتماسك غير القبلي .

السبب الثاني : أن النظام الليبي ظل يتبع أصول البداوة في منهجه السياسي . . فيعمد الى المنهج الثأري مثلا في عمليات التصفية الجسدية لحصومة السياسيين دون أن يعبا باثارة فضيحة عالية ضده . . ومبادئ الشهامة القبلية ذاتها التي تحرم اغتيال الخصوم غدرا ومن الحلف . . لكن للسياسة أحكام !

ويعتمد الى المواقف الانفعالية ويتجاهل أصول فن الجبهة .. فيعادي الناس جميعا في وقت واحد .. وقد تحدثت مع العقيد القذافي في هذا الامر في كل مرة التقيت فيها به .. ووجهت له الخطاب على صفحات روزاليوسف ادعوه الى محاولة اللقاء مع من يجب ان يلتقى بهم ولو في نقطة واحدة وحثته على التعاون مع مصر .. وتمكنت العقيد وما زال فكرة الوحدة العربية وهي فكرة نبيلة وسليمة سياسيا ولكن تطبيقها يحتاج الى سياسات طويلة الامل صبورة متمهلة .

ومن اجل تحقيق هذه الوحدة كان مستعدا لان يضرب أى أحد .. ويتعاون مع أى أحد ..

ثم ان مواقفه المعادية للامبريالية شوهتها كثيرا تدخلاته المستمرة في شئون جيرانه .. واعماله التصفية لخصومه .. وديكتاتورية النظام .. وتخبطه السياسي في ذلك الاتجاه أو ذاك .

كما ملكت عليه فكرة النظرية الثالثة بطريقة فيها تعصب قبلي غير مدرك لعقلية العصر وسيطرة ثقافات معينة عليه .. وسقوط كل النظريات الشمولية أخيرا .

مثلا الناس في العالم كله ليست مقتنعة على الاطلاق بأن نظامه نظام ديمقراطي .. وهو يتصور أنه قمة الديمقراطية .. لذلك تعامل القذافي مع السادات بطريقة انفعالية متخبطة وتشنجية .. وكأنه مبعوث العناية الالهية لهداية العرب أجمعين وزين له من استأجرهم من شذاذ الافاق الأجانب عبقريته والهاماته من الصحراء ... الخ الترهات التي لعبت برأس نكروما وسوكارنو من قبل !!

فرد السادات التحية بأحسن منها بل هو أى القذافي تعامل في بداية عصر حسنى مبارك بنفس الطريقة ولكن مبارك كان أذكى من السادات اذ لم يستجب لأى استفزاز اعلامى ..

وأخيرا اهتدى العقيد القذافي للخطة السليم الذى دعواه ودعاه غيرنا الى اتباعه مع مصر ..

انه بعد ضرب الأمريكين له أدرك خطورة الاستعمار العملية وأن أمريكا ليست نمرًا من ورق كما توهم ماوتسى تونج من قبله .. وتصرف تصرف سليما .. فاقف حملته ضد مصر .. وأصلح ما فسد من علاقات له بها .. دون أن يتنازل عن أى مبادئ لديه .. وما كانت مصر تريد أن يتنازل عن شئ منها فهي لا تريد التدخل أو الحجر السياسى على سياسة أى بلد .. فلما أوقف حملاته العنيفة ... وفتح الحدود .. حيث راجت موال التجار هنا وهناك ..

لم تعد هناك مشاكل مع مصر .. بل أصبحت مصر تشكل قوة سياسية عربية ودولية تدافع عنه في وجه محاولات الاعتداء الأمريكي التي تترصد به .. وتنتهز أى فرصة أو عذر لتنفيذ ذلك العدوان في ظل نظام القطب الواحد حيث تسيطر الولايات المتحدة على مجريات الأمور في العالم كما يدل على ذلك الاتهام الموجه لليبيا بنسف طائرة البان أميركان منذ ثلاث سنوات !

وهكذا تؤتى سياسة التعقل .. والجهمة ثمارها مع احترام حق كل إنسان في الخلاف .. وطبعاً يسمح العميد لأقطاب السلطة الآخرين في بلدة مثل الرائد عبد السلام جلود .. والجماهير التي رباه على العداء ضد الامبريالية أن تلقى أقوالاً وخطاباً حماسية وربما تهجمات على السياسة المصرية والأمريكية أحياناً .. كنوع من الاستهلاك المحلي لتدعيم مركزه الداخلي واحتفاظاً لنفسه بخط الرجعة إذا ما تحول من جديد كعادته لسنوات طويلة ! والسياسة المصرية العاقلة والمحكمة تفهم كل هذا .. وتكتفى بما يكتبه بعض الكتاب رداً على ذلك .. إذا ما خرج بعض صحبه عن الحدود ولو كان نائبه عبد السلام جلود .. وهو في نفس الوقت أى القذافي يتحرك كما يشاء في تشاد .. وفي السودان .. دون معارضة أو حملة من مصر ضده كما كان يحدث من قبل ..

إن العقيد القذافي قد أمن شر الأمريكيين إلى حد ما .. لأن مصر ستقول كما يقول المثل البلدى لمن يريد الاعتداء عليه من الأمريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين : « سيبه ده معاياااا » .. وهذا يفسر الجهد الهائل الذى يبذله حسنى مبارك لاقتناع ديناصورات العالم وعلى رأسها أمريكا أن العقيد قد كف عن تأييد الارهاب واتخذ مواقف لا بأس بها في أزمة الخليج .. والازمات الراهنة .. وفيما عدا هذا فهو كلام .. من الضروري أن يقال ! ولكن هل يمكن أن تكبح مثل تلك التوضيحات والجهود جماح الوحش الأمريكى الذى يبدو أنه بعد انفراده بالعالم لا يستطيع الصبر على أى خروج محدود عن الخط .. اننا نكتب هذه السطور والتهديدات الأمريكية تتساقط بغزارة ضد ليبيا بعد أن أخرجت لها من ملفات المخابرات المركزية قضية نسف الطائرة الأمريكية فوق أراضي اسكتلنده .. ومصر تحذر أمريكا من ارتكاب تلك الحماقة .. ولا أحد يدرى إلى أى حد ستوقف هذه المؤامرة الاستفزازية الأمريكية ١٩

استراحة

بعد هذا اللهاث السياسى وراء السادات فى ايامه ..
استريح بك فى بعض حكاياته وحكايات مع السلطة ..
فى التعامل مع الصحفيين بالذات .. ونعود نستانف
اللهات !!

حكايات معه ومع السلطة ؟

طبعاً أنور السادات هو رئيس الجمهورية ورأس السلطة . وقد
شرحت من قبل كيف حددت علاقتى بالسلطة . . وهدفتى من تلك العلاقة
وسويت كل التناقضات داخل . ولم يكن لدى أى تردد فى اختيار المنهج
الموضوعى وكان ذلك اختياراً لنفسى أمام نفسى اذ لم يتطرق الى ذهنى
قط . أن أتبع المنهج الذاتى على الاطلاق بمعنى أننى لم أضع المنهجين أمامى
موضع اختيار ولكننى فضلت سلوك هذا المنهج تلقائياً متجرداً من أى
نزعة ذاتية . والحقيقة أن علاقتى بالسادات لم تكن هى اول علاقة لى
بالسلطة . فقديمًا كانت لى علاقة بالسلطة وعلاقة مريرة أيضاً بمعنى
أنى لم أعرف من السلطة شيئاً سوى أنى عضو فى تنظيم سرى يتناقض
معهما وهى تطاردنى وتحرق على وتضعنى فى المعتقلات والسجون وتعذبنا .
وتفصلنا عن أسرتنا . وكان لدى نفور شديد من الاقتراب من السلطة
بأى حال من الأحوال حتى أن زميلى مفيد فوزى كان دائماً ما يقول لى
(أنت تعيش بنفسية المطارد) والى حد ما كان هذا صحيحاً . حتى بالنسبة
لى كصحفى وبحكم وظيفتى عندما كنت ألتقى بشخص مهم وتحدث فى
موضوع أو أعمل معه تحقيقاً فبعد هذا الموضوع كانت الصلة بهذه
الشخصية تتوقف بعد ذلك إلا اذا تكرر اللقاء بهدف عمل آخر أو لقاء
فى حفل أو ما شابه ذلك حتى بعد زواجى ١٩٥٨ وكانت زوجتى قريبة
لبعض المسئولين الكبار لم أحاول بأى حال من الأحوال إقامة علاقة معهم
وزوجتى أيضاً لم يكن لديها أى رغبة فى توطيد العلاقة مع هؤلاء الاقارب .

وزارة عزيز صدقي :

ولكن حدثت نقطة تحول في علاقتي بالسلطة فتحولت من شخصية المطارد الى حالة جديدة يمكن تسميتها (نفسية الند) او (نفسية المساوى) اذا جاز لنا التعبير . .

فعندما تسلم عزيز صدقي الحكومة بعد استيلاء أنور السادات على السلطة بعد وفاة عبد الناصر ١٩٧١ أذكر أنني قابلت دكتور فؤاد مرسى صدفه وكان من المعروف أنه زعيم الحزب الشيوعى المصرى قبل حله وعينه الرئيس أنور السادات بعد تسلمه الحكم فى اللجنة الثلاثية التى أعادت بعث الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه وعندما قابلته سألته قائلا :

— يا دكتور ايه حكاية أن عزيز صدقى يبقى رئيس وزارة ؟

(وكانت فكرتى عن عزيز صدقى لا تخرج عن كونه يقدم أرقاما مبالغة فى عملية النمو الصناعى فى مصر .

حتى أنهم فى بعض الأوقات كانوا يلقبونه (أبو لمة) كما كنت أعلم أنه تعلم فى أمريكا وليس لديه اتجاه ناحية الديمقراطية وأنه لا يتعامل الا مع جمال عبد الناصر فقط) .

هذه هى كل معلوماتى عنه آنذاك وكانت ضئيلة . لذلك سألت دكتور فؤاد مرسى هذا السؤال . .

فاذا به يرد قائلا :

— لآده بالعكس عزيز صدقى رجل تنمية اقتصادية كويس وهو الذى سيعافظ على تراث جمال عبد الناصر من حيث الشركات المؤممة والقطاع العام الذى يحلم بالغائه انتجار الذين علقوا اللافئات فى الشوارع مرحبين بتخلص أنور السادات من أعوان جمال عبد الناصر وأن عزيز صدقى لديه اتجاهات اقتصادية مع الشعب وغير متعال وأنه من الممكن أن يلعب دورا جيدا فى المرحلة الحالية على الأقل بالنسبة لانجازات جمال عبد الناصر والوقوف كصادات رياح فى وجه العناصر اليمينية داخل النظام وخارجه التى تحاول تصفية الثورة .

وأردف قائلا انتم لازم فى روز اليوسف أن تؤيدوا حكومة الدكتور عزيز صدقى ولا تقفوا متفرجين .

عندما عدت الى روزاليوسف قابلت المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى رئيس روزاليوسف حينذاك وحكى له عما حدث أثناء المقابلة واقتراح الدكتور فؤاد مرسى .

فقال لعبد الرحمن الشرقاوي : ان كلام فؤاد مرسى هو الحقيقة وأنا شخصيا أعرف ان فيه ناس من رفاق أنور السادات عارضوا أن يكون عزيز صدقي رئيسا للوزارة ومن هؤلاء سيد مرعى . والناس الذين ضد التاميم والقطاع العام والتي تأمل خيرا في أنور السادات بمعنى تنمية القطاع الخاص على حساب القطاع العام والانتكاس بثورة ٢٣ يوليو غير مرحبين بوزارة عزيز صدقي . . . وفكرة روزاليوسف يجب ألا تقف متفرجة (التي طرحها فؤاد مرسى) فكرة جيدة وهذا دورنا وأنا أتيت على رأس هذه المؤسسة حتى لا أقف متفرجا سلبيا تجاه أى ظاهرة في البلاد فأنور السادات يدرك أن روزاليوسف مجلة اليسار الوطني . يكتب فيها الكتاب اليساريون الوطنيون . . . وهذا فعلا حقيقة ولا بد أن نؤكد ذلك دائما بتنابعتنا لكل ما يجرى في البلاد .

فرددت على عبد الرحمن الشرقاوي ضاحكا : يا ريس مفيش حاجة اسمها يسار وطنى وغير وطنى . . كل اليسار وطنى ولكن تختلف الاتجاهات فيوجد منهم المتطرفون ومنهم من يتخذ موقفا معتدلا وسليما وأنا أفضل استخدام تعبير مغاير وهو (اليسار الجبهوى) أى اليسار الذى يرى عمل جبهة واسعة مع أكبر قوى ممكنة من أجل الصالح العام للوطن دون إلتفات بأن هذا الحليف فى الحكم أو غيره .

.. فضحك عبد الرحمن الشرقاوي وأصر على قوله بأن هناك يسار وطنى ويسار غير وطنى وأتى فى ذلك الوقت صلاح حافظ وقتحى غانم واستكملنا الحديث معا ثم قال عبد الرحمن الشرقاوي :

— يا سيدى طالما سوف نأخذ موقفا إيجابيا من وزارة صدقي ونحاول أن نؤثر فى الأحداث فانه من الضروري وجود من يمثلنا فى رئاسة الوزارة ! . . .

اذ العادة أن لكل جريدة مندوب فى مجلس الوزراء ينقل لها الأخبار لتنشر فى الجرائد . فقلت له . من الممكن أن يقوم أى مندوب بهذه المهمة . . . فقال لا يحسن تريد كادر سياسى لأن الذى سيذهب لن ينقل لنا الأخبار فليست هذه مهمة لأنها تنشر فى الجرائد اليومية انما ما يهمنا هو معرفة الاتجاهات الموجودة وما هو وراء الكواليس ومحاولة التأثير أيضا فى الأحداث من خلال ما نكتبه بعد أن نكون قد عرفنا أكبر قدر ممكن من التيارات والآراء المختلفة داخل المجلس . . . وأردف قائلا : وعلمسان كيم أنا أرى انك الى تروح تمثل روزاليوسف فى مجلس الوزراء .

فقلت له : مفيش مانع . .

— ذهبت الى مجلس الوزراء وطلبت منهم أن يكون مندوبا لروزاليوسف فقالوا لي : تفضل هذه خمس استمارات واحضر لنا خمس صور وتملا الاستمارات :

وفوجئت بأن هذه الاستمارات تحتوى (اسم الأب واسم الأم واسم العائلة والأخوال والأعمام .. ومن الأسئلة المدونة فيها هل أنت عضو أو كنت عضوا في الحزب الشيوعي ؟ هل كان لأحد من أقاربك علاقة بالحزب الشيوعي أو المنظمات المؤيدة له أو المرتبطة به مثل حركة السلام أو ما شابه ذلك من منظمات تماما مثل بيانات الفيزا الأمريكية .

فأجبت على كل هذه الأسئلة .. وهناك كانت أسئلة أخرى مثل (هل سبق لك أن دخلت السجن أو المعتقل بسبب أى انتماءات سياسية ؟)

ولم تكن لي في ذلك الوقت أى ارتباطات أو صلة بأى تنظيم شيوعي أو غير شيوعي سرى أو غير سرى .. كنت وقتها مستقلا عن الأحزاب وكنت أقول عن نفسى أننى مجرد رجل مثقف ماركسى ولا أكثر من ذلك ..

— كان فى مجلس الوزراء آنذاك عبد المنعم عمارة وكان زميلى فى المدرسة السعيدية أنا وأحمد شوقى الخطيب المحامى المعروف ثم أصبح هو مدير مكتب عزيز صدقى مع آخر هو الأستاذ محمود جسين أحد قادة الشباب الوفدى قبل الثورة .. فكنت أقابله من حين لآخر وعندما أصبح عزيز صدقى رئيسا للوزارة عينه وزير دولة لشئون مجلس الوزراء .

وتوجهت الى مكتب عبد المنعم عمارة وهناته على المنصب واستقبلنى استقبالا حارا وحكىته له عن سبب حضورى الى هذا المكان وما تم تقديمه من طلبات والهدف منها قال : هل نسيت زمالة زمان ؟ وأنت تحضر المجلس فى أى وقت وتحضر مكتبى فى أى وقت . وفعلنا عندما حضرت المجلس رحبوا بى وأدخلونى دون السؤال عن كارنيه ولم أكن حصلت عليه الى ذلك الوقت لأن اجراءاته تستغرق ١٥ يوما على الأقل .

وأصبح معتادا حضورى المجلس وعرفت وعرفنى عزيز صدقى الذى كان يجوب الأقاليم فكنت أصاحبه فى هذه الرحلات وأتحدث معه ومع الوزراء . واكتشفت أن عزيز صدقى رجل ممتاز وأصبحت أتحدث معه فى السياسة كرجل سياسة وليس كمحرر مندوب ضحلى أحصل على خبر . ونشأت علاقة جيدة بينى وبين ممدوح سالم وزير الداخلية وبدأت أفهم كيف يفكر الحاكمون وأذكر مرة أننى كنت أتحدث مع أنور السادات عن رأى فى الوزراء ومستواهم فقلت له ياريس . احنا كان معنا فى المعتقل واحد اسمه (على زهران) وهو عامل تسبيح بسيط ويعتبر من

أكثر العمال الشيوعيين في المعتقل انخفاضا في مستوى الوعي ولقد توفي بالسرطان في المثانة . أنا : بقول لسيادتك إن مستواه الفكري والسياسي بعد اجتلاطي بوزرائكم أحسن وأكفا من الكثيرين منهم !!

وقهقهة : أنور السنادات ضاحكا دون أن يضايقه هذا القول وقال لي : أصل أنت بتقول الكلام ده بناء على أسباب عقائدية والقرود في عين أمه غزال . أنت بتقول كده عن علي زهران لأنه شيوعي !

فقلت لا أنا لا أقول هذا الكلام أملا في تعيين علي زهران وزيرا لأنه ليس هناك وجه للمقارنة وهذا الرجل مات ولكننى أقول لك ما وجدته من خلال احتكاكى بالوزراء .

من خلال ارتباطي بجهاز الحكم استطعت معرفة ما كنا نقرأ ونسمع عنه ما معنى الوزراء التكنوقراط والبيروقراطيين . .

بمعنى ما الفرق بين الوزير السياسى العضو فى حزب سياسى وله احتكاك بالجماهير . ويعنى مشاكل الجماهير ويعمل من أجلها أو ضدها بحكم مصالحه الطبقية ولديه درجة من الوعي أو الخبرة السياسية فى معاملة الناس وبين الوزير الذى عينوه كاستاذ فى الجامعة لا يعرف شيئا عن أصول الحكم يعنى مثلا يأتوا بوزير مواصلات كان يقوم بتدريس قيادة قطارات مثلا . وليس له ادراك بمعالجة شئون الأمة بأسرها فى جميع المجالات وربما كان لا يعرف شيئا عن منظمة دول أمريكا اللاتينية وفهمنا ما معنى الوزير التكنوقراطى والوزير البيروقراطى بمعنى (الجاهل سياسيا) فلا تاريخ سياسى له ولا ماضى وكيف يمكن لهؤلاء الوزراء أن يجلسوا أمام أى فرد لديه درجة من الوعي السياسى كالتلاميذ يسمعون وينصتون فى افتتاح وانتهاء إذا كان لهم أصلا أى اهتمام بالمعرفة . فى الحقيقة كثيرون منهم لديهم قدر كبير من التواضع ولا يدعى الواحد منهم معرفة ما لا يعرف .

وفهمت أيضا كيف أنه إذا كان الوزير إن لم يكن له ماضى أو ثقل سياسى فإنه معزول يمكن الاطاحة به من قمة النظام دون أن يشعر ولن تشعر الجماهير أنها فقدت شيئا ذا قيمة . وهذا ينعكس على الوزراء ويجعلهم يحاولون المحافظة على مناصبهم بأى طريقة لأنه لا سند لهم على الإطلاق من جماهير أو غيره وإنما سندهم الوحيد هو ارضاء السلطة العليا .

هذا ما أدركته من خلال تعاملى مع الوزراء ثم أدركت أيضا أن العلاقة بين النواب فى مجلس الشعب والوزارة ليست علاقة رقابة شعبية بقدر ما هى علاقة قضاء مصالح شعبية . . . بمعنى أن سلوة عضو مجلس الشعب على الوزير ليست بأنه يراقبه فى تصرفاته ويحاسبه إنما علاقة

حل المشاكل لأجل الدائرة .. فبقدر ما يقوم الوزير بحل هذه المشاكل
يفقد ما يكف النائب عن أذى أو مراقبة الوزير .

وهذا هو السبب في أن الأغلبية الساحقة من أعضاء مجلس الشعب
أو الأمة لا تسمع لهم صوتا في المجلس . فانه لا يوجد حقيقة رقابة شعبية
عن طريق البرلمان لسير العمل في الحكم الا في حدود قليلة .. بعضها
قد يكون بايعاز من السلطة ذاتها !! ويمكن الماطلة والتلاعب مع محاولة
المعارضة اجراء رقابة حقيقية على الحكومة .

ثم لاحظت أيضا الصراعات داخل المجلس من أجل الترقى الى
مراكز أعلى فالوزير يريد أن يكون نائب رئيس وزراء . ونائب رئيس
الوزراء قد يسعى ويتآمر ضد رئيس الوزراء ليحتل منصبه لأنه ما دام أن
المسألة لا تتخذ شكل أحزاب سياسية أو أن هناك حزب سياسي واحد فانه
لم يكن عن بديل سوف التقرب من الحاكم والتملق والتزلف والدخول في
مكائد متبادلة والتزلف والتملق لا يكون طبعاً الا لرأس النظام .. وزوجته
أيضا .. فقد كان الوزراء يسرعون الى حضور أى اجتماع تحضره السيدة
جيهان السادات وكنت أشعر كما لو كانوا يحضرون طابور التمام .. وكان
يقال لي أحيانا من بعض رجال العاشية والصحفيين العارفين ببواطن الأمور
أن هذا الوزير أو ذاك قد عين بفضلها أى بفضل السيدة جيهان .

تمزيق الرؤساء والدس :

وتمضى أول تجربة لي في علاقتي بالسلطة ... كان دخولي مجلس
الوزراء أيام عزيز صدقي في عام ١٩٧١ ولكنني فوجئت بعد أن غادر
عزيز صدقي الحكم ١٩٧٣ تقريبا وعند دخولي مجلس الوزراء بأن الحرس
يسألونني ما اسمك ؟ وهم يعرفونني جيلا .. فذكرت اسمي
فأخرج كشفا وفحصه ثم قال لي اسم سيادتكم مش موجود .. فقلت له :
أنا ممثل روزاليوسف هنا .

فيقال لي : لا اسمك مش موجود !

فقلت له : طيب أدخلني لمدير الأمن .. وحدث ذلك .

وعندما دخلت لمدير الأمن دار هذا الحوار .

قلت له السلام عليكم .

قال عليكم السلام .

قلت له : أيه الحكاية ؟

فقال : ليست لدينا موافقة رسمية على وجودك هنا .

فقلت له : ازاي وأنا بقالي سنتين وأنا باحضر هنا وباسافر مع رئيس
الوزارة في كل رحلة ولما سافر الى موسكو كنت مرافقا له مرتين .

فنادى لأحد زملائى وهو الأستاذ عدلى جلال وكنا نسميه (عميد
مراسلى مجلس الوزراء) وهو ممثل للآهرام . .

وقال له : يا أستاذ عدلى قول له آيه الحكاية فإذا بعدلى جلال يقول
لى : لما آلت حررت الاستعمارات وراحت الى ادارة الأمن فادارة الأمن برئاسة
الجمهورية اعترضت على أن تكون أنت ممثل لجورنا لك فى مجلس الوزراء
(وكان هذا قبل معرفتى بأنور السادات) . . فقلت له . وما علاقتنا
بأمن رئاسة الجمهورية ؟

قال : ان أمن رئاسة الوزارة مرتبط بأمن رئاسة الجمهورية لأنه
منذ عهد جمال عبد الناصر كن كثيرا ما يكون رئيس الجمهورية هو رئيس
الوزراء وبالتالى فان مجلس الوزراء ومن يدخله فهو معرض كثيرا لأن يرى
رئيس الجمهورية ولذا فالأمن معترض عليك . . ونحن أرسلنا الخمس
ورقات التى كتبتها الى المباحث العامة والى المخابرات العامة وخلافه .
فلم يعترض عليك الا أمن رئاسة الجمهورية لأنك رجل شيوعى قلت :
الله آمال أنا كنت بأجى كل يوم ازاي ١٩ .

قال : أصسل عبد المنعم عمارة وهو وزير الدولة لشئون مجلس
الوزراء قال من الأول أنك تيجى فلما جاءك الورق برفض مندوبيتك دخل
به مدير الأمن لمجلس الوزراء الى عبد المنعم وقال له هذا الكلام وهو لأنه
صديقك فلم يرد احراجك كالمعتاد . فقال لهم : يا جماعة مش عاوز حد
يقول له الحكاية دى ودعوه يدخل المجلس كالمعتاد كأنه حاضر ليشرب
عندى فنجال القهوة . . . والحقيقة أن هذا موقف شجاع من عبد المنعم
عمارة لا أنساه له (وبالمناسبة هو ليس عبد المنعم عمارة المشهور محافظا
للاسماعيلية ورئيسا للرياضة) .

وظل عبد المنعم عمارة حاجبا عنى هذا السر الى أن عزلت وزارة عزيز
صدقى كلها ومن ضمنها عبد المنعم عمارة . وبظهور الوزارة الجديدة
ظهرت الحقيقة على طبيعتها ولذا منع دخولى مجلس الوزراء فذهبت الى
عبد الرحمن الشرقاوى ورويت القصة وكان عبد الرحمن الشرقاوى رئيس
مجلس ادارة روزاليوسف ومعروف أنه كان يتسم بالشجاعة والشهامة
فاتصل فى الحال بالوزير عبد الفتاح عبد الله تليفونيا (رحمه الله)
وكان هو وزير شئون مجلس الوزراء وكان ضابطا فى الجيش وقال له :
بلغنى أن عبد الستار الطويلة منع من أن يكون ممثلا فى مجلس الوزراء
فأرجو تفسيراً مكتوبا على ورق .

لماذا رفض مجلس الوزراء أن يكون هو ممثلا للجريدة وأنا اعتبره
ممثلا لى أنا عبد الرحمن الشرقاوى ونائبا عنى عندكم ؟

فقال له ليس من الضروري أن يكون التفسير مكتوبا .

فقال له عبد الرحمن : لا . . أريده كتابيا لأننا انتهينا من عهد الكلام الشعري لأن أنور السادات نادى بالديمقراطية والحرية وأحرق الشرائط والتقارير البيرية فأنا أريد أن أعرف . . فقد أرسلت هذا الرجل ليمثلنا . . فجائز أنا مخدوع فيه . . من الجائز أن يكون جاسوسا جازي عميل لأحد . . أريد أن أعرف لمان كان جاسوس أو عميل لأحد فأنا الذي سوف أعاقبه وأقدمه بنفسى للنيابة . . وإن لم يوجد أى اتهام . . فإنه يجب أن يستمر وأن لم يحدث ذلك فأنا مستقيل وسأترك هذا الكرسي الذي أجلس عليه إن لم يوجد لديكم تفسير منطقي لذلك ! وبالطبع لا يوجد رؤساء مثل المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى فأغلبهم يرجف من مجرد تقرير مباحث ولا يتحدى سلطات الأمن هكذا ويهدد بالاستقالة كما فعل الشرقاوى « رجل والرجال قليل حقا » !

وفى الساعة الخامسة نفس اليوم دق جرس التليفون فى بيتى من مدير الأمن فى مجلس الوزراء وقال لى : « تسمح تحضر لنا لتأخذ كاريهك فى مجلس الوزراء » . وذهبت ومن وقتها أصبحت مندوبا لروز اليوسف فى مجلس الوزراء . هذه القصة تدل على التناقضات داخل أجهزة الأمن والسلطة فى داخل البلد يعنى مواطن أعطوه حق أن يمثل الراى العام ويعمل بالصحافة ويكتب فى كل يوم فى الجرائد معبرا عن الناس . . وكذلك أنا واحد من الناس المدافعين عن النظام ولست معاديا له وأجهزة الأمن كالمباحث العامة والمخابرات ترى أننى لا أعمل ما هو معاد للبلد أو النظام ولا تعترض على ذلك تظهر جهة تتجاهل كل هذا وتتجاهل أن النظام يتعامل مع اليساريين ويتعاون معهم طالما ليسوا ضده ويظهر جهاز معين يرفض التعامل مع هذا الفرد اذن الأجهزة فى واد والسياسة العامة فى واد .

حدث بعد ذلك عندما عرفت أنور السادات وبدأت تظهر بينى وبينه علاقة قال عبد الرحمن الشرقاوى . لريد أن نجعلك مندوب روزاليوسف فى رئاسة الجمهورية لتتمكن من لقاء الرئيس فى أى وقت . . بحيث لا تخضع المسألة لأن يطليك : أو تطلب أنت مقابلته . . فهذا الوضع سيعطيك الصلاحية فى دخول رئاسة الجمهورية فى أى وقت طالما معك الكارنيه . . مندوب رئاسة الجمهورية يمكنه التواجد حيث يتواجد رئيس الجمهورية .

وبالفعل قدمنا طلبا بذلك وإذا برئاسة الجمهورية ترفض اعتبارى مندوبا لروزاليوسف فى رئاسة الجمهورية ؟ إدارة الأمن برئاسة الجمهورية .

منى التى رفضت رغم أنها ترانى أقابله وأجلس وأتحدث وأكل وأشرب
معه وأسافر معه فى الاسماعيلية والقناطر وغيرها . . فكيف ليس من
حقى أن أكون مندوبا ١٩ .

— وقيل لى بعد ذلك أن السبب فى رفضك هو أشرف مروان الذى
عين من قبل الرئيس ضابطا للاتصالات وسكرتيرا لشئون المعلومات
وأعطيت مسئولية أمن رئاسة الجمهورية له . . فلما قدموا له الورق اعترض
عليه .

وفى مقابلة مع رئيس الجمهورية فى القناطر قلت له ياريس هل
معتقون أن سيادتكم وأنا باجى لك وباقعد نتكلم مع بعض ساعتين فى الجنيه
أن أقدم طلبا لكى أكون مندوب روزاليوسف فى رئاسة الجمهورية فيرفض
طلبى ويقال لى أصل أشرف مروان رافض لأنه ضد الشيوعيين فضحك
أنور السادات وقال لى : أصل انت قصدت البيوت من غير أبوابها !

قلت له ازاي يعنى ؟

قال : تلاقيك قدمت زى أى واحد ما ييقدم انت كنت كلمتني أو
كلمت فوزى عبد الحافظ سكرتيرى كان اتعمل لك الكارنيه وانبت واقف .

وفى العصر دق تليفون منزلى وأشرف مروان على الخط ولم يكن لى
سابق معرفة به .

وقالى لى : ازيك . أنا الرئيس كلمنى وقال لى انك زعلان منى وبتقول
له انى رفضت انك تكون فى الرئسة لأنى ضد الشيوعيين وأنا أريد أن
أراك واعتبر هذه المسألة محلولة مقيش مشكلة وأنا لسبت ضد الشيوعيين
ولا حاجة ! لكن عاوز أشوفك علشان ندردش شويه .

فقلت له : تحت أمرك . .

قال أنا ساذهب الى مجلس الوزراء الساعة السابعة أشوف العميال
دول بيعملوا ايه (ويعنى الوزراء) وسأنتهى منهم بعد نصف ساعة كفاية
عليهم نصف ساعة وعلى ذلك أقابلك الساعة والنصف أو الثامنة فين ؟
قلت له بسيطة . أقابلك فى مجلس الوزراء وبعد أن تنتهى من
مهمتك نخرج لتجلس فى المكان الذى تحدده .

— وقابلته فى المجلس فى الصالة وصافحته لأول مرة واستقلينا
العربة وذهبنا الى كازينو النهر على النيل . وظل يحدثنى ويشكو بأنه
مظلوم وأنهم يتهمونه بأنه فتى مدلل وأنه يياخذ سميرة فى صفقات
السلاح التى يشتريها لمصر . وأكد بأنه لم يياخذ سميرة من مصر على

السلاح. وانما ياخذ على الأسلحة التي يشتريها للعرب . وقال أنه ليس ضد الشيوعيين ولكنه ابن مصر كلها يمين ويسار وأنه لا يعرف هذه التقسيمات وقال انه يقرأ لى وكلام من هذا القبيل . ولكنه لم يحدثنى عن موضوع التصريح اطلاقا . وكلما تطرق الحديث عن السياسة كان واضحا لى أن نصيبه من الوعي السياسى متواضع وان كان قد بدا أنه يريد أن يعرف أكثر ويتعلم أكثر مع ذكاء وقاد والتقاط للأفكار كأنه قارى لها من ناحية أن شخصيته مريحة ويجتذبك برقته وأذبه . مع احسان بالطموح الى غير ما حد .

وجلسنت وناقشته أنا فى مسائل سياسية قرابة ساعتين وقال لى : لابد أن تحضر لى فى الهيئة العربية للتصنيع فى أى يوم لترى عملي هناك .

— وانتهيت من اللقاء وانصرفت وفى اليوم التالى حدثونى فى التليفون بأن أحضر لاستلام الكارنيه وبدأت بعد ذلك أذهب الى المجلس بموجبه . . . وكنت التقى بأنور السادات الذى كان له طريقة عظيمة فى التعامل مع الصحفيين .

حكى لى بعض زملائي أنه . . . فى عهد جمال عبد الناصر عندما كان رئيس مجلس وزراء وعضو مجلس قيادة الثورة ١٩٥٢ - ١٩٥٥ . كان ينزل من على سلم رئاسة الوزارة ويجد مندوبى الصحف فكان يضحك ويتبسط معهم ويتحدث ويحكى لهم الأخبار ويسأل عن الغائب منهم لئلا يخطئ ذلك . . . ولكن بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ١٩٥٦ بدأت علاقته بالصحفيين برئاسة الوزراء تنقطع ويتأله ولا يجلس ولا يتحدث معهم وركز اهتمامه على أن يكون له صحفى واحد هو الأستاذ حسنين هيكل .

ولكن عندما أتى أنور السادات الى الحكم استحدث شيئا جديدا وهو أنه كان يتحدث مع مندوبى الصحف الموجودين فى رئاسة الجمهورية ويناقشهم . . .

كان الحرس يحاولون ابعادنا عن رئيس الجمهورية ولاحظ السادات مرة ذلك فقال :

يا جماعة ماتبعدوش الصحفيين عني . ماتنسوش أنا كنت صحفى ! .
الصحفيين دول حبايبنا . . . (وكان هذا يضايقهم) .

وعندما كان السادات وهو مدعو على الغداء فى مكان كالجبهة مثلا . . . ما يكاد يجلس على مائدته حتى كان يهب واقفا ويقول فىن الصحفيين ؟ ويناديننا لنجلس معه على مائدته مع الوزراء والحكام .

— يرى البعض أن هذا تمثيل بهدف عمل الدعاية لنفسه .
ولیکن . فانا كصحفي يهمنى السلوك ولا يهمنى نواياه طالما سيعمل دعاية
لنفسه يخدع من خلالها الشعب وأنا كرجل اعلام يهمنى أن أكون قريبا
منه ليسهل ذلك عملي وأرى ما يفعله عن قرب !

في إحدى المرات كانت هناك مأدبة في العيد الكبير في الجيش وبها
لحم وفت . وقبل دخولنا المطعم . قال لأحد مرافقيه من الضباط : اوع
يكون الفتة واللحمة باردة لحسن الجماعة الصحفيين يفضحونا دول معنا
من الساعة خمسة الصبح فيجب أن توكلوهم كويس !

— ودائما في رحلاته في الخارج كان يستدعي مندوبي الصحف الى
جانب رؤساء تحرير الصحف بينما جمال عبد الناصر عندما كان يسافر الى
بلد كان يأخذ معه واحد فقط هو حسين هيكل ولكن الجرائد تغطي الزيارة
بارسال مندوبيها . قبل الرحلة بيومين أو ثلاثة ولكن السادات استحدث
شيئا جديدا عندما طلب أن يسافر معه في نفس الطائرة رؤساء تحرير
الصحف جميعا . وعلى الجرائد ارسال مندوبين آخرين في طائرة
أخرى وكان في البلد الذي نسافره لا يدعو رؤساء الصحف لمجالسته فقط
بل المندوبين أيضا والكل أمامه على قدم المساواة . ومن حق الكل مناقشة
رئيس الجمهورية . ولاحظت أن هذا كان يضايق معظم رؤساء التحرير .
— وقديما كان رؤساء تحرير الصحف فقط يقيمون في اللوكاندات
التي ينزل فيها رئيس الجمهورية . ولكن بعد ذلك قرر أنور السادات أن
يقيم مندوبو الصحف أيضا في نفس اللوكاندة التي ينزل فيها أو أقرب
واحدة اليها ليكونوا قريبين منه .

ولنستكمل الصورة نحكي بعض حكايات عن كيفية تعامل السادات
مع الصحفيين وسلوك السلطة عموما .

وفي عام ١٩٧٤ كنا نزرع معه منطقة القنال . وكان هناك
عدد من الصحفيين يحاولون الاقتراب ما أمكنهم من الرئيس ليسمعوا
ما يقوله . فكان الحرس الجمهوري والبوليس يبعدهم عن محاورته
وحدثت مشاحنات . ولاحظ أنور السادات مرة هذا الإبعاد من جانب
الحرس للصحفيين فوقف والتفت اليهم وقال :

ماحدث يقرب من الصحفيين . خليفهم يبقوا جانبي . يا ابني
بتبعدهم ليه دي مشغلتهم يعدوا أنفاسي مش يسمعوا كلامي بس !

وضحك الناس جميعا . وأصبحنا نقترّب من الرئيس .
وعند خط بارليف في تبة مرتفعة تلقى السادات حوله فلم يجد

الصحفيين .. فصاح فى غضب .. فى الصحفيين يا ابنى انت وهوه ..
خللى بالكم منهم يكونوا قبلى كمان :

وعندما كنا ندخل ولائم عملها لنا الجيش كان السادات يتلفت
حوله فاذا وجدنا بعيدين عنه أشار بيده اليها لتتقدم ..

وكنت لاحظ ان الحراسة الخاصة ليست مستريحة لهذا الأسلوب ..
فقد كانت هذه بداية اختلاط الصحفيين برئيس الدولة بعد فترة شبه
مقاطعة أيام جمال عبد الناصر عندما كان كل شيء مبرمجا وخاضعا
لبروتوكول دقيق نظرا للهيبة الرهيبة التى كانت تحيط بجمال
عبد الناصر .. لكن أنور السادات كان شيئا آخر مع الصحفيين ..
لقد كان صحفيا فى وقت من الأوقات وهذا ساعده على أن يتخذ مواقف
زمالية بالنسبة لهم .. وأكثر ادراكا لظروفهم واحتياجاتهم وبالتالي
يتعامل معهم بطريقة أفضل .

.. وكان السادات يصر فى الحفلات التى يقيمها رؤساء الدول له أن
يكون الصحفيون مدعوين فيها باعتبارهم وفدا اعلاميا رسميا .. وبالتالي
كانت الموائد التى يوزعون عليها تضم كبار القوم فى تلك البلاد .

وأذكر بهذه المناسبة أن المرحوم محمود ذهنى المحرر الدبلوماسى
فى روزاليوسف استطاع أن يظفر باعجاب لوردة المجليزية (زوجة لورد
معروف) كانت الى جواره فى مائدة العشاء أمامى وكانت سيدة جميلة ..
وفوجئنا بها فى الفندق مع محمود وتبدو والهة بلا تكلفة معه وبدون
أى شعور بالخجل .

وكانت حكاية تندرنا بها .. طوال أيام الرحلة وكل واحد يود
لو كان مكان محمود ذهنى رحمة الله عليه !

ولذلك حضر الصحفيون المصريون كل حفلات الملوك والبيت الأبيض
ورؤساء الجمهوريات المختلفين التى أقاموها لأنور السادات وجالسوا كل
كبار الحاضرين واستطاعت صحفية مصرية مثلا هى نوريس عبده أن
تراقص الرئيس الأمريكى فورد بعد أن طلبت منه هى ذلك ووقفنا حولها
نضحك ونضحك .

مثل آخر نحكيه عن أسلوب أنور السادات فى التعامل مع
الصحفيين .. كانت العادة أن كل صحيفة تعطى مندوبها فى رحلات الرئيس
بدل سفر .. وكان بعض الصحفيين لا يكفيهم بدل السفر هذا للنزول
فى فندق مناسب أى قريب من القصر أو الفندق الذى يقيم فيه الرئيس
.. وإنما فى فندق فقير نجعتان أو ثلاث ..

وعندما كنا في النمسا عام ١٩٧٥ .. وضعونا في فندق كونتننتال قريبا من فندق امبريال الذي كان يقيم فيه الرئيس .. ولما حسبنا بدل السفر وجدنا أنه لا يكفى لسداد أجر الفندق ..

وكان من بين مرافقى الرئيس فى رحلته الدكتور أسامة الباز الذى كان يعمل مديرا لمكتب السيد اسماعيل فهمى وزير الخارجية حينذاك .. وكان يبدو أن أسامة لطيف ورقيق مع الصحفيين .. ويتعامل بأسلوب فيه ود وصداقة ولم يكن فى ذلك الحين شخصية بارزة كما هو الآن .. أذكر أنى ذهبت وزميلي الأستاذ عبد الرحمن سليمان المحرر بمجلة الاذاعة يومها .. الى الدكتور أسامة فى غرفته بالفندق .. فوجدناه غارقا فى أكداش من الورق .. على المكتب والأرض والمقاعد مع فناجين قهوة كثيرة .. فوضى فى كل مكان .. ولكنه منكب على الورق يكتب واحدة وراء الأخرى فى سرعة عجيبة .. قال له عبد الرحمن .. يادكتيور خذوا بدل السفر بتاعنا وقعدونا فى المكان المناسب .. قال بود شديد ايه الحكاية ..

حكينا له الحكاية .. خرج وعاد بعد دقائق قليلة وقال .. الرئيس أمر اللوكاندة على حساب الرئاسة .. خلاص استريحوا وانقلوا عفشكم معنا هبنا ..

لم يكتف أنور السادات بهذا بل فى احدى الرحلات سمع اثنين مصورين يتحدثان مع بعضهما عن ضالة ما بقى معهما من بدل السفر بحيث لن يستطيعا شراء أشياء لأولادهما .. رغم أنه أصبح تقليدا أننا اذا نزلنا بلدا أقمنا فى فنادق على حساب مصلحة الاستعلامات ..

فما كان من أنور السادات الا أن استدعى مدير مصلحة الاستعلامات حينذاك مرسى سعد الدين وقال له الصحفيون قاعدون على حسابكم فى اللوكاندة .. اعط كل واحد منهم ثمن أكله طول اليوم وقهوته كما أن .. أنا مش عاوز يصرفوا حاجة من بدل السفر على الرحلة .. خللى بدل السفر يشتروا به حاجات لأولادهم ..

قال لى مرسى سعد الدين ان السادات سكت لحظة وقال له ..

— الصحفيون دول أغلب من القلب ..

ولما قابلت السادات بعدها وشكرته على تصرفه باسم كل الصحفيين .. قال لى .. ما أنا منكم وعارف ايه الى يريحكم والبلد بتصرف كثير وقليل .. وانتم بتشتغلوا كثيرا وما فيه حاجة وأنا عارف ان رئيس التحرير جايب معاه بدل سفر قد كده ! ..

كان أنور السادات لماحا .. ويعرف كيف يتعامل مع الناس الذين
يهمه أمرهم ويعرف أنه يمكنهم أن يفيدوه ..

كما كانت له لغات السانية . وكان اذا أعجبه صحفي عمل الكثير
من أجل اكرامه واشعاره بهذا التقدير . ولم يفرق بين أحد كبير وصغير ..
بل أنه قرب صحفيين ليسوا مشهورين اليه .. أو مخالفين لفكره
ولعلنا نذكر كيف قرب اليه عبد الرحمن الأبنودي وهو يعرف أنه يساري
.. لسماحه أغنية جيدة له .. وهو أى السادات كان فى عنوان هجومه
على اليسار .. وكيف التقى بكثيرين طلبوا لقاءه اما لعمل رسالة
أو دراسة عنه .

ولم يكن يمنع ذلك من وجود صحفيين مقربين جدا اليه .. ولم يكن
أنا واحدا منهم .. يخصصهم بالاتصال بهم دائما برقم تليفونه معهم يطلبونه
فى أى وقت كما كان يتحدث معهم عن المواد التى ينشرونها .. فهو الذى
طلب من احسان عبد القدوس أن ينشر عنده حديثي معه عن جبهة الرفض
بعد فشل محادثات كيسنجر فى أسوان فى صيف ١٩٧٥ .

ونشر احسان الحديث فعلا فى الأهرام وكان احسان أستاذي
وهو الذى أعطاني فرصة العمل بالصحافة لأول مرة فى روز اليوسف .

ونجى لك كيف أن النظام يستفيد من اليساريين مع ترك الحرية لهم
للدفاع عن اليسار فقد وضع لى ذلك فى حادثة بسيطة كان يطلبها الدكتور
جمال المطيحي وزير الاعلام . ففى ١٩٧٦ كتبت كتاب « رفض الرفض »
دفاعا عن سياسة السادات فى وجه الرفضين الذين بدأوا يمثلون قوة
معارضة لسياسة السادات لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى من بعد
فض الاشتباك فى اتفاقية الكيلو ١٠١ - وكنت قد سجلت فى هذا الكتاب
التقادات لشأنه إيران ومدح للاتحاد السوفيتي . فامتنع الرقيب عن الموافقة
على بعض الصفحات . فقلت له تعال نحتكم للوزير . وذهبنا اليه وعرضنا
عليه الصفحات المرفوضة من الرقيب فنظر الوزير الى الرقيب وقال له
احبا، نعرف ان عبد الستار الطويلة ده كاتب وطنى ويدافع عن نظام
أنور السادات ولكن عبد الستار الطويلة ليس موسى صبرى وانما هو
كاتب ماركسي ولذلك يجب أن نلغه يمارس حقه فى الكتابة عن الماركسية
لكن يستمر معنا ولأن من مصلحتنا ان صفته ككاتب ماركسي تستمر لكى
يشدقه الناس ..

- قال ذلك صراحة وكانت هذه هى الصيغة النظرية التى كنت أبحث
عنها لتحديد العلاقة بيني وبين النظام وأنا أدركتها وحاولت أن أستفيد من

هذه المعادلة الصعبة واننى أقول أنه طوال وقت وجودى ودفاعى عن سياسة السادات كان يسمح لى أن أكتب بحرية منتقدا سياسته فى أشياء كثيرة جدا خاصة فى مجالى الانفتاح والديمقراطية وعارضته بوضوح فى مسألة الصحفيين الذين كان يود فصلهم من نقابة الصحفيين وعارضت سياسة الانفتاح بوضوح وعارضت محاولات طرد الصحفيين الذين فى الخارج من صحفهم وكتبت كل ذلك ٠٠ وعارضت ازدياد النفوذ الأمريكى فى مصر ٠ وكنت أكتب كل ذلك فى روز اليوسف وصباح الخير والسياسى ٠ نخلص من ذلك بالنسبة للتعامل مع السلطة الى أنه يجب على الانسان أن يكون صريحا وواضحا مع النظام ومحددا لأن التعامل السياسى يجب أن يكون فيه حد أدنى من الثقة ٠ ولذلك كنت أقول لآى مسئول أننى حليف للنظام ولست تابعا له ولا أستطيع أن أخفى أفكارى وحدث نفس الشيء مع الرئيس حسنى مبارك إذ حدث أمام صلاح حافظ وكنا فى واشنطن فى ديسمبر ١٩٨٠ فى فندق ماديسون ٠ وسألنى حسنى مبارك وكان نائبا للرئيس أيامها كيف أنك واحد شيوعى وعندك مرسيدس ٠

فعاثبته على هذا الكلام فقال لى يا أخى أنا باضحك وبأهزر ٠٠

ثم سألنى ٠ هل أنت شيوعى ؟

فقلت أنا مثقف ماركسى ٠ والشيوعى عضو فى الحزب ولكننى لست عضوا فى الحزب ٠٠

فقال نحن ليس لنا شأن فى ذلك ولكل واحد حرية التفكير كما يريد وأنت رجل وطنى وكاتب ممتاز ٠ وعندما خرجنا قال لى صلاح حافظ كيف يا أخى تقول أنك انت مثقف ماركسى لنائب رئيس الجمهورية ا

فقلت له : يا صلاح حسنى مبارك ده نائب رئيس جمهورية وليس وكيل نيابة حتى أتلاعب معه ٠٠ ده حاكم وهو الرجل الثانى فى الدولة وبالتالي يجب أن يعرف الحقيقة ويعرف مع من يتحدث ويناقش فمن حقه أن يعرف ٠٠ حتى اذا قبل هذا الوضع تعامل معى على أساسه ٠

فرد صلاح : معك حق

— وفى مرة مع العقيد القذافى سألنى فى أول لقاء بسيربلانكا ٠

قال لى : أنت بتصوم ؟

قلت له : لا

قال لى : وليه ؟

قلت له : لأسباب عقائدية ا

وعندما كتبت الحديث وقدمته لأنور السادات ليقراه قبل النشر فعندما وصل الى هذا الحوار خبط كفا على كف وقال لى : ازاى تقول للقذافى كلام زى ده . انت بتثبت على نفسك ان انت فيه أسباب عقائدية تجعلك ماتصومش ؟ ..

وضحكت قائلا : برضه ياريس ما أقدرش أكذب على مسئول كبير زى القذافى .. أضحك عليه وأنا أتكلم معه فى مسائل كبيرة قوى ؟ .. لازم أقول له الحقيقة وأكون صريح وواضح معاه وأنا لا أخاف . فهو سيبدأ يتعامل معى على هذا الأساس ! ..

- الغريب أن أنور السادات كان دائما ما يذكرنى بهذه الحكاية ويذكرها أمامى وأمام الآخرين للتدليل على غفلتى لأننى كنت أقول هذا الكلام أمام القذافى بصراحة !!

واحكي لك قصة أخرى تكشف عن الجو فى الصحافة المصرية وكيف يتعامل الصحفيون مع بعضهم البعض .. وأحيانا بطريقة سيئة ليس لها من مردود سوى الاساءة لموقعهم ومكانتهم جميعا لدى الحاكم ..

فعندما كنت فى أمريكا عام ١٩٧٧ .. كنت أتصل من حين لآخر بروز اليوسف .. وأملى عليهم رسائل صحفية .. وفى مرة من المرات قال لى صلاح حافظ .. « ان الرئيس خلاص شال عبد الرحمن الشرقاوى من روز اليوسف وشالنى أنا من رئاسة التحرير » .. فطلبت تحويلى للسويتش .. وطلبت مرسى الشافعى رئيس مجلس الإدارة .. وكنت أعرفه معرفة سطحية من قبل .. وقلت له مبروك يا أستاذ مرسى انك شرفتنا .. وأضفت بسلامة نية وبساطة انا أرجوك يا مرسى انك تجمعنا كلنا مع بعض .. وماتكونش جاي تمسك كرباج أو ضغط على اليسار فى الجرنال .. ويعنى نتعاون كلنا .. وانت راجل كنت فى الوفد قبل كده .. ديمقراطية وليبرالية يعنى انا فرد على قائلا يجب أن تعود الى مصر .. قلت انشاء الله . وكلمت عبد العزيز خميس أيضا وباركت له .. وقلت له كلاما مشابها .. وعبد العزيز كنت لا أعرفه شخصيا قبل ذلك كنت أسمع فقط عن أيام قضيته مع أنور السادات وعندما عدت قابلت مرسى الشافعى فى مكتبه .. فاستقبلنى بحرارة وسلمنا على بعض .. وجلسنا معا .. وبعد ذلك قال لى انا يا أخو دم

أنا كنت فاهم عنك حاجات سيئة جدا .. فقلت ازاي ؟ .. قال لي ..
 أنا لما جيت هنا كذا واحد جاء وقال لي انك كنت بتستغل علاقتك
 بأنور السادات وعامل عملية تهديد هنا في الجرنال .. وبتكلم على انك
 ستصبح رئيس مجلس الادارة بحكم الصلة التي بينك وبين أنور السادات
 .. وناس جاءت تقول لي .. لابد من ايقافك عند حدك .. وانك كنت
 تزعم للناس انك تقضى حاجتهم عند رئيس الجمهورية .. وتقول لهم
 يالله الي عايز اعمل له اى حاجة اعملها له .. وبتكلم كده بزهو وتعالى
 « وقنزحة » على الناس ! .. وضحكت طبعا .. ولكن مرسى الشافعى مضى
 يقول لي .. واحد صديقى .. وبأثق به جدا ده الوحيد الذى شهد لك
 شهادة كويسة .. اذ نفى هذا الكلام تماما .. سألته من ؟ قال فوميل
 لبيب (الصحفي الكبير فى المصور يرحمه الله) وكنت قد وثقت علاقتى به
 من خلال أنه كان ممثل المصور فى رئاسة الجمهورية أيضا .. وكنا لسافر
 رحلات الرئيس مع بعض .. وربطت بينى وبينه ونوريس أحمد التى كانت
 ممثلة جريدة السياسى علاقة وثيقة جدا .. قال لي مرسى الشافعى أن
 .. فوميل عندما جاء الى المكتب يهنئه .. قال له أوصيك برجل كويس
 أوى تتعاون معاه كويس جدا وهو عبد الستار .. سأل مرسى فى دهشة
 فلان الغلانى ؟ .. دول بيقولوا لي عليه كذا وكذا ؟ .. قال فوميل لا لا ..
 ده عبد الستار عمره ما استغل علاقته بأنور السادات .. بالعكس كان
 بسيط ومتواضع ولا يهتم بالحكاية دى .. ولا بتظهر عليه .. ولا عمره
 اتصرف على انه له علاقة بالسلطة أو رئيس الجمهورية .. بل بالعكس
 .. ولا عمره كان يضع فى رأسه انه يبقى رئيس مجلس ادارة ..
 ولم يسع للحكاية دى أبدا .. هو كان مبسوط بس انه يقعد ينشر ويكتب
 الى عايزه .. وكان دائما فى لقاءاته مع الرئيس .. يكلمه بصراحة ..
 والحقيقة أن فوميل لبيب ونحن فى ايطاليا فى رحلة مع الرئيس حدثت
 تعديلات وتعيينات فى المناصب الصحفية - ففوجيء فوميل لبيب أنه
 عين مدير تحرير وهو كان يأمل أن يصبح رئيس تحرير .. فتأزم جدا
 واعتكف فى حجرته .. فانا لما ذهبنا اليه فى غرفته قلت : له اسمع
 يا فوميل .. انت عايز تموت نفسك ولا ايه ؟ .. أنا أسالك سؤال ..
 انت علاقتك بالسلطة ومع أنور السادات أكثر منى ؟ .. قال لا .. قلت
 له وأنا باقول لك ان السلطة ليس لها أمان .. وانك ممكن أوى تكون
 صديق قوى لرئيس الجمهورية والسلطة جدا جدا ويفقدوا بك تانى يوم
 .. لا تثق فى أى حد فى علاقتك بالسلطة ولا تنتظر منها شىء .. لانك
 ستدل نفسك هى لها اعتبارات فى التعيينات وفى المراكز وانت ماتعرفهاش
 .. وموش لازم تتوقع لو أدبت للسلطة خدمات فانها لازم تكافئك على كده

٠٠ المكافآت والحاجات دى لها اعتبارات أخرى أيضا عندهم ٠٠ قد لا تكون لها علاقة بالوفاء ٠٠ فوميل لبيب قال لمرسى الشافعى الحكاية دى فمرسى قال بعد أن رواها ان « كلامك مضبوط » ٠٠ ولذلك فانا منذ اليوم الذى عينت فيه فى المركز ده ٠٠ وأنا « بدأت العد التنازلى لغيابى عن الكرسي » ٠٠ وهذه كانت أحكم عبارة قالها لى مرسى الشافعى ٠٠ وعبرة صريحة رغم أننا لم نكن أصدقاء ٠٠ ورغم أن مرسى الشافعى تقول على كثير بعد ذلك ٠٠ لكن الانسان مجموعة من تصرفات تبدو متناقضة ٠٠ يعنى مثسلا مرسى الشافعى فى مره من المرات بعد فترة ٠٠ وجدته يقول لى ٠٠ يا أخويا التفاح الى أنت عمال تستورده من الخارج ده ٠ وتكسب منه مكاسب هائلة ٠٠ قلت له ٠٠ تفاح ايه ٠٠ قال لى ٠٠ موش انت وبسيونى جمعة مستوردين التفاح الى يتباع فى البلد دى كله ١٩ ٠٠ فأبدت دهشتى الشديدة وقلت له يامرسى - أنا لا أتاخر وليست لى علاقة بالتجارة ٠٠ وبسيونى جمعة صديقى ٠٠ عمرى ما وجدته يستورد تفاح ٠٠ وأنا عايز أقول لك ٠٠ ان العلاقة الوحيدة ذات الطابع الاقتصادى أو التجارى بينى وبين بسيونى حقيقة هى علاقة أننى أتيت به ليقوم بحملة اعلانية لروز اليوسف فقط ٠٠ انما اذا كان بيتاجر فى أى حاجة ٠٠ فلا علاقة لى بذلك ٠

ومع ذلك فان مرسى الشافعى كرر نفس اكدوبة التفاح امام أنور السادات وعدد من رؤساء التحرير فى جلسة معهم بالقناطر ليشوه سمعتى يرحمه الله ١ وتصدى له الأستاذ ممدوح رضا رئيس دار التعاون حينذاك ٠ ورغم هذا فانى أسجل لمرسى الشافعى أنه كان صريحا معى وقال لى الحقيقة فى حوارهِ مع أنور السادات عندما ذهب يقابله بعدما السادات أمر بسحب كارنيه الرياسة منى ٠٠ وسأله ٠٠ ما اذا كانت هناك تعليمات بشأنى أم لا ٠٠ وجاء وحكى ما حدث ولم يقل لى مثلا أنه دافع عنى أمام السادات انما سؤال ورد عليه فقط ٠٠ رغم اننى كنت قد اتفقت معه أن يثير الموضوع من أساسه ولكنه اهتم فقط أن يعرف ما اذا كان مسموحا لى بالكتابة أم لا ٠٠ فلما عرف الاجابة سكنت ولم يهتم بتحقيق رغبتى لأنه لم تكن له مصلحة فى أن تنصلح الأمور بينى وبين السادات والا أصبحت مركز قوة فى المؤسسة كما كان يتصور ويتوهم ٠ فهو نفسه الذى قام بتصرف غريب جدا بعد ما أنا كلمته من أمريكا فى التليفون ٠٠ تصرف بعكس أيضا الجو التامرى فى الصحافة المصرية وقد قص على هذه القصة زميلى وأستاذى الأستاذ لويس جرجس الذى كان عضوا منتدبا بالمؤسسة ثم رواها لى ممدوح سالم أيضا بعد ذلك اذ عندما ما قلت لمرسى ٠٠ أرجوا انك انت ماتكونش جايب كريات ضد اليسار - وتتعاون معنا وما « تعملش مشاكل وحاجات زى دي » غضب من الكلام

بشدة .. واستدعى لويس جرجس .. وقال له وهو نائر جدا - شفت
عبد الستار الطويلة يعطينى تعليمات من أمريكا ؟ قال له - تعليمات ايه ؟ -
قال بيقوللى لا تعامل اليسارين وحش وتعاون معاهم .. هو فاكّر نفسه ايه
بيدينى تعليمات .. وايه الكلام الفاضى ده ؟ .. لازم أضحح حد
للموضوع ده ! .. وطبعا هذا الموضوع عززته الوشائيات التى كانت تصله
.. بأننى استغل أن لى علاقة برئيس الجمهورية وطلب مرسى الشافعى من
لويس جرجس الدوسيه الخاص بى وفحصه كى يرى ما اذا كنت قد
حصلت بسبب علاقتى بأنور السادات على مزايا أو « كوسة » فلم يجد
والحمد لله .

المهم ذهب لمقابلة ممدوح سالم .. وعاد ليقول للويس جرجس
أنا كلمت ممدوح سالم فى الموضوع .. وقال لى .. أنت حر التصرف ..
بعد ذلك قابلت أنا ممدوح سالم .. بعد حضورى من أمريكا
وجلست معه .. فقال لى يا أخى انت عملت مشكلة مع مرسى الشافعى
فى روزاليوسف لماذا .. كيف تكلمه بلهجة أمرة ؟ قلت له .. لا لهجة
أمرة ولا حاجة .. ده أنا بكلمه من العشم علشان الجو يبقى هادى فى
روزاليوسف .. طبعا أنتم أرسلتوه ليصفى اليسار .. ضحك ممدوح
سالم وهو الذى لعب دورا فى تعيين مرسى الشافعى فى روزاليوسف وقال
لى ان مرسى الشافعى سأل هل هناك وضع خاص بالنسبة لعبد الستار
الطويلة ؟ .. سأل ممدوح سالم ازاى ليه ؟ قال .. ده بيدينى تعليمات
من أمريكا .. والناس كلها بتقول ده صديق أنور السادات .. ويستغل
علاقته بأنور السادات ويصدر تعليمات ويبهده انه يبقى رئيس مجلس
ادارة ! .. قال لى ممدوح سالم .. أنا استغربت من الكلام ده .. أنا
ماسمعتش أبدا انك تعمل حاجات زى دى .. ولكن على أى حال لما سألنى
مرسى عن الحل .. قلت له .. مفيش رئيس مجلس ادارة فى المؤسسة
دى غيرك انت .. واذا كان عبد الستار الطويلة بيعاكسك أو يعمل
حاجات من اللى انت بتقول عليها دى .. انت حر افصله فوراً !
وشكرته وأنا أضحك من حسم ممدوح سالم فقد كان صديقا لى ..
وخفيف الدم .. وصريحا فى ذكاء شديد !

ولقد علمتنى الخبرة التاريخية اذا جاز التعبير ان الصحفيين يجب
أن « يتعاركوا فى غرفة مغلقة » .. بمعنى انه لا يجب أن يهاجم الواحد
منهم الآخر أمام السلطة فالسلطة لها منطق مختلف تماما عما نتصوره فى
نظرتها للصحفيين .. ولا أدري اذا كانت هذه النظرة بدأت ببدء النظام
الشمولى فى مصر بعد ثورة يوليو .. أم انها موجودة قبل الثورة عندما
كنت الصحافة قطاع خاص .. فما كنت صحفيا أيامها .. ولم يحدث
أنى دخلت فى قلب سلطة عمدة قرية حتى أستطيع أن أفهم ..

لكننى من خلال علاقتى بأنور السادات لاحظت أشياء عديدة .. كلها تدور وتلف حول محور واحد .. هو أن أغلب الصحفيين يجهدى معهم استخدام سيف المعز وذعبه .. وأنهم مكروهون بشكل عام لدى الحكام .. ولكنهم ضرورة من ضرورات العصر .. اما لاستخدامهم فى الطبل والزمر .. واما لأنهم جزء من تكنولوجيا الزمان وديكور الديمقراطية ..

ومثل هذه النظرة هى لازمة لكل النظم الشمولية فى العالم .. لأنه فى ظلها يتعطل الابداع لافتقاد الديمقراطية ويصبح أغلب الصحفيين جزءا ملحقا بالنظام مثلهم مثل التشريعات أو الشماشجية أو على الأكثر كبار الموظفين ..

لقد كنت وأنا أتحدث مع رئيس جمهورية الذى يجالس رؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس إدارتها ويعطيهم تليفونه الخاص .. ويعينهم ويتمسك بوجودهم .. اذا ما تحدثنا فى مناسبة عن فلان منهم عند أى رئيس الجمهورية يقول فلان ده حمار .. فلان ده أرزقنى .. فلان ده سيبك منه .. فلان ده نفعه زى ضرره ..

أذكر مرة أنه حدثت معركة بين صحفيين اثنين أحدهما كان نصيرا للسادات جدا .. ولم يقف السادات الى جانبه فلما سألته قال لى أصل مافدناش بحاجة ! ..

ولاحظت أيضا أن السلطة تعرف عن رئيس مجلس الإدارة هذا أو ذاك أنه غير أمين .. ويتلاعب ويأخذ عمولات فى الورق والأحبار .. بل ويتناول المخدرات ويفعل كذا وكذا .. وتقدم فيه مئات الشكاوى من كل العمايز فى المؤسسة ..

ومع ذلك نتركه فى منصبه ولا نأخذ ضده أى إجراءات .

فقط نتخذ الاجراء ان هو خالف السياسة .. وأحيانا اذا ما زل لسانه بعبارات نابية أو ناقده بفسوة ضد النظام فى جلسة كان حظه سيئا اذ كان فيها أحد كبار الكتاب (أى المرشدين كما نسميهم سخريه فى الوسط الصحفى) ! ..

كما لاحظت أن بعض الأسماء الكبيرة .. تراها ضئيلة جدا .. اذ تلعب دور الوشاية والنميمة .. أمام رئيس الجمهورية ..

طالما سمعت أغلب الكتاب الكبسار يهاجمون حسنين هيكل أمام السادات وبحثونه فى حماس شديد على محاكمته ويتهمون به بالخيانة المجرى أنه يعارض سياسته .. ويا ويل حسنين هيكل لو كان السادات استمع

الى هجومهم عليه عندما سبق السادات الى الولايات المتحدة والقي محاضرات في شيكاغو على ما اذكر ..

والسادات يستمع .. ولا شك أنه في أعماق نفسه كنت أتصور أنه يحتقر من يقول هذا الكلام بل يحتقنا نحن الصحفيين أجمعين .. اذ « ناكل » بعضنا بعضا بهذه الطريقة .. فما كان الأستاذ هيكل خائفا .. ولا حتى مخطئا .. انه ببساطة كان يعبر عن رأيه ازاء سياسة رئيس الجمهورية وهذا حق لسيد يرعى الفلاح البسيط في أى قرية مصرية .. انما هي الغيرة والحقد .. والنفاق ..

ولدى رؤساء الصحف حساسية شديدة .. من توثق علاقة أحد منهم بالرئيس أكثر ..

كما يتوقعون شرا من مثل تلك العلاقة ..

وقد مرت أنا بتجربة في روز اليوسف عندما جاء السادات بالمرحوم الأستاذ مرسى الشافعى والأستاذ عبد العزيز خميس ليصفياها كمنبر يسارى بعد أن تخلص من عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وأنا .. فعندما قاطعنى السادات .. لم يحاول أحد من كبار الصحفيين أن يحاول حتى استقصاء الأمر .. رغم أن علاقتى بهم كانت جيدة طالما كنت على علاقة بالسادات ..

وأذكر هنا أن الأستاذ ممدوح رضا رئيس مجلس ادارة دار التعاون ورئيس تحرير جريدة السياسة أيامها .. هو الوحيد من بينهم الذى حاول شبيئا فى هذا المجال فتحدث فى الأمر مع حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية حينذاك .. وتصدى للمرحوم مرسى الشافعى فى اجتماع القناطر الذى أشرنا اليه عندما زعم أنى أتاجر فى التفاح المنتشر بطول البلاد وعرضها !

وأيامها قال لى صديقى محسن محمد رئيس تحرير الجمهورية أنه لا يستطيع مخاطبة السادات فى الأمر .. وحمدت له صراحته ..

وقال لى زميلى الكاتب المعروف الأستاذ نبيل زكى الصحفى بجريدة الاخبار أن الأستاذ موسى صبرى حمل على بعد موقف روز اليوسف من أحداث ١٨٠ و ١٩ وأبدى له تشككه فى علاقائى بالسيد بسيونى جمعه كما أبدى عدم ارتياحه من علاقتى الطيبة برئيس الجمهورية .. وطبعاً هذا ذكر أمام السادات من باب أولى ..

طبعاً ان المرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى وقف الى جانبى تماماً .. وتحدث مع السادات فى الأمر .. ودافع عني ..

وأذكر أيضا أنى عندما طلبت من أنيس منصور الكاتب اللامع وهو ليس صديقا لى ٠٠ ونختلف فى أمور كثيرة أساسية ٠٠ عندما طلبت منه التحدث مع الرئيس فى الأمر تحدث معه فعلا ٠٠ واتصل بى وحكى رد الرئيس ٠

وأنا مضطر لرواية بعض أشياء تتعلق بى لأنها الأشياء الوحيدة التى أنا متأكد منها ٠٠ فهناك أشياء كثيرة من المقالب والوشايات والجو الذى يحدث فيه التلاعب بمصير الكتاب والصحفيين وأوضاعهم ٠٠ واستغلال تناقضاتهم ومحاولة التسليق على أكتاف بعضهم البعض ٠٠ وتسخير أجنحة من السلطة ، لهذا أو ذاك ٠٠ وضرب لفلان بفلان ٠٠ وصراعات داخل بعض المؤسسات الصحفية ٠٠ وتقريب لهذا أو ذاك ٠ وهذه ٠ وتلك ٠٠ واختراقات خليجية متنوعة وأمريكية أيضا وتغاضى السلطة عنها ٠٠ وعمارات وأموال طائلة ٠٠ وحرمان من النشر ٠٠ جنبا الى جنب طوفان من الأكاذيب والافتراءات ٠٠ مما يخدع رجال السلطة أحيانا ٠٠ ولا أستطيع سرد هذا هنا ٠٠ لأنى لا أملك تحمل مسئولية تأكيدها ٠٠

لكن الشيء المؤكد أن سبب نمو هذا كله هو الشمولية التى جعلت معظم الصحف ملكا للدولة تحت اسم القومية وافتقاد الديمقراطية فى الصحافة المصرية ولربما يشير دهشة القارىء أن يعرف أن رئيس الجمهورية طالما ينتقد فى جلساته الخاصة ما يكتبه بعض رؤساء تحرير الصحف التى تدافع عنه ٠٠ وربما وصف ما يكتبه بأنه كلام تافه ٠٠ أو مجرد شتائم وردح !

لكن الحقيقة أن السلطان يستفيد بالكاتب الجاد والكاتب « الهائف » ٠٠ ويستفيد بالكاتب عمف اللسان وبالكاتب الشتام ٠٠ هذا مطلوب وذاك مطلوب أيضا ٠٠

فعندما يريد الحاكم أن يثار من كاتب ينقده بشدة ٠٠ أو يسخر من قراراته ٠٠ فإن مما « يروى ظمأه » أن يطلق أحد كتابه المتخصصين فى الهجوم واللغو ٠٠ ليرد التحية بأحسن منها ٠٠ « فتبرد نار » الحاكم ٠٠ والحاكم فى النهاية بشر ٠٠ يحس ٠٠ ويشعر ٠٠ ويتشغى ويتلذذ بالنكتة والسخرية ٠٠ وقد كان السادات رجلا خفيف الدم حلو المعشر ٠٠ ويجب النكتة والفكاهة ٠٠ ويتقن الاستمتاع « بالكلمة » ويجيد آدابها ٠٠ ولا أظن أن مصر استثناء من هذا ٠٠ فهذا موجود فى كل أنحاء العالم وإن كان الحاكم مستعدا فى الوقت المناسب للتخلى عن كاتبه إذا زاد العيار عنده فى السفاهة والشتيم ٠٠ كما حدث عندما تخلى جمال عبد الناصر فى قسوة عن الكاتب الذى اتهم عبد الكريم قاسم رئيس العراق بأنه يعانى الشذوذ الجنسي ٩٩

كانت مبالغة في الهجو واللغو .. تخلص عبد الناصر منها بمحو وجود قلم الكاتب يومها .. وما زال حتى يومنا هذا نلاحقه لعنة ذلك المقال رغم أنه صحفى لا بأس به ..

تعلمت من علاقتى بالسادات الا أدهش من احتضان الحاكم لكاتب سفيه أو بذيء اللسان أو كافه الحجة .. فلكل مقام مقال ..

كما تعلمت أن كتاب النظام ليسوا جميعا تابعين لشخص واحد .. بل ان هناك استقطابات من أفراد مختلفين فى السلطة لكتاب معينين كما لو كان لكل واحد كاتب عمومى !! وربما دار الصراع بين أجنحة السلطة بواسطة كتاب السلطة ذاتها ..

كما تعلمت أن الجبن مسألة ذاتية أيضا بجانب أنها مسألة موضوعية .. فالنفاق للحاكم قد يدفع الكاتب أن يكون ملكيا أكثر من الملك .. فيخاف من حرية الكلمة .. ويقيد قلمه وقلم من يرأسهم بنفسه .. بينما الحاكم لا يعارض حرية الرأى ولو فى حدود .. وربما كان يستفيد بهذه الحرية فى احدى قضاياها ..

وكان السادات يقول لى .. انه يستريح جدا عندهما يرى كاتبنا يتحدث معه بصراحة ويكاشفه بكل شيء .. حتى لو لم يعمل بكلامه .. فكنت أرد عليه : طبعا سيادتكم تبرم بالمديح والنفاق طول الليل والنهار عاوز شوية فاكهة من الصراحة ! فيضحك كثيرا من قلبه .. ويقول .. متوفى صحيح ! ..

معركة النقابة :

عندما اشتدت معارضة الصحفيين لسياسة السادات بدأ يتخذ موقفا ضد نقابتهم نفسها ووصل الأمر الى الرغبة فى الغائها فاستحدث النظرية القائلة أنه يريد تحويل نقابة الصحفيين هذه الى مجرد نادى ومعنى هذا أنه يجرد الصحفيين من الجهاز أو التنظيم الذى يدافع عنهم وعن حقوقهم أمام رؤساء مجالس الادارات للمؤسسات الصحفية ولكن هذا لم يكن هدف السادات أساسا . فهو كان رافضا وجود التنظيم النقابى للصحفيين الذى يمكنهم من اتخاذ مواقف مختلفة مع النظام وأبسط موضوع كان يثيره جدا هو أن النقابة لا تريد أخذ موقف من قضية فصل الصحفيين من عضوية النقابة سواء الذين يسميهم بالصحفيين الشيوعيين أو بالذات الصحفيين الذين يعملون فى الخارج بعد ان استطاع التأثير على بعض رؤساء مجالس الادارة لبعض الصحف وجعلهم يفصلون أولئك الصحفيين العاملين فى الخارج بطريقة أنهم يبعثون لصحفى مثل محمود السعدنى يعمل فى لندن أو واحد مثل المرحوم الأستاذ فتحى خليل الصحفى المعروف

الذى كان يعمل في العراق ويقولون له أنت لابد أن تعود في خلال ١٥ يوم حسب قانون العمل وعندما لا يأتى يصدرنون قرارا بفصله ٠٠ ولكن نقابة الصحفيين يشهد ويحمد لها ٠٠ أنه خلال فترة حملة السادات على الصحفيين لم تأخذ أى موقف يتفق مع طلباته هذه على الإطلاق ٠٠ ومن هنا جاءت فكرته فى تحويل نقابة الصحفيين الى نادى يعنى مكان للصحفيين يجلسون فيه ويشربون فيه الشاي ويتناولون الطعام وتفقد قيمتها كتنظيم نقابي نهائيا وهذا كان نفس الموقف الذى اتخذه السادات من نقابة المحامين لأن نقابة المحامين فى ذلك الوقت كانت احدى القلاع القليلة جدا فى البلد التى تتصدى لسياسة السادات المعادية للديمقراطية والتى تدافع عن حقوق الشعب فى وقت كانت فيه التنظيمات السياسية (الأحزاب المعارضة) للنظام مثل حزب التجمع تضرب يوميا فالسادات أيضا حاول أن يحل نقابة المحامين وفعلا حقق أهدافه ونجح فى عزل مجلس ادارة النقابة واستطاع السيطرة عليها بواسطة بعض أنصاره ٠٠ وعلى رأسهم عبد الله حسن من الاسكندرية فقد كان السادات لا يطيق على الإطلاق وجود أى تنظيم من التنظيمات سواء نقابى أو سياسى يعارض سياسته فى ذلك الوقت وهذا التعتن من جانبه كان كلما ازداد كلما أصبح للكلمة قيمة أكثر وتصبح أى معارضة أو أى حركة معارضة فى أى مكان محدود ممكن أن تسبب رد فعل وتأثير كبير جدا فى الشعب ٠ كان السادات مؤرقا تماما من نشاط نقابة المحامين اذ كانت تدعوا الى الديمقراطية والحرية السياسية وطبعا معروف أن النظم الشمولية كلما (دقت) على الكلمة كلما اكتسبت الكلمة قيمة اكبر وواضح جدا الآن هنا فى مصر أن الكلمة مطلقة السراح فى الصحف والعلامات والاشارات واللافتات منتشرة بكثرة داخل النقابات وغيرها ولا يحدث شيء يضر الأمن العام ونظام حسنى مبارك مستقر والحمد لله ٠ انما الضغوط التى كان يفوم بها السادات فى أبسط وأتفه الأمور كانت تجعل من الصحف ضده عملية متزايدة يومية رغم أنه فى الحقيقة بالنسبة لأسلوبه فى حل المشكلة الوطنية مع اسرائيل ٠٠ كان مؤيدا من الشعب ٠٠

ولم تكن هناك معارضة جديده من الجماهير ٠٠ بل بالعكس كان هناك تأييد لاتجاهه للسلام مع اسرائيل ٠ وهنا يلزم لاستكمال الصورة أن نتحدث عن موقف جيهان السادات بالنسبة الى تلك المشكلة ٠ فى خلال هذه الفترة لم يكن لى علاقة بالسادات بعدما طلب سحب الكرنيه منى وأصبح يرفض مقابلتى ٠ مع ذلك استمرت فى مقابلاتى مع السيدة جيهان السادات التى كانت تطلبنى أو أطلبها فى أى وقت وكانت فى الحال تلبى طلبى وكنا نتكلم طبعا عن علاقتى برئيس الجمهورية ورأى فى سياسته

وكان باستمرار هذا هو الحديث ولم يكن عن أمور أو مطالب شخصية .
وهي كانت تقول لى بوضوح أنها معارضة لسيادة الرئيس فى كثير من
الأمور وكانت تقول عندما أحدثها عن أن هذه السياسة ضد الديمقراطية
بالذات خطيرة وتؤدى الى افتقاده تأييد أهم فرقتين مهمتين فى مصر وهما
المحامين والصحفيين فكانت تؤيدنى فى هذا الكلام وتقول أنا أعارضه
وأناقشه فى ذلك باستمرار ولكنه متعصب وعصبى ومتشدد .

وأنا أذكر أنه فى إحدى المرات الأستاذ كامل زهيرى الكاتب المعروف
كان مرشحا لرئاسة النقابة فاتصل بى وكلمنى عن ضرورة أن أقابل
السيدة جيهان السادات وأرجوها أن تلعب دورا أكبر فى محاولة اقناع
الرئيس بالتوقف عن هدم نقابة الصحفيين . وكان الأستاذ كامل زهيرى
يتكلم عن السيدة جيهان السادات بمعرفة عن اتجاهاتها الأفضل وكان
لديه أمل كبير فى أنها تلعب دورا فى حل مشكلة النقابة التى كانت تؤرق
الجميع وقد بدا السادات طاغية لا يقف أحد ضد جموحه . ومن حسن حظ
المثقفين أنه كانت هناك مفارقة غريبة اذ كان وزير الاعلام فى تلك الفترة
سياسيا ليبراليا هو السيد منصور حسن الذى استطاع تجميع كل
الاتجاهات حوله . . وكان يمثل فى الحقيقة حينذاك النقطة المضيفة
الوحيدة فقد كان قديرا على التعامل مع كل الصحفيين بدون حساسية
بصرف النظر عن اتجاهاتهم السياسية وهذه كانت مسألة شاذة فى المناخ
المتوتر الذى خلقه أنور السادات بحملته على اليساريين سواء كانوا
شيوعيين أو ناصريين أو غيره . واختلاقه لأول مرة لحكاية من سماهم
بالمحدثين ووضع قرارا وقوانين واستفتاءات تمنعهم من تولى المسئوليات
الاعلامية أو غيرها فى البلد بحيث أصبحت لهجة كثير من الصحف كأنها
تضم وتخطب شعبا من المجاذيب فى هذا المناخ كان غريبا جدا أن يأتى
وزير الاعلام وتكون له علاقات جيدة مع الصحفيين وغيرهم بصرف النظر
عن اتجاهاتهم للسياسية . ونجح منصور حسن فى كسب ثقة الجميع
وكان فى كل مكان يشيد بصحفى مثل محمود المراغى الصحفى الناصرى
المعروف وهو كان أيضا الذى أبرز الأستاذ مكرم محمد أحمد الذى أصبح
نقيبا للصحفيين عن جدارة بعد ذلك . المهم منصور حسن كان يطبق
السياسة المتناقضة تماما مع النظام أو ما يبدو من أحاديث أنور السادات
وتصريحاته الجنونية بتقسيم المجتمع الى فئات ملحدة وفئات مؤمنة ويسار
وطنى ويسار عميل الخ لغو الكلام الذى كان « بيدشه » كل يوم .

أذكر مرة أنى كنت أناقش منصور حسن وعرف لأول مرة ما حدث
بينى وبين أنور السادات فاستغرب جدا وقال لى : ازاى وانت ابن النظام ؟
قلت له أنا لست ابن النظام ولا حاجة . أنا حليف النظام وليس ابنه قال لى

لماذا لا تقول أنك ابن النظام ؟ قلت له لأن لي أفكار مختلفة عن النظام جذريا في حاجات كثيرة وبالتالي لا أستطيع الزعم أنني ابنه . أنا حليفه في حاجات معينة وأتعاون معه على هذا الأساس . قال لا النظام ماعندوش التفرقة بين الحليف أو مع ابن النظام هو يتعامل مع أى شخص عنده كفاءة . قلت له ليس هذا صحيحا . قال الدليل هو أنى أنا أه ما هو أنوا بى وزيرى للاعلام ؟ قلت له لا انت ابن الطبقة الحاكمة أنت لست ابن النظام فقط ده أنت ابن الطبقة التى تحكم وتصنع النظام نفسه !! . يعنى أنت الحاكم الحقيقى باعتبار وضعك الطبقي . ضحك كثيرا وانبسط جدا في دهشة من هذا التفسير (الحنجورى) هذا وبعدما نظرت الى فقال أنتم ناس خطرين جدا . قلت له علشان كده أنت منعتنا من الظهور فى الاذاعة والتليفزيون ؟ قال لى . لا احنا لم نمنعكم لأننا نريد منح نشر آراءكم . لا نحن نمنعكم علشان احنا ماعندناش كوادر مثلكم فأى ظهور لكم على التليفزيون وأى كلام يعد معركة غير متكافئة لأن أى واحد منكم سيكتسح على شاشة الاذاعة والتليفزيون أى كلام لأى واحد ثانى . عندما نربى كوادر مثلكم كده يبقى نقدر نفتح باب لحرية الرأى فى الاذاعة والتليفزيون . قلت له والله أنت بتأخذ نفس الموقف المعادى لظهور حرية الرأى والتعبير عن الأفكار (ولكن أنت تقوله بصيغة لطيفة معينة وعازي تبسطنى على اننا ناس أفذاذ وعباقرة بينما الناس التابعين لكم غلبة ولا يستطيعون الكلام) هى النتيجة واحدة وهى قهر حرية الرأى والتعبير ؟! (ضحك مرة أخرى وقال ألم أقل لك أنتم ناس خطرين) ؟ .

نعود مرة أخرى الى موضوع نقابة المحامين والصحفيين اذ كانت السيدة جيهان دائما تقول أنها لما كانت بتفتح مع السادات الموضوع كان يصبح عصيبا جدا ويرفض تماما الاستجابة لكلامها . ولكن المعروف انه فى النهاية أنور السادات أسقط حكاية نقابة الصحفيين وتحويلها الى ناد وأهمل الموضوع بعدما واجه المعارضة الشديدة جدا حتى من داخل النظام وأنه رأى كيف أن الصحفيين لم يخافوا وبذلك رفضوا تنفيذ ما يريد . .

والحقيقة أن الصحفيين الذين يعملون فى الخارج لعبوا دورا كبيرا جدا فى كشف خطة ونوايا السادات حتى ماتت تلك الفكرة ودفنت حتى يومنا هذا ولكنها تسببت فى ضياع ناد نهري للصحفيين على نهر النيل لأن النقابة كانت قد استطاعت أن تحجز من وزارة الأشغال قطعة من الأرض على النيل مباشرة تقيم عليها ناديا ناحية امبابية ثم تفجسرت بعد ٢٣ عاما فى نقابة الصحفيين معركة اسمها النادى النهري مستمرة حتى كتابة هذه السطور . .

لماذا الخروج ؟

ونحكى هنا كيف أخرجنى السادات من رئاسة الجمهورية .. تطبيقا للسياسة العنكبوتية للسلطة .. التى تناولناها من قبل بالشرح وان كان حظى كان أفضل من غيرى ! ..

فى اليوم التالى بعد اجتماع المعمورة وبينما كنت فى منزلى واذا بعد العزيز خميس مدير التحرير بمؤسسة روز اليوسف وقتها يحدثنى تليفونيا قائلا :

— يا عبد الستار فيه خبر وحش ؟

— قلت له خير ؟ ..

قال — جاءت تعليمات من السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى انهم عاوزين منك كارتيه رياسة الجمهورية .

فقلت له — يا شيخ ما أنا ياما شفت من رجال الأمن يمكن ده تصرف مترتب على مهاجمة الرئيس للشبيوعيين أمس .. فى الاجتماع .. وده تصرف منهم انتهزوها فرصة لسحب الكارتيه منى كى لا أذهب هناك .. ده شغل معروف وعلى كل حال الحمد لله انهم لم يعتقلونا .. فكل شىء بعد ذلك يهون ! وضحكت ساخرا .

— وخرجت من البيت متوجها الى وزارة الاعلام وقررت الذهاب الى الوزير عبد المنعم الصاوى وكانت لى صلة جيدة به منذ كان صحفيا فى أخبار اليوم لأعرف منه الحكاية وأستعين به على أجهزة الرئاسة كما تصورت الأمر ! . لفت نظرى أننى دخلت بدون انتظار على غير العادة خصوصا أنى قادم بدون موعد سابق وقام الصاوى من مكتبه وقابلنى فى منتصف الحجرة مرحبا . فقلت له .

— يا عبد المنعم ايه الحكاية ؟ شفت بتوع الأمن عملو فيه ايه ؟؟

سحبوا منى الكارتيه .. وأنت وزير الاعلام بتاعى دافع بقى عنى ؟!

فقال لى فى جزع ودهشة : بتوع أمن ايه اقعد اقعد انت مش عارف حاجة !

وأضاف ده مش بتوع الأمن ده الرئيس السادات شخصيا ؟!

قلت له : ليه ؟ فحكى لى الحكاية التى رويناها فى بداية هذا الحديث فتوجهت الى مكتب التلغراف فوراً وكتبت برقية لرئيس الجمهورية قائلا

فيها ما معناه - اننا تعودنا على هذا الاسلوب من جانب الرأسمالية الوطنية التي تفضى الاحلاف مع حلفائها الحقيقيين واننا تعودنا على جزاء سنمار وأن ما فعله معى لن يغير الموقف .

وذهبت فى اليوم الثانى الى الجريدة وأعطيت الكارنيه لعبد العزيز خميس وأرسلناه الى رئاسة الجمهورية مع مذكرة بنفس الكلام تقريبا وأعطيته صورة منها فقرأها واستغرب من حكاية جزاء سنمار هذه وقال لى ان حسن كامل تكلم مرة أخرى متسائلا فى تعجل عن الكارنيه وألح الى أنهم قد يستخدمون القوة معى ١٩

وبعد عدة عدة أيام كان مرسى الشامى ذاهبا للقاء الرئيس فقلت له يا مرسى لما تقابل الرئيس ابقى اسأله هو عمل معى كدا ليه ؟ فقد كنت فى حيرة حقا .. فهو قد عزل عبد الرحمن الشرقاوى من رئاسة روز اليوسف لكن أبقى على علاقته بل صداقته به ..

قال مرسى شوف جدول الأعمال والنقاط التى أريد مناقشة الرئيس فيها ترى حكايتك على رأس الجدول على طول .. بعدها قال لى مرسى الشافعى أن السادات قال له اننى بعثت بتلغراف بيقول لى فيه كلام غريب قوى . بيقول لى (جزاء سنمار) يعنى خيره على يعنى ١٩ .. لكن مغيث حاجة وقال لى مرسى .. لم يضيف الرئيس شيئا على ذلك ولم يقل كلمة واحدة ضدك .

وسحب الكارنيه أيام جمال عبد الناصر كان معناه انك تعتقل أو تمنع من دخول الجريدة على الأقل أما شابه ذلك ا على أن الشىء الغريب رغم هذا الطرد من رئاسة الجمهورية ورفض مقابلة الرئيس لى أنه استمرت علاقته قائمة بجيهان السادات اذ قابلتنى عندما طلبت مقابلتها بعد قطع الرئيس علاقته بى وظلت تتحدث معى لمدة ثلاث ساعات وكعادتها وليس هناك أى تغير .. وعندما تحدثنا فى موقف الرئيس منى قالت لى : هو الرئيس ساعات بيبقى يزعل فلا تضايق نفسك بهذه الأمور ولا يصح اليساريين يزعلوا فهذه أزمة مؤقتة وحكت لى فى احدى المرات عن أشياء ضايقت الرئيس منى بعد عودته من أمريكا ١٩٧٧ .

- فى سنة ١٩٧٧ كان السادات يشن حملة شديدة جدا على الاتحاد السوفيتى ويشيد بأمريكا ويدعوها الى أن تتنبه للخطر السوفيتى وتقاوم النفوذ السوفيتى فى داخل القارة الافريقية .. وكان يحذر مما حدث من ثورة على نظام حكم موبوتو من بعض القبائل على الحدود التى اخترقت زائير . ومعروف من زمان أن الاستعمار سواء الأوروبى أو الامبريالية الأمريكية مهتمة جدا بزائير التى كانت قديما تدعى الكونغو من أيام لومومبا لوجود مناجم فى مقاطعة كاتانجا وكلنا نعرف مؤامرتهم ضدهم

لومومبا واغتياله والجنرال الذى حكم زائير بعد ذلك يدعى (موبوتو) وهو من أحقر الجنرالات الذين يحكمون بلدا فى افريقيا حيث أنه عميل استعمارى حقير وجاهل ولص ومكروه من شعبه ودكتاتور أثير .

وكان السادات من بين الذين دعوا الغرب لمساعدته وحذر من الخطر الروسى أثناء وجوده فى باريس وخاطب الولايات المتحدة قائلا - أنكم صامتون عن الخطر الروسى وهذا يتسبب فى خطورة كبيرة .

طبعا كان هذا تحولا غريبا فى السياسة المصرية حيث أن مصر أصبحت تحرض الامبريالية على ثورات الشعوب المطالبة بحرياتها فى افريقيا وكذلك الاتحاد السوفيتى فكان تطورا سيئا . ولقد عارضت ذلك الموقف على الفور بصرف النظر عن علاقتى الشخصية وصداقتى له .

ومن الغريب أن الجرائد الأمريكية كانت تكتب مقالات شاذة بها الفساد الموجود فى زائير بشكل بشع جدا رغم أن حكومتها تتفق مع أوروبا الغربية فى ضرب الحركة الشعبية ومساندة حكومة موبوتو - ونزعت مقالا من جريدة لوس أنجلوس بوسست من تلك المقالات التى تكشف موبوتو وأرسلتها الى صلاح حافظ رئيس تحرير روز اليوسف وقتها مع ورقة مكتوبة عليها « أهذا هو البلد الذى تدعو مصر الى مساعدته رغم ما تقوله عنه الامبريالية ذاتها أرسلها لك لنشرها ا » .

وأرسلت الخطاب بالبريد الجوى . . وهذا الخطاب أخذ فى مراقبة البريد وأرسل الى المخابرات والمخابرات بدورها أرسلته الى أنور السادات فبدا كما لو كنت أهاجم سياسة أنور السادات وأرسل خطابا لرئيس التحرير أحرضه على ذلك .

- وهناك حادثة أخرى ومما لاشك أننى أخطأت فيها تماما وأعذر أنور السادات فى غضبه منى بسببها :

ذلك أنه فى إبريل ١٩٧٧ عندما قرر أنور السادات عقد اجتماع للعاملين والدارسين المصريين فى أمريكا بواشنطن . . ظل فى الاجتماع يهاجم الشيوعيين وحسنين هيكل . . ولفت نظرى أنه فى الاجتماع كان يوجد مبعوث مصرى وقف يهاجم حسنين هيكل لأن هيكل كان قد ذهب الى أمريكا وظل يقيم ندوات ومؤتمرات بحكم أنه شخصية هامة اعلاميا وسياسيا ومن منطلق صلاته بعبد الناصر فلذا له مكانة فى أى بلد ينزل فيه . . ووجدت أن السادات كان متحملا جدا ضد هيكل واستمع الى هذا المبعوث باهتمام شديد وبعد نهاية الاجتماع جاء فوزى عبد الحافظ ونادى هذا المبعوث وقال له - تعالى الرئيس عايزك ا .

فهمت أنه ناداه ليعلم منه تفاصيل ما قاله هيكل وبعد هذا التصرف بدأت أشعر أن السادات بدأ يفقد فعلا أعصابه وتوازنه اذ يجب الا يقوم بمثله رئيس جمهورية ؟ فى العصر كان سفير مصر فى واشنطن قد أقام حفلة شاي لجيهان السادات ودعا فيها رجال السلك الدبلوماسى المصرى وزوجاتهم وشخصيات مرموقة فى الجامعة المصرية . وذهبنا واكتشفت أنى الصحفى الوحيد . وكان كل الحاضرين نساء ماعدا السفير .

فلما دخلت أشارت لى جيهان السادات فتوجهت إليها وسلمت عليها وقلت لها . لو سمحتى ممكن أتكلم معاكى ؟ فوافقت وقالت أنا التى كنت أريد أن أتكلم معك وأستأذنت من السيدة التى كانت معها . . وحدثتها قائلاً .

— عاجبك الكلام الى الرئيس قاله النهارده وعمال يهاجم الشيوعيين ؟
ويحملهم حاجة ليس لهم دور فيها .

— فقلت لى : لا لم يعجبنى هذا الكلام وأنا غير موافقة عليه .
ده لو كنتم انتم الى عملتم الحكاية دى كان لازم الرئيس يعرف انكم تقدروا تستولوا على الحكم وكان لازم يستدعى خالد محيى الدين يشكل الوزارة مادام لكم قدرة تحريك ٢٤ محافظة فى وقت واحد كده . انت كان لازم تقوم تقف وترد على الرئيس وهو بيتكلم وتقول له ان الكلام ده مش مضبوط ! فقلت لها — هل معقول أراجع أمام الناس ؟ مش معقول . . أنا ممكن أناقشه بينى وبينه لكن أمام الناس فيكون بصفتى ايه ؟ هو أنا البرلمان ؟ ولا الجمعية الوطنية للثورة الفرنسية ؟

فقلت أن الذى عمل هذه المصيبة هى الحكومة . وهو ممدوح سالم وهى ولا انتفاضة حرامية ولا حاجة . . الناس متضايقه وبالتالي انه لما الرئيس سحب القرارات انتهى كل شىء .

وظللنا نتحدث فى هذا الأمر لمدة ساعة تقريبا وظللت أشرح لها موقفنا فى روز اليوسف ولماذا لم تؤيد كلام الحكومة واتهامات الرئيس ليسار وكيف أننا شرحنا موقفنا باستمرار من الرئيس ومن سياسته .

قالت : أنا كنت قرأت مرة عنوان فى روز اليوسف يقول (الشيوعيون وأنور السادات) فى مقالة انت كاتبها وعاوزة أقرأها وأنا أكلم الرئيس تانى . قلت لها — طيب أنا سأقول لهم فى روز اليوسف يبعثوها لسيادتك عند عودتك لمصر . وانتهى الحديث بينى وبينها . فى اليوم التالى بل ربما فى مساء نفس اليوم طلبت تليفونيا عبد الرحمن الشرقاوى وحكى له كلى ما دار بيننا بل طلبت منه أن ينادى صلاح حافظ

ليسمع ما دار على السماع الثانية طبعا المكالمات الخارجية كلها تسجل وأنا طبعا عارف كده لكن لم أتنبه أن المخابرات الأمريكية أيضا تسجل .. والحديث مهم وخطير لأنه حديث دار مع حرم رئيس الجمهورية وحول قضية هامة مثل قضية حركة ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ وسياسة الرئيس نفسه . أى خلاف داخل بيته !!

والذى حدث أن المخابرات المصرية أرسلت صورة من تسجيل الحديث الى أنور السادات ونسخة منه الى عبد الرحمن الشرقاوى أيضا .. فزعل السادات جدا وكان مصدر زعل الرئيس هو معرفة الأمريكان بهذا الكلام أيضا طبعا .. وهذا كان فى إطار حملته ضد اليسار .. وربما كان هذان السببان مسئولان عن قطعه علاقته معى ولو جزئيا وربما لولا ذلك لكان قد استبقى علاقته منى حتى ولو كانت فاترة .. ولكنى قابلته فى أمريكا بعد ذلك وتحدثنا عن ١٨ ، ١٩ يناير .. ولكن بعدها قطع علاقته بى تماما من يونيه ١٩٧٧ حتى توفاه الله ولم أقابله بعدها نهائيا الا فى السودان فى برلمان وادى النيل أيام جعفر نميرى ووقتها تبادلنا حديثا قصيرا والحقيقة حدثنى بود وحرارة وكان شيئا لم يكن ولكن لم يعطنى الفرصة لكى أجلس وأتحدث معه كسابق العهد والزمان ..

وربما يثير دهشة القارىء أن الأستاذ أنيس منصور والمرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى أبلغانى فى أغسطس ١٩٨١ أنهما تحدثا مع الرئيس السادات عن علاقته بى ، ففوجئا بأنه سألهما فى دهشة : من الذى قال أننى زعلان منه ؟ .. هذا كاتب وطنى وأنا أحترمه وأقرأ له دائما .. فلما سألاه لماذا لا يقابلنى اذن كما كان الأمر زمان .. قال لهما فى تأكيد سأقابله قطعا .. عادا وسألاه هل نبلفه بهذا ؟ قال أيوه بلفوه .. ولم يحدث هذا اللقاء قط ..

مدخل ديمقراطى للديكتاتورية

ذات مرة دعانى أنور السادات للعشاء وكان معه ممدوح سالم رئيس الوزراء حينذاك .. وأثناء العشاء فتح الرئيس الحديث عن موضوع المناير .. وكانت هذه أول خطوة على طريق الأحزاب وتشكيلها .. حيث كان هناك تنظيم سياسى واحد فى البلاد هو الذى كان موجودا أيام جمال عبد الناصر وهو الاتحاد الاشتراكى العربى ..

وكان هناك داخل النظام معارضة قوية لانشاء منابر داخل الاتحاد الاشتراكى وعلى رأس تلك المعارضة كان المرحوم د . فؤاد محيى الدين ويا للقرابة .. فقد كان فؤاد محيى الدين هو السياسى الوحيد الذى استمر مع الثورة منذ قيامها وكان من أبرز العناصر الطلابية فى النضال الديمقراطى فقد عاش فترة من حياته السياسية تحت علم اليسار الماركسى .. وكان سكرتيرا عاما للجنة الوطنية للطلبة والعمال ..

واتخذ موقفا معاديا تماما لأى منح للحرية للتيارات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى .. واختط المرحوم خطة ثابتة ضد حرية التعددية الحزبية طوال حياته منذ تلك الفترة بل انه كان معاديا تماما للحوار السياسى .. أو لأى اتجاه للجبهة بين الأحزاب بعد السماح باقامتها .. هذا كلام أقوله من خلال علاقتى الوثيقة به .. التى استأنفتها معه بعد انقطاع بسبب السجون والمتعتقلات منذ عين محافظا لمحافظة الشرقية .. حتى أصبح رئيسا للوزراء وتوفاه الله .. وكانت المناقشات بينه وبينى تصل الى مستويات حادة أحيانا .. لكن الود بيننا لم يفسد قط .. خصوصا أنه لم تكن لي حاجة عنده قط .. ورغم أنه كان مستتبسلا فى عدائه لليसार ..

وأذكر مرة أن قريبا لى هو الأستاذ محسن رفاعى الذى كان نائبا لرئيس مجلس ادارة شركة ايدىال وهو رجل فاضل ومعاد لليसार تماما ..

جاءنى وقال انه قرر أن يبتعد عن الاتحاد الاشتراكى .. فلما سألته لماذا ؟ قال : لما سمعته أمس من فؤاد محبى الدين .. قلت ماذا قال : قال : تصور أنه شتم ابن عمه خالد محبى الدين ووصفه بأنه خائن .. كيف يقول كلاما كهذا عن رجل شارك فى صنع الثورة التى هى السبب فى أن فؤاد محبى الدين نفسه أصبح شيئا مذكورا الآن ؟ .. وأنا نفسى لا أتفق مع خالد محبى الدين فى آرائه لكن لا أشك فى وطنيته - والا لما قام بالثورة وتعرض للخطر ..

وقال الرجل كلاما كثيرا عن اهتزاز القيم واختلاط المقاييس فى البلاد .. وأقسم يميناً أن يبتعد عن السياسة ويكتفى بالإستمرار فى حياته كتكنوقراط بارز !

نعود لأنور السادات .. ونقول أنه فى تلك الليلة التى كنت فيها معه هو وممدوح سالم كان جدلاً طروباً .. فقد كان قد أعلن عن انشاء المنابر ..

قال لى وهو يضحك من أعماقه .. أظن أنا عملت بلبله فى صفوفكم انتم بالذات .. عاملين أنفسكم أبو العريف .. ولكن بلبلت أفكاركم ..

كان السادات يشير الى رفض كثير من الشيوعيين حينذاك لقيام أحزاب باعتبار أنها ستكون أحزاباً برجوازية ستضيع مكاسب الثورة وتصفيها .. وبالتالي لم يكن هؤلاء سعداء باتجاه السادات لاقامة المنابر .. وكان يشاركونهم الناصريون طبعاً المعادون لى اتجاه ديمقراطى باعتباره الطريق لاضاعة الثورة ..

فى تلك الفترة كان التفكير الشمولى المستمد من النظم الاشتراكية فى العالم والذى يدعو الى معارضة اقامة أحزاب غير الحزب الثورى الحاكم .. هو المسيطر على عقول معظم اليساريين فى العالم .. وكان من يؤمن بغير ذلك انما هو برجوازى وغد زئيم ..

قلت للرئيس السادات .. والله يا ريس هناك الكثيرون منا قد غيروا أفكارهم وزالت الغشاوة عن عيونهم .. وأصبحوا يؤيدون اقامة حتى أحزاب وليس منابر .. ويرفضون الأفكار القديمة المرتبطة بحكم الحزب الواحد طويلاً وحكاية تحالف قوى الشعب العاملة .. الخ ..

كان السادات يلح فى حكاية أنه أحدث بلبله وقلقا فى تفكير القوى السياسية وخاصة اليسار ..

وتذكرت أنه قال لى مرة .. ان عهد الناصر كان كلما فكر فى اتخاذ

قرار ما وضع الشيوعيين أمامه على الترابيزة وتساءل ماذا سيكون موقفهم
إزاء المشكلة التي تواجههم .. لقد كان يضخم في قوتهم ويحاول تلافى
رد فعلهم إزاء القرارات التي لاتعجبهم .. كان يضرب قوة خصومه
يرحمه الله في عشره !

ها أنا أرى السادات نفسه يحاول أن يعرف ويستجلى ماذا سيكون
موقف اليسار بالنسبة لطرح فكرة التعددية الحزبية في مصر ..

وهنا وجدت السادات يدخل بالحديث في ناحية أخرى سبق له أن
طرحها معي .. لكن كما سيرى القارىء في هذه المرة كان الموقف أصرح
وأوضح ..

قال لى فجأة .. يعنى انت عمال تتكلم عن اليسار والشيوعيين
والماركسية .. هو احنا ماقدرناش نحركك شويه عن أفكارك ..
ماتسيبك من اللى فى دماغك ده ! ..

وجدت كل خلايا عقلى تتنبه .. وتتحفز .. وشعرت كما لو كنت
داخلا على كمين جديد ..

فقلت : يعنى أترك الماركسية ياريس ..

قال .. ما أقصدش .. لكن خلاص بقى والا ايه ..

وزغم أنى كنت أميل أيامها بحكم زياراتى الكثيرة لأوروبا ومتابعتى
لتطور الفكر الاشتراكى الى ما كان يسمى بالشيوعية الأوربية التي أحد
مبادئها رفض ديكتاتورية البروليتاريا .. الا أننى وجدت نفسى أقول
بسرعة وفى جسم ..

— والله ياريس أنا ما أقدرش أخدعك .. فانا ماركسى وكلاسيكى
كمان يعنى تؤرقنى أحلام ديكتاتورية البروليتاريا !

قال .. يعنى كده .. قلت نعم .. وأنا ابتسم ..

ثم دخل فى حديث عن الأستاذ لطفى الخولى .. قائلا أن أصله
انتهازى وعاوز يبقى وزير وداوش نفسه بالحكاية دى ! ..

واستنفرنى هذا الكلام .. فقلت له ياسيادة الرئيس ان لطفى
الخولى وجه مشرق من وجوه الدفاع عن مصر وله علاقة طيبة جدا بالقوى
الوطنية العربية ومنظمة التحرير واليسار العربى .. وأنا لم أسمع منه
الا كل دفاع عن نظامك .. فلوح بيده وقال .. لا .. لا .. ده عاوز
يبقى وزير .. وهو لا يصلح كى يكون وزيرا .. وجدت نفسى أقول وقد

لغت نظرتي الحاحه على حكاية الوزير هذه .. فأصبحت أمامي رمزا لما قد يتخيله السادات من مطامع للذين يعرفونه ويلتقون معه ..

ياريس أنا لا عاوز أبقي وزير ولا غفير ولا أي حاجة .. أنا مبسوط قوى بأنتي كاتب فدعوني أكتب وأتحرك بحريتي .. أنا مش عاوز منكم حاجة خالص خالص .. فالحمد لله ان البرجوازية الوطنية كما قلت لسيادتك من قبل قد تكفلت بمطالبتي ..

ويبدو أنه كان قد نسي حكاية صفقة اعلانات روز اليوسف التي عقدها رجل الأعمال صديقي بسيوني جمعة معها بواسطتي وحصلت على مكافأة كبيرة بسببها .. فسألني فذكرته بها فضحك وقال من جديد ..
لكن هو الكاتب لا يبقى وزيرا ..

قلت له .. يبقى .. وفيه كتاب وزراء ..

قال .. آمال لماذا تقول أنك لا تريد أن تكون وزيرا ..

شعرت مرة أخرى بالكمين .. وقلت لنفسى انك يا ابني على وشك أن تدخل فى صفقة تباع فيها للبرجوازية .. فقلت وأنا أريد أن أصبحك ..

— أمثالنا ياريس لا يقبلون منصب الوزارة الا اذا أقام النظام جبهه وطنية مع اليسار .. وفى هذه الحال ان اليسار هو الذى يقرر من يختار ليكون فى حكومة الجبهة هذه .. وأنا أقول لك صادقا .. دون تزييف أن فى اليسار عشرات من الناس أحسن منى وأكفا .. أما اذا دخل الواحد منا الوزارة دون جبهة فسيخدم من ؟ .. وسيعمل لحساب من وأفكاره تختلف عن النظام فى مسائل جوهرية أخرى غير المسائل التى هو متفق فيها معه .. وهى جوهرية أيضا .. بصراحة سأشعر أنى مخادع .. وبائع لنفسى .. وسأفقد السكينة النفسية تماما وهم أهم شئ عندي ياريس ..

شعرت أنى أفلت من مأزق واستراحت نفسى بعد هذه الخطبة المنبرية .. التى كان رد السادات عليها بعد أن صمت لبضع ثوان .. وأنا أذكر هذا الحوار كأنه حدث منذ ساعة وبكل تفاصيله وأذكر معالم وجه السادات ..

قال فى صوت فيه احترام ولكنه يحاول أن يجعله ساخرا ..

ياخى .. هو انت مؤسسة والا حزب ١٩ ..

وعندما التقيت بزوجتي المرحومه .. حكيت لها الحوار بالتفصيل ..
فقلت :

.. والله سيأتى اليوم الذى يطردك فيه أنور السادات من بيته لآنك
تتصرف معه كما لو كان رأسه براسك ! .. واليساريين بيشتموا فيك
ولا حينفعوك !

ولقد حكيت للأستاذ لطفى الخولى فيما بعد ما قاله السادات عنه ..
حتى يتنبه ما اذا كان هناك بعض الناس يقومون بالوشاية ضده .. فقد
كنت أريد أن تظل علاقته مستمرة بالسادات لما أدركه من فائدة وجود
عناصر يسارية تتحدث مع رئيس الجمهورية جنبا الى جنب هذا اليمين
المسيطر على السلطة والقصر الجمهورى .. وكذلك البيت الجمهورى
تماما ! ..

فقال لى لطفى الخولى .. ان السادات مولع باطلاق بالونات الاختبار
وانه طرح عليه مرة أن يصبح وزيرا للاعلام بعد اذ شكاه من عجز وزير
معين كان موجودا وقتها عن القيام بمهمته .. ولكن لطفى الخولى لم يرحب
بالفكرة واعتذر عن قبولها ..

وأعتقد أن حكاية طرح بالونات الاختبار التى يتحدث عنها لطفى هي
الأقرب للحقيقة .. فيبدو أن السادات كان يريد وزن الرجل الذى يعرفه
.. ويسبر غوره .. ويدرك مدى أطماعه .. وربما سعره وامكانيه
استيعابه .. على أى حال أحمد الله على أننا نجحنا فى الاختبار ولم أحصل
ولم أطلب قط من السادات أى خدمة خاصة بى .. أو أى ميزة .. وكان
اذا ما طرح سؤالاً عن شيء من هذا القبيل .. أقول له دائما .. ياريس
أنا مطالبى نقاييه فقط فيسأل كيف ؟ فأقول يعنى أطالب بعلاوة ..
بإجازة .. بحق العلاج بمكافأة .. وكل ذلك من مؤسستى .. وبمطالبة
المستولين فيها .. « والكفاح » من أجلها اذا استدعى الأمر ! ..
فكان يسكت ويهز رأسه .. بل حتى سفرياتى لخدمات سياسية له ..
كانت دائما على حسابى أو حساب المؤسسة التى أعمل فيها .. ولا بدل
سفر ولا ملهم واحد من أى جهة حكومية .. ولا حتى الانتقال فى سيارة من
سيارات الرئاسة من القاهرة للاسكندرية أو للاسماعيلية ..

ان الفضل المادى الوحيد الذى حصلت عليه من أنور السادات هو
اعجابه بكتابى عن حرب ١٩٧٣ وتقريظه له الى الحد الذى قدم لى كل
مساعدة لاعادة كتابته من جديد .. فصدر مرة أخرى على صورة أوفى
وأفضل .. وبالنسبة لى كان ذلك « كتاب المجد » كما سماه المرحوم
عبد الرحمن الشرقاوى ..

وحشى هذا الكتاب وغيره من الكتب كما سبق أن ذكرت لم يشتر السادات أو أجهزته كتابا واحدا من الناشر .. وانما قدمته له هدية بيدي أنا ..

أى أن عملى هو الذى عرف السادات بى وجعله يستدعيني .. وسأظل شاكرا ومقدرا طوال حياتى موقفه البناء من كتاب الفقه .. وأشعر دائما أنى مدين له بهذا ...

ولكن ذلك لم يمنعنى قط من أن أكون موضوعيا فى مواجهة ما رأيته خطأ فى سياسته سواء فى حياته أو بعد مماته ..

فمن الصعب على أى مراقب سياسى منصف ان يدافع عن سياسة الرئيس الراحل أنور السادات فى مجالين :

● الديمقراطية .

● والانفتاح الاقتصادى .

تماما مثل الصعوبة التى يجدها نفس المراقب المنصف فى الدفاع عن سياسة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى مجال الديمقراطية ؟!

ومجال الديمقراطية بالنسبة لأنور السادات ينقسم فى الحقيقة الى مرحلتين .

المرحلة الأولى من عام ١٩٧٠ الى ١٩٧٧ قبل أحداث ١٨ ، ١٩ يناير .

والمرحلة الثانية فى ١٩٧٧ الى يوم مصرعه .

المرحلة الأولى أطلق فيها أنور السادات الحرية السياسية الى حد كبير بالمقارنة لما كان الأمر عليه قبل عام ١٩٧٠ معترفا بالطبقات فى مصر وتناقض مصالحها حتى وصل به الأمر الى السماح بتشكيل الأحزاب ولو فى حدود ثلاثة فى البداية يسار ووسط ويمين كما قسم هو المجتمع المصرى . وأقام شبه جبهة وطنية مع القوى السياسية التى أيدته وفى مقدمتها اليسار المصرى العلنى . واستغاد من تلك الحرية كل خصوم الناصرية أيضا وهم الأقوى لأن فى أيدي معظمهم قدرات اقتصادية فى المجتمع ولم يسجنوا ويعذبوا ويشردوا كما حدث لليساريين وللأخوان المسلمين الذين كانت لهم ميزة عن اليسار أن دعوتهم فى وسط شعب متدين تجده صدى وهوى بينما اليسار يتهم بالروق والاحاد !!

لقد كانت فترة حكم ديمقراطى ليبرالى بطريقة نسبية وان كان السادات لم يخف مرة واحدة عداوه للماركسية .

ولو أن تلك الفترة الليبرالية استمرت لثمت التيارات السياسية
فى مصر نموا طبيعيا وتحددت معالمها وقوتها الحقيقية طبقيا واجتماعيا
وسياسيا ٠٠ ولاتجه المجتمع المصرى اتجاء النمو الرأسمالى الطبيعى
بعد حين من الزمن ٠

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن تلك الفترة الليبرالية حظت باحترام
وتقدير حزب اليسار نفسه حتى أن السيد لطفى الخولى أحد زعمائه كتب
عنها سلسلة مقالات مشهورة فى الأهرام تحت عنوان « المدرسة الساداتية »
٠٠ وقال أنها تجربة فريدة تقدمها مصر لدول العالم الثالث ١١ وهو ما لم
أوافق عليه أيامها رغم علاقته الوثيقة بأنور السادات ودفاعى عن سياسته ١٢

المرحلة الثانية :

المرحلة الثانية هى منذ ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ بعد هبة الجماهير
التلقائية ضد رفع الأسعار مما شكل ذعرا لدى السادات لنفسه من الممارسة
الديمقراطية ٠٠ وذعرا للطبقة الجديدة التى خلقها سياسته الخاصة
بالانفتاح لقد خشى الطرفان وثوب قوى جديدة على السلطة فى ظل حركات
جماهيرية واسعة كهذه نشأت نتيجة الحرية السياسية التى حصلت عليها
الجماهير بعد عام ١٩٧٠ ٠

لقد حدثت نكسة هائلة فى فكر أنور السادات وأسلوب حكمه ٠٠
وشجعت كل المؤسسات التى خلقها على الانتكاس والاصرار عليه بعد أن
أصبحت تلك المؤسسات من برلمان ووزارة وعلام تعكس توازن القوى
الاجتماعية فى مصر بعد اذ بدأت الطبقة الطبقية الجديدة نسود المجتمع
المصرى بما فيه البرجوازية الوطنية ذاتها ٠٠ وكانت تلك الطبقة تسمى
حينذاك بالقطط السمان ١٠ التى استطاعت استبعاد الأمين العام
للاتحاد الاشتراكى حينذاك المرحوم د ٠ رفعت المحجوب ٠

لقد بدأ السادات يلعب كل مكاسب الجماهير الديمقراطية التى
حققتها خلال حكمه وكسب بها معركته ضد من ساءهم بمراكز القوى
٠٠ ولم يكتف بالالفاء بل أنه بدأ يضع قيودا جديدة وغريبة على تاريخ
مصر السياسى فى مجال الحرية السياسية حتى أصبح لدينا ترسانة هائلة
من قوانين معادية للحرية ٠

ولكن بداية العداء للديمقراطية فى الحقيقة بدأت منذ المعركة
الانتخابية الأولى التى أدارها ممدوح سالم ٠٠ وكان العداء ممثلا فى اتخاذ
خطوة لتحطيم الجبهة التى أقامها السادات يوم تولى السلطة ٠٠

دخلت المناظر أيامها المعركة الانتخابية ١ منبر الوسط ومنبرا اليمين
واليسار ٠٠ وكان المتصور أن الوسط الذى هو اليسار المناصر

لأنور السادات (وكان منبره أيامها برئاسة السيد ممدوح سالم)
سيتحالف مع منبر اليسار كترجمة للواقع السياسى الذى كان موجودا
ضد منبر اليمين . . هذا كان المنطقى والمتوقع . . .

ولكن المفاجأة كانت عندما فتح منبر الوسط برئاسة ممدوح سالم
النار ضد منبر اليسار . . .

ولأول مرة خطب السيد ممدوح سالم فى المبحيرة وهاجم اليسار
صراحة وقال اننا جربنا حكم الشيوعيين من قبل فلم تأتينا سوى الكوارث
والخراب على البلاد ١٩ قاصدا عهد عبد الناصر . . وكان مثارا للدهشة
أن يتهم رئيس الوزراء نظام ثورة يوليو عهد عبد الناصر بأنه عهد شيوعى
. . . وجلب الخراب والكوارث على مصر وكانت خطبة ممدوح سالم بمثابة
النور الأخضر لكل خصوم اليسار فى مصر . . . فاذا بالصحف والكتاب
يتبارون فى الهجوم على منبر اليسار بينما ظل السادات صامتا بعيدا عن
القوى المشاركة فى ذلك الهجوم . . بل انه كان يدلى بتصريحات صحفية
يصف نفسه فيها بأنه (يسارى لأنه جاء من القاعدة الشعبية الفقيرة)
واحتدمت المعركة الانتخابية لا بين منبر الحكومة وبقايا الاقطاع والمضارين
من اجراءات الثورة مثلا . . بل بين منبر الحكومة ومنبر اليسار الذى
يتزعمه عضو مجلس قيادة الثورة خالد محبى الدين زميل أنور السادات .

وهاجمت صحف الحكومة مثلا المرحوم كمال الدين رفعت أحد رفاق
جمال عبد الناصر لأنه نزل مرشحا باسم منبر اليسار وتجراً عليه البعض
مثل الأستاذ موسى صبرى وطعنوه فى ثوريته لأنه يمتلك بسيارة
مرسيدس مثلا اشتراها وهو سفير لمصر فى لندن !

وهكذا استخلمت كل وسيلة مبدئية وغير مبدئية فى تلك الانتخابات
وضد المنبر اليسارى وانتهت الانتخابات بفوز أربعة نواب من منبر اليسار
واحد فى الفيوم وواحد فى الاسكندرية وواحد فى القاهرة وخالد
محبى الدين فى كفر شكر . . رغم أن اليسار حصل على ٩٥٪ من أصوات
الناخبين ولو طبق نظام القائمة النسبية لحصل على ٢٧ مقعدا .

ونتيجة للحملة الصحفية والاعلامية التى تشجعها بل توجهها الحكومة
دون تدخل ظاهر من أنور السادات استقال نائب المنبر فى الفيوم من
المنبر كما امتلأت الصحف كل يوم بصفحات كاملة بأسماء الأعضاء
المستقلين . . حتى توقفت تلك الصحف عن النشر بعد اذ تساءل الناس
عن مدى قوة هذا الحزب الذى يستقيل منه يوميا الآلاف !!

ورغم هذه الحرب التى بدأها النظام ضد اليسار فإنه حدث
أمران !

● قرر أنور السادات السماح بتكوين الأحزاب فى مصر ٠٠ ومن بينها حزب اليسار برئاسة خالد محيى الدين ٠٠٠ ولأول مرة يسمح حاكم مصرى لليسار بتشكيل حزب علنى وهو يعلن أنه يضم فصائل ماركسية داخله ٠٠٠ ولابد من أن نسجل هنا أن أنور السادات بذل جهدا كبيرا داخل حزب مصر لارغام أغلبية ذلك الحزب على قبول حزب اليسار ٠٠٠ فقد كان المسيطر على عقلية أعضاء ذلك الحزب أنه حزب شيوعى ٠٠ بعد تلك الحملات الاعلامية الضخمة ضده خلال الانتخابات وبعدها ٠٠

● الأمر الثانى أن حزب اليسار الجديد أعلن تأييده وتمسكه بنظام أنور السادات رغم هذه الحرب التى أعلنت ضده من قبل الحكومة ٠٠ وهناك أحاديث منشورة للسيد خالد محيى الدين رئيس ذلك الحزب أنه يعتبر نفسه والحزب جزءا من النظام ٠

ولكن يجب أن نسجل هنا حتى يستطيع القارىء متابعة تطور موقف حزب التجمع بعد ذلك أن ذلك الحزب لم يستطع تجميع كل اليساريين فى مصر ٠٠ سواء الناصريين أو الماركسيين ٠٠٠

وبدت خلال مرحلة تأسيسية فى الاجتماعات والاتصالات التى حدثت حينذاك ان هناك اتجاهات خفية مناوئة لأنور السادات تتشكل ضد سياسته واتجاهاته الحقيقية ٠٠٠ ولذلك عارضت تلك الاتجاهات باصرار اشتراك أغلب العناصر اليسارية التى كانت تؤيد أنور السادات بحجة أنهم (ساداتيون أكثر من السادات) ٠٠٠ ولعل هذا هو ما يفسر ظهور التناقض لأول مرة بين مجموعة روز اليوسف اليسارية وحزب التجمع اليسارى ٠٠

ولابد من التوقف قليلا عند اليساريين الذين كانوا يؤيدون نظام أنور السادات ولوعيتهم وهم لم يكونوا يشكلون تنظيما أو وحدة متجانسة ٠٠٠ انما مجرد تيار من عناصر فى كل مكان ٠٠ وأغلبهم من العناصر الماركسية أو المتعاطفة معها ٠٠ وتتلخص وجهة نظرهم فى النقاط التالية :

● أن المشكلة الرئيسية فى مصر هى المشكلة الوطنية المتمثلة فى احتلال قوات اسرائيلية لبعض الأرض ٠ ٠

● أن نظام أنور السادات نظام وطنى أى من مصلحته تحرير الأرض المحتلة ٠

● وان ذلك النظام امتداد لثورة ٢٣ يوليو وقد استطاع المحافظة على انجازات تلك الثورة فى المجال الاقتصادى والاجتماعى ٠

- وأن ذلك النظام قد أشاع ديمقراطية نسبية فى البلاد اعترافا منه بالتغيرات والصراعات الاجتماعية فى داخل البلاد وأبرز انجاز فى الديمقراطية هو تشكيل الأحزاب .
 - ان النظام وهو يحاول حل المشكلة الوطنية شأنه شأن النظم الرجوازية يمكن أن يقاتل ويفاوض ويساوم فى نفس الوقت .
 - ان الاتجاهات التى ظهرت فى عهد السادات لحل القطاع العام أو تقلصه انما هى نتيجة طبيعية للممارسة الديمقراطية النسبية ومن الطبيعى أن تعبر طبقات وفئات متخلفة عن رأيها ضد انجازات ثورة يوليو . ولكن النظام نفسه لن يصفى هذه الانجازات ولن يحل القطاع العام فهو ركيزته فى الحكم على الأقل . كما أن هذا اليسار كان يدرك أنه حدث فى عهد عبد الناصر تطرف فى بعض الأحيان فى تطبيق سياسة التأميم على مؤسسات رأسمالية وطنية من الخطأ تأميمها .
 - ان سلبيات النظام وأخطاءه فى الممارسة السياسية لابد أن تنفذ ولكن تنفذ فى اطار الوحدة والجبهة معه أى أنه من واجب كل القوى الوطنية المحافظة على النظام والحيلولة دون سقوطه لأن البديل له لن يكون نظاما أكثر تقدما عنه .
- وتركزت انتقادات ذلك التيار فى الانحرافات عن التطبيق الديمقراطى . وفى النمو المتصاعد للطبقة الطفيلية وضغطها فى اتجاه تسويد سياسة الانفتاح الاستهلاكى .
- وقد عبر ذلك التيار عن نفسه فى مؤسسة روزاليوسف الصحفية ومجالات أخرى وبدأ التناقض يظهر بينه وبين اتجاهات فى حزب التجمع ليس هذا فحسب . . . بل أيضا بينه وبين اتجاه الرفض فى سائر أنحاء العالم العربى وهو الاتجاه الذى كان يجمع بين الأحزاب الشيوعية واليسارية الأخرى بالإضافة الى أغلب قطاعات المقاومة الفلسطينية .
- وكتب زعماء تلك التنظيمات المقيمون بالخارج فى صحف بيروت والعراق وسوريا . . . مقالات نارية ضد اليساريين الذين يؤيدون سياسة أنور السادات . . . واصفين إياهم بأنه قد أصبح لديهم مصالح طبقية مع النظام الجديد ولذلك يدافعون عنه !!
- ولكن حتى ذلك الوقت لم يتفجر أى تناقض بين السادات وبين اليسار العلنى داخل مصر . . . أولئك الذين شكلوا منبر التجمع ثم حزب التجمع . . . واليسار الجبهوى فى روز اليوسف وغيرها وهو اليسار الذى درج العقيد معمر القذافى على وصفه باليسار الحكومى أو الشيوعية

الحكومية ولم يكن يريد أنور السادات الدخول فى معركة سافرة وحاسمة ضد أنظمه الرفض العربية وهو ما زال يصارع من أجل تحرير الأرض المحتلة فكان يكتفى ببعض مقالات هجومية تنشر فى الصحف المصرية ردا على الهجوم الاعلامى من جانب سوريا وليبيا والعراق ٠٠٠ ولكن ظلت العلاقات بين مصر والعالم العربى مستمرة وان كانت متوترة مع ليبيا ٠

ولقد بدأنا حديثنا عن أنور السادات والديمقراطية ٠٠ بالحديث عن موقفه وعلاقته باليسار لثلاثة أسباب :

أولا : أنه كان وما زال المقياس الرئيسى لديمقراطية أى نظام هى موقفه من عملية منح اليسار حرية العمل السياسى ٠٠ فالفكر اليسارى تعبير عن فكر لقطاع فى المجتمع ٠٠ وطالما لم يستخدم القوة بل مارس نشاطه عن طريق القنوات الشرعية العادية ٠٠ فلا يوجد أى مبرر لمنعه من حرية النشاط السياسى ٠٠

ثانيا : ان السادات تسلم الحكم بعد وفاة زعيم لفصيلة من فصائل اليسار وهو جمال عبد الناصر وأنصاره من الناصريين ٠٠ فالناصرية تعنى منهجا لصالح الطبقات الشعبية الكادحة ٠٠ واتخذت اجراءات ضد الرأسمالية الأجنبية والمحلية ٠٠ وان كانت تختلف عن الماركسية بل وشنت حربا عليها وعلى أنصارها ٠

لذلك كانت الانظار متجهة الى معرفة نوايا واتجاهات الحاكم الجديد تجاه اليسار ٠٠ من منطلق الحرص على ثورة ٢٣ يوليو منجزاتها ٠٠

وكان الشيوعيون وهم فصيلة من فصائل اليسار يؤيدون زملاءهم الناصريين فى الحكم ويؤيدون جمال عبد الناصر رغم فترات التناقض التى حدثت بينه وبينهم ٠

فكان موقف السادات مرصودا بالنسبة لهم ٠٠ لانه انعكاس لموقفه من عبد الناصر ومتجراته من ناحية أخرى ٠٠

ثالثا : ان السادات تسلم السلطة ومصر على علاقته صداقة حميمة بالاتحاد السوفيتى وبين البلدين روابط اقتصادية وثقافية وسياسية كبيرة ٠٠ بل كانت توجد فى مصر قوات سوفيتية جاءت للمساهمة فى الدفاع عن مصر بناء على طلب جمال عبد الناصر ٠

وكان اليساريون على اختلاف فصائلهم يؤيدون هذه الصداقة المصرية السوفيتية ويتشبثون بها باصرار ٠

ولكن ماذا كان موقف أنور السادات من القوى السياسية الأخرى ؟ ٠

فى عهدہ ترعرعت قوى التبار الدينى .. ولا نريد أن نخوض كثيرا فى هذا الموضوع فمعروف أنه هو الذى بعث بذلك التيار احياء للنشاط السياسى من جديد .. وتكررت نفس القصة التقليدية للتيار الدينى فى مصر .. اد دائما كانت السلطة تستخدمه ضد خصومها السياسيين ويقبل هو هذا الدور حتى يكبر ويتضخم فيبدأ يعمل لحسابه .. فيقع فى تناقض مع السلطة التى استخدمتها وتريد دائما أن يكون تحت ابهامها ..

هكذا حدث أيام الملك فاروق .. ثم أيام عبد الناصر .. وأيام السادات .. الحاكم المصرى الوحيد الذى لم يحاول نفس التجربة هو حسنى مبارك ولكن ليس هذا مجالنا اليوم ..

الموقف من الوفد :

لكن فى عهد السادات ظهرت قوة سياسية جديدة هى حزب الوفد الجديد .. وقد كان السادات موافقا على ظهوره فى البداية .. ثم عاد فانتكس عليه .. وانقلب على شخصيات بارزة فيه مثل المرحوم عبد الفتاح حسن باشا ..

ولن ندخل فى تفاصيل كثيرة عن تلك الفترة واختلاف المواقف لكننى سأحدث هنا عن حوار دار بينى وبين السادات حول هذا الموضوع .. وأعتقد أنه يلقي الضوء على مغزى تصرفات السادات ..

عندما تأسس حزب الوفد الجديد ابتهج الناس .. لعودته كعلامة من علامات الديمقراطية فى البلاد ..

وعارض عودته ثلاثة فرق من المواطنين ..

الفريق الأول : هم الطفيليون الذين انزعجوا من احتمال سيطرة هذا الحزب ذو التراث التاريخى وسط الشعب المصرى .. وتولييه الحكم والاتجاه الى تشجيع الرأسمالية الوطنية المنتجة فعلا وحصر نشاط الطفيلية المخرب للاقتصاد الوطنى .. وهذه الطبقة معادية للديمقراطية خوفا على مصالحها بينما الوفد حزب الديمقراطية التقليدى ..

الفريق الثانى : هم الناصريون الذين يعتقدون أن بينهم وبين الوفد « تاربايت » وأنه اذا ما عاد للحياة السياسية فالحكم فسيصلى الثورة ويطمس تاريخ زعيمهم ..

الفريق الثالث : هم كثيرون من الشيوعيين والماركسيين الذين كانوا مازالوا يتشبثون بفكرة النظام الشمولى .. ويعتقدون أن حزب الوفد حزب يمينى معاد للاصلاح الزراعى وللتأميم ولذلك سيصلى الثورة أيضا ..

ولو أن الأمور سارت سيرها الطبيعي في مجال الديمقراطية لكانت الخريطة السياسية لمصر قد تغيرت كثيرا .

فمن الأرجح أن أكبر حزبين سياسيين كانا سيكونان حزب الحكومة وحزب الوفد يليهما حزب يمثل التيار الديني الذي كان يتقوى . . ثم حزب اليسار الذي كان قد حصل في أول انتخابات حرة نسبيا في عهد السادات على ٩٥٪ من مجموع الأصوات .

وبدأت تتردد في الأوساط السياسية تصورات للموقف والمستقبل السياسي . . ووضعت معادلة على الوجه التالي :

الأمريكيون يريدون القضاء على ثورة ٢٣ يوليو نهائيا .

الوفد عدو ثورة ٢٣ يوليو ويريد تصفيتا .

اذن الأمريكيون يمكن أن يناصروا الوفد كبديل لنظام أنور السادات لتصفية الثورة . .

وأضاف البعض الى ذلك والسعودية أيضا . . فهي العدو العربي لجمال عبد الناصر وواضح أن أنور السادات لا ينوي تصفية الثورة ولا هم يحزنون بل ينادي في كل مكان أنه يتحمل مسئولية أخطاء جمال عبد الناصر . .

وكل المحاولات التي بذلت لتصفية القطاع العام لم تنجح في انتزاع موافقته . . أثرت مرة هذا التصور أمام أنور السادات . . وكان يسألني أسئلة عديدة عن تفاصيله كما لو كنت قد قرأت عنه في كتاب . .

ثم سألني . . ما رأيك أنت . .

قلت . . باريس . . أنا الذي أريد أن أنتفع بحكمتك . . ورؤيتك

كرئيس الجمهورية والأمين على ثورة يوليو . .

ولكنه طلب أن يسمع رأيي أولا . .

قلت . . حكاية الربط بين أمريكا وحزب أو فرد ما . . يجب أن نأخذها بحذر . . هناك مصالح . . وهناك تقابل في المصالح . . مثلا الوفد مصطلحه في نشر الديمقراطية . . وأنا مصطلحي في الديمقراطية اذن أؤيد الوفد في مطلبه رغم أنني لست وفديا . .

أنا رأيي أن الأمريكان لا يريدون تصفية ثورة ٢٣ يوليو بمعنى القضاء على نظامك في الوقت الحالي . . هم يخشون من حاجة واحدة . .

أن يعود اما الناصريون ومعهم باقى اليسار الى الحكم أو يسيطر التيار الدينى على السلطة ..

وهم طبعا لابد أن يطرحوا على أنفسهم من يحل محل نظام سيادتك اذا جرى له أى شيء لا قدر الله ..

ويسألون بالتالى أنفسهم من هو البديل .. الذى يحول دون أخذ الناصريين أو الاخوان المسلمين الحكم ..

ضحك السادات وهو يستمع باهتمام .. فقد كان رحمه الله مستمعا جيدا حقا ..

— أه حكاية البديل دى باسمعها من كل واحد فيكم .. يا اخويا انتم بتجيّبوا الكلام ده منين ؟

فاذا ما نظر الأمريكيون للخريطة السياسية فى مصر .. وجدوا حزب الوفد أيضا .. لابد يسألوا أنفسهم يا ترى هل هذا يمكن يقود السفينة .. ويحمى البلد من دول ودول ؟ ..

سيقول لهم واحد عندهم .. ماتنسوش الوفد ده بتاع الحركة الوطنية .. والى حارب الانجليز .. ورفض طلب امريكا بالحلف العسكرى .. وحصل تغير دلوقت .. يعنى الموضوع يبحث وأنا أسمع ان عندهم أعظم معاهد للدراسة والبحث وقرأت فى لعبة الأمم الذى لابد سيادتك قرأته أنهم يعملون مجموعات عمل للتصور والحوار ..

هز السادات رأسه قائلا لى ..

كويس انك بتفكر بطريقة استراتيجية ..
ضحكت وقلت له ..

— ماتنساش ياريس ان احنا قعدنا نكافح واعداد نفسنا ثلاثين سنة للحكم ..

قال ..

— ماتنفعوش .. تفكيرك غلط ..

سألته باهتمام ..

— ازاي ..

قال ..

— الأمريكان عايزين حاجات أبعد مما تظن .. بديل ايه بتاعكم ده .. أنا الى عارف أمريكا عاوزه ايه ..

وهم يريدون اذا كبر الوفد يساعده كى يرجع حكم زمان من غير ملك ٠٠ ثم يتخلصوا من الوفد بعده كده ٠٠ لأن لهم أهدافا كبيرة قوى ٠٠ مافيش حد فى مصر يقدر عليها علشان الوطنية المصرية فى قلب كل مصرى ٠٠

لم أفهم جيدا ماذا كان يعنى السادات بالضبط لأننى لما سألته الاستيضاح ٠٠ سكت ولم يجب ٠٠

ولكننى فهمت شيئا واحدا أن السادات كان يدرك أنه اذا ترك حزب الوفد ينشط ٠٠ فان الحزب سيقوى ٠٠ ويمكن أن يأخذ السلطة منه هو شخصيا ٠٠ ويمكن أن يساعده الأمريكيون فى هذه الحالة كمرحلة مؤقتة ٠٠ ينقضون عليه بعدها ٠٠ لماذا ٠٠ ومن أجل ماذا لم أفهم ٠٠

ولكننى عندما أتأمل ما يحدث اليوم على المسرح العربى بل والعالمى أدرك الآن ماذا كان يقصد السادات ٠٠ لا شك أنه كان يقصد سيطرة أمريكا الكاملة على المنطقة ٠٠ وقد كان ٠٠ وهو أمر تعارضه كل القوى الوطنية المصرية ومن بينها الوفد ٠٠ ولم تعد المسألة مسألة تصفية ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ فالذى يصفى انجازات هامة منها هو رد فعل الانهيار العالمى للاشتراكية بالاضافة الى الهمة والنشاط اللذين تمارس بهما قطاعات هامة من الحزب الوطنى الديمقراطى نفسه تصفية تلك المنجزات دون أى علاقة بالومد او غيره بها ٠

اما باقى قطاعات الشعب ٠٠ فانه لا يجب أن ينسى أولئك الذين يهاجمون السادات بالحق وبالباطل الا ينسوا أن العشر سنوات التى قضوها فى الحكم خلت من المعتقلات تماما ٠٠ بل كان أنور السادات يحذر الشعب من عودة المعتقلات ٠٠ ولم يحدث أن قضت مصر عشر سنوات متتالية دون اعتقال ومعتقلات منذ اعلان الحرب العالمية الثانية ٠٠

وخلال عصر السادات لم يكن هناك تعذيب يذكر للمتهمين فى قضايا سياسية بل يحسب للسادات أنه هو الذى نص فى دستور ١٩٧١ على محاكمة المتهمين بقضايا التعذيب ولا يسقط الاتهام بالتقدم ٠

ان الاعتقالات الوحيدة التى جرت فى عهد أنور السادات هى تلك التى حدثت عام ١٩٨١ فى سبتمبر ٠٠ ولذلك كان مؤلف ليالى الحلمية على روعتها الأستاذ أنور عكاشة مخطئا تماما عندما نسب اعتقال بعض أبطال المسلسل الى عصر السادات ٠٠

والسادات هو الذى غرس فى الجماهير عادة مناقشة الحاكم والحوار معه ٠٠ بلقاءاته المستمرة مع القطاعات المختلفة من كل الطبقات

والطوائف ٠٠ وهو أمر لم يحدث قط لا في عهد الملكية ولا في عهد جمال
عبد الناصر ٠٠

فأسقط بذلك الى حد كبير حاجز الخوف والتهيب من السلطة بل
الشعور بالانغتراب عنها وعن البلد كلها ٠٠ ونمي الشعور الداخلي في كل
واحد منا بأنه مسئول عن البلد مسئولية لا تقل عن مسئولية رئيس
الجمهورية ٠

ولقد كان ممكنا أن تمضي المسيرة الديمقراطية ٠٠ ولكنها توقفت
بل انتكست عندما جرت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ٠٠ فجاءت بمرحلة
جديدة لنظام أنور السادات مختلفة تماما عن المرحلة السابقة ٠٠

ماذا كان يريد السادات فى ١٨ ، ١٩ يناير ؟

أحداث ١٨ و ١٩ يناير أحداث طبيعية فى أى بلد يواجه أزمات اقتصادية ٠٠ وقد حدث مثلها عشرات الحوادث فى بلاد أخرى ٠٠ وقد كتب الكثير عن ١٨ و ١٩ يناير المصرية وصدرت حتى حيثيات محاكم عليها فيها ٠٠

وفى أعرق الدول الديمقراطية يجتذب الكثير من الرعاع الى المظاهرات السلمية ويحرقون ويدمرون ويخربون ٠ وقد حدث هذا فى حوادث نيويورك الشهيرة لمجرد انطفاء الأنوار ٠٠

وليس فى نيتنا أن نستعيد هذه الأحداث ٠٠ وطروفها وملابساتها ٠٠ ولكننا نستعرض بعض نواحي قد تكون غير معروفة ٠٠ وخاصة الحديث الذى دار بين السادات وبينى بعدها ٠٠

فى اليوم الأول للأحداث فى ١٨ يناير حيث كان الرئيس السادات مقيماً فى استراحته بأسوان قابلته الأنسة هدى الحسينى مندوبة مجلة الوطن العربى لأخذ حديث منه ٠٠٠ وكانت قد زارتنى قبل توجهها لمقابلة الرئيس وزارتنى بعد عودتها ٠٠٠

وكان قد أجاب على سؤال لها عن عملية رفع الأسعار ورد فعل الجماهير ضدها اذ كانت هدى قد شاهدت رد الفعل فى القاهرة فى الصباح وهى فى طريقها الى المطار لتركب الطائرة الى أسوان لمقابلة الرئيس ٠٠٠ وقال لها الرئيس فى دهشة اذ لم يكن قد عرف بحقيقة عنف المظاهرات - اننى أنا المسئول عن رفع الأسعار فقد أمرت بذلك لبواعث اقتصادية مهمة - واذكر انى أشرت على الأنسة هدى أن تحذف ذلك السؤال

والجواب عنه: من الجديث وكنا في مساء يوم ١٨ يناير وأثار مظاهرات النهار كله مازالت واضحة وقلت لها أن الحكومة يمكن أن تتراجع عن القرارات فلا يصح الصاق مسئوليتها بالرئيس إذ أنه لم يقررها إلا بناء على توصياتها وستتم العاصفة عندما يحدث للتراجع .

لكن على أي حال ان أنور السادات تصرف ازاء تلك الأحداث باعتبار أنه مسئول عنها . اذ تحمل كل أوزارها دون أن يحمل الحكومة ورئيسها ممدوح سالم أيامها أية مسئولية والوزير الوحيد الذي اعتبر كبش فداء هو السيد سيد فهمي وزير الداخلية . . . رغم أن ذلك الوزير هو أول من أطلق الاتهام بمسئولية من سماهم بالشبوعيين عن تلك الأحداث الضخمة التي شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها مما يعني أن الشبوعيين هم أقوى حزب في البلاد والغريب أن هذا الاتهام كان هو الخط السياسي الذي اتبعه أنور السادات في تفسير أحداث يوم ١٨ ، ١٩ يناير . . . وظل متمسكا بذلك الخط حتى يوم اغتياله . . . ومع ذلك أقال الوزير الذي ابتكر ذلك الخط !

والواقع أن أحداث ١٨ و ١٩ يناير أخذت كل القوى السياسية على غرة حتى حزب الحكومة فلم يستطع أي تنظيم أن يسيطر على حركتها التلقائية أو يوجهها . . . وبذلك ثبت أن الأحزاب ضعيفة جدا . .

صحيح أن بعض أفراد من تنظيمات هنا وهناك من الجماعات الدينية ومن اليساريين حاولوا دخول تلك الحركة التلقائية وحاولوا توجيهها . . . لكن تأثيرهم كان ضعيفا . . . وان كانت الجماعات الدينية قد نجحت في توجيه الجماهير لحرق الكباريات والملاهي في شارع الهرم .

لكن شعارات المظاهرات كانت شعارات تلقائية من أفواه الجماهير محدودة الوعي والثقافة . . . ولم تكن فيها نكهة يسارية بأي حال من الأحوال بشكل عام .

ان الشيء الوحيد الذي أخذه أنور السادات علنا ضد حزب أو متبر اليسار أنه أبرق الى أعضائه بأن يسايروا الجماهير في معارضتها لرفع الأسعار . . . وهذا أمر طبيعي من حزب معارض لرفع الأسعار . . . ولا يمكن أن ينعزل عن حركة الجماهير . . .

ولقد كان بوسع اليساريين المؤيدين لأنور السادات أن ينزلوا الى الشوارع لتوجيه مظاهرات الجماهير في اتجاه غير معاد للنظام . . . وقد كان ذلك التوجيه ممكنا بحكم خبرة اليساريين في قيادة الجماهير وتظاهراتها .

لكن الخوف من اتهام أجهزة البوليس لهم بأنهم المحرضون على المظاهرات والتخريب جعلهم يحجمون عن القيام بمثل ذلك العمل ... رغم أنه كانت لهم مصلحة في توجيه تلك المظاهرات وجهة أخرى اذ توجهت عدة مظاهرات في شارع قصر اعينى ضد روزاليوسف مثلا تريد الهجوم عليها وتخريبها .

وقد كان من حق اليساريين أن يخشوا تلفيق قضايا ... وليس أدل على ذلك من أن الصحفيين لم ينزلوا الشارع أصلا قبض عليهم فجر يوم ١٩ يناير مثل الأستاذ فيليب جلاب الذى لم يكن من المعارضين لسياسة أنور السادات فى ذلك الوقت والأستاذ زهدى الرسام المشهور والأستاذ عبد القادر شهاب مدير تحرير مجلة روز اليوسف .

لكن لماذا الصق أنور السادات الاتهام باليسار ... وأصر على ذلك ؟ ... هناك عدة أسباب أهمها ... الموقف الذاتى لأنور السادات نفسه ... فقد شعر بحرج عميق جدا عندما هاجمته الجماهير ونددت بنظامه وبيحاته ومليسه ومسكنه ... وعندما كان فى أسوان رأى بنفسه ثورة الجماهير وسخطها حتى المطار وكان خروجه من هناك أشبه بالهرب السياسى ! ...

كان أنور السادات يعتبر نفسه بطلا لحرب أكتوبر وبطلا لارساء الديمقراطية فكيف تهاجمه الجماهير هكذا وتهتف ضده وتهينه بتلك العبارات التلقائية الغريبة . لقد خلقت فى نفسه مرارة عميقة ... وأيضا كفرانا بالديمقراطية وحرية العمل السياسى للجماهير . وكانت ذاته قد بدأت فى التضخم بعد الضجة الكبرى التى صاحبت حرب أكتوبر وانتصاره النسبى فيها .

وفى تاريخ ثورة يوليو حادث مشابه مع فاروق لقد كفر جمال عبد الناصر بالديمقراطية هو الآخر بعد أزمة مارس الشهيرة عام ١٩٥٤ وبعد أن كان هو عضو مجلس الثورة الوحيد الذى تمسك بالنظام الديمقراطى غايه أقام ديكتاتورية كبلت الجماهير بقيود ثقيلة جدا على حريتها كذلك فعل أنور السادات ...

من ناحية أخرى أن المارد الذى أطلقه السادات من عقاله وخلقه نظامه ... وهو طبقة الطفيليين . والنهابين والسماسة من أصحاب الملايين خشوا من حركة الجماهير وتوقعوا أن ديمقراطية كهذه ستأتى بالكوارث وستقلب النظام ... لقد رأت تلك الطبقة فى أحداث ١٨ ، ١٩ نضوجا فى الصراع الطبقي يهدد بزوال سلطتهم ومكاسبهم .

بينما لم تكن تلك الأحداث بمثل تلك الخطورة فإن سخط الجماهير تبخر بمجرد إلغاء الحكومة لقرارات رفع الأسعار ... وصلى الناس

لأنور السادات في طنطا والسيدة زينب ٠٠٠ وكان ممكنا أن يتوقف كل شيء وتعود العلاقة طيبة بينه وبين الجماهير ولكن السادات حمل في قلبه وفوق ظهره أحداث ١٨ ، ١٩ يناير وتصرف على أساسها في اتجاه معاد للديمقراطية وبدأ باليسار باعتباره دائما كان أضعف الحلقات لدى أي ديكتاتور يريد أن ينتكس بقضية الحرية .

ومع ذلك كان للسادات عتاب على اليسار ستكشف عنه لأول مرة فيما بعد . .

على شاشة التلفزيون كان يظهر أنور السادات بعد أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ في اجتماع من تلك الاجتماعات الكثيرة التي كان يرهق الجمهور والمشاهدين فيها بالثلاث والأربع ساعات متوالية ، ليتوعد اليساريين وينذرهم ٠٠٠ بأوخم العواقب ١ .

كان أنور السادات ينفذ وعيده حقا لا ضد اليساريين فقط بل ضد حريات الشعب جميعا وواقع الأمر أن السادات كفر بالديمقراطية تماما بعد ١٨ ، ١٩ كما شرحنا ٠٠٠ فانه كان يحرم الشعب كله منها تحت شعار أنه يلحق اليساريين أو الملحدون درسا لن ينسوه لا أكثر ولا أقل ١١

وأشعل السادات حربا ضد اليسار وحزب التجمع القانوني العلني . . وسمى الجميع بالشيوعيين والملحدون والعملاء ٠٠٠ وقارن بين معاملة عبد الناصر لهم وتسائل كيف أنهم يؤيدون ويدافعون عن عبد الناصر رغم أنه سجنهم وقتل عددا منهم في المعتقلات والسجون بينما هو أنور السادات قد سمح لهم بحزب سياسي لأول مرة ودخلوا الحركة الانتخابية مثل غيرهم فيكون جزاؤه منهم هو أن ينقلبوا عليه ويدبروا انتفاضة الحرامية ١١ بل من أطرف ما قاله أمام شاشة التلفزيون ٠٠ أنه وجه اللوم للشيوعيين على أنهم حلوا حزبهم وتسائل هل حدث أن حل شيوعيون في العالم الحزب الشيوعي ١١٩

وأدخل أنور السادات الاتحاد السوفيتي في الصراع بينه وبين اليسار ٠٠٠ إذ أن مجلة الطليعة التي كان يرأس تحريرها الأستاذ لطفى الخولى وكانت تصدر من دار الأهرام نشرت مقالا عن أحداث ١٨ ، ١٩ يناير حملت الحكومة المسئولية ووصفت حركة الجماهير وتظاهراتها بأنها انتفاضة شعبية ٠٠ ١

نشرت جريدة البرافدا السوفيتية فقرات من المقال وجن جنون أنور السادات لأنه أخذ الموضوع بطريقة ذاتية فثار ضد مقال الطليعة وأصدر قرارا بفلقها وترك للمرشح يوسف السباعي وسيلة الغلق .

وهاجم أنور السادات بشدة الاتحاد السوفيتي لأنه يتبنى وجهة نظر (عمالته الشيوعيين المصريين) •

نحن نسترجع هذه التفاصيل السياسية لنرى كيف اشتعل الحريق بين أنور السادات واليسار وعلى من تقع المسؤولية في اشعال ذلك الحريق ولابد هنا من أن نسجل أن الصحف الأمريكية الرئيسية (نيويورك تايمز - واشنطن بوست - هيرالد تريبيون) ومعظم الصحف الفرنسية والانجليزية رفضت تفسير هبة الجماهير في ١٨ ، ١٩ يناير على أنها انتفاضة حرامية أو بتدبير كتلة سياسية معينة ... وكتب مراسلوها مقالات طويلة يؤكدون فيها تلقائية الحركة وشعبيتها وخطأ تحليل السادات أو اتهاماته ...

وذهبت بعض الصحف الأمريكية الى حد تفسير اتهام السادات لليسار بالمسؤولية عن تلك الأحداث بأنها مناورة ساداتية للحصول على معونات مالية أكثر من دول الخليج العربي بحجة حماية مصر من خطر الشيوعية ! ...

ومع هذه الحملة الغربية ضد السادات لم يهاجم الولايات المتحدة ولا حتى الصحف الغربية ... وركز هجومه على الاتحاد السوفيتي واليسار والمصرى ... ولم يكن لليسار المصرى من منابر يستطيع الدفاع فيها عن نفسه سوى مجلتي روز اليوسف وصباح الخير بعد اغلاق الطليعة ...

وحرص الكتاب اليساريون على توضيح الأمور وتبرئة اليسار من المسؤولية ... وقد أغضب هذا أنور السادات غضبا شديدا •

ولنرى القصة في بدايتها !

عندما حدث أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ٥٥ اتصل حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية بالأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف حينذاك وأبلغه أن الرئيس السادات يعرف موقف أسرة روز اليوسف من الأحداث ولذلك فانه يطلب منه ألا تتعرض المجلة للموضوع فقط ولا يطلب منها الدفاع عن الحكومة احتراماً لموقف كتابها • ولما كان الشرقاوى شجاعا وصاحب قضية كعاداته فقد رد على نائب رئيس الجمهورية قائلا أنه لابد من أن يعرض الأمر على زملائه ليرأوا ما يجب عمله بعد إبلاغهم بما يريد السادات •

وأذكر أن الشرقاوى جمعنا وعرض علينا الأمر ... وبدأ بإعلان رأيه هو أنه لا يوافق على الصمت لأن ذلك جريمة في حق الشعب وفي حق الأبرياء الذين قتلوا في الشوارع وسجنوا ظلما وعدوانا ... ولم يتردد

واحد من الحاضرين في تأييد موقف عبد الرحمن الشرقاوي ... وقلنا جميعا لنقل كلمة الحق حتى لو (رقدونا) ... وان قولة الحق هي لصالح نظام السادات نفسه ...

وكلف الحاضرون بعض الصحفيين في المؤسسة بكتابة تحقيق صحفي بنشر الحقيقة على الناس وظهرت روز اليوسف في الأسبوع التالي وعلى غلافها عنوان مثير أسبوع الحرائق ... وعنوان التحقيق الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه !!

حملت روز اليوسف الحكومة مسئولية ما حدث ... وحددت مسئولية ما حدث ... ووصفت تحرك الجماهير بأنه هبة تلقائية تدخل فيها عدد من العناصر المشبوهة ... وكان ما ذكرته روز اليوسف مختلفا تماما عن نغمة الصحف القومية كلها التي رددت بيانات وزارة الداخلية واتهامات السادات . في حماس وشماعة ورعونة تقطع خط الرجعة على النظام نفسه اذا ما أراد التراجع .

ورغم أن ما نشرته روز اليوسف لم يهاجم السادات بل بالعكس أكدت أنه هو الذي أنقذ الموقف فان السادات قد غضب على روز اليوسف ومحاربيها وفكر من يومها في الاستغناء عن اليسار في نظامه .

ومن المؤكده أن السادات كان قد بدأ يفكر جيدا في تغيير مسار السياسة المصرية تغييرا حاسما حتى يمكن تحقيق جلاء اسرائيل عن سيناء وتوقع أن يعارض اليسار في تلك الخطوات التي كانت تعنى تقاربا أكثر مع أمريكا وكذلك اسرائيل .. فتوقع أن مركز العاصفة سيكون اليسار .. لذلك « تلكك » على حكاية ١٨ و ١٩ يناير وكان هذا خطأ سياسيا فادحا من جانبه ..

واستمرت روز اليوسف في خطتها لتبرئة اليسار من حوادث ١٨ ، ١٩ يناير وتتصدى للحملة المسعورة التي انفجرت ضده وتحمله كل مصائب الدنيا وفي كل مرة يتصاعد غضب السادات ويزداد تصميمه على تنفيذ مخططة في الاستغناء عن اليسار في صحافته القومية ... اليسار الجبهي الذي كان يعتبره هو يسارا حقيقيا ويلقبه باليسار الوطني !!

السادات واليسار

طوال شهرى فبراير ومارس كان السادات مستمرا في شن حملته ضد اليسار واتهامه بأحداث ١٨ ، ١٩ يناير ...

وفترت علاقته باليسار الحليف معه في روز اليوسف حتى أنه عندما سافر الى الولايات المتحدة في ابريل ١٩٧٧ لم يدع الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي لمصاحبته مثل غيره من رؤساء مجالس ادارات

الصحف • وهى عادة سخيصة من عادات السلطة أنه عندما تغضب على كاتب تكف عن دعوته للسفر أو الاجتماعات التى تقيمها •• حتى ليبدو الأمر كأنه عقاب وقد دلت خبرتى أن هذا بالعكس يزيد الخلاف عمقا لأن العنصر الشخصى يدخل فيه بالإضافة أننى لاحظت أن الرئيس الأمريكى والرئيس الفرنسى يصطحب معه فى رحلاته كل الصحفيين حتى المتناقضين معه تناقضا عنيقا وحادا •• ولكن ما زلنا نحن فى مصر نحمل بعض تراث النظرة الشمولية للأشياء •

وبدا أن السادات لم يكتف بإشعال حرب ضد اليسار المصرى المحلى •• بل امتدت الحملة الى اليسار العالمى كله فلى طريقه الى أمريكا عند توقفه فى باريس صرح للصحفيين الأجانب أنه يحذر الولايات المتحدة والغرب عموما مما يجرى فى الكونغرس •
ومن أمثلة ذلك انتقاده للولايات المتحدة ان لديها عقدة فيننام وهو يلومها لأنها لا تتدخل بالقوة المسلحة ضد خصومها أو لانتقاد حلفائها هنا وهناك •••

وكان ذلك شيئا جديدا على كل من اشتغل بالسياسة فى مصر حتى قبل الثورة •• فلم يحدث أن حث حزب مصرى حليف لبريطانيا التى كانت تحتل مصر أن تتحرك وتشعل نار حرب ضد أى بلد آخر لآى سبب •• بل أن مصر عام ١٩٥٠ فى عهد حكومة الوفد أعلنت الحياد ازاء حرب كوريا رغم أن أمريكا نجحت فى غزوها تحت علم الأمم المتحدة وشاركت فى ذلك الغزو ٣٣ دولة ١١

هذه التصريحات الحماسية لأنور السادات قد شجعت الاتجاهات ••• داخل حزب اليسار لتقف موقفا معاديا له وبدأت تلك الاتجاهات تيشربان السادات حليف للإمبريالية الأمريكية فى المنطقة وأنه يقلب وجه السياسة المصرية رأسا على عقب ••• ويتحول بها من معاداة الاستعمار والصهيونية الى التحالف معهما ووضع المنطقة كلها تحت النفوذ الأمريكى •

هذا بالإضافة الى أنه يقيم ديكتاتورية مرتدا عن طريق الديمقراطية •• ولم يكن هذا الاتجاه اليسارى وحيدا فى هذه الاتهامات •• بل كان اليسار العربى كله معه •

ورغم كل الأدلة المادية والنظرية التى قدمها الكثيرون للسادات بما فيهم برجوازيون أجانب لتأكيد أن أحداث ١٨ ، ١٩ يناير لا يتحمل مسئوليتها اليسار •• إلا أنه أصر على موقفه المعادى له ••• واتهامه بالتدبير والتآمر والخيانة والعمالة والالحاد والكفر والارتداد •• الخ • وظل حتى قبل مماته كلما تحدث عن تلك الأحداث تغير وجهه وأربه وارتسمت عليه معالم الحنق والحقد والكراهية لخصومه ••• وعلى

حد تعبير أحد مساعديه الكبار لي مرة أن لدى الرئيس (فوييا ١٨ ، ١٩)
وفى أواخر ابريل ١٩٧٧ بطش أنور السادات باليسار الحليف له فى
مؤسسة روز اليوسف فعزل عبد الرحمن الشرقاوى من رئاسة مجلس
الادارة وعزل صلاح حافظ من رئاسة التحرير ٠٠٠ وبعد شهرين طردنى
من القصر الجمهورى كمندوب لروزاليوسف .

وكان من الطبيعى بحكم صداقة السادات بالشرقاوى صداقة حميمة
أن يستغنى عن خدماته بطريقة مهذبة ورقيقة ٠٠ اذ اتهمه ضاحكا أن
الشيوعيين ضحكوا عليه وأنه لا يمكن أن يستمر رئيسا لروز اليوسف ا
وعينه سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى للثقافة بدرجة وزير .

وكانت النتيجة أن صفيت روز اليوسف كمثير يسارى تماما بعد
أن عهد بذلك المهمة الى المرحوم الأستاذ مرسى الشافعى ٠٠٠ الذى أدى
المهمة خير قيام !!

ولم يعد هناك يساريون قريبين للرئيس يستطيعون ابداء النصيح
والمشورة له شخصيا ٠٠ أو بالكتابة فى الصحف ٠٠٠ حيث فرضت
قيود على كتابات من بقى منهم يعمل صحفيا فى مؤسسته وأذكر أنى كنت
ألتقى بالدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ والكاتب المعروف ٠٠ ونحدث
عن سوء الأحوال ٠٠ وكيف أن الرئيس فى حاجة الى من يتحدث معه عن
الأوضاع فى صراحة ولكنه أى الدكتور عبد العظيم لا يستطيع أن يخرق
الستار الحديدى الذى ضرب حول أنور السادات :

وتعمدت الأزمة أكثر بين السادات واليسار وكل القوى الديمقراطية
عموما ٠٠

عندما صدرت جريدة الأهالى لسان حال حزب التجمع لأول مرة عام
١٩٧٨ كانت صيحة معارضة حادة وعنيفة ضد النظام ٠٠٠

كان السادات وغم بدئه الحرب ضد الديمقراطية بعيد النظر فلم يتجاهل
الخلافاً والتناقضات الاجتماعية واحتمالات المستقبل ولذلك أبقى
الأحزاب حتى حزب اليسار بعد ان تحايل على الغاء التصريح بحزب الوفد
للأسباب التى شرحناها من قبل .

السؤال الآن ٠٠ هل كان السادات يعتقد حقا أن اليسار مسئول
عن الأحداث فى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩

سنحاول الاجابة عن ذلك السؤال لا من خلال الاستنتاج بل من
خلال حوار مثير معه ١٩١

فى واشنطن تقابلت مع الرئيس السادات وابتدرنى بالحديث قائلا :
عاجبك الى حصل ده ؟

قلت . . .

— لا يصحبنى يا سيادة الرئيس . . . وأنا أعتقد أنك تظلم اليسار
بإتهامه بأحداث يناير مع أنها أحداث عادية يمكن أن تحدث فى أى بلد .
تحدث أنور السادات طويلا . . . وكانت دهشتى شديدة لما عرفت
وجهة نظره بالنسبة لتلك الأحداث .

تساءل أنور السادات عن موقف الشيوعيين العراقيين من نظام حكم
عبد الكريم قاسم فى فبراير ١٩٦٣ عندما قام حزب البعث بانقلابه الدموى
عليه ؟

قلت له وقلوا الى جانب قاسم ! . .

قال السادات : لقد حملوا السلاح دفاعا عنه . . . وقتل منهم
الآلاف أثناء هذا الدفاع رغم أن قاسم ضحك عليهم وسرق كل السلطة
بعد الثورة التى شاركوه فيها . . . ورغم أنه أودع ألفين منهم السجن
وكانوا فيها أثناء الانقلاب ! . . .

وفسر السادات ذلك بأن الشيوعيين العراقيين كانوا يعرفون جيدا
أن حكم حزب البعث العن من حكم قاسم . . . وسيعمل على تصفيتهم
ومحوهم من الخريطة السياسية .

استطرد أنور السادات يقول . . . اننى سمحت لليسار فى مصر
لأول مرة بالعمل السياسى علنا وأفرجت عن المعتقلين . . . وعينت وزيرين
فى الحكومة منهم وكانا عضوين فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى
وعينت سكرتير الحزب نفسه أبو سيف يوسف فى البرلمان من العشرة
الأقباط .

لو فرضنا أن مظاهرات ١٨ ، ١٩ كانت تلقائية الا أنها كانت
معادية لنظامى الذى تقرون أنه نظام وطنى وخالد محيى الدين صرح مائة
مرة. أن منبره جزء من النظام .

ماذا كان دور اليسار فى تلك المظاهرات . . . هل حاول اطفاءها
أو توجيهها فى اتجاه غير معاد للنظام الوطنى ١٩
وأجاب السادات على تساؤله بقوله :

— لا . . . بالعكس لقد صب حزب التجمع الزيت على النار بإرسال
رسائله المعروفة من خلال مبرقة الاتحاد الاشتراكى العربى بتشجيع
المظاهرات والمشاركة فيها والحملة على الحكومة . . .

وإنهم يقولون أن القوى التي حاولت استغلال المظاهرات هي قوى رجعية ويمينية ٠٠٠ وأن القوة التي كان يمكننا أن نستولى على السلطة وسط الفوضى الشاملة خلال يومى المظاهرات هي الجماعات الدينية أو انقلاب عسكري مغامر - اذن كان واجب اليسار أن يقف الى جانب النظام الوطنى ولكن ذلك لم يحدث !!

للاسف بل وقف ضدى ١٩ ٠٠

ولما قلت له أن اليسار لم يقف ضدك بل ضد الحكومة. صاحبة السياسة الخاطئة برفع الأسعار ٠٠٠ لم يرد السادات على تلك النقطة ٠٠ وأضفت حتى لو كنت يا سيادة الرئيس مسئولاً عن رفع الأسعار باعتبارك رئيساً للجمهورية فإن المجموعة الاقتصادية والحكومة هي المسئول الأول اذ أعطوك صورة ومبررات خاطئة .

وكان المفروض أن تستقيل الحكومة بعد هذه المظاهرات وتأتى حكومة جديدة بعد أن قررت سيادتك إلغاء رفع الأسعار فهى التى ورطت الرئاسة ٠٠ وعفا الله عما سلف ٠٠ وتمضى الأمور عادية وجماهير الأمة كلها خلفك ٠٠٠ وبلا أزمة مع اليسار أو غير اليسار .

ولكن أنور السادات كان يصر على تأكيد اعتقاده أن اليسار تخذله فى أزمة ١٨ ، ١٩ هذه وكان لا يفتأ يكرر طوال حديثه ٠٠ أنا عملت فيهم أيه ؟ ٠٠٠ أنا مريحهم على الآخر !!

ودار الحديث فى مواضيع أخرى ليس هذا مكانها لكننى أذكر أنى خرجت من هذا اللقاء وأنا واثق بأن الأمور ستبدلهم أكثر ٠٠٠ فقد بدأ لى وأضحأ أن السادات ليس مقتنعا بمسئولية اليسار عن تلك الأحداث ٠٠٠ لكن حبل الاتصال قد انقطع من ناحية أخرى أنه بدأ يستخدم معاداة اليسار كورقة لتحقيق أهداف سياسية بعيدة المدى ٠٠٠ أنها من أجل أن تدفع الدول العربية المزيد من المعونات لمصر . وينطبق هذا على الولايات المتحدة أيضا وهى التى كان السادات قد بدأ برفع شعارات مطالبها إياها بتسليح الجيش المصرى بعد أن أعلن فى البداية أنه من الضرورى تنويع مصادر السلاح .

وبعض المراقبين قالوا ان السادات يجعل من اليسار كبش فداء لتفطية عيوب حكمه الذى أدى الى ازدياد الهوة الاجتماعية الى حد حدوث تمرد شعبى واسع فى الشارع المصرى .

وبعض كتاب اليسار قالوا بعد المبادرة (نوفمبر ١٩٧٧) أن السادات كان يفكر من زمان فى القيام بزيارة اسرائيل فمهده لحاصرة

خصومه ومعارضيه الذين توقع أن يكونوا من اليساريين فمضى فى اتهامهم بالمسئولية عن ١٨ ، ١٩ يناير ٠٠٠

بينما فسر البعض الآخر الأمر بأن اتهام اليسار كان ستارا لدى أنور السادات لعدائه الحقيقى للديمقراطية ونقمته على الجماهير بعد أن أثارت غضبه وجرحته كبريئه بهتافاتهما ضده خلال اليومين العصيبين ٠٠٠ أى أن الهجوم على اليسار هو هجوم فى الأصل على حركة الجماهير ٠٠٠ انتهى لا يجرؤ على المجاهرة بعدائه لها مباشرة •

على أى حال ان تلك الأسباب جميعا تصلح تفسيراً لنكوص أنور السادات عن طريق الديمقراطية ويهنا هنا أن نلاحظ أن ذلك الاتهام تلاقى مع مصالح الطبقة الطفيلية التى حلقها نظامه من جراء سياسة الانفتاح « على البحرى »

لا يلام اليسار المصرى اذ تصدى للمعارضة فى هذين المجالين ٠٠٠ فتلك مسئوليته والتخاذل فيها جريمة وطنية ٠٠٠ ولكن بأي أسلوب تمارس المعارضة ؟ ان الخطأ الذى وقع فيه اليسار هو أنه استمر فى نفس الأسلوب الذى عارض به السادات فى مواجهته لاسرائيل اذ دفعه بأنه خائن ومستسلم ٠٠٠ وأخرج السادات من قوى الجبهة الوطنية أى أنه دأب على أن يعارض سياسة السادات الخاطئة فعلا بعنف شديد وبطريقة عدائية تماما •

ولقد حدث عدة مرات خلال ممارسة السادات لسياسته الانفتاحية والمعادية للديمقراطية أن أحس بالخطأ مما كان يدفعه للهجوم على الانفتاحيين أحيانا •• ويدعو أحزاب المعارضة الى التفاهم والحوار ٠٠٠ ولكن حزب اليسار المصرى لم يلتفت قط الى مثل تلك الصيحات والومضات ٠٠٠ وظل يهاجم نظام السادات هجوما متواصلا حادا ٠٠٠ وبشجاعة وصلابة منقطعة النظير حقا •• خصوصا وقد أصبحت السياسة الساداتية بالنسبة لاسرائيل مجالا للتناقض بينهما كما شرحنا من قبل •

النكسة للمديمقراطية

ولكن من يريدون راب الصدع الوطنى كانوا يلتقطون مثل تلك التصريحات ويحاولون عمل شيء لوضعها موضع التطبيق ولو جزئيا بتهذلة الجوف فقد كان مربوط الفرس فى تلك الفترة لاية انفراجة ديمقراطية هى أن يتوقف ذلك الصراع الدامى بين السادات واليسار عموما ٠٠

ولقد كان السادات واجهته يتعاملون مع حزب التجمع كما لو كانوا يتعاملون مع حزب خارج على القانون ٠٠ وكان الصحفيون المحيطون به يزينون له هذا الهجوم وينفخون فيه ويزيدون الطين بله ٠٠ ولا اعتقد أن أحدا منهم كان سيعارض أى محاولة من السادات للزج باليساريين الى الليمانات فى أشغال مؤبدة !

والخوف يضاعف من الخوف دون حدود ٠٠ وسلوك السادات أو أى ديكتاتور ضد خصومه فى رأى يثير الخوف والذعر فى نفوس حواريه ومؤيديه أيضا :

وعندما كان الخليفة فى العصور الاسلامية يقطع رقبة أحد مخالفيه فى رأى أمام أشد أنصاره ارتباطا به كانوا جميعا يرتعدون ويتحسسون أعناقهم ! ٠٠

كان بوليس السادات يتسلل يوميا بالقبض على أعضاء حزب التجمع ٠٠ هذا يوزع منشورا ٠٠ ذاك يتحدث فى أسلوب مثير مع العمال ٠٠ وان لم يجدوا سببا قبضوا عليهم بحجة توزيع نشرة الحزب الداخلية ! ٠٠ ولاحظ أنه حزب قانونى ٠٠ ومن حقه أن تكون له نشرة بل نشرات داخلية كما يشاء ٠٠ وكان القاسم المشترك الأعظم بين حملات القبض هذه هو المناضل البارز فى حزب التجمع أبو العز الحريرى ٠٠ وهو عامل فى شركة الغزل الأهلية درس حتى تخرج من الجامعة وله نضال

مشهود في الدفاع عن حقوق العمال حتى ظفر بثقة عمال المصنع .. ثم أهل حي كرموز ونجح في الانتخابات كعضو في مجلس الشعب عن حزب التجمع .. ويبدو أن السادات وأجهزته في الاسكندرية قد صبوا كل حقدهم الطبقي اذا جاز التعبير ضد أبو العز الحريري هذا .. ثم لحق الأذى أخاه .. وجرو بوليس الاسكندرية على هتك عرض حصائته البرلمانية فقبضوا عليه وأوسعوه ضربا .. ثم منعه زبانية النبوى اسماعيل وزير الداخلية حينذاك من دخول جلسة الشعب .. ثم لما ضاقوا به ذرعا فقد كان وما زال صلبا شجاعا ففصلوه من المجلس .. ونجح مرة أخرى بعد ذلك ..

وكنت على صلة بعدد قليل من الشخصيات البارزة في حزب التجمع .. من تلك التي تسمى عادة معتدلة .. وهى في الواقع ليست متشعبة أي تؤمن أنه لا سبيل لحل التناقضات الا عن طريق الحوار .. وكنت دائم المناقشة معهم .. وأتحدث معهم كلما تكلم السادات عن رغبته في جمع الشمل الوطني .. فكانوا يعدوننى بالاتصال بزملائهم ومحاولة اقناعهم بهذا الخط ..

في نفس الوقت كنت أتخاطب مع السيدة جيهان السادات التي كانت توافق على مقابلاتي دائما وأشرح لها الأمر فكانت - وتلك شهادة للتاريخ توافق على ضرورة تصفية الموقف بين الرئيس وكل القوى السياسية بما فيها اليسار حتى تزدهر الديمقراطية من جديد .. وتعدنى بنقل الحديث الى السادات ..

ولكن ما تكاد تمضى أيام قليلة حتى ألتقى بزملائي من حزب اليسار فيقولون لي في توتر كيف تتخاطب معنا في أمر التعاون مع النظام .. وفي اليوم التالي يقبضون على فلان وفلان من أعضاء الحزب ..

فكنت أقول ضاحكا .. أنا مش النظام .. أنا أحاول فقط .. لكن كل هذه الجهود قد ذهبت هباء لأن اضطهاد السادات العنيف والعنيد لحزب اليسار جاوز الحدود واستفز قوى أخرى مضادة لليسار رأت في سيلوكة خروجاً عن أي أصول أو عرف ديمقراطي ..

وهذا الهجوم الشرس على اليسار هو الذي أكسب هجومه على سياسة السادات في موضوع اتفاقية السلام مع إسرائيل تعاطفاً بين قطاعات من الجماهير وخاصة بين المثقفين .. صحيح أنها قطاعات محدودة لم تكن تزيد على ١٠ أو ١٥٪ من الناس على أحسن تقدير .. ولكنها كانت القطاعات الأكثر نشاطا وفاعلية في المجتمع .. انها لم تكن من الاغلبية

الصامته التي يستدعى أغلب أفرادها من المصانع لطوابير الهتاف والتصفيق لقاء التهرب من العمل أو قبض خمسين قرشا أو جنيه !

ومن أخطاء أنور السادات الجنونية والتي أثارت عليه قطاعات كان هو في غنى عن خلافها معه .. مثل القضاء .. موقفه من جريدة الأهالي ..
لقد دأب على مصادرتها ونقول دأب لأنه هو المسئول عن مصادرتها
فقد كان هو الذي يصدر الأمر بتلك المصادرة . وللعلم ان أى جهاز أمن
فى مصر لا يستطيع تقرير مصادرة أى صحيفة فيها منه ذلك الحين الا
بعد العرض على رئيس الجمهورية شخصيا ..

وهذا هو التفسير العلمى الحقيقى الوحيد لأن الصحف المصرية فى
مصر فى عهد مبارك لا تصدر مهما اشتط بعضها وخرج حتى عن حدود
الأدب واللياقة .. لأنه يرفض مصادرة أية صحيفة منذ تولى السلطة .
ونرجو أن يستمر ذلك موقفه على الدوام .

لقد استجلب السادات قاضيا كان يعمل فى الأصل عند عثمان أحمد
عثمان العدو للدود ليسار ونفس هذا القاضى كان ينتمى الى أسرة أضيرت
باجراءات الثورة ضد ثروتها أى أن هناك عداة قديما قائما على مصلحة ..
وفى كل أسبوع كان القاضى يصادر الأهالي فى الثامنة صباحا ..
كل أسبوع .. لم يتركها أسبوعا واحدا طوال سبعة أسابيع متواصلة ..
وهذا شئ لم يحدث من قبل وكان المقصود تعجيز القائمين بتحريرها
وافلاس الحزب لأن موارده قليلة .. وكان الحزب الحاكم قد استولى على
معظم أموال الاتحاد الاشتراكى العربى الذى ولدت من رحمه الأحزاب
الثلاث ..

وبلغ التعسف مداه عندما أصدرت الأهالي عددا وثائقيا يتضمن فقط
مضبطة مجلس الشعب التى تتضمن مناقشات أعضائه حول معاهدة السلام
مع اسرائيل ولم يكن فيها حرف واحد .

وحار القاضى عندما نظر طلب البوليس مصادرة العدد الذى لم يكن
فيه شئ يستوجب المصادرة فالمضبطة فى كل البرلمانات مفروض أنها
تنشر علنا فى الصحف وتذاع فى الراديو والتليفزيون .. لولا طولها ..
لذلك تعتمد وسائل الاعلام عادة الى تلخيصها ..

ولم يكن بوسع القاضى أن يأمر بمصادرة العدد كالعادة .. فأمر
بالافراج عنه .

ولما ذهب محررو المجلة ليشرحونها من المطبعة فوجئوا بأن أعوان
السادات قد التفتوا حول قرار المحكمة ومنعوا تنفيذه بحيلة ظريفة جدا ..

كانت الأهالى تطبع فى مطبعة دار التعاون للطبع والنشر . . . وهى
مؤسسة قومية للصحافة مثلها مثل مؤسسات الأهرام والأخبار . . . الخ .
وجرت العادة أن الصحف التى تطبع فى مؤسسة أخرى تكون مدينة
ببعض التكاليف ريثما تتجمع الدخول من الاعلانات وحصيلة البيع . .
وكانت الأهالى مدينة لدار التعاون بعشرين ألف جنيه .

ببساطة اجتمع مجلس ادارة مؤسسة التعاون وقرر مطالبة الأهالى
بدفع المبلغ الآن . . . واليوم والا فانه سيحتجز العدد ليبيعه دشت (لن
تزيد حصيلة ذلك الدشت عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ جنيه ا) . . . وطبعا عجزت
ادارة الأهالى عن دفع ذلك المبلغ فورا ثم أنها أدركت اللبنة . . . ان
الحكومة لا تريد نزول العدد للسوق لماذا ؟ تصور لأنه يحوى آراء النواب
الذين عارضوا اتفاقيات السلام وقالوها تحت قبة البرلمان ١٩ . .

من يضمن بعد سداد العشرين ألفا ؟ ان الحكومة لن تجد وسيلة
أخرى لمنع المجلة ؟ . . . ربما تعللت شركات التوزيع مثلا بتعطيل كل
سيارات التوزيع عندها عن العمل ا . . .

هل هناك حماقة أكثر من هذا التصرف ؟ . .

ان جماهير مصر فى معظمها لم تكن تعارض اتفاقية كامب ديفيد . .
فلماذا الخوف من نشر آراء المعارضين . .

وحتى اذا كانت أغلبية الناس تعارض الاتفاقية ليست اصول
الديمقراطية أو بالأحرى بديهياتها هى احترام ارادتها . . . والسماح لها
بالتعبير عن رأيها حتى تعدل الحكومة عن عقدها لتلك المعاهدة . . . أو على
الأقل تناضل طويلا لإقناع الشعب بسلامة سياستها .

ان هذا المنهج الشمولى هو الذى دمر النظم الاشتراكية فقد كانت
ارادة أغلبية الجماهير تتجاهل ولا يسمح لها بالتعبير عن نفسها . . .
وتفرض الأقلية الصغوة منهجها ووجهة نظرها فى منهج وصاية مقيت . . .
ثم فى النهاية ثارت الجماهير . . . ودمرت كل تلك الأنظمة . . . وخصعت
حتى الدولة فى بعض الأحيان . .

لقد أنتج المنهج الذى اتبعه السادات مع الأهالى . . . خسارة لمكائته
بين قضاء مصر . . . خصوصا بعد أن بلغ العبث مداه عندما عين قاضى
المصادرة هذا نائبا عاما . . . وكنت تسمع فى لادى القضاة ومجالسهم
سخرية وتريقة هجوما غير مألوف على سياسة النظام كلها بسبب هذه
الحكاية . . . وأصبح القضاة يشتغلون بالسياسة علنا . . . اذ طالبوا بإلغاء
الأحكام العرفية . . . واشاعة الديمقراطية وعدم مصادرة الصحف . . . ولمع

رغماء لهم مثل المستشار وجدى عبد الصمد الذى كان نائبا لرئيس محكمة النقض أيامها .. ورئيسا لنادى القضاة لأنه كان نموذجا للنزاهة والعفة والشجاعة والتجرد عن الهوى .. فتصدى بقوة ووراء معظم قضاة مصر لأهواء السلطة .. خصوصا عندما زاد السادات الطين بلة .. عندما عين النائب العام الذى كان قاضى المصادرة وزيرا للعدل ! ...

ومن يومها أصبح نادى القضاة رمحا من رماح الدفاع عن الديمقراطية حتى يوفنا هذا .. كما لو كان نقابة للمحامين أو الصحفيين !

واستفزت مصادرة الأهالى أيضا كل المثقفين الليبراليين ذوى الاتجاهات الديمقراطية وأحسوا بزحف موجة ساداتية معادية لحرية التعبير .. فانسع نطاق الجبهة المعادية لنظامه وأصبح الجميع على يقين من أنه قد تمص شخصية الديكتاتور ...

وقد يقبل الناس الديكتاتور الى حين .. اذا كان يوفر لهم الغذاء والكساء .. واذا كانت سمعته المالية طيبة ويبدو عازفا عن عرض الدنيا الزائل ..

ولكن الأزمة الاقتصادية كانت قد بدأت تستحكم .. والفوارق الطبقيه تتضح فى شكل يثير الدهشة حتى أن السادات بدأ يتكلم عن ظاهرة الحقد فى المجتمع .. وهو المستول عن خلقها .. بهذا الاطلاق لقوى الثراء دون أى حدود فى الوقت الذى كان النظام عاجزا تماما عن حل مشاكل الاقتصاد ..

وبالتالى فان الديكتاتورية فى مثل تلك الاحوال تبدو شيئا بغيضا مكروها .. ولذلك كان من السهولة جدا ترويح حتى اشاعات عن زواج جديد للسادات لأن البعض رآه مع ابنته فى سيارته .. وخلقوا للزوجة الجديدة أبا هو أحد المحافظين .. مع أن القصة خياليا تماما .. لكن الناس صدقوها لأنهم غير مرتاحين الى أسلوب الحاكم فى مواجهة مشاكلهم ..

وعدم الارتياح هذا تطور الى تدمير وضيق بما يقوله السادات فى الاذاعة والتليفزيون خصوصا عندما كان يحتكر الشاشة ساعات طوالا .. وكلما أدار الناس محطة وجدوه أمامهم .. فسخط حتى الأطفال فى البيوت .. وبدأت تنتشر النكات الساخرة ..

ويدهش المرء كيف لم يكن المسئولون عن الاعلام يقولون للسادات أن مسألة اذاعة خطبه عدة مرات فى الاذاعة والتليفزيون خطأ فادح وأن أغلب الناس يفلقون أجهزتهم فى سخط .. عندما يرويه يتحدث ! ..

ولم يكن في معظم تلك الأحاديث ما يغرى بالاستماع أو أي جديد
يشعر إلى قرب أو وسيلة خروج الناس من أزمته ١١
بل إن الأمر استنفحل في عهد السادات إلى حد أن بعض الناس
كانوا يصطنعون الشرطة يسجلون عليها بصوت يقلده خطباً مزعومة منسوبة
إليه تثير السخرية بين الناس وهم في البيوت .
ولم تكن هناك قوة سياسية قد بقيت تناصر السادات حتى يمكن أن
تمنع هذا السخط الجماهيري أو الانهيار المتسارع لسمعته التي كسبها
بمواقفه الوطنية وإنجازاته الضخمة من قبل .
فالتيار الديني كان التناقض معه يتصاعد . . وحزب الوفد قد
سلط مشرعيه وترزية القوانين تلك الظاهرة التي بدأت في عصر
السادات . . كي يلغوا الحزب ونكل بالرجل الثاني فيه بعد زعيمه
فؤاد سراج الدين المرحوم عبد الفتاح حسن . .
وحزب اليسار قد أصبح في عداد مقيم ضمه وأثار اليسار العالمي
ضيقه وشوّه سمعته . .

والجمهور العادي أصبح شقوقاً يتتبع أخبار الفساد واشتاعات
المفساد في البلاد التي طالت رئيس الجمهورية ذاته . . والتي ساعد عليها
أنه قد صاهر أغني الأثنياء في مصر . . فقليل دالماً أن أموال الأصهار
كانت الستار لاختفاء أموال الأسرة الحاكمة . . كما كانت بعض الصحف
العربية تشبه نظامه بحكم الأسر الملكية في العالم وإذاعة ليبيا تصفه بأنه
خديوى مصر . .

وكان إعلامه وصحفه تلهث أمامه تشجعه على هذا الطريق . .
والاستمرار فيه . . وصحف الغرب قد زينت له طوال عامين بعد المبادرة
التاريخية ومن أبرز إنجازاته بأنه قد أصبح زعيماً عالمياً يشار إليه بالبنان . .
فتملكه الغرور . .

لم يكن هناك أحد يقول له قف يا سيادة الرئيس . . فكر قليلاً . .
وتأمل . . وانظر من حولك . .

وكانت جيهاً السادات تأتي له ببعض أساتذتها وكان أغلبهم من
ذوى الميول اليسارية مثل سعد الدين إبراهيم ومحسن جابر وعصفر
وغيرهما . . يحدثونه بصراحة كاملة عن تدهور الأوضاع ولا جدوى . .
بل إنه اعتقل بعضهم في حملة سبتية وفشلت تماماً في الإفراج عنهم
رغم أنهم كانوا أساتذتها ولم يشفع ذلك لهم عنده وكأنه اعتقال مبدئي
لأسباب مبدئية سينهار العالم بسببها . . ولكنه الجزع . . والتربية
السياسية الشمولية طفت جميعاً على السطح فكان فيها الهلاك . . هلاك
صاحبها أولاً وآخرها . .

وصاحب ذلك عملية نهب مستمرة لقوت الشعب واتجاه نحو تجاهل مشاكله تماما .. وسنضرب مثلين هنا .. كان موقف السادات فيهما سليما ومنحازا للجماهير لكن وزراءه كانوا ضد هذا الانحياز تماما ..

العملية الأولى خاصة بأسعار الغذاء .. وفي موضوع الخضروات بالذات ..

والعملية الثانية خاصة بأسعار الأرض وحل مشكلة الاسكان في مدينة العاشر من رمضان عند بداية انشائها ..

كان السادات يبين للناس أنه يفهم عمليات التلاعب في السوق ودور الوسطاء السيء ورأيناه في التلفزيون يقول أمام الناس موجها الحديث لعثمان أحمد عثمان : يا عثمان تصور أنهم ييأخذوا كيلو البطاطس من الفلاحين بـ ستة صاغ وبعدين يروحوا يبيعوه بخمسة عشر قرشا التسعة صاغ الفوق تروح فين ؟ ليه يا عثمان ماتعملش شركة تأخذ من الفلاح وتبيع على طول بـ ٨ صاغ النقل والمكسب كفايه قوى قرشين صاغ ؟ فتكون النتيجة ان عثمان يقيم شركة اسمها الأمن الغذائي توصل فيها المسألة ان البطاطس تباع بنفس أسعار السوق وأكثر ! .. أى أن قرارات السادات طبقت لتحقيق مكاسب أكبر لمن طبقوها !

مثل آخر ما حدث في أرض العاشر من رمضان حيث أيامها كانت المرافق تكلف ٣ جنيهات فطلب السادات في التلفزيون من المهندس حسب الله الكفراوي قائلا يا حسب الله أنا عارف ان مرافق الأرض يتكلف $3\frac{1}{4}$ جنيه كفاية تكسبوا فيها ٢٥ قرشا ويبيعوها بثلاثة ونصف جنيه المتر فيقول حسب الله الكفراوي : طب يا فندم تسمح لنا نبيع القطعة الممتازة بـ ٥٪ جنيه فيرد السادات : مافيش مانع اذا كانت في وسط البلد تفتح مسارح وسينما وغيره .. واذا بالذى يحدث بعد ذلك ان ادارة مدينة العاشر تبيع المتر بخمسة وعشرين جنيه .. وهكذا ! ..

والسادات يعرف وموجود ومع ذلك لا يأخذ أى خطوة لاصلاح الموقف وكل الذى كان عمله أن يعطى للجماهير آمالا كاذبة ويردد أننا نعيش أمجد أيامنا والحقيقة أنها أمجد أيامه هو .. وكون سعيدا بما ينعم به ويقول فخورا أنا ملاكتنش أحلم باللى وصلت اليه ويحكى أنه كان بيعلم بيت بالطوب الأحمر والآن هو بالقيشانى ! .. ويقول أن الله أعطانى أكثر مما أتمنى والمفروض أن أى حاكم وصل الى منصب الحكم لا يبلى سعادته وتنعم بهذا الحكم لأن مسئولية الحكم الحقيقي كثيرة وشاقة جدا والمنصب تكليف لا تشریف ولهذا كانت مثل هذه التصريحات من السادات تثير سخرية الناس في شهور الأخيرة ! ..

الانفتاح ٠٠ فى الأصل ٠٠ وفى الواقع ١؟

(الانفتاح الاقتصادى كما يظهر من كل ما تقدم سياسة اقتصادية تستهدف فى النهاية تنمية المجتمع عن طريق اطلاق طاقاته الانتاجية ٠٠)
هكذا عرف ممدوح سالم رئيس الوزراء أيام السادات الانفتاح الاقتصادى والهدف منه (التنمية) .

ولكن التنمية لحساب من ؟ ٠٠ أى أين موجه التوزيع من تلك التنمية ؟ اجاب ممدوح سالم أيضا على السؤال وهو يصرف الانفتاح الاقتصادى فقال بالحرف الواحد :

(أما توزيع ناتج هذه التنمية فسيبقى دائما محكوما بقاعدة العدالة التوزيعية وما تتضمنه من رفض لكل صور الاستغلال) . مرة أخرى أين موقع (الاشتراكية) فى هذا الانفتاح ؟ ٠٠

وهو الأمر الذى كان يقلق أنصار ثورة ٢٣ يوليو والناصرين واليساريين بشكل خاص أيامها حين لم يكن يدور بخلد أحد أن الاشتراكية أو تطبيقها فى أى مكان فى العالم خصوصا الاتحاد السوفيتى سينكشف أنها زيف وفقر وخراب !! حدد رئيس الوزراء أيضا أن الانفتاح « ليس خروجا على الخط الاشتراكى أو عدم الالتزام بمفاهيم التخطيط أو الرقابة وليس ترويجا لمجتمع يفقد الضوابط أو عوامل التنظيم وليس دعوى للفوضى أو التضارب أو اطلاق التناقضات ٠٠ ولكنه إعادة صياغة للتنظيم الاقتصادى بحيث يتاح لعناصر الانتاج ومصادر الثروة العمومية العامة والخاصة ما يمكن أن يدعها من الموارد الأجنبية أن تشارك فى استثمار القرض الاقتصادية وتكوين الناتج القومى متحررا من القيود البيروقراطية والقانونية وفقا للمصلحة القومية الشاملة »

وهذا الذى قاله رئيس الوزراء جاء تقريبا فى ورقة أكتوبر التى أصدرها أنور السادات واستفتى الشعب عليها .

ولم يكن فى هذا ما يمكن أن يثير الاعتراض حينذاك . . فلا هو خروج عن خط التنمية التقدمى الذى اختطته ثورة ٢٣ يوليو منذ اجراءات يوليو المشهورة . . ولا هو قرار بالتنمية الرأسمالية وفقا لمبادئ «الاقتصاد الحر» التى كانت مكروهة وقتها . . حتى لو تضمنت تسهيلات جديدة للرأسمالية الوطنية لاستثمار رؤوس أموالها . . وقال الاشتراكيون أيامها أن أى دولة اشتراكية فعلا فى العالم تقوم ببعض التراجعات أمام بقايا الرأسمالية وتعطيها الفرصة للنمو لتنشيط الاقتصاد القومى والتغلب على صعوبات اقتصادية موجودة . وضربوا مثلا ما حدث فى الاتحاد السوفيتى عندما أعلن لينين السياسة الاقتصادية الجديدة (النب) وقال يومها خطوة الى الوراء من أجل خطوتين الى الأمام حتى يمكن التغلب على التدهور فى الاقتصاد السوفيتى بعد نهاية حربين : حرب التدخل . . والحرب الأهلية .

ويومها هوجم لينين أيضا . . وهللت صحف الغرب (للتراجع عن الاشتراكية والعودة الى الرأسمالية) .

وكانت الظروف الاقتصادية فى مصر وقتها سيئة . . وتكتفى بإيراد بعض الأرقام والمعلومات من حديث ممدوح سالم أمام مجلس الشعب فى ٢٨ يناير ١٩٧٦ : فى خلال العشر سنوات الماضية تزايد الانفاق العام من نحو ٦٠٠ مليون جنيه فى ١٩٦٦/٦٥ - الى ما يزيد عن ٢٠٠٠ مليون جنيه فى ١٩٧٥ - وذلك فى الوقت الذى ارتفعت فيه موارد الحكومة من ضرائب مباشرة - وغير مباشرة - من نحو ٥٠٠ مليون جنيه - الى نحو ١٠٠٠ مليون جنيه فقط - الأمر الذى أدى الى ارتفاع عجز الموازنة الجارية للحكومة - من نحو ١٠٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٦٥ الى نحو ١٠٠٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٧٥ - . بالأسعار الجارية وهو يمثل زيادة مضاعفة فى الانفاق العام .

كما ارتفعت معدلات الاستهلاك الفردى - الحقيقية - خلال العشر سنوات ٦٥ - ١٩٧٥ - من نحو ٦٧٪ من الدخل القومى - الى نحو ٨٠٪ - فاذا أضيف هذا الى أرقام الانفاق العام نقص الادخار الواجب تحقيقه من أجل مواجهة أعباء الاستثمار الى مستويات شديدة الانخفاض وزاد الاعتماد فى تمويل الاستثمارات بل وبعض ضرورات الاستهلاك على الموارد الخارجية - وليسست الزيادة فى الاستهلاك - أمرا غير محمود - فى حد ذاته - اذا يعبر عن ارتفاع مستوى معيشة الأفراد - الا أن هذه الزيادة - وقد تعدت امكانيات المجتمع وقدراته الانتاجية فقد أصبح من

اللازم - كما أعلنت الحكومة من قبل - العمل الجاد على ترشيد الاس
الفردى والعام دون اضرار بحاجيات الفئات محدودة الدخل من
الانتاج المحلى لايفى باحتياجات الاستهلاك الا فى حدود ٤٣٪ - بالنه
للقمح - و ٨٠٪ بالنسبة للذرة - و ٧٠٪ من الفول والعدس - و
من السكر - كما ارتفع الاستهلاك الفردى من السلع الصناعية المر
بمعدلات سريعة .

وأصبح معروفا طوق ذلك أن حجم ديون مصر يزيد عن ٢٧٠٠
جنيه منها ٢٠٢٠ مليوناً بالعملة الصعبة هذا غير الديون العسكرية
لاشقل عن ٢٠٠٠ مليون جنيه أخرى .

وهذه الأزمة الاقتصادية لم تكن نابعة من تنمية فى طريق رار
أو ما شابه ذلك .. انما نبتت من ظروف الحرب والتنمية الاقتصادية
اختطتها مصر منذ سنوات عديدة .. فقد أرهقت الحرب وتض
الميزانية المصرية ولا شك .

أضف الى ذلك أن الكثير من المصانع الضخمة التى أقمتها لم
تعمل بطاقتها الانتاجية الكاملة لقلة قطع الغيار أو عدم وجود الخ
أو لتفشى الادارة البيروقراطية وأعمال التهرب والسلب . ازاء هذا ال
المتدهور قررت الحكومة اتباع سياسة الانفتاح وأثارت كلمة الانفتاح
ضجة ككلامية ضخمة اذ تصور بعض الاشتراكيين أن ذكرها يعنى أنه
هناك انغلاق عن التطور الاقتصادى عمدت اليه الثورة فى مر
جمال عبد الناصر .. ويسعلوا أيامها عددا من القضايا للتأكيد على
الثورة كانت منفتحة كما يأتى : مصر تريد أن تنمى نفسها على أ
اقتصادية مخطط وفى اتجاه لا رأسمالى سماه عيدا بالاشتراكية .

الاستعمار يحاصر مصر ويرفض مساعدتها فى التنمية بل يكيه
ويدبر المؤامرات - حتى دفع بإسرائيل الى الاعتداء عليها عام ١٩٦٧ .

كان نشاط الرأسمالية الوطنية مقيدا بعض الشيء والاجراءات
حدثت من تأميم ومصادرة أخافت رأس المال من الاندفاع فى ات
لاستثمار أمواله لم يقدم رأس المال الأجنبى والعربى الا فى حدود .
محرم بل كان هناك قطاع من الرأسمالية لم يمس قط وترك له الحبل
الفارب فى الاستثمار وهو قطاع ملاك عقارات البناء ولو تملكوا عما
بملايين الجنيهات .

رغم وضع عبد الناصر قوانين التسهيلات للرأسمال الأجنبى ل
لاستثمار أمواله لم يقدم رأس المال الأجنبى والعربى الا فى حدود .

ان هناك بعض الاجراءات (المتطرفة) ضد الرأسمالية الوطنية قد اتخذت لبواعث شخصية أو استبدال استغلال باستغلال من محاسبين النظام والطبقة الجديدة التي خلقتها . وهذه الأخطاء هي التي تستغل الآن لمحاولة ضرب التجربة التقدمية كلها .

(عمليات الحراسة بالتليفون وتوزيع بعض المصانع على الأنصار والمحاسبين .. وتبديد ثروات القصور) .

انه لم تكن هناك أية رقابة شعبية من أى نوع على التنمية الاقتصادية بل ان عبد الناصر حرص عن عمد وإصرار على إبعاد الاشتراكيين الحقيقيين عن أى موقع قيادى اقتصادى فلم يحدث الا فى حالتين أو ثلاث أن عين ناصرى اشتراكى فعلا أو ماركسى على رأس أى شركة .

ولعل القراء يذكرون نصيحة عبد الناصر للماركسيين فى اجتماعه بهم فى مجلة الطليعة عندما جئهم على عدم الاهتمام « بعرض الدنيا الزائل » من المناصب ويكتفون بالتبشير بالاشتراكية ..

وترجمة هذا الكلام .. دعوا الطبقة الجديدة تمسك بمقاييد الأمور وتستأثر بشمار الثورة واكتفوا أنتم بالدعاية للنظام وتحسين واجهة الاشتراكية !!

لم تجد مصر رغم كل محاولاتها أى معونة أو تجاوبا حقيقيا من الغرب فى التنمية الاقتصادية . ولذلك اتجهت الى الاتحاد السوفيتى .

ولهذا قالوا أن الثورة لم تحاول الانغلاق .. بل حاولت الانفتاح .. وكما هو معروف أن المظلم والثورات الوطنية فى العالم الثالث كانت تودد وتفضل أن تتعامل مع الغرب لأنه يمثل النظام الذى تنشده مع بعض التعديلات والتحويلات . وهى قد اضطرت اضطارا فى ظروف تاريخية معينة الى التعاون مع (البلاشفة الملاحين) .

والذى قبل هذا الانفتاح هو الشرق .. ودول عدم الانحياز وهى فى حد ذاتها لا تقدم ولا تؤخر كثيرا فى عمليات التنمية . ولقد كتبنا فى عام ١٩٧٦ فى كتابنا (رفض الرفض) أن ثورة يوليو حاولت الانفتاح .. على العالم الغربى والشرقى .. ولكن لم يفتح الباب الا للشرق أساسا .. ولكن ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر وضعت سياسة انغلاق نسبية بالنسبة للنمو الرأسمالى فى الداخل .

الحقيقة التى لا يمكن انكارها أن الرأسمالية المصرية كانت تحس خلال عهد عبد الناصر أنها فى المصيدة .. وأنها مهددة دائما اذا ما حققت شيئا متزايدا أن تضيق الثروة فى لحظة من أيديها . ولكن الشئ المؤكد

أن ذلك قد اكتسب عطف الجماهير في البداية . . لكن كلما تفشيت ظاهرة الطبقة الجديدة جنباً إلى جنب مع الارهاب استطاعت تلك الرأسمالية أن تستعيد عطف الجماهير إلى جانبها هي بل وسخطها أحياناً على (الاشتراكية) .

لأن الناس بدعوا يرددون ما الجديد إذن ؟ . أزلنا طبقة رأسمالية قديمة وجئنا بطبقة جديدة أكثر شراً ؟ . فضلاً على أنها تخلت عن كل التراث الديمقراطي التقليدي . للرأسمالية المصرية وسامت كل القوى السياسية عذاباً وأشاعت الارهاب في الشعب كله .

ومن هنا يمكن أن نفهم معنى قول الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي بعد حركة ١٥ مايو التصحيحية أن الاستعمار والصهيونية لو أنفقا بلايين الدولارات لتشيويه معنى الاشتراكية لما حققا نجاحاً كما حدث خلال السنوات التي سيطرت فيها مراكز القوى ولقد كان الانفتاح الذي حدده أنور السادات في خطبه ووزقة أكتوبر وعلى لسان المسئولين معه أنه معنى :
١ - فتح الباب أمام الرأسمالية الوطنية لاستثمار ما تملكه من أموال .

٢ - فتح الباب أمام الرأسمال الأجنبي والعربي .

٣ - إزالة القيود على الاستثمار واعطاء تسهيلات لتشجيع اجتذاب هذه الفرق الرأسمالية للاستثمار ويعنى ذلك طمأنة رأس المال من (أخطار) التأمين والمصادرة والحراسة . وذلك بتقنين النظم وفرض ما يسمى بسيادة القانون .

٤ - يتبع فتح الباب للرأسمال الأجنبي البحث عن أسواق للتبادل التجارى مع الغرب وعدم الاكتفاء بالشرق واشترطت الدولة أن تكون كل أنواع هذه الاستثمارات من أجل تدعيم الاقتصاد الوطنى .

ولكن ما معنى تدعيم الاقتصاد الوطنى ؟

أولاً : أن يكون الاستثمار من أجل إضافة كم للإنتاج يعوض العجز الموجود والذي أشرنا إليه من قبل .

ثانياً : ألا يكون ذلك الاستثمار وسيلة لاجهاض الصناعة الوطنية واصابتها بالشلل .

ثالثاً : أن يكون الاستثمار دفعة لخطة التنمية التى ترسمها الدولة .

وأبعا : ان ذلك انفتاح لا يتم على حساب القطاع العام أى لا يكون معول مدمر له ولذلك نص الدستور على أن القطاع العام هو قائد عملية التنمية .

الى هنا ولا يوجد أى خطأ أو (انحراف) في الانفتاح . . . ولو أنهم طبق كما قرره ورسمه المسئولون لما حدثت تلك الضجة التي أثارها ناقصو الانفتاح أو خصومه ولما حدثت الآثار السلبية الرهيبة للانفتاح والتي مازال يعاني منها الاقتصاد المصرى حتى يومنا هذا . . . ولعل أخطر هذه السلبيات أن الطبقة التي خلقها الانفتاح أصبحت أقوى من كل شئ واقفست الى حد كبير كل شعارات الانفتاح الانتاجى التي رفعها حسنى مبارك منذ أن جاء رئيسا للجمهورية عام ١٩٨١ . . . وأصبح لدينا فى مصر نوعان من الرأسمالية خصوصا بعد أن ألغى السادات تأميم الصراع الطبقي الذى وضعه جمال عبد الناصر وكان يفخر به الأستاذ حسنى هيكل رغم أنه ضد طبائع الأمور وان كان هناك من فضل لانور السادات فيه هذا المجال فانه قد اعترف بالواقع الاجتماعى وتناقضاته فى المجتمع المصرى . . . فهناك الرأسمالية الوطنية (المنتجة) أى التي تملك مؤسسات ومصانع تضيف كما الى الانتاج القومى . . . وهذه الفئة هي التي تملئها سياسة الانفتاح حقا وهي تريد أن تفك القيود التي كانت تحول دون تطويرها ونموها .

ومثل تلك الفئة تلعب دورا تقسيميا فى داخل سياسة الانفتاح وهي التي يعنيها أنور السادات (دع الناس الذين يكسبون فقط يؤدو . . . ما عليهم للدولة) .

وهذه الفئة مع ترحيبها بالرأسمال الأجنبى إلا أنها تكون حذرة ألا يحطم صناعاتها بتفوقه عليها . . . كما أنها ترحب بالتقدم التكنولوجى لتطوير صناعاتها لتسيطر على السوق المحلية .

وجزء كبير من هذه الرأسمالية الوطنية يتخسك باستمرار التعامل مع بلاد المعسكر الاشتراكى لأنه المشتري الأول لانتاجها (من ملابس وأثاث ومصنوعات جلدية ومشروبات . . . الخ)

وثمة خطر طبعاً أن تنمو تلك الطبقة الرأسمالية الوطنية الى أن تصبح رأسمالية كبيرة وتتشابه مصالحها فى المستقبل مع الاحتكارات الأجنبية وتتحول تناقضاتها معها الى تناقضات ثانوية وتستدير الى الشعب فى شراسة لخلق الديمقراطية .

ولكن الخطر الحقيقى والحالى . . . هو ذلك القطاع من الرأسمالية المصرية وهي الرأسمالية التجارية الربوية أو ما يسمى بالرأسمالية

الطائفية . وهذا القطاع هو (ركيزة اليمين المصري .. بل هي أكثر فئات ذلك اليمين تخلفا حتى استحوطت لقب (اليمين البيومي) . فهذا القطاع من الرأسمالية ليس منتجا .. انه لا يضيف جراما واحدا الى الانتاج القومي .. انه يلعب وينهب من اموال المجتمع أساسا .. تنتقل الاموال من جيب المستهلك الى عتال هؤلاء التجار والمرايين والوسطاء .

والبعض منهم يعمل وكلاء للقبارك العالمية .. وهم من اصطلح على تسميتهم (بالكومبرادور) وهم أحط فئات الرأسمالية وأكثرها وضاعة .. وشرامة وأكثرها حفظا وحرصا على (قواعد) السلوك الدنيء والحسيس والمصوصية !

انهم خصوم أية تنمية اقتصادية في البلاد .. فالواحد منهم يفضل طبعيا أن تموت صناعة السيارات في مصر كي يستطيع بيع السيارات الأجنبية .. التي (يتشرف) بالوكالة عن احتكارات أمريكا وأوروبا في بيعها للمستهلك المصري .

والكثير من هؤلاء الكومبرادوريين من الحثالة والصعاليك ويكفي أن يركب الواحد السفن الإيطالية بين إيطاليا والاسكندرية ليرى قطاع القراصنة وحامل السكاكين و (الشبيحة) والمهرين وهم يحملون بضائع الانفتاح الى مصر اما لحسابهم أو لحساب سادتهم من الصعاليك الوجهاء الذين سيصبحون مليونيرات بعد قليل .

وهؤلاء يشكلون عصابات بمعنى المصايات يرشون الاداريين ..

ورجال الشرطة ويرهبون الناس ورجال الشرطة أيضا .

وهؤلاء يودون أن تتحول مصر كلها الى مدينة حرة .. الى هونج كونج وتملؤها الشركات الأجنبية ليحققوا الثراء من العمولات والسمرة والخطف والرشوة والدعارة ورجل التجسس والتخريب .

كما أن هناك صعايلك للبروليتاريا هناك صعايلك للرأسمالية ! ..

هذه الرأسمالية الطائفية بطلاتها جميعا .. ليست وليدة سياسة الانفتاح فقط .. انها نمت واتسعت وكبرت وتضخمتم بعدها بفضل الانفتاح أفور الساسادات الذي أتى بعكس النتائج التي أعلنها نظريا .. حقا بل وأصبح صوتها عاليا ولها علاقات بأجهزة الحكم ونفوذ وتعميت في تلك الأجهزة رشوة ومسادا .

لكن الحقيقة أن هذه الطبقة تضرب بجذورها الى المجتمع الاستهلاكي الذي بدأت الثورة بقيادة عبد الناصر في السماح به خطوة خطوة بعد هزيمة ١٩٦٧ .

اننا نؤكد أن البضائع المستوردة كانت على الأرصفة في استحماء من قبل ١٠٠ . ولكنه بعد ١٩٦٧ تساهلت الدولة فأتسع انتشارها ٠٠ . ثم سنت قوانين لتسهيل استيراد السيارات وغيرها ٠٠ وكان الهدف حينذاك (رشوة) الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة في المدن لتسكت وتتلهى بالاستهلاك مادام حل القضية الوطنية سيأخذ وقتا طويلا من المساهي الدبلوماسية بعد الهزيمة العسكرية الساحقة .

ولا بد أيضا أن نتذكر أن وضع الكثير من رجال النظام وخاصة الذين خرجوا من الجيش على رأس مؤسسات اقتصادية وهو ما كان محل اعتراض قلة من المسئولين في ذلك الوقت هؤلاء الذين تولوا مسئولية شركات القطاع العام دون رقابة شعبية أو محاسبية قد تمكنوا من جمع ثروات كبيرة (تخفية سقا ولكنها كانت كبيرة) سواء من نهب الشركات أو الحصول على عسولات من الشركات الأجنبية والمحلية . وكان هناك أيام هب الناصر مجال رأسمالي لم يمس قط كما قلنا من قبل وهو مجال الاسكان بحجة تشجيع البناء للجناهير ٠٠ ومن هنا اتجه أولئك الى ذلك القطاع يشيدون العمارات الضخمة بمئات الألوف من الجنيهات دون خشية من تنامي .

ليس صحيحا أنه لم يكن هناك أصحاب ملايين أيام عبد الناصر ٠٠ ونظرة الى كشوف العوائد في بلديات عواصم المحافظات سيجد أفرادا كانوا يملكون عمارات قيمتها ملايين الجنيهات .

كان من الطبيعي أن سياسة الانفتاح التي ألفت الكثير من القيود على الاستثمار الرأسمالي أن تخرج الثروات المكسدة (وما تحت البلاط) . ويتجه الكثيرون الى الاستثمار السريع ٠٠ وما دامت القيود قد أزيلت فإن الباب مفتوح لأي مجال من مجالات الاستثمار الرأسمالي .

ويرتبط بتحريك هؤلاء الطفيليين في أي مجال من مجالات الاستثمار دعواهم المستمرة للعودة الى الاقتصاد الحر الكامل أو بالقليل تحويل القطاع العام الى جزيرة وسط تنمية رأسمالية شاملة تجارية وكومبرادورية أساسا .

هذه هي القوة الاقتصادية التي حاولت تحويل الانفتاح في مصر الى الفتح سمسة وبوتيكات الاستهلاك وشوارع الشوارع والمشقق المفروشة وتنظيمات الدعارة السرية والتي عبر عنها الأدب والسينما المصرية والمسرح كثيرا خلال السنوات الخمس عشرة الماضية وخاصة في عهد حسني مبارك .

وهي التي تتجه الى الاستهلاك في شراهة مروعة دون خجل
أو حياء .

ولقد أثبت هذا القطاع من الرأسمالية المصرية أنه فاجر وقصير
النظر اذ يتركب بكل يوم أعمالا استفزازية للجماهير مثل نهب أموال بنوك
الدولة وبناء العمارات المتناهية مقدما . . وتقاضى خلو الرجل بفحش وبيع
الشقق بعشرات بل ومئات الألوف . . الخ مثل تلك الأعمال التي تؤكد
صدق الموضوعية السياسية القائلة (أن الرأسمالية تحفر قبرها
بيديها) .

أين يقف السادات ؟

إذا كنا نقول الآن أن هناك قوى اجتماعية تدفع بالانفتاح الى اتجاه
غير الذي تريده الدولة . . وأن هذه القوى الاجتماعية هي اليمين المصرى
. . فإين كان موقع أنور السادات من هذه القضية . . لنقرأ ما كان يقول
نظريا مرة أخرى . . ماذا قال فى رسالته المشهورة لمجلس الشعب :

(ان الشعب يشكو من بعض مظاهر تكديس الثروات بطريقة طفيلية
عند البعض كما قلت فى خطابى . .
أنا ضد الثروات الطفيلية . . سمرة . . مغامرة . . مضاربة
ومتاجرة بأقوات الشعب .
أنا ضد كل هذا ولا بد أن تكونوا كلكم ضده لأنه ضد مصالح
الشعب) .

وقال السادات :

(ان فى مقدور شعبنا أن يتحمل صابرا الى أقصى المدى ولكن بشرط
أن يكون التوزيع عادلا) .

(ولو أننا كشعب عشنا على نصف رغيف فقط بالتساوى لتقبل
شعبنا . بل حينذاك يعيش ويصمد سنين شريطة أن نعيش جميعا على
نصف رغيف فلا يكون بيننا من يأخذ رغيفا بينما يأخذ ثان نصفه ويأخذ
ثالث رغيفا ونصفا) .

ويبدو هنا أن رأس النظام يظن أن المتلاعبين المنحرفين بالانفتاح
الذين تحدثنا عنهم . . ويوجه الانظار اليهم بل ويتطرق فى العدل
الاجتماعى . .

وماذا كان يقول السادات عن الاشتراكية .

في خطابه لمجلس الأمة في ١٤ إبريل ١٩٧٥ يقول (نحن قوة من قوى الثورة الوطنية في هذا العالم نسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد ان مصر الحرية لا يتجزأ ونحن وسط قوى هذه الثورة طليعة من طلائع الاشتراكية) .

وهو يلفت نظر الوزراء وهم يحلفون اليمين الى من يجب ان يتوجهوا بانتباههم فيحدث عن الذين ضحوا في معركة ٦ أكتوبر (ان الجندي عبد العاطي الذي أصاب ٢٣ دبابة . . وهو رقم قياسي في الحروب كان مواطننا من الشرقية من أبناء الفلاحين . ولقد شاهدت تدريبات مذهلة قبل المعركة وكان الجنود من سوهاج .

ان الذي حارب المعركة هم ابناؤنا من العمال والفلاحين والمثقفين أبناء التحالف . .

ولكن الحقيقة غير هذا الكلام الذي كان يقوله السادات في المجلس . . فقد كان له موقف آخر . . وكان سكوته على نمو الرأسمالية الطفيلية واستئصال شرها مقصودا . . ولم تكن صدفة ان كان هو الذي أطلق الشعار القديم الذي أطلقه الانجليز في مصر وحفظينه (لنا) في الكتب المدرسية ان مصر بلد زراعي . . ولا تصلح للصناعة . . فقد كان السادات يكرر هذه المقولة الخاطئة . . كما كان قد أوقف أي تخطيط للاقتصاد . . وتخلص من أي وزير ذي ماضٍ تخطيطي . بدءا من عبد العزيز حجازي الى اسماعيل صبرى عبد الله الى د . حلمي عبد الرحمن . . وأصبح الانفتاح المصري مضغة في الأفواه . ومضحكة حتى في العالم العربي الغني أبو الاستهلاك ومبررا لقادته كي لا يقدموا لمصر المعونة . . الاقتصادية والاستثمارات . .

ماذا كانت نظرة السادات الحقيقية للرأسمالية ؟ . .

قال لي مرة : ان الرأسمالية المصرية خدعتنا - يقصد خدعت الثورة - عندما وراها جمال عبد الناصر العين الحمراء . . أخفت الفلوس تحت البلاط وتمسكنت وظهرت بمظهر الشحاتين . . يقفوا على باب الحراسة يطالبوا برفعهم الخمسة وسبعين جنيها الى مائتين أو حتى مائة . . وهي غنية وكافزة الفلوس . .

وهذا هو الخطأ في سياسة عبد الناصر . . احنا لم نكن في حسابنا أبدا أن ننشئ على الرأسمالية . . كنا فقط لو فاكرين بيان الثورة وبرنامجها من الست فقط . القضاء على الاحتكار . . لكن تشجيع الرأسمالية الوطنية كان دورنا وده الى ما غفلوش جمال عبد الناصر . . سألته . . ما تعريفك للرأسمالية الوطنية ؟ . .

ضججك في سجنية .. وقال ناظروا الى وعيناه تكاد تضحكنا
وتقولان في نفس الوقت : يا ابني انت لسه صغير !! وجاءني هذا
الاحساس فعلا ..

قال : انا اعرف الشيوعيين قبل ما تلعب انت في الشارع ..
انت تعرفه خالد محيي الدين قبل ١٩ .. انا اعرف حسن فؤاد احسن
منك ألف مرة .. وشهدى عطية الله يرحمه كنت أعرفه ولما قتلوه في
السجن زعلت جدا عليه .. وقلت للرئيس بعد ما رجس من يوغوسلافيا
باريس مش على العمال والبطال العماله دول يموتوا الناس .. وشهدى
ده صاحب رأى وها أنت شفت له سمعة دولية .. الضباط الكبار دول
سجانة .. اللواء بتلع الجيش دم سجان مش ضابط .. وايه الى وداه في
سجن سياسى زى ده عاوز معاملة الناس على « الخازوق » !!

قلت للرئيس السادات ..

الى ملشى في البلد دلوقت مش راسمالية وطنية على الإطلاق ..
لا فيه انتاج .. ولا تكنولوجيا .. وانما انفتاح استهلاكى ..

أدهشنى أنور السادات عندما قال بصراحة كاملة انه يعرف ذلك ..
وأنهم شوية حرامية ولاد كلب وهو مع ذلك راض بهذا وسايهم
بمزاجه ..

قال ..

أقول لك .. أصل انتم بتعوع نظريات .. لما انا عاوز أشجع
الرأسمالى .. أى رأسمالى يطلع الفلوس من تحت البلاطة .. والرأسمالى
كما تعلم جبان .. أقوم أعمل له شروط .. أقول الجنيه ده لازم نفتح بيه
مصنع ولا تباع به فجل ١٩ ..

أقول طلع يا ابني انت وهوه الفلوس واشتغل بها ..

لو قلت لازم مصنع البلد بالفلوس .. يقول رجعنا تانى .. عاوزين
ابنى مصنع علقان يؤمموه ..

لا توجد ثقة في الحكومة من الرأسمالية .. وللازم الثقة تاتى
بالممارسة والشغل .. الآن .. الحكومة تقول بس طلع .. طلع الى
عندك ..

وهم يطلعوا .. وده التلى يهمنى .. عشرة فى المية حينفقوا الفلوس
فى السكة الى انا عايزها .. الباقى سيصرف فى الهلس الى يتسسموه

الانفتاح الاستهلاكي .. أقول لك بقي الانفتاح الاستهلاكي سيفيدنا ويفيد
الشمسية في البلد ..

قلت اراى ؟ ..

قال ..

هو الناس التي عندها فلوس دي مش عاوز تصرف وتعيش .. انت
نفسك سمعت ان عندك عربية مرسيدس .. علشان جالك قرشين ..
ما كان ممكن تشتري ١٢٨ ولا ١٢٥ فيات .. لكن كل انسان يالميد الستار
هاوز يعيش أفضل وأحسن ما دام بيكسب .. هو الناس بتشتغل ليه ؟
مش علشان تستهلك ..

وسكت لحظة .. وهو سعيد كما يبدو لي أنه أمسك بلجام الحديث
وبدا كما لو كان محاضرة والكلمات تتدفق منه ..

الاشتراكية بتاعتكم دي هداهية ايه .. مش الفاس تعيش كويس
والا تفضلوا تسبحوا باسم لينين بالغشيم بتاعتكم .. على فكرة افتمس
عبادة الفرد عامله غشاة عليكم ومتصلة داخلكم وعلشان كده انتم
مش فاهمين عيوب الاشتراكية في روسيا .. آخا التي عاوز يس مش
بتكلم .. لانه صديقنا ومعانا ومش عاوز ازعجهم والا يقطعوا عنا السلاح ..

قلت وأنا في أعماقي لا أصدق أن السوفيت عطفهم عيوبه جسيمة
لا يريد رئيس الجمهورية كشفها حتى لا يسئ اليهم .. وكذلك لا أصدق
أنهم يجربون عنا السلاح كما يتحدث السادات عن ذلك بمرارة ..

— اراى ياريس ..

قال ..

— أنا عارف كل حاجة .. دول شوية مثقفين عاوزين يوصلوا للحكم
ضحكوا على البروليتاريا بتاعتكم دي وانتم كذلك وبكره تشوف لو قدر
الله وحكمتم البلاد .. اياك تكون مصدق أن البروليتاريا هي التي تحكم في
روسيا ..

هذه كلها دول كبرى .. لها مصالح .. ولا أيديولوجيات ولا مبادئ
.. وكلهم حرامية ولكن أمريكا أفضل علشان حاجة واحدة ..
سألت في فضول :

● ماذا ؟

— ما فيش حاجة سر هناك .. التي يا أخاه قرش وشوية هناك نهاره اتسوى
بكره الصحف تفضحه .. علشان كده النظام هناك عايش ومستوعب كل

حاجة حتى الماتية... إنما نظامكم تقاقل على نفسه... وكل مره أروح روسيا أحسن ان البلد ستنفجر!... وباين على كل واحد بعد الزنساء الكبار يتوع الججمة انه تعب... وعاور يعيش وأقول لك كان عاوز الصراع ده مع أمريكا يتوقف...

وقال السادات. كمن يقرأ المستقبل... وأنا رأيي ان التيار يتعاقب الثعابين ده هو الى خيكسب فى الآخر... والمسكرين حيتفقوا علينا ويكره لشوف...

لم أكن أصدق طبعاً حرفاً من هذا... وأقول فى نفسى فى غسروز ماركسى تقليدى... أصله برجوازى لازم فهمه كده!!...

نعود الى رأى السادات فى حكاية الرأسمالية...

كان يرى ان السطخ الاستهلاكية تشجع الرأسمالية على الاتفاق وعلى عدم تهريب النقود للخارج...

وكان يعتقد انه بجزر الزم فانه ستمحدث حركة توازن فى المجتمع بين الاستهلاك فى مجال التنمية الاقتصادية الحقيقية وبين الاستهلاك

وعندما كنت أحاجيه فى هذا يقول ان هذا هو دوركم فى الاعلام ولا سألته مرة : كيف ؟

قال... أنتم تعملون دعاية للاستثمار فى مجال الانتاج... وتهاجمون الاستثمار فى الاستهلاك... وتكشفون الفساد حول السماسرة والطفيلية...

لكن أنور السادات قسر لى فى مناسبة أخرى ونحن نناقش الانفتاح وتركه الحبل على الغارب للرأسمالية تستثمر فى أى اتجاه... وقال كلاماً خطيراً...

سألنى... ليست هناك علاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية؟... فلما أجبت بالإنجاب... قال

كيف أكسب ثقة أمريكا... لا يكفى انى أتجه لمصادقتها... وأشعرها أنه حتى الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يفيدنى بشئ... إنما لابد ان أطمئنها فى الداخل انى أشجع الرأسمالية... ولا مجال أبدا للعودة من جديد لعصر التأميم والحراسة ومصادرة حرية النشاط الخاص...

لا بد أن أفتح الباب على الآخر .. لتتأكد من هذا وتثق فينا ..
وتساعدنا مع إسرائيل .. وكذلك تعطينا قروضا ومنحا .. وحاجات ثانية
أناؤى أطلبها بها بس مش وقتها ..

وبما سألته ما هي .. رفض ان يجيب على السؤال ..

واتضح بعد مرور عام تقريبا من هذا الكلام أنه كان يقصد طلب
السلح من الولايات المتحدة .. الذى كان بداية للاستغناء عن حتى التساح
من الاتحاد السوفيتى .. ويومها طرح شعار تنويع مصادر السلح حتى
لا يكشف عن اتجاهه الحقيقى بالتملص شيئا فشيئا من الاتحاد السوفيتى .

سيدة مصر الأولى

المعارضون لحكم أنور السادات .. حددوا دائما أن واحدا من أسباب وقوع نظامه في أخطاء استوجبت معارضتهم .. هو زوجته السيدة جيهان السادات .. التي استحدثت أو استعارت من الأمريكيين لقب سيدة مصر الأولى .. وهو لقب كنت أبدى لها اعتراضى عليه .. واقترحتم عليها مرارا عدم استخدامه ..

اتهموها بالتدخل فى شئون الحكم .. بل ووصل الأمر الى حد تعيين الوزراء .. واتهموها بأنها تقوم بنشاط يزيد عن الحدود التى يجب أن تقوم بها حرم رئيس الجمهورية فى بلد « شرقى » وانصبت عليها التخرصات والاتهامات من جانب التيار الإسلامى بسبب أنها سعت فى جهد شديد لتغيير قوانين الأحوال الشخصية بما يعطى المرأة المصرية بعض الحقوق ..

وجاء وقت اتهمت بأنها تدخلت فى شئون الدولة الى حد عقد تحالفات ضد نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك أيامها ..

واتهمت بأن لديها نزعة كبيرة للثراء والالفاق فى بذخ وتكوين الثروات واتهمت أن لها تأثيرا كبيرا على المرحوم الرئيس السادات ..

ولا أستطيع فى الحقيقة أن أزعم أننى استطعت من خلال علاقتى بأنور السادات ثلاثة أعوام ومن استمرار صلتى بالسيدة جيهان أربع سنوات بعد قطعه علاقته بى .. أن أقول أنى قد استطعت أن أعرف أية معلومات تذكر أو ذات شأن عن الحقيقة فى هذه الاتهامات ..

فالواقع أننى لم أحاول قط أن « أتعمس » اذا جاز التعبير من خلال علاقتى بالرئيس السابق تفاصيل عن واقع ما يدور فى الكواليس .. ولعل القارىء يلاحظ أنه فى كل حواراتى ومناقشاتى مع السادات لم أحاول

أن أمثال سؤالاً عن مسائل تفصيلية داخلية عن فلان وفلان وإني كانت المناقشات تدور حول سياسات أساسيات .. ذلك لأنني كنت أقول لنفسى أنه لا شأن لى بما يدور داخل هذه الجدران .. ولا معنى لأن أقحم نفسى فيها .. فإنا معنى فقط بالأمور العامة التى تهم البلاد .. ولكل حكم أسرار لا شأن لى بها ..

ومع أنه كان من الممكن أن أناقش أو على الأقل أفتح أى موضوع لأن السادات وزوجته كانا واسعاً الصدر جداً ..

لكن أغلب الظن أنى لو كنت قد أبدت اهتماماً بما يدور خلف الكواليس لكنت أما فقدت الثقة والاعتبار عندهما باعتبارى متطفلاً فضولياً .. أو لوجدت نفسى فى دوامة شلة من الشلل أعمل لحسابها عميلاً أو شبه عميل !!

لذلك أنا لا أعرف أكثر مما يعرف أى شخص آخر شيئاً عن تدخل جيهان السادات فى شئون الحكم أو تكوين الثروات .. وأنا أنحفظ عند كلمة « أعرف » .. فكل هذه « المعلومات » إذا جاز تسميتها بمعلومات هى إشاعات ..

وما كان يعنينى قط أن يكون رئيس الجمهورية أو زوجته أثرياء .. فإنا أسلم جداً أن أى حاكم يمكن أن يثرى .. وكنت أتصور من قبل أن ذلك طبيعى فى النظم الرأسمالية حتى اتضح للأسف أنه طبيعى أيضاً فى النظام الاشتراكى .. بل الحكام فيه أكثر ميلاً للثراء والفخفة ..

كان الذى يهمنى من الحاكم فقط هو أن يعنى بمشاكل شعبه ويحلها .. ثم يثرى أو لا يثرى هذه مسألة ثانوية بالنسبة للشعب لأن النقراشى باشا مات وفى جيبيه ثلاثة جنيهاً فقط لا غير .. ومع ذلك كان من أسوأ رؤساء الوزارات فى مصر .. فقد كان زعيماً للحزب السعدى أحد أحزاب الأقلية التى كانت برادع للانجليز والسراى ..

ولقد كان يهمنى بالنسبة لحرم رئيس الجمهورية أنها تضرب مثلاً للمرأة المصرية أنها تعمل بالشئون العامة وتؤكد معنى مساواة الرجل بالمرأة .. وكنت أحمد لرئيس الجمهورية أنه يسمح لزوجته أن تنشط فى الحياة العامة وتؤكد هذا المعنى فى وجه معارضته ومقاومة التيار الدينى المتشدد الذى يرى مكان المرأة فى غيابات البيوت والدور ..

ولقد كنت أعرف أن جيهان السادات تعمل منذ كان زوجها رئيس مجلس الأمة بالشئون العامة فى جمعية تلا .. ثم فى مؤسسة جرحى حرب ١٩٦٧ ولكن دورها كان مطموساً خلال عهد عبد الناصر ..

ولذلك كنت متحمسا لهذا الدور ونشرت عنه الكثير ..

ولما احتكتك بها .. وجدت لديها ذكاء وبديهة حاضرة ووعيا ..
وفي مواقف بدت لي مختلفة عن سياسة خاطئة لأنور السادات في
بعض الأمور ..

ولكن أعرف أنها اتخذت بعض المواقف الخاطئة المتعلقة بشئون
حسنى مبارك عندما كان نائبا لرئيس الجمهورية وقد عرفتھا صدفه من
بعض أطراف تلك الشئون .. ولا مجال للتفصيلات هنا ..

كما أنى لاحظت أن الوزراء كانوا يحرسون على حضور أى مؤتمر
أو مكان تزوره ، كما أعلم أن فؤاد محيى الدين كان يلح عليها لحضور
وافتتاح مؤتمرات حتى بالنسبة للصحة وهى لا شأن لها بهذا ..

وأذكر مرة أننا كنا فى ألمانيا الغربية وكان معها د . عائشة راتب
وزيرة الشئون الاجتماعية ولاحظت أن أصحاب الاحتفال يهتمون بالسيدة
جيهان ويكادون يتجاهلون الوزيرة وجيهان السادات لم تلاحظ ذلك أيضا
بحيث أصبحت الوزيرة شبه مستبعدة . وما كدنا نجلس على مائدة الغداء
حتى تحدثت فى الموضوع مع السيدة جيهان وقلت لها بصراحة أن الوزيرة
هى التى لها صفة رسمية فتقبلت النقد فورا وأصلحت من الأمر ..

وسأحاول أن ألقى بعض الأضواء على دور السيدة جيهان وشخصيتها
من خلال بعض اللقطات والمواقف التى عايشتها ..

ذات مرة كان لدى موعد لمقابلة السيدة جيهان السادات ..

وبادرتنى بالقول أنها ستسافر الى المكسيك لحضور مؤتمر المرأة العالمى
على رأس وفد مصرى .. ثم قامت الى مكتبها وجاءت بورق قدمته لى قائلة
هذه هى الخطبة التى سألقياها فى المؤتمر .. هل يمكن أن تفراه ؟ فقرأت
الخطبة .. بينما خرجت هى من الغرفة فادهشنى أن ليس فيها كلمة
واحدة عن قضية فلسطين على الإطلاق .. كانت هناك أفكار عن المرأة
المصرية وتاريخها والمكاسب التى حصلت عليها .. لكن لا توجد إشارة
عن قضية فلسطين .. قالت لى بعد أن عادت ما رأيك ؟ قلت يافندم
أنامدهش جدا من هذه الخطبة .. قالت لماذا ؟ قلت .. سيادتك
تذهبى على رأس وفد مصرى فى مؤتمر عالمى .. زى مؤتمر المرأة هذا ..
ولا تنتهزى الفرصة وتتكلمين عن قضية فلسطين وتشرحينها للرأى العام
العالمى ؟ .. واحنا خارجين من حرب أكتوبر من سنتين ثلاثة .. وهو احنا
رايحين المؤتمر ده ليه ؟ يجب أن يكون هدفنا فيه هو الدعاية لقضية
فلسطين .. واستثمار منبر عالمى لهذا .. قالت لى آه والله لك حق ..

وعلى الفور قالت لي ممكن تكتب لي أنت حديث عن فلسطين أضغه في خطابي ؟ ... قلت لها هذا سيكون النقطة الأولى في القضايا التي ستثار في الخطاب .. يعني الخطاب سنتكلم عن مصر والمرأة في مصر ... وبعد كده هيندخل على طول على القضية العربية الأساسية والتي تهم مصر وتهم المرأة المصرية ... فتكلم عن دور المرأة الفلسطينية في النضال والتضحيات التي تقدمها للإمهات .. قالت عندك وقت للكتابة لو سمحت ؟ ... قلت تحت أمرك .. قالت طيب .. وتركتني وخرجت من الغرفة .. وأمسكت القلم وكتبت صفحة ونصف عن قضية فلسطين وعندما عادت قرأتها وانبسطت .. وأخذت تكرر لي أنها لن تنس لي أبدا هذا الجميل .. وكنت أقول في خجل جليل ايه ؟ .. قالت لي .. لا ده أنت أنقذتني .. كان سيبقي شكلي وحش أوى .. اني أروح المؤتمر وما تكلمش عن قضية فلسطين .. وغريبة أوى ان فيه كذا واحد قرأوا الخطاب ده ولم يقولوا لي الحكاية دي أبدا .. لم يلفت نظري أحد للموضوع ده أبدا ١٩ ..

وضحكت أنا .. وقلت لها موش دول المستشارين بتوعكم اللي انتم بتختاروهم ؟ ... ضحكت وسكتت ..

بعد يومين تلقيت دعوة منها للانضمام للوفد الاعلامي المرافق لها وللوفد المصري .. ولما كنت مسافرا الى لندن فقد حصلت على الفيزا من هناك ومنها للمريد حيث التقيت بالوفد عندما توقف وهو في طريقه للمكسيك .. حكاية صغيرة تكشف عن شخصية السيدة جيهان .. في اليوم التالي كانت قد عقدت مؤتمرا صحفيا مع الصحفيين الأسبان .. وتوجهت الى المؤتمر بقميص صيلبي وينطلون ولكن البوليس رفض ادخاله وقال لي لابد من ارتداء جاكيت وكرافت (جاكيت وكرافت) من محل قريب .. وأول ما دخلت المؤتمر قالت السيدة جيهان السادات لي بالعربي انت اتأخرت ليه ؟ .. فقلت : أصلهم قالوا لي هات (جاكيت وكرافت) .. قالت ايه الكلام الفارغ ده .. كنت تقول لهم انك جاي لي .. وابعث لي واحدا .. لم تكن السيدة تهتم بالمظاهر انما بجوهر الأشياء .. وتعرف كيف تتعامل مع الصحفيين ..

وأذكر مرة أن السادات استدعاني على عجل ونحن في أسوان وكنت في حديقة الفندق مرتديا بنطلونا وصندلا وذقني طويلة ورفض اعطائي مهلة لأعد نفسي .. واستقبلني وجلس معي أكثر من ثلاث ساعات دون أن يكثر بكثرة بحالة البهيلة التي كنت عليها ..

طبقا أنا أود أن ألفت النظر هنا الى أن هؤلاء الناس الكبار اذا كانوا يتعاملون معنا هكذا .. فهي تتعامل مع الموظفين تحت امرتها ومع

طلاب الحاجات ومع هذه الطبقة بطريقة مختلفة .. يعنى مثلا اذا دخل عليها وزير غير كرايت تزل وتفتايق .. ولكن لكل حالة لبوسها كما يقولون وربما كان سبب تعامل هؤلاء الكبار مع رجال الاعلام الذين يحترمون أنفسهم يعود الى أنهم يجدون أنفسهم فى وضبط جو من البساطة التى عاشوها قبل كبر شأنهم بدلا من جو الزيف والتكبير والتعظيم والنفاق الموجود حولهم وهذه مسألة يستطيع أن تلمس فى المؤتمرات الصحفية أو الندوات الصحفية التى يعقدها رئيس الجمهورية مع عدد محدود من الصحفيين .. يتبقى المسألة بساط أحمى .. وببساطة الناس تتكلم لكن التحاشية لا تستطع بنفس البساطة اذ أن أى مسئول كبير فى رئاسة الجمهورية قد يظل شهرا متوردا هل يخاطب الرئيس فى موضوع معين ومفروض أن السادات كان قبل ١٥ مايو ١٩٧١ فى خسارة عصبية جعلت فوزى عبد الحافظ يتزدد فى ابلاغه بفخر خصار الاذاعة فور علمه به وعلى الرغم من ضلته الوثيقة بالتبادات ..

فى الطائفة كانت جيهان السادات تعاملنا معاملة ممتازة جدا وكان فى الطائفة أيامها المطربة فائدة كامل وتادية صناع وهمت مصطفى المديعتان وأمال عثمان التى كانت ما زالت أستاذة فى الجامعة .. فكانت السيدة جيهان تخرج من الكابينة الخاصة بها وتجلس معنا على حرف الكرى حتى تكون وسطا وتحكى وتتكلم وتسال وتلدش وتناقش وتنابح ما اذا كنا قد تناولنا طعاما جيدا ..

وفى داخل المؤتمر كانت المناقشة الاساسية بينها وبين اميلدا ماركوس زوجة رئيس الفلبين .. وذكرت لى جيهان السادات أن اميلدا تعمل فى المخابرات الأمريكية .. وحاولت اميلدا أن تنتزع التفات الناس حولها بالأزياء التى كانت ترتديها يوميا .. والجدل الذى كانت تقوم به والحاشية من الصحفيين الذين كانت تصحبهم معها .. لكن جيهان السادات فى الحقيقة كانت هى مخور الاهتمام ومخطط أنظار معظم أعضاء الوفود .. لأنها عقدت مؤتمرات صحفية ناجحة .. كما أنها تكلمت جيدا عن قضية فلسطين والمرأة المصرية .. وفى المؤتمرات كانت تتكلم بلهافة وتجبب بذكاء وكان يبدو أنها متحمسة جدا فيما تقول .. ولأول مرة أحست أنها شخصية عالمية .. وكان واضحا أنها سعيدة بهذا تماما ..

واكتشفت أنه من السداخة تصور أن المسئولين الكبار يكتفون بكونهم فى السلطة .. كلا .. هم بشر مثلنا يعجبهم الظهور والاهتمام بهم ..

فيسعدون بنشر صورهم ويهتمون بذلك .. ويسرون بطلبهم فى التلفزيون ويتكلمون فيه ويعقدون المؤتمرات الصحفية والكاميرات مسلطة عليهم ويعتنون بالوضع الذى يظهرون به أمام التلفزيون وكذلك أناقتهم

فقد كنت أرى جيهان السادات ببسطة شديدة عندما يأتى التليفزيون
للحديث معها تدخل غرفتها وتعد نفسها وتسال السيدات من أعضائها
الوفد اذا كانت الهيئة تمام .. ثم تتحدث فى بطلاقة وبطريقة مقنعة
ومؤثرة ..

وبدت لى بسطة جيهان السادات عندما دعتنا حكومة المكسيك
للقضاء يومين فى أكابولكو مصيف أصحاب الملايين فى العالم وانزلتنا فى
فندق غريب لم أرى مثيلا له فى حياتى من حيث الفخامة والروعة ..
وأخذوا يخرجوننا على الفندق .. وكانت جيهان السادات فى المقدمة
فلاحظت أنها كانت مذهولة بالفخامة مثلنا وتعبير عن ذلك فى تلقائية
وبسطة .. وكانت تعلق مع نساء الوفد تعليقات على ما ترى مثلهن
وتضحك وتتهجد وتتعجب ! .. وأمام أحد مظاهر الترفية الخيالية فى صالة
من صالات الفندق التفتت الى وقالت اظن يا استاذ عبد الستار الحزب
الشيوعى المكسيكى هنا بقى شايف شغله مضبوط !

وذات مرة بلغنى أن السيدة جيهان تناولتني بنقته شديد لم أجد له
مبردا وفى لقاء معها سألتها عن الحقيقة .. فقالت فى دهشة غاضبة من
الذى قال لك هذا .. لابد أن تقول لى .. فلما امتنعت قالت لى ضاحكة ..
أنت تعلم أنه لا يجوز استناد كلام لحرم رئيس الجمهورية والا بقت
قوضى قلت لها : مرسى الشافعى ..

على الفور أمسكت بالتليفون وطلبت مرسى فخرجتها الا تفعل
والححت عليها الحاحا شديدا فقد كانت فى حالة غضب شديد قائلا انها
حكاية تافهة .. وليس معقولا أن حرم رئيس جمهورية تواجه أحدا فى
كلام كهذا وأنا من الأصل لم أصدقها ..

وقالت لى السيدة جيهان السادات مرة .. انها ترى أمامها أناسا
يقولون لها كلاما ضد آخرين ويخرجون .. ثم يأتى آخرون يقولون ضد
الأوليين كلاما ويخرجون وتبقى عارفين ان دول كذابين مع بعضى .. فعلق
قائلا لها هذه دسائس القصور وأنتم طبعا تستفيدون من هذا الكلام
والتناقضات بين المتصارعين على رضا السلطان ! ..

فضحكت .. وقد كانت ذكية تفهم كل شيء ..

وأذكر مرة أننى كنت أتحدث معها ناقدا أسلوب الرئيس فى التعامل
مع بعض الكتاب بطريقة حادة وضربت مثلا بالاستاذ أحمد بهاء الدين
الكتاب الكبير ..

ولم تتضايق من هذه الملاحظة ولا أكثر منها .. بل التفتت ناحية
زوجتى يرخمها الله وقالت : أعمل ايه .. الرئيس يضرب وأنا الاقن ..

.. وهكذا كانت تفعل عندما يغضب الرئيس كاتبا لتعامله الحاد معه ..
وهذا هو تفسير استمرارها في استقبالها لى .. بعد الموقف الخاطيء الذى
وقفه على السادات وتفسير بذلها الدور الاساسى فى اعادة العلاقات بين
أنور السادات وكاتب كبير مثل الأستاذ مصطفى أمين ..

وفى أيام تآزم الموقف بين السادات والمثقفين كانت تحاول دائما
المحافظة على رابطة وكبارى للتفاهم بينه وبينهم عن طريق التدخل فى
مواقفه الخاطئة من مسألتى نقابة الصحفيين ونقابة المحامين وكذلك عن
طريق اساتذتها الذين كانت تحثه على لقائهم ليستمع اليهم ليعرف شيئا
عن الواقع الذى بدأ يزداد سوءا من حوله وهو غافل عما يجرى ويحيط
به شخصيا من أخطار ..

ولقد كانت تقول دائما أن ما يجعلها تثق بى هو أننى قلت عندما
سألنى رئيس الجمهورية عن موقفى عندما أمر بطرد الخبراء السوفييت
من مصر أننى لم أوافق على ذلك الطرد وجزعت من ذلك الى حد البكاء ١١ ..
وكانت تردد هذه الحكاية أمام الجميع .. بينما أنا مندهش لذلك
فقد كان تصرفى فى نظرى أمرا طبيعيا .. وعاديا .. فما كان ممكنا أن
أكذب على رئيس الجمهورية فقد كنت وما زلت أرى أننى اذا كذبت على
أحد فلا يمكن الكذب على حاكم البلاد .. اذ لابد أن يعرف كيف أرى
الأمور من وجهة نظرى .. فاحساسى بالمسئولية عن البلد لا يقل عن
احساسه هو .. بل لعلنى قدمت توضيحات بسبب هذا الاحساس
بالمسئولية مثله أو أكثر منه .. ولا يمكن أن أبصق على هذه التوضيحات
بأن أكون جباناً أو كاذباً .. أمام الحاكم الذى قد يستفيد من ملاحظتى
أو ما أقوله عموماً .. فإذا كانت صحيحة فالبلد كله سيستفيد ..

واعتقد أن جيهان السادات كانت تختلف كثيراً مع أنور السادات
فى سياساته فى أيامه الأخيرة .. وقد قالت كلاماً كهذا لبعض خلاء
السادات نفسه .. كما رأيت أنا من أرائها عندما كنا نناقش بعض الأمور
وكان موقفها كما شرحت فى مسألتى نقابتي المحامين والصحفيين مختلفاً
عن موقفه .. وكذلك موقفها بالنسبة لازمة ١٨ و ١٩ يناير ..

ولكن الشيء الذى يثير الدهشة هو ما جاء فى كتابها عن السادات
«سيدة من مصر» فقد تحدثت فيه عن أفكار مختلفة عما كانت تقول خلال
حياة السادات .. ولا أدري من المسئول عن توريثها فى هذا كله ..

على أن الشيء المؤكد أن السيدة جيهان لم تستطع أن تتقبل الأمر
الواقع (وفاة زوجها وانتهاء أبهة المركز والوضع) وتعيش معه ..

كما فعلت أياه زوجة لرئيس جمهورية أكبر دولة فى العالم وهى الولايات المتحدة .

وعدم المواءمة هذا هو الذى يجعلها تعيش بعيدة عن البلاد كأنها لاجئة فى الولايات المتحدة . . وحصار نفسها عندما تعود الى القاهرة فى اطار محدود من الناس والمعارف . .

وهذا طبعا أمر يؤسف له ويتناقض مع ما شعرت به وشعر أغلب من عرفوها بقوة شخصيتها وذكائها الاجتماعى . .

وهذا ليس فى صالحها . . حاضرا ولا تاريخا . . ولا فى صالح أنور السادات . . تاريخا أيضا . . ولكن كل انسان يتحمل نتائج موقفه والخط الذى حدد له حياته بمحض اختياره . . والتاريخ بحكم فى النهاية . .

ما بين النمرى ٠٠ وصدام حسين ؟

واقع الأمر أن المجموعة اليسارية في روزاليوسف التي كانت تسمى
مرة باليسارة الموالي للسادات أو اليسار الجبهوى ٠٠ أو كما يسميها
القذافي اليسار الحكومى ٠٠ كانت لها رؤية واضحة بالنسبة لتقدير سياسة
السادات بالنسبة لجمع الشمل العربى قبل حرب أكتوبر وما بعدها حتى
حدث الانقسام عند مبادرة زيارة القدس ٠٠ هذه المجموعة كانت تسعى
دائما ليس عن طريق الكتابة فقط ٠٠ بل عن طريق الحركة أحيانا كما
لما كانت حزبا ٠٠ من أجل تدعيم التضامن العربى وتصفية الخلافات
العربية ، بينما كان الناصريون مثلا يعارضون تقارب أى دولة تقف مع
نظام السادات !

وفى الصفحات التالية سنقدم محاولتين ٠٠ على هذا الطريق ٠٠
ورد فعل أنور السادات ٠٠ الأولى السودان ٠٠ والثانية مع العراق ٠٠

النميرى ٠٠ وعشم ابليس فى الجنة !

٠٠ فى خلال فترة علاقته مع أنور السادات ٠٠ حدث اتصال بينى وبين رئيس السودان الأسبق (جعفر النميرى) ٠٠ وهذا حدث بدون أى اتفاق بينى وبين أنور السادات أو توجيه منه أو إحياء بل هو تم دون أن أعرفه بهنى ٠٠ على عكس ما تصور البعض أيامها أنى فعلت ذلك باتفاق مع السادات لمساعدته فى تحقيق أهداف سياسية !

٠٠ والحكاية أنه بعد أن حدث الانقلاب على (النميرى) فى يوليو ١٩٧١ ٠٠ اتخذت مجلة روزاليوسف موقفا غير موقف الصحافة المصرية التى هلت لقمع (النميرى) لذلك الانقلاب ٠٠ والمذبحة التى أقامها النميرى لليسار والعناصر الديمقراطية عموما ٠ ولم يكن بوسع روزاليوسف أن تهاجم نميرى ٠٠ فقاطعت الكتابة فى الموضوع أصلا ٠ وهذا أسلوب صحفي معروف للتعبير عن رفض موقف لا تستطيع الصحيفة أن تعبر عنه ! ٠٠ فاعتبر نميرى أن هذا موقف عدائى من روز اليوسف ضده وهذا صحيح وبالتالي بدأت روزاليوسف تمنع من دخول السودان ٠٠ وظل الحال على ذلك فترة طويلة ٠٠ الا أنه بعد حرب سنة ٧٣ ٠٠ وفى إحدى جلسات مجلس التحرير قلت فى الاجتماع « يا جماعة ماتشوفوا لنا حل مع النميرى ده ٠٠ لقد بدأت علاقته تبقى قوية مع مصر ٠٠ ويأتى هنا كثيرا ٠٠ لماذا لا نحاول حل مشكلة توزيع روزاليوسف وصباح الخير هناك ؟ ١١ ونحن والشعب السودانى نكاد نكون شعبا واحدا حتى انى أرى أن من أكبر أخطاء جمال عبد الناصر أنه لم يركز على الوحدة مع السودان بدلا من سوريا ٠٠ « احنا لازم نصلح الأمور معاهم » قال عبد الرحمن الشرقاوى على الفور ٠٠ ماتروح انت السودان وتعمل الحكاية دى ا ٠٠ فأضفت قائلا « فيه حاجة كمان عايزين نعملها ٠٠ عايزين نشوف المشكلة بين

النميرى وبين الشيوعيين السودانيين ٠٠ القضية دى لازم تتحل ويمارس الشيوعيون السودانيون نشاطهم فى السودان ٠٠ وبما دام النميرى نظام وطنى - وهذا كان اعتقادى فى ذاك الوقت - فيجب أن يكون هناك نوع من التحالف والوحدة الوطنية والتعاون هناك ٠٠ قال الشرقاوى « روح وزى ما انت عايز تعمل ا ٠٠ »

قبل ذلك كان قد حدث حديث بينى وبين زميل صديق لى هو الأستاذ ممدوح رضا رئيس تحرير دار التعاون حينذاك حول السودانيين فقال لى ان هناك شخصا فى السودان أشبه بهيكل (النميرى) اسمه الأستاذ محمد مجبوب وكان شيوعيا سابقا وارتبط بنظام النميرى نهائيا وأصبح مستشارا له ويلعب دور محمد حسنين هيكل بالنسبة لجمال عبد الناصر .

وبالفعل ذهبت للسودان فقابلت النميرى عدة مرات فى زيارات مختلفة وأجريت معه عدة أحاديث وتكلمنا بصراحة خلصت منها فى النهاية أننى أجرى وراء سراب ٠٠ بشأن الموقف بينه وبين الشيوعيين السودانيين ٠٠ وعرفت أشياء كثيرة عن دخائل الحكم فى السودان وفسادة وشخصية النميرى قبل أن يتدروش ويرتدى عباءة الدين لتدعيم حكمه كعادة الحكام المفلسين ا مما لا محل له هنا .

ولكنى وأسجل هنا انصافا للتاريخ أننى لاحظت أنه يعيش حياة بسيطة ٠٠ لا تدل على حقيقة ما يقال عنه أنه قد كدس ثروات كثيرة ٠٠

وكان النميرى دائما يتكلم عن عبد الناصر باحترام شديد ٠٠ ويشيد بانجازاته ٠٠ وكان يقول لى أنا نفسى أبقي زى جمال عبد الناصر ٠٠ قال لى ذلك كذا مرة ٠٠ كما أنه كان يبدى رفضه وعدم ترحيبه بدور السيدة جيهان السادات فى الحياة السياسية فى مصر ٠٠ كان يقول انها بتشتغل فى السياسة وانها بتعين الوزراء وانها بتظهر كثير قوى ٠٠ وكان يقارن لى بين سلوك زوجته التى كنت أراها سيدة بسيطة عادية جدا ومتواضعة ٠٠ كان يقارن بين هذه وتلك ٠٠ ولم يحدث خلال علاقتى هذه بالنميرى أن أنور السادات حاول أن يوجهنى لحديث أنقله للنميرى ٠٠ أو يسألنى عن أحاديث خاصة دارت بينى وبينه ولذلك لم أعلم منى السادات أو زوجته قط رأى النميرى فى السيدة جيهان واعجابه الشديد بعبد الناصر ٠٠

ولكن السادات كان يحدثنى عن عبارات من أحاديثى مع نميرى ويؤكد لى دائما أنه يرى أن السودان مهم جدا لمصر وأنه فى حديث له مرة قال لى : انه لم يكن يسمح لانقلاب عام ١٩٧١ أن ينجح ٠٠ ويقوم نظام شيوعى هناك .

وقال مرة ضاحكا - هذا من مصلحتكم لأن الانقلاب لو كان نجح ..
لكانوا السودانيين بتوع الأنصار والجنوبيين ذبحوكم ذبحا وأكلوكم
لجـم نـى ١١ ..

وعلق لى مرة على حديث بونا مارييف المرشح للمكتب السياسى
السوفييتى حينذاك معه على أنه « عايز يعلمنى يعنى .. » بيعلمنى مبادئ
الماركسية » ١١ ..

ووثق النميرى علاقته بزميلى صلاح حافظ وكذلك بالاستاذين هبة
عنايت وعادل حمودة وأصدر بالاتفاق مع روزاليوسف مجلة الوادى لسان
حال التكمال .. وتولى الثلاثة مسئوليتها .. وكانت مجلة ليبرالية جدا
ولكن المثقفين السودانيين بدأوا يشيرون تساؤلات كيف توجد مجلة حرة
كهنه .. بينما صجافتهم مكتمة .. وكانت الوادى توزع عشرين ألف
نسخة فى السودان .. فقرر النميرى غلقها .. اذ لم يطق هذه الليبرالية ..
.. وأسند رئاسة تحريرها للاستاذ أنيس منصور للقضاء عليها كمنبر
ليبرالى للتكمال .. وقد كان ١٩

وأذكر أن صلاح حافظ وأنا بذلنا جهودا كثيرة لدى الرئيس مبارك
والاستاذ صفوت الشريف وزير الاعلام للحيلولة دون حدوث هذه الفاجعة
لجرية الرأى التى كانت طعاما وزادا للشعب السودانى فى عصر ظلام
ديكتاتورية رهيبة .. ولكن النميرى أصر على غلقها وقال كلمة مشهورة :
« سك على الوادى » ١

وذيلت علاقتي بنميرى باضطراب مع اتجاهاته الديكتاتورية دون
أن أشعر بأسف على ذلك فقد انتابتنى حالة من (القرف العام) من طريقة
حكيمه .. وإصراره على الايغال فى السير فى ذلك الطريق خصوصا بعد
أن حاول بستر عورة النظام بحكاية الدين المألوفة لكل مفلس سياسى ..
بينما كانت تحدونى الآمال عندما بدأت صلتى به أن السودان سيعود واحة
مزدهرة من هذه الديمقراطية بدل أن يصلى سعيرا من الحكم الارهابى ..
واتضح أنها آمال غير موضوعية .. وأشبه بعشم ابليس فى الجنة ١١

٠٠ وفى بغداد ١٩٠٠

وفى ذلك الوقت كان العراق يقدم نموذجا جيدا لتحالف القوى الوطنية جميعا بقيادة حزب البعث . وكذلك نموذجا ممتازا لاتفاق عائدات البترول فى خطة تنمية طموحة . . . ومن ناحية أخرى يتخذ سياسة وطنية غير منحازة تحافظ على الاستقلال الوطنى وفى عداوة مع الامبريالية . . . وكان العراق قد اكتسب سمعة طيبة خلال حرب ١٩٧٣ اذ شارك بسرب من طائراته فى معارك سيناء كما ألقت فرقتان عراقيتان دمشق من الزحف الاسرائيلى .

ارتأى اليسار المؤيد للسادات أنه من مصلحة مصر أن يخلق تحالفا أو صداقة أو أى نوع من التعامل والاتفاق مع العراق . . . خصوصا أن رقعة الخلاف كانت قد بدأت تتسع بعد اتفاقية فصل القوات الأولى . . . وكان العراق يرفض تماما الاعتراف باسرائيل ويسمىها بالكيان الصهيونى ولا يقبل الا بازالتها من الوجود من الناحية السعائية دائما !!

وكان السادات قد نجح فعلا قبل وبعد حرب أكتوبر فى تشكيل جبهة عربية واسعة تجاهل فيها امران : الاول حكاية الدول الرجعية والتقدمية . ثانيا محاولات مصر السابقة لتزعم العالم العربى . فكان أن كسب ثقة وصداقة ومعاونة السعودية والكويت وأبو ظبى وقطر والبحرين وعمان وتوثقت العلاقات بينها وبين مصر . . وفتحت الأبواب للعمالة المصرية . . ولكن ظل العراق بعيدا عن ذلك .

ولذلك نبتت الفكرة فى روزاليوسف لاصلاح العلاقة بين مصر والعراق التى أشرنا اليها . . . وأنا واثق تماما أن أحدا لم يوح بها الى روزاليوسف من خارجها . . . ولم تصدر (تعليمات) بها من أحد كما

كان يتوهم دائما اصدقاءنا وزملائنا الذين يتصورون أن جميع الصحف والصحفيين يعملون بأزوار تصدر من أعلى ١١ لسبب بسيط جدا هو أنني كنت صاحب تلك الفكرة أيضا وعرضتها على مجلس التحرير في روزاليوسف فقبلها على الفور وطلب مني الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي رئيس مجلس إدارة روزاليوسف في ذلك الوقت السفر فورا الى العراق ٠٠٠ وتم السفر فعلا ٠٠٠ وقمت باتصالات عديدة هناك داعيا من قابلتهم لاتخاذ موقف مرن وأفضل مع مصر وشارحا ومدافعا عن سياسة السادات ، وحتى ذلك الحين لم أكن قد تعرفت بسيادته على المستوى الشخصي كما حدث بعد ذلك بشهور اذ كان ذلك في ابريل ١٩٧٤ وفي يونيو من نفس العام التقيت بالرئيس السادات لأول مرة وعرضت عليه فكرة مجلس تحرير روزاليوسف ونتائج الاتصالات التي قمت بها في العراق في شهر ابريل ١٩٧٤ وقد تحدثنا عن ذلك من قبل ٠

وبعد ذلك تحسنت العلاقات نسبيا بزيارة السادات للعراق عام ١٩٧٦. وكذلك نائب الرئيس حسنى مبارك وحصلت مصر على معونة في شكل كميات من البترول العراقي بدون مقابل ٠

وتطورت العلاقات الثقافية بين البلدين وتدفق الكتاب المصريون على العراق لى دعوات متتالية بعد أن كانوا يخافون من زيارتها ويعاملون أفضل معاملة وكذلك الفنانون ٠٠٠ وفتحت الصحف العراقية صفحاتها لكثيرين من هؤلاء الكتاب ليكتبوا مقابل أجور سخية بقياس ذلك الزمن وامتلات الصحف بمقالات وتحقيقات العائدين من العراق عن التقدم والتطور والديمقراطية في ذلك البلد (بالمناسبة لم أكتب حرفا في جريدة عراقية) وللأسف كان بعض من هؤلاء الكتاب الذين كانوا في الواقع يحصدون بالدرجة الأولى ثمار مبادرة روزاليوسف ٠٠٠ يحاولون تشويه الكتاب المصريين المؤيدين للسادات فعقب كل زيارة لى مثلا لبغداد كانوا يبادرون بالاتصال بالمستولين العراقيين ليقولوا لهم أن عميل أنور السادات قد جاء فالزموا حذرهم كما يتصلون بالحزب الشيوعي العراقي ويصوروننى له بصورة المرتد والخائن والعميل والأجير للبرجوازية ١١

ومن الطريف أن أولئك المستولين العراقيين هنا وهناك كانوا يذكرون لى هذا ٠٠٠ والأطرف أنني أستفدت كثيرا بهذا الاتهام بالعمالة رغم أنى لست عميلا اذ كان المستولون العراقيون يسالون فى اكرامى واحسان استقبالى باعتبارى مندوبا للسلطة أو من البصاصين لها ١١

ولللأسف كان معظم أولئك المتحرصين من العناصر اليسارية ٠٠ وهذا نموذج لكيف يرتكب بعض اليسار حماقة عدم الاستفادة من علاقة واحد

منه بأى مسئول لصالح التطور العلم للبلاد .. بل يكتفى بالسب والافتراء
والدس والوقية .. وهذا بشكل عام كان موقف كثير من اليساريين حتى
من علاقتى بأنور السادات !

وفى تلك الأيام لاشك بدأ تفكير النظام العراقى فى استغلال بعض
من أولئك الكتاب المصريين فيمن عرفوا بعد بالرافضين لنظام
أنور السادات من المصريين الذين شكلوا تنظيمات مختلفة متعددة خارج
مصر كانت تقبض وتقبض من أجل تحقيق هدف وصوى هو قلب نظام
الحكم وإفشال سياسته !! وأشير القارىء هنا الى ما كتبه زميلنا طريف
الظرفاء محمود السعدنى عن « حزب الكهرياء » مثلا !!

ونذكر أيضا العينات المختلفة التى زعمت أنها مسئولة عن اغتيال
السادات متصورة أن النظام قد سقط .. وأن بوسعها أن تتقدم لورائته ..
وقد ثبت أنها هيئات وهمية .. غزتها الغربية بالأحلام والأوهام
والأمراض النفسية أيضا !!

ان الغربة شيء خطير جدا تمرض العقل والنفس والوطن القوى هو
الذى يثبت بقدميه مقروسة فى أرض الواقع .. أرض بلاده ويتحمل
التضحيات .. وما كانت هناك تضحيات ما تذكر فى عهد السادات فلم
يكن يسجن أحدا أو يعتقله .. وماذا حققوا بهربهم من البلاد ؟ لا شيء ..
لقد ظل السادات يطبق سياسته .. وبعد وفاته يتمرغ العالم العربى كله
فى سياسة السادات وأفكاره وتصرفاته ويكتبون فى نفس الصحف التى
تدافع عن تلك السياسة قديما وحديثا .. فقط انهم يتمتعون بالحرية ..
لكن كامب ديفيد وخطها هو السائد والمنتصر عربيا وليس مصريا فقط ..
والعلم الاسرائيلى يرفرف فى سماء القاهرة .. وأمريكا فى كل مكان !
اليس كذلك ؟ وما أغنت عنهم غربتهم وما كسبوا منها !!

واستقبلناهم نحن بترحاب وفى حرارة شديدة رغم أنهم لعنوا
أبائنا .. وسبوا شرفنا .. فلعلهم يتعظون فى المستقبل اذا ألت بالوطن
نازلة .. وليتعلم أبناؤنا وأحفادنا .. أن يصمدوا فى عمق بلادهم لمواجهة
ما يرفضونه فيها وبين مواطنيهم .

لماذا حسنى مبارك .. نائبا للرئيس ؟

من الدروس الغالية التى انقلها لك من خلال خبرتى بالتعامل مع السلطة فى قيمتها أنه ما دمت لا تمد يدك بسؤالها من أجل مصلحة خاصة بك .. وتكون عفا قنوعا .. ولديك ما تقوله .. فانك تستطيع أن تفتح الملفات فى أى موضوع مادام السلطان قد ارتضى أن تجلس الى مقعد فى مواجهته تتكلم ويستمع .. وفى الفصل القادم نقدم لك حوارا مثيرا .. فى قضية هامة وأساسية .. ويرجى الله أنور السادات فقد كان واسع الصدر لا يهرم بالجدل ولا الخلاف |

لماذا حسنى مبارك •• نائبا للرئيس ؟ ••

ليس صحيحا ما أشيع أيامها من أن تعيين السيد حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية جاء نتيجة ضغط من الجيش المصرى أو انقلاب ضامت :

فواقع الأمر أن الحقائق كانت كالآتى :

قبل تعيين حسنى مبارك صرح الرئيس أنور السادات لأحد وزرائه بأنه يرى أن نائب رئيس الجمهورية يجب أن يكون شابا • وقد نشرت جريدة أخبار اليوم أيامها هذا الخبر • وأعادت نشره بالزئكوغراف عند إعلان تعيين السيد حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية •

ويعنى هذا أن فكرة تعيين السيد نائب رئيس جمهورية جديد وشاب طرأت على ذهن رئيس الجمهورية قبل تعيينه بعام وأكثر •

لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية منذ ثورة ٢٣ يوليو سمح بنشر نقد لاذع لنائب رئيس جمهورية مصرى • فقد نشرت مجلة روز اليوسف ورئيس مجلس ادارتها المرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى نقدا ساخرا من موقف السيد حسين الشافعى نائب الرئيس عندما بعث برسالة يحيى فيها عيد ميلاد مؤسسة أخبار اليوم ويصف تأسيس تلك المؤسسة بأنه عمل وطنى لا يقل شأننا عن انشاء بنك مصر أو مؤسسة وطنية اقتصادية فى مصر !

ونشرت روز اليوسف ذلك النقد فى حوالى صفتين وبخط بارز فى صفحتها الأولى :

وكان ذلك أول مؤشر على وجود تناقض بين الرئيس أنور السادات ونائبه •

وقد اشتهر عن السيد حسين الشافعي تدينه الشديد وطيبته وعدم
فاعليته وتأثيره في مجريات الأمور سواء في عهد جمال عبد الناصر أو بعده .
لكن في الفترة الأخيرة تطور تدينه تطورا خطيرا بدا مناوئا لنظام الرئيس
أنور السادات نفسه .

اكتشف تنظيم ذو اتجاهات دينية متطرفة في الجيش وقيل أيامها
أن السيد حسين الشافعي تعاطف مع التنظيم بعد القبض على أفرادهِ وعارض
اتخاذ اجراءات قانونية ضده .

كما تعود السيد حسين الشافعي علىلقاء خطب دينية في المساجد
تدعو للخلافة والى اعتبار أن الرضا المطلوب والولاء لله ولرسوله فقط
مما عد تلميحا ضد الولاء لرئيس الجمهورية الشرعى .

وزاد ذلك من تفاقم التناقض بين الرئيس ونائبهِ اذ بدا أن ذلك
النائب يريد أن يكون ممثلا لاتجاهات معارضة لرئيس الجمهورية وهى
اتجاهات دينية متخلفة أو متطرفة .

في شهر مارس ١٩٧٥ طلب الرئيس أنور السادات منى فى أسوان
أن انشر فى روز اليوسف أن سيد مرعى رئيس مجلس الشعب لا يمكن
أن يكون رئيسا للجمهورية بحكم الدستور وطلب من المجلة أن تنفى
الاشاعات التى كانت قد راجت عن قرب تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية .
ويمكن فهم هذا التصريح على أنه كان تمهيدا لتعيين حسنى مبارك نائبا
لرئيس الجمهورية .

استقبلت الأوساط اليمينية فى مصر التى كانت تأمل فى تصفية
ثورة ٢٣ يوليو باغتياب اشاعة ترددت أن الرئيس أنور السادات ينوى
عدم ترشيح نفسه عام ١٩٧٦ . .

وأصبحت بخيبة أمل شديدة خبر تعيين حسنى مبارك نائبا لرئيس
الجمهورية لماذا ؟

— لأن تعيينه يعنى استمرار تعيين واحد من أبناء تلك الثورة والذين
تربوا فى اطارها نائبا للرئيس فرئيسا بطبيعة تطور الأمور فى المستقبل .

— أن السلطة تظل جوهريا فى يد الجيش الذى قام بثورة
٢٣ يوليو وصانع انتصار ٦ أكتوبر .

ولهذا رحب الناصريون واليساريون فى مصر بهذا التعيين أيامها . .

ومن ناحية أخرى لم يقابل هذا التعيين بالقبول من جانب ليبيا لأنه
يضع حدا لأحلام العقيد القذافى فى حكم مصر أو لعب دور سياسى بارز

في دولة الوحدة المنشودة باعتبار أن حسنى مبارك شاب وفي صحة جيدة وينتمى الى الجيش المصرى .

وكانت قد ترددت اشاعات أنه بعد تعيين السيد ممدوح سالم رئيسا للوزراء وكان وزيرا للداخلية وكذلك تعيين ضابط بوليس وآخر وزيرا للداخلية أنه يتردد فى اوساط الجيش تساؤلات لماذا لا يشارك الجيش فى السلطة أيضا ؟

ولكن هذه كانت مجرد اشاعات فقد اتضح أن فكرة تعيين حسنى مبارك كانت سابقة لتعيين ممدوح سالم رئيسا للوزراء . وعلى أى خال فإن السادات أشرك الجيش فى الشئون الداخلية بإدخال ممثل للقوات المسلحة فى الاتحاد الاشتراكى لأول مرة .

لم يعين ممدوح سالم رئيسا للوزراء لأنه كان وزيرا للداخلية وإنما عين ببساطة لأنه من أخلص وأقرب الأشخاص لأنور السادات وقضى فترة طويلة فى الحكم منذ حركة التصحيح فى مايو ١٩٧١ التى لعب فيها دورا بارزا اذ كان البديل للشعراوى جمعة الذى كان يمسك بمقاليد السلطة الداخلية ويكفى الأمن المركزى .

وقد حدثتلك من قبل كيف عرفت حسنى مبارك من أيام حرب ١٩٧٣ . . وبعد أن تعرفت بأنور السادات . . فكرت فى عمل حديث صحفى مع مبارك بعد أن عين نائبا للرئيس وتابعت كما تابع غيرى ما أثير أيامها من اشاعات حول ذلك التعيين كما ذكرنا . . وكنت قد حضرت عدة احتفالات لتكريمه بهذه المناسبة ولاحظت أنه مازال ذلك الرجل المتواضع البسيط . . وتوجهت للقاءه .

ونشر الحديث فى روز اليوسف . . وبعدها قابلت السادات قال لى .

— أنا شايف أنك عملت حديث مع حسنى . . هو قال لك الكلام ده كله ؟ . . قلت والله هو قابلنى بعد الحديث وقال لى أنا متشكر قوى على الكلام ده . . لكن سيادتك تعرف ان الصياغة ممكن مختلفة شوية . . لأنه كطيار أسلوبه مختلف عن أسلوب الصحفى طبعا . . لكن الكلام والأفكار هى هى ولا أستطيع طبعا الزيادة على نائب الرئيس ؟

سألنى السادات ايه بقى أهم ملاحظة معه كصحفى . صحفى منوفى يعنى ؟ قلت — أنه متشوق جدا كى يعرف كل شىء . . هو جاد جدا . . وناوى يملأ مركزه تماما . . قال وهو يبتسم فى زهد . . يعنى اختياري عال وكويس ؟

هناك لماذا اختار حسنى مبارك نائبا للرئيس ؟

ضحك ضحكة حلوة من ضحكاته العذبة ؟ .. وقال لى .. سأقول
لك .. أنا برضه كان يتخيل لى أنك ستسألني هذا السؤال .. شوف
حسنى عمل نجاح كبير جدا فى الحرب .. وصحيح قوات الدفاع الجوى
هى لعبت الدور الرئيسى فى إسقاط الطائرات فى الأيام الأولى للمعركة ..
لكن هو كل المعارك الحربية الى دخل فيها الطيران المصرى مع الطيران
الإسرائيلى انتصر فيها الطيران المصرى والقارة الأولى عملت فوضى عند
الإسرائيليين . وكان الطيران المصرى قبل كده والطيارين المصريين كانوا
بيخافوا ساعة ما كانوا يشوفوا الطائرة الإسرائيلية قادمة عليهم .
حسنى عرف يربى سلاح الطيران .. بحيث انه يخلق كل يوم عند كل طيار
شعور بالاعتزاز بنفسه وبالثورة والقدرة على قهر العدو الإسرائيلى ..
وبعدين هو شاب .. وشاب ذكى وعارف شغله كويس ومستقيم أخلاقيا
جسدا .. انت عارف كثير من الطيارين بيعملوا إيه انت ماتمرفوش
يا عبد الستار .. حسنى ده سمعته زى البرلنت .. فى الجيش أخلاقه
ممتازة جدا .. ودائما زى ما أنت قلت عاوز يعرف ويتعلم .. ومحبوب
بين زملائه .. ومألوف فى الطبع .

وأنا لازم يكون لى نائب رئيس .. ما حدش عارف الأعمار بيد الله .

سألته وأنا أعرف أن الحديث يدخل منطقة شائكة لكنى كنت قد
تحدثت معه عن دور الجيش من قبل فى الثورات فى العالم الثالث ..

— يعنى كان لازم يبقى نائب رئيس الجمهورية من الجيش .. هل
أنت مسيادتك بتشوف أن لازم أن المؤسسة العسكرية تستمر فى
الحكم ؟ .. لقبال لى وهو يضحك .. مؤسسة عسكرية إيه بلاش
خيابة ! ..

يعنى الهم بتوع الكلمات الكبيرة دى .. يعنى أنا مؤسسة عسكرية
يقم ياسيدي ؟ طيب وعبد الناصر اليس زعيم ثورة مع أنه عسكري ؟
والله أنا أتضيق من الزى العسكري أثناء الاحتفالات .. لو كان على أنا
عازب أفضل بالجلابية والعباءة ..

وضحكت وأصنافا أحنأ قديريا .. كلش أولاد مصر .. فقط
كل واحد له اختصاص .. الجيش له اختصاص .. والمدرسة له اختصاص
.. والصنفى له اختصاص .. الجيش دم حاجة مؤقتة .. بيضطر لها
إي مواطن أداء للخدمة الوطنية .. يعنى يصيح من المؤسسة العسكرية
التي بتصدعوا رهوسنا بها ! ..

الجيش لا يلقى صفة الإنسان المدنية .. دي البنود العسكرية هذو
قيود ونظام وحاجة زي القفص الجديد .. الواحد فينا أول ما يروج بيته ..
تلاقى الضابط بيخلق لبسه العسكري وبيلبس قميص وبنطلون ويطلع يره
بيتفسح بالبلدلة .. جمال عبد الناصر خلع رداء المؤسسة العسكرية ..
التي تتكلم عنها .. أما المؤسسة العسكرية اذا كنت عايز تعرف بقى
الفرق بين الحاكم المدني والمؤسسة العسكرية .. المؤسسة العسكرية هي
الحاكم الديكتاتورى ويستخدم الجيش فى حكم الناس بالحديد والبنار
ولو كان مدنى يرتدى الجبة والقبطان .. يعطى للحكام امتيازات
ويحاول رشوة الجيش والبوليس .. هذه هي المؤسسة العسكرية لكن أين
هذا فى مصر الآن .. قلت له الجيش عندنا له .. امتيازات ليست لغيره ..

قال - معنى الا ترى أن الجيش دافع عن البلد والألوف ماتوا علىشان
البلد ؟ .. يبقى فيه حاجات للتشجيع والتعويض شوية ..
وأضاف السادات قائلا : المؤسسة العسكرية دى كانت أيام عبد الحكيم
عامر .. عبد الحكيم عامر والناس الى معاه الجيش كان لحسابهم ..
أما عبد الناصر كان غلبان .. كان مدنى تمام ياكل عيش وجبنة ..
وأنا كمان .. كنت مدنى ومعدنى تعبانة لا أكل كزيس ..

قلت له وأنا أصغر على الحوار لاستجلاء تلك النقطة : ولكن ياريس
حسنى مبارك .. كان فى الجيش أمبارح ؟

قال لي بكرة يبقى مدنى .. وهو كله وطنية وإخلاص والشعب يقدر
يشكله زى ما هو عايز .. الشعب يقدر يؤثر على الحاكم ..

قلت له بصراحة كده ياريس .. لكن حسنى مبارك البعض يقول إنه
مالوش أى تاريخ سياسى ؟ وطروفي السياسية حرجة الآن ؟

رد أنور السادات وقال لي ماهو علشان كده .. مالوش تاريخ
سياسى هذه تمثل ميزة عظيمة .. أنا جبته علشان يشرب نوعية الحكم
الجديد ..

لأن التاريخ السياسى يعنى الأحزاب القديمة والشريف منهم أصبح
عجوزا الآن .. ونحن فريد شباب ودم جديد ميلوه بالوطنية والجيل الذى
صنح أكتوبر ممكن يعطى كثير .. ونهله .. وأنا الذى ثرت على الأحزاب
القديمة لايمكن أن آتى بجاكم منهم بأيدى أنا .. إجنا ثورة يوليو ..
والشعب يقرر ما يشاء .. سيلازمنى حسنى مبارك ويعرف القرارات ..

تؤخذ اذى .. يبقى فيه مرحلة المعرفة فى الأول .. يعرف القرارات
دى تعمل اذى .. وبعد كده يشارك فى صنع القرارات هو ويصدر
القرارات. لوحده وما يقاش متأثر بحكم الأحزاب القديمة وفساد العهد
الذى مضى وفات .. هو راجل نظيف وطاهر وشريف .. على فكره ..
أنا عايز أقول لك حاجة .. ايده نظيفة جدا .. لا يلعب قمار زى كثير
من ضباط الطيران .. فسايط الطيران .. يبقى قاعد فى القاعدة ..
لا يعمل شئ وفى الانتظار وراجل عايش على أعصابه لتلبية نداء الخطر
وممكن يموت فى طلعة فيلعب دور كوتشينة للتسلية وتمشى معاه بقى
بعد كده .. أو يتسلل بحاجة زى الأفلام السينمائية ..

حسنى لا يلعب ولا يسكر متماسك من شغله لبيته .. ومستقيم
جدا .. وليس له متعة فى حياته غير أنه بياكل كويس ويلعب رياضة
وكمان منوفى ! ..

سألته .. هل حكاية ان حسنى مبارك منوفى تكون داخله فى قرار
بتعيينه ؟ فضحك وقال لى أنتم ستسمونها الجمهورية المنوفية المتحدة ..
أنا صحيح بأحب المنوفيين .. وبأحب قريتي .. وبأحب أهل بلدى قوى
.. لكن أنا لا أعين واحد من الشارع فى منصب معين علشان هو منوفى ا
.. سألته وأنا أحاول معرفة المزيد عن طريقة السادات ومقايسه فى
اختيار الرجال : متى يجيد حسنى مبارك ياريس فى الحكم اذن ؟ قال ..
يتعلم .. هو فيه حد يجيد فى الحكم من الأول .. انت كنت بتفهم حاجة
فى الصحافة وأنا قبل الجيش كنت أعرف ايه عن فى الحكم ؟ وعبد الناصر
.. ولينين بتاعكم ؟ ده حسنى مبارك يستحق المنصب لأنه عمل أولا كثيرا
من أجل الشعب فى اعداد سلاح الطيران وانتصاره .. طول عمره كان
ضابط كويس ومجيد وربى أجيال .. وهو الذى حافظ على القوة المصرية
الجوية وهى بتحارب فى نفس الوقت .. موش ده عمل عظيم بعدما كانت
القوات الجوية بتاعتنا بتلعب على الأرض يابتوع الكلام الكبير ؟ وتتكسر
طيارة طيارة .. وبعدين قوللى مين هو المدنى من رجال السياسة الى انت
شايغهم الذى يؤتمن الآن على نيابة رئيس الجمهورية ؟ .. فانا سمكت
لحظة كده .. وقلت له نحن كنا ننتقد ثورة ٢٣ يوليو من بدايتها انها
لم تستعن بالسياسيين ورجال السياسة حتى منظمة الشباب تأسست
ماكانش فيها أبدا أى عنصر سياسى من الذين اشتغلوا فى الحركة الوطنية
والسياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو .. ونحن انتقدنا الثورة دائما لأنها كانت
تعين أساتذة جامعة لا يعرفون كلمة فى السياسة وزراء .. يعنى ليس
الموقف مقصودا من الجيش .. وأنا أقول هذا الكلام وأنا أعرف
حسنى مبارك وأقدره لكن أنا أتعلم أصول الحكم فعلا من سيادتك فهى

فرصة لا تبغض أبداً وكذلك أحترم وأقدر دور القوات المسلحة الوطنية في الدفاع عن البلاد ضد العدو لكن لا أحب أن يحكم الجيش البلاد بالطريقة التي تدار بها الجيوش : أنا أعبد الديمقراطية عبادة !

قال السادات : كلنا نحب الديمقراطية ولا نقبل الحكم العسكري رغم أنني عسكري .. قلت أريد أن أسأل سؤالاً آخر : هل أحد الاعتبارات التي جعلت سيادتك تعين حسنى مبارك نائب رئيس جمهورية - أنك تكافئ القوات المسلحة كلها بسبب حرب أكتوبر ؟ ولا شك جميع القوات المسلحة حصلت على ثقل سياسى بسبب انتصارها فى تلك الحرب واستردت كيانها بعد هزيمة ٦٧ واستردت اعتبارها .. وبعد فضائح عبد الحكيم عامر والرجال العسكريين بتوابعه دول ؟ ..

السادات لم يرد على هذه الملاحظة وإنما قال لى : من غير الهند فى العالم الثالث حاكمها ليس ديكتاتور ويبقى الواحد منهم مدنى ابن مدنى وأنا بأقول لك يعنى أنا سأعمل على تدريب حسنى مبارك على الحكم من أوله .. وأظن أنت كاتب فى الحديث معاً عن سفرية الوساطة بين المغرب والجزائر وشفقت عمل أية هناك .. ذه كان درس تدريبى عظيم .. ونجح فيه تماما ويشر بالخير .. (والحقيقة أن السادات نفذ وكان ينفذ ذلك إذ كان يدرب حسنى مبارك على الحكم من الأول .. ففى العبادة نائب رئيس الجمهورية فى الدول لا يعمل ويبقى رئيس جمهورية هو الذى يسيطر على كل مجريات الأمور .. لكن السادات أسند الى حسنى مبارك مسئوليات كثيرة : أول مسئولية خطيرة .. هى كانت الوساطة بين المغرب والجزائر .. وأيضاً كان أنور السادات يسافر كثيراً ويترك له مصر يدير شئونها .. بعد هذا الدكتور أسامة الباز الذى كان مدير مكتب وزير الخارجية أصبح مديراً للمكتب السياسى لنائب رئيس الجمهورية وله خبرته العميقة فى السياسة الدولية والعمل السياسى الداخلى .. لأنه كان فى منظمة الشباب ووزارتى الخارجية والاعلام .. وطبعاً كل تلك الخبرة وضعها تحت تصرف نائب رئيس الجمهورية الذى عمل على تثقيف نفسه وفق برنامج مكثف صعب .. يتضمن النظرية والتطبيق معاً ..

بعد ذلك أعطى أنور السادات لمبارك مسئولية جسيمة داخلية هى الأمين العام للحزب الوطنى الديمقراطى .. وهذا كان دليلاً على جدية أنور السادات فى تدريب نائب رئيس الجمهورية له - بتولى المسئولية إذا حصلت له أى طوارئ وهذا شئ يذكر للسادات بجانب شخصيته وكفاءة حسنى مبارك .. وظهر أثر ذلك بعد توليه الحكم مباشرة إذ قاد

السفينة في الساعات الحرجة ببراعة وظفر بثقة شعبية اختيارية كاسحة
بسرعة شديدة بعد مصرع السادات اذ كان قد تدرب على الحكم فعلا ..
وتصرف بطريقة مدنية حضارية تماما .. ولم يكن صدفة عندما سأل
حسين هيكمل مأمور السجن عندما كان في المعتقل عن نوع الرداء الذي
ارتداه حسنى مبارك في جنازة السادات .. فاجابه المأمور .. كان لايس
بدلة عادية .. فانبسط جدا لأنه أدرك التحول .. بين ارتداء حسنى
مبارك بدلة مارشال .. وبين أن يرتدى بدلته المدنية .. ثم كان
هناك الأسلوب المدني المتحضر الذكى .. عندما أتى مبارك بالمعتقلين الذين
أخرج عنهم الى القصر الجمهورى .. وأخذ يتحدث معهم .. هذا كان أسلوبنا
ديمقراطيا جديدا لم يحدث قط طوال الحياة السياسية فى مصر وأحدث
هزة أشعرت الناس جميعا أننا مقبلون على مرحلة مختلفة جذريا عن المرحلة
السابقة وأيضا لعل القراء مازالوا يذكرون أن حسنى مبارك .. عندما كان
جالسا في المؤتمر الصحفى المشهور الذى كان أنور السادات يهتد فيه
الصحفيين بالضرب بالنار .. كان وجه مبارك مريدا ويبدو عليه عدم
الارتياح لما كان يطلقه السادات فى عصبية وتشنج من تهديدات .. فقد كان
يمزق بحركة لا شعورية - بأوراق صغيرة وبكورها ويقذف بها على المائدة
مثل الكرة ! ..

ولاستكمال الصورة أريد أن أقول. أننى دخلت فى مناقشة مرة مع
الرئيس حسنى مبارك فى لقاء بينه وبين صلاح حافظ وأنا عام ١٩٨٣
حول ما كان قد أشيع أيامها عن الاتجاه لتعيين السيد عبد الحليم أبو غزالة
القائد العام للقوات المسلحة حينذاك نائبا لرئيس الجمهورية ، ليس مجال
الحديث عنها فى هذا الكتاب ..

التعامل مع السلطة ..

لا يقتضى التعامل مع السلطة أن تتصرف كأنك تسير على صراط مستقيم .. اللهم الا اذا كنت من ذوى الأطباع أو الطبوح على الأقل ..

أما اذا كنت تشعر فى داخلك بمسئولية تجاه هذا الوطن ليس بأقل من مسئولية رئيس الجمهورية نفسه .. فان من حقه أن تتكلم على تلقائية .. مع التزام حدود الأدب واللياقة .. فرئيس الجمهورية فى النهاية هو رمز إرادة ملايين المصريين .. وهو الراعى لشتونهم حتى لو أخطأ الطريق .. ويختلف عنا أن له بأنوراما للرؤية تشمل العالم كله وليس فقط البلد الذى يحكمه .. لذلك تختلف البواعث والتفكيرات والنوازع .. وفى رأى أن السادات كان مستعدا لـ ٩٠٪ من الآراء المخالفة له لو قيلت له بأسلوب مهذب وليس بأسلوب الهجاء والوقاحة .. فالحاكم بشر .. والحاكم دائما ما لم يكن عميلا أو مقروضا أو مأجورا يشتر دائما بأن عليه مهمة خدمة شعب بلاده .. فلا بد من احترام ارادته وقراراته ونحن نقدرها .. ونكشف مخالفتها لما يتصبر هو من أنها خدمة لوطنه والشعب الذى ارتضاه رئيسا ..

وفى الصفحات التالية تقدم حكايات ولقطات عن أسلوبية التعامل المتبادل مع السلطة ..

من الجروس التى تعلمتها أن السلطة عندما تريدك تقلب الأرض عليك حتى تجدك .. ولا يهمها روتين ولا مصاعب ولا شيء على الإطلاق .. وعندما لا تكون فى حاجة اليك لا تسأل عنك على الإطلاق مهما كنت قد أدت لها من خدمات من قبل .. هى كأن لا يرحم .. ليس لديه مواطن ..

وتحضرني في هذا المقام حادثتان صغيران :

ذات مرة كان اسماعيل فهمى وزير الخارجية الأسبق مسافرا الى موسكو لمحاولة تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ومصر فاستمعانا اسماعيل فهمى وأنا وصلاح حافظ وهو فى المطار وجئنا من بيوتنا وقال لنا ببساطة : تفضلوا تفضلوا على الطائرة فذهبنا معه وجلسنا بالطائرة لأنه كان مهما جدا بالنسبة لاسماعيل فهمى أن يذهب الى موسكو ومعه اثنان من الصحفيين اليساريين المعروفين بأنهم من أصدقاء الصداقة المصرية السوفيتية وقد فعل ذلك بموافقة السادات .

ولكن فى مرة من المرات أرسل السادات لطفى الخولى وأبو سيف يوسف وعبد المنعم الغزالى فى رحلة الى موسكو للتفاهم مع المثقفين السوفيت بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية وأعضاء فى اللجنة المركزية بهدف محاولة التأثير على المنظرين والقادة للحزب الشيوعى السوفيتى لتحسين العلاقة أو بحث أسباب الخلاف .. وعندما عادوا يبدو أن السادات كان قد فتر حماسة لذلك التحسين فلم يقابلهم بعد أن عادوا وكان قد بعث بى لنفس الهدف .. ولما قابلته سألته لماذا لم يقابلهم لوح بيده فى غير اكترات قائلا : « سيبك » ! وعندما كان السادات فى مرحلة الصفاء مع اليسار .. حدث مرة وأنا فى الوفد الإعلامى المرافق له فى زيارة للنمسا أن قابلت كرايسكى مستشار النمسا وأجريت معه حديثا وهو أصلا رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى فسألته هل تعتبر أن النظام القائم فى النمسا اشتراكى ؟

قال لى لا ان النمسا ليست اشتراكية ومازال أمامنا الكثير .

وفى جلسة مع الصحفيين قال السادات ان النمسا نظام اشتراكى - فقلت له :

- يا ريس اسمع لى كنت اليوم مع كرايسكى وأمس وقال لى ان النمسا ليست اشتراكية ! فضحك السادات وقال لى أصله بيضحك عليك ولم يفضىب منى رغم معارضتى لحديثه وتوضيح انه خطأ .

فقال أحد الزملاء الصحفيين ما معناه أن كرايسكى قد حمى فيينا من الشيوعية فقلت معلقا : ياريس الناس علشان تتكلم فى الشيوعية لازم تكون عارفة وقارئة لكى تدرك معنى ما تقوله . فرد أنور السادات ضاحكا ياعبد المستار الناس لسه بدري عليها علشان تدرك ولازم تتثقف علشان تعرف ان الشيوعية مش (جربة) يقصده ليست الجرب المرض الجلدى المعروف وأنها مجرد مذهب من المذاهب الاجتماعية 11

فالسادات في ذلك الوقت لم يكن متخذًا موقفًا من اليسار ولا يريد أن يفتح معارك جانبية فترك الفرصة لليساريين أن يتحدثوا وفي الوقت نفسه كان يريد أن يوضح للجميع أنه ليس ضد اليساريين إذ كان باستمرار في كل حديث يقول (طب ما أنا يساري) ١٩ - ويضيف :

ليس اليساري هو الذي يحس بمعاناة الشعب ؟ طب ما أنا فقير وابن فقير وكنت غلبان وبالبس قبقاب وأنا عيل صغير وأستحم في التربة وكنت أقول ان الملك يلبس قبقاب من ذهب .. يعني أنا يساري قطعاً .. وكان في نفس الوقت يقول أيضاً أن الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتي صداقة إستراتيجية دائمة لأن مصلحة مصر دائمة في صداقة روسيا .. ولكن كل ذلك تبخر بعد أن تغيرت الأوضاع والمصالح !

ومن الطريف أن نحكي أن حسنى مبارك عندما كان نائباً لرئيس الجمهورية وبالتالي عندما أجريت حديثاً صحفياً معه أبرز فيه اتفاقه مع رئيس الجمهورية أنور السادات بشأن اليسار والاتحاد السوفيتي .. لكن عندما أصبح رئيساً للجمهورية - فان زعميل واستاذي لويس نجرس أخرج ذلك الحديث القديم وأعاد نشره مع حذف ما قيل بخصوص اليسار والصداقة السوفيتية لأن هذا الكلام كان قد عفا عليه الزمن ما بين ١٩٧٦ وعام ١٩٨١ عام إعادة نشر الحديث وكان التعديل لازماً فقد ترك السادات لمبارك تركة منها قطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وأكوام من اللعنات ضد اليسار المحل والعالمى معا !! فبدأ أمام رئيس تحرير صباح الخير أن ما قيل عام ١٩٧٦ يعتبر نشاطاً عن الواقع عندما ينشر عام ١٩٨١ كتقديم لأراء رئيس الجمهورية الجديد الذى كان عليه أن يزيل تركة الماضى الثقيلة فى حذر وحكمة سياسية شديدة ! ..

★★★

ونمضى من خلال لقطات عديدة .. نعرف أو على الأقل نستشف أساليب السلطة فى التعامل من تلك الحكايات واللقطات ..

وكان أنور السادات مفرماً جيداً فى جلساته أن يسمح حكايات ويتحدث عن حكايات حتى يبدو أحياناً أنه يبحث كثيراً من المسائل السياسية عن طريق الحكاية .. كان رجلاً حكاه ومسلماً ويحب الدردشة ويطيل فى الدردشة وقد ينسى نفسه واجتماعاته وأحياناً كنا نقضى أربع ساعات فى الحديث وينخل عليه بعض الناس يذكرونه بمواعيد فكان يؤجلها وكان يلذ له أن يجلس فى الحديقة ويقول تفسيراً لذلك أنه السجن .. أريد هواء طلقاً وفراغاً بدلاً من حبس الزنزانة ..

كان يبدو لي بسيطاً جداً ودوداً وأبناً بلداً .. إذ كانت الشمس
إذا ما غمرتنا في الحديقة أصر على أن ينقل كرسيه بنفسه .. وكذلك
قراييرة التليفون ويرفض أن أفعل أنا ذلك ..

— أروي حكاية من بين الحكايات .. في « قعدة » دردشة معه .. كنت
أحكي حكاية أو حكايتين تبين له موقفى من الدولة لأن السادات كان يفتح
منى دائماً موضوع الراغبين فى مناصب .. فكنت أحكى له بدورى حكايات
عن دروس تعلمتها من علاقتى بالدولة ..

فى إحدى المرات كان ممدوح سبالم الله يرجمه جالساً معنا ..
قلت له شسوف ياريس فيه جادئين حدثنا لى اعتبرهما علامة طريفة
بالنسبة لى وأضحهم « حلقان فى ودانى » زى ما الناس يقولوا فى تعامل
مع النظام .. سألنى ايه ؟

قلت له : آبا أول صحفي مصرى تعاون مع الطلبة واتحاداتهم
الى خارج مصر فى الدفاع عن الفلسطينيين والدفاع عن المصريين بعد
العدوان الذى كان فى سنة ١٩٦٧ .. لانا أنا كنت فى لندن بدعوة من
اتحاد الطلبة العرب هناك وكان يرأسه شاب مصرى متحمس جداً اسمه
د . عادل جاد ووكيله متحمس آخر اسمه سمير رضوان وحدث العدوان
والتوتر ده ففوجئنا كده أتى لاقيت نفسى مناضل ضد العناصر الصهيونية
فى انجلترا فى ذلك الوقت .. ولما حصلت الهزيمة تعاونت مع اتحاد الطلبة
العرب هناك فى عقد الندوات والاجتماعات لمواجهة الهجمات الدعائية
الصهيونية .. فقامت بجولة فى انجلترا بعمولة الحزب الشيوعى البريطانى
وموافقة فوزى محبوب قنصل مصر فى لندن وكان معايا الدكتور عبد الحميد
الغزالى الذى هو أستاذ دلوقت فى كلية الاقتصاد وعملنا ندوات ومحاضرات
ومناظرات وقمت بجولة فى أوروبا كلها مدعوا من هيئات يسارية بالتعاون
مع اتحادات الطلاب .. وأسجل هنا رغم أن عبد الحميد الغزالى كان
أخوان مسلمين أى ضد أفكارى ومذهبى السياسى الا أنه لم يقم لذلك
اعتباراً وتعاون معى بشكل مطلق من متطلق وطنى بحث وكتبت عن هذا
الموضوع طوال الستة أشهر التى قضيتها بعد العدوان فى أوروبا وكتبت
كتاب اسمه « أوروبا والعدوان الاسرائيلى » طبع فى يولييه ١٩٦٨ وتابعت
باستمرار الحركة الطلابية فى الخارج وبنسب على هذا الاذاعة المصرية
استدعتنى أعمال برنامجى للدعاية للقضية الفلسطينية ضد العدوان ..

وحدث أن مضر عام ١٩٧٠ كانت عاوزة تشجع لنجاح الطلاب المصريين
فى انتخاب اتحاد الطلاب العرب ضد الطلبة البعثيين ففكر المسئولون اهتم
ببعثوا محمود السعدنى الذى ليس له علاقة بالموضوع ده على الاطلاق

وبعثوا الأستاذ محمد عروق مدير إذاعة صوت العرب وكان عضوا بارزا في التنظيم الطبيعي ومحمود السعدني أخذ معاه صديقيه ابراهيم تافع ومحمد رضا . فانا طبعاً دهشت ولو كانوا أرسلوا صحفيين ممن لهم علاقات باتحادات الطلاب وخصوصا أن بعضهم فيه غيرة كتبوا عن تلك الاتحادات كنت فهمت ولم أدهش . .

— وأنا كنت أعرف أن محمود السعدني عضو في التنظيم الطبيعي في الجزيرة وصحفي شاطر وممتاز لكن مالوش دعوة بالاتحاد .

وكان لنا زميل في صباح الخير اسمه منير عامر وكان من أصدقاء شعراوي جمعة فانا سألته هل يصح يا منير أن الراجيل بتاعك ده (أقصد شعراوي جمعة) لما يحب بيعت ناس للاتحادات الطلابية المصرية يقوم بيعت محمود السعدني ومحمد رضا وفلان الفلاني . لماذا فعل هذا ؟

— فقال منير عامر لي انه امر غريب حقياً . . وأنا سأسال عن تفسير لها . . ولماذا لم يأخذوا شخصاً مثلك ؟

— بعد ثلاثة أيام جاء منير عامر وأخذني على جنب وكأنه سيقول لي سرا . وقال اسمع بقي أنت علشان راجل أحبه وصديقي وشيخ عرب أنا بقي سألت ليه ماودوكش هناك . فعرفت ولكن اوعدي ما تقولش لحد . . وأضاف . . السبب أنت مش الراجيل بتاعهم . يعني لم يصنعوك ولست مدين لهم وهم مايحبوش الصنف ده . : هايزين دائماً ناس مدينة لهم انهم صنعوه . . فمئلك جامع لا يؤمن جانبه . وأضاف أنت يا راجل أنت الى عملت علاقات : اتحادات الطلاب وأنت الى مشيت وأنت الى رححت أوربا تدافع عن قضية فلسطين وليس لك صلة بأحد ولا أحد كان يكلفك أو يوجهك ولا أحد كنت بتتعامل معاه أو يعطى لك بدل سفر ولا بتشتغل شغل مع الحكومة ولا أى حاجة خالص بيعنوا بك لماذا المهمة في لندن ؟

— قلت للسادات أنا أخذت الكلام ده « حلقان في وداني » وفهمت سيكولوجية وأسلوب النظام في التعامل وزاد من اصراري على أن اظل على استقلالى وارفض أن أكون صنيعة لأحد أو تابعاً لأحد . ولا أشتغل حتى في مجموعة سياسية ولا شلة ! .

— أنا ممكن أقول لواحد صاحبي اعطينى خمسة صباغ وإذا لم يعطيني أتخاف معاه وأقول له انه بخيل وغير مخلص وهكذا ولكن لا أطلب من الدولة شئ على الإطلاق فطلب شئ من الدولة لابد أن تدفع الثمن لها كما أنك تضع قدمك على بداية الطريق لتكون صنيعة لها . .

هذا دستور أنا خطه في دماغي وعاشي عليه يا سيادة الرئيس .
كان السادات يستمع لي بالثناء شديد . ويهز رأسه إلى الحد الذي
يجعله وقد انتهى من تناول الطعام قبلنا وقام ليغسل يديه أن استمهلني في
رواية بقية القصة حتى يعود بعد غسلها .

ولما انتهيت من رواية القصة قال لي باسم : هذه كانت طريقة
عبد الناصر فعلا ! ولما سألته ضاحكا : مش طريقك دي باريس ؟
قال لي في بساطة أنت شايف ايه ؟ قلت : . . ليس عندي في الحقيقة أى
ملاحظة في هذا الشأن . . . والحقيقة أني لم أسمع من أنور السادات أى
توجيه لي بكتابة شيء معين . . . رغم أني أعلم أنه كان يعطي بعض كبار
الكتاب توجيهات حتى تفصيلية وقص على قصصا عن ذلك لا مجال
لذكرها .

— أذكر مرة أننا كنا قد كتبنا أن هناك اشاعة قوية أن سيد مرعى
سيبقى نائب رئيس الجمهورية فسألت الرئيس عن ذلك في أسوان فقال
انتم مش قاهمين الدستور . . . روحوا اقرءوا الدستور . سيد مرعى هو
الوحيد الذى لا يمكن يبقى نائب رئيس جمهورية . . . سألته لماذا ؟ قال لأنه
يبقى رئيس جمهورية بعد وفاة الرئيس أو عجزه وفى خلال ستين يوم
يفضل هو رئيس الجمهورية حتى ينتخب الرئيس فاحنا مش محتاجين
أننا نعيّنه ولا حاجة وأضاف ابقوا الحكاية دي في روز اليوسف
فلما أبلغت عبد الرحمن الشرقاوى مافيش داعى لتكلم عن سيد مرعى
ونزعله وافتح بقي فتحة .

ولم يسألني أنور السادات بعد ذلك لماذا لم ننشر ما طلب . .

أما الرواية الثانية التى اهتم السادات بسماعها . . عن علاقتي
بالدولة فكانت عن قضية اضراب المعلمين التى اتهمت فيها ظلما واعتقلني
عبد الناصر دون أن يوجه لي أى اتهام أو حتى سؤال وظللت شهرين في
سجن أسبوط لا أعرف لماذا أنا معتقل . . وقلت للرئيس السادات أننى
كنت قد كتبت في نفس يوم اعتقالى مقالا في صباح الخير أتحدث عن ربيع
مصر القادم باعادة انتخاب عبد الناصر رئيس للجمهورية . . كما أننى كنت
من أكبر الدعاة داخل الحزب الشيوعى المصرى لحل الحزب والاندماج في
تنظيم الاتحاد الاشتراكي كتيار يسارى فيه . . ولم تكن لي علاقة قط
بموضوع اضراب المعلمين سوى أن المتهم الاصل به كان الاستاذ لطفى
عبد السميع وهو مدرس ابن خال لي وصديقي وكان بدوره ناصريا متحمسا
لكنه تجرأ وتقدم بمطالب للمعلمين . . دون أن يأخذ اذنا من الدولة
بأن يتقدم ١٩

ثم بعد ذلك رغم وضوح عدم علاقتي بالموضوع اتخذ عبد الناصر من «اعتقالي» بعد أن اعتقل عضوا بارزا من قيادة الحزب الشيوعي اسمه محمد بدر وسيلة للضغط على الحزب في المفاوضات التي كانت جارية وقتها للاتفاق على حله .. ولم يفرج عنا الا في اليوم التالي لاتمام الاتفاق .. وقضيت بذلك ستة شهور معتقلا دون سبب ..

قلت للسادات ان هذه العملية جعلتني أشعر بعدم الاعتماد على تصورات أخلاقية لمواقف السلطة تجاه القضايا المختلفة .. قال السادات معلقا : هو أنت شيفت إيه عبد الستار .. ده فيه ناس قعدت خمس سنين .. وخربت بيوتهم .. وناس ماتت كمان ..

قلت ضاحكا : أصل ماكانش عندهم حزب شيوعي يحلوه !!

قال : دى كانت حاجة وحشة .. ده ربنا ستر معاك وان كنت ماتستهلش رجيمته اقلت به ياريس هل لم تكونوا تلفتوا نظر عبد الناصر لهذه الأخطاء وقمع الحريات ده ؟

قال : كثير .. كثير قوى .. وأحيانا كان يتجاوب على واحد أو اثنين .. ما هو أنا اللي أتقلدت أحمد رشدي صالح ..

سألته بماذا تفسر سياسة عبد الناصر الديكتاتورية هذه ..

قال : تقدر تفسر لنا ديكتاتورية هتلر .. وستالين .. ده طبع .. وعبد الناصر كان دائما متوتر .. ولا يهمه العواطف ولا البنى آدميين ان عندهم لسان وعقل وأحاسيس .. كان متوتر خايف دائما على الثورة من أعدائها .. وكان يرى الأعداء في كل مكان ويصدق التقارير على طول ..

سألته : هل تعتقد أن سيادتك مسئول فعلا .. عن أخطائه ؟ ..

نعم اعتقد .. وان لم يكن يعطينا الفرصة .. وكان عندنا أمل انه يغير من طريقته ..

وكان عبد الناصر زعيم عظيم جدا .. غير تاريخ مصر كلها فله هنية حتى عندنا الى شاركنا معاه .. العرب كلهم كانوا معاه والقرب خايف منه .. والروس يقولوا له شبيك لبيك .. يسمح كلامي .. ولا كلامك ليه ١٩

كان السادات يحترم حق الانسان الذي عينه في منصب معين في التصرف كما يرى ويتحمل المسئولية كاملة ..

ونضرب مثلا بما حدث مرة في روز اليوسف حيث اعطى السادات المسئولية الخاصة بها للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ٠٠ وكان هو رئيس مجلس الادارة ٠٠ وكان العضو المنتدب بها هو الأستاذ عبد الغنى عبد الفتاح الذى كان صديقا للدكتور عبد القادر حاتم وزير الاعلام ٠ وكان عبد الرحمن الشرقاوي له طريقة في ادارة مؤسسة روز اليوسف وهى أن جميع الشئون الادارية يلقى بمسئولياتها على العضو المنتدب ٠ وبالتالي لا يتدخل فى الشئون الادارية الا لرفع الظلم عن مظلوم يشكو له ٠ وظلت هذه هى طريقة التعامل بينهما وكانت جيدة وكان عبد الغنى مسيطرا على الادارة فى روز اليوسف لأن كل الناس الأساسيين هو الذى عينهم ولذلك كان يبدو حاكما حقيقيا للمؤسسة ٠

وجاء وقت طرح فيه مشروع لائحة لروز اليوسف فاقتراح عبد الغنى مشروع لائحة تعطيه كافة الحقوق والسلطة بحيث يكون هو الشخصية الاولى فى المؤسسة وادهشنى وهالنى ما قرأت فوضعت مذكرة قلت فيها ان المؤسسة هكذا ستغرق لأنه سيكون فيها رئيسان وأنه من الطبيعى أن الرئاسة الأساسية فى المؤسسة هى لرئيس مجلس الادارة ٠٠

البسط عبد الرحمن الشرقاوي بما كتبتة وبدا كما لو كان قد تفتحت لأول مرة عيناه على طغيان عبد الغنى ٠ وكانت النتيجة أنه بدأ يتدخل فى شئون الادارة بعد أن تنبه للأمر فبدأ يوقف بعض قرارات العضو المنتدب ولكن عبد الغنى تمادى حتى بدأ يلغى القرارات التى يصدرها رئيس مجلس الادارة وكنت أضحك ساخرا وأنا معه قائلا : لقد أصبحت جنرالا بلا جيش ! ليس له سلطة الا على سكرتيرتك المسكينة !

وتفجر الصراع التقليدى فى المؤسسات الصحفية بين رجال الادارة وبين الصحفيين وأيهما أحق بادارة المؤسسة ٠٠ وجاء عبد الرحمن الشرقاوي بعد طول صبر وعين لوىس جرجس أميناً عاماً للدار (بمعنى مدير) ٠ فاذا بعبد الغنى عبد الفتاح يعطى تعليمات للاداريين بالألا يتعاملوا مع لوىس جرجس ٠ وبعث للوىس جرجس يطالبه بالخروج من المنصب الذى عينه فيه ٠٠ عبد الرحمن الشرقاوي ٠٠ ان الاداريين فى كل مؤسسة صحفية يرون أنهم أحق بادارة المؤسسة بدلا من هؤلاء الصحفيين الجهلة الذين يتقاضون مرتبات على مجرد كلام ٠٠ فى كلام ٠٠ ولا يهم بعض الاداريين أن تفشل صحف المؤسسة وتتحول الى مجرد مؤسسة للطبع فقط لا غير ! ولعب المجلس الأعلى للصحافة قبل د ٠ مصطفى كمال حلمى بهذا التناقض طويلا لالهة الصحفيين !!

فذهب لويس جريس الى عبد الرحمن الشرقاوى وروى له ما حدثه
فأخذ الشرقاوى سيارته واتجه الى منزل أنور السادات وطلب مقابلة
الرئيس .

فقابلته على الفور واستمع الى روايته ثم قال له .

— يا عبد الرحمن أتيت المستول أمامى عن روز اليوسف .
أنا ما أعرفش عبد الغنى عبد الفتاح ده وأنت على الفور تذهب لمؤسستك
وتمنع عبد الغنى عبد الفتاح من الدخول وأنا سأتصل بمدوح سالم الآن
تليفونيا أمامك ليقبضوا عليه ويذهب الى النيابة !

— وحدث السادات بمدوح سالم وزير الداخلية وقال له اقبضوا على
عبد الغنى عبد الفتاح وامنعوه من دخول المؤسسة اذا حاول دخولها . .
الشرقاوى هو رئيس المؤسسة ولا أحد غيره . . ومستول أمامى أنا .

— عندما عاد عبد الرحمن الشرقاوى الى المؤسسة وجد المنظر التالى .

ضابط المباحث العامة للصحافة (اللواء سيد زكى) واقفا أمام
المؤسسة وعندما نزل عبد الغنى عبد الفتاح من سيارته تقدم اليه
وقال له .

— اتفضل روح البيت .

فقال له عبد الغنى ازاى ؟ أنا لازم أدخل .

فقال له اذا أصررت على الدخول أنا سأقبض عليك للأسف الشديد .
هكذا التعليمات عندى يا عبد الغنى بك !

وتمت سيطرة الشرقاوى على الموقع فى روزاليوسف لأن السادات
وقف الى جانب المستول الذى عينه .

وحكاية أخرى . . أذكر أننا فى روز اليوسف ناقشنا ضرورة إصدار
مجلة اسبوعية تكون لسان حال للعاملين المصريين والعرب فى الخارج بعد
اذ بدأ الدور العربى فى أوروبا وأمريكا يبرز . . ورأينا أن تكون هذه المجلة
وسيلة نقل للفكر والثقافة والسياسة المصرية الى أولئك العرب فى
الخارج . . وكذلك ننقل فكر وتشايط وانتقادات ووجهات نظرهم
الىنا هنا . .

وقلنا انه من الضرورى أن تنفذ تلك الفكرة بذلك شديد باعتبار
أن هؤلاء العاملين يعيشون فى بلاد ديمقراطية يقرءون فيها انتقادات لما
يسمى بالسياسات العليا . . وبالتالي فيجب أن تتمتع المجلة بقدر كبير

جلدًا من حرية التعبير .. فلا تكون نشرة رسمية مثلها مثل أى صحيفة
قومية تصدر فى مصر .. والا فشلت .. ولم تؤد الدور المفروض أن
تلعبه ..

وكلفنى عبد الرحمن الشرقاوى أن أعرض الفكرة على السادات ..
فسجلت مذكرة قصيرة من صفحتين فقط لأنى كنت أعرف أنه أى السادات
لا يجب قراءة المذكرات المطولة .. وحملتها معى وأنا أقبله .. وشرحت
له الفكرة بالتفصيل وبالغت فى موضوع الطابع الديمقراطى لتلك المجلة ..
وقلت له ان مجلس تحريرها سيكون معظم أعضائه من العاملين
العرب والمصريين فى الخارج ويعقد اجتماعا كل ثلاثة أو أربعة أشهر
فى بلد ما ..

وبعد أن انتهيت قال لى هذه فكرة ممتازة وقبلكم بتوع الأهرام عرضوا
على فكرة مشابهة لكنهم لم يستطيعوا شرح الفكرة مثلكم .. أنا موافق
على مشروعكم .. وبلاش الأهرام .. وقل لعبد الرحمن على لسانى انى
موافق مائة فى المائة ..

ثم سألتى فجأة .. من سيكون رئيس تحريرها ؟ قلت له لم نحدد
بعد .. ويمكن لأننا سنصدرها فى البداية مرة كل أسبوعين يكون
صلاح حافظ ..

قال لا .. كفايه على صلاح روزاليوسف وأمثالك من بتوع الكلام
الكبير ده .. أنت تكون رئيس تحرير تلك المجلة ..

قلت .. يا سيادة الرئيس أنا لم يحدث بينى وبين أى صحفى فى
روز اليوسف فى أى وقت نزاع أو صراع لسبب واحد أنى منذ عينت لم
أرغب قط فى أن أتولى منصب حتى ولو سكرتير تحرير .. دائما كان
هدفى أن أصبح كاتباً وصحفيًا حراً دون قيود أو مواعيد .. ولا أستطيع
أن أدير عملا فيه خمسة أشخاص .. والجماعة الوحيدة التى أدير شئونها
وينجح والحمد لله هى جماعتى ..

ضحك وقال فكرتنى بميت أبو الكوم وكان يقصد أن جماعتى هذه
هى الكلمة البديلة عن أسرته ثم عاد يقول : قل لعبد الرحمن انى قررت
أن تكون أنت رئيس تحرير هذه المجلة .. ده انت فاهم الموضوع بتاعها
تمام .. وكلمنى خطوة خطوة عن كل حاجة فى المشروع .. وشوف عاوزين
ايه ..

قلت .. يا سيادة الرئيس زملائى فاهمين الموضوع أحسن منى والله
العظيم .. وعلى العموم سنبحث الموضوع مين يكون ماسكها ..

علم أمين ما كان يسمى بالملتجس الاسلامى بمشروع روز اليوسف
فذهب يقاوم المشروع مع أنه كان يدافع عن الشراوى ضد المتطرفين
الدينين ٠٠ وقال كيف تسبندون مجلة كهذه للشيوعين ٠٠ وتعرض
الموضوع ٠٠ ونحن فى روز اليوسف تلكنا حتى استغنى السادات عن
يساره فى عام ١٩٧٧ فاستبعدنا جميعا ١١ وقبر المشروع نهائيا وام تصدر
قط. حتى الآن جريدة مصرية ذكية للعرب فى الخارج ١ وأروى حكاية أخرى :

كانت هناك مباحثات فى القناطر مع شخصية هامة ربما جروميكو
لا أذكرها الآن فتاجلت المقابلة فجأة ٠ لماذا ؟ لأن الرئيس وهو فى الاستراحة
جاءه خبر أن الفقيه فى قريته ميت أبو الكوم توفى فتوجه إلى القرية. كى
يقدم العزاء بل وتلقى العزاء فيه عند القبر الذى دفن فيه ٠

لقد كان السادات مرتبطا بالقرية وبالفقيه وبشيخ الخفر وكمل
شخصية فيها ولذلك لم يكن غريبا تنازله عن قيمة جائزة نوبل لمشايخ
التطوير القرية ٠ وربما كان السادات واحدا من مثقفين مصريين قلائل
ارتبطوا هذا الارتباط بقريتهم ٠ وكان السادات شخصية ذات أريحية
ورغبة فى امتاع من يعرفهم خصوصا من خدموه فى أوقات صعبة ٠
والحقيقة ما من غرزه أو مقهى صغيرا كان قد مر عليها أنور السادات
بسيارة النقل فى شبابه سواء كان سائقا أو تباعا أو مقاولا الا وأنصفه
أنور السادات ومنحه مساعدة بأى شكل : فلوس أو حجة إلى بيت الله
الحرام اذا استطاع أن يقابله أو يوصل له رسالة ٠ ومن العناصر التى
أكرمها ورد جميلها ٠ مسجون اسمه مبارك مصطفى وكان محكوما عليه
بسبعة وستين عاما ولا يوجد مسجون سياسى فى مصر الا وعرفه ٠ وكان
له وضع ممتاز لأن أمثاله كانوا يعاملون معاملة خاصة باعتبار مدة الحكم
الطويلة ٠ وكان مبارك يمد أنور السادات بالصحف سرا وهو فى السجن
بعد تولى السادات الحكم اتصل به ٠ فقدم له أنور السادات كل المساعدات
الممكنة فأفرج عنه وأرسله للحج والحقه يعمل بمائة وعشرين جنيهها
فى الشهر عام ١٩٧٨ وطبعا نحن نذكر حكاية الرجل الذى كان فى قرية
البحيرة الذى استضاف أنور السادات وهو مريض بالدوسنتاريا وتجرى
عنه إلزميل إبراهيم سعدة حتى عثر عليه ٠ وأكرمه السادات وزاره فى
بيته وأصلح الطريق الموصل اليه من أجل خاطره ١١

وفى أسوان رأيته يسأل عن مواطن كان يقدم له الشاى شتك زمان
وقيل له انه مات فطلب من المباحث التحرى عن عائلته حتى وجدت ابنا
له فاستدعاه وأكرمه هو وعائلته ٠

وكان للسادات فلسفة فى مثل تلك الأعمال ٠٠ قال لى مرة وهو
يفسر سلوكه ٠٠ أنا دائما أقول لنفسى ما دام الله قد أنعم على بأن وضعنى

فى موقع يمكن منه أن أساعد الناس فلماذا لا أرد جميل الذين ساعدوني
فى أسوأ فترات حياتى ؟ ٠٠

الصدىق يعرف وقت الضيق ٠٠ وأنا عشت أيام ضيق كثير ٠٠
وأهلهنا علمونا الوفاء ٠٠

كان السادات لماحا ٠٠ فلما لاحظت أننى سكنت ولم أعلق على
كلامه ٠٠ قال لى ضاحكا ٠٠

طبعاً مش عاجبك الكلام ده وبتقول لازم مساعدة الشعب
والبروليتاريا بتاعتكم ولا يهم مساعدة أفراد ٠٠ المهم الملايين ٠٠

قلت له ٠٠ يا سيادة الرئيس انى سكنت لأنى كنت أتأمل طبيعة
الوفاء هذه فى سيادتك لأن غيرك يتبرأ من أبوه لأنه ساعده وعاش فترة
فقره الشديد ٠٠ هذه قيم عظيمة التى تمارسها يا سيادة الرئيس ٠٠
ولا تناقض بين أن يكون الانسان وفيما معترفا بالجميل لأفراد وبين أن
يخدم ويضحى من أجل الملايين من أبناء الشعب ا

أحيانا كنت أشعر أن السادات يتصور الشيوعيين آلات بلا مشاعر
ولا احساس ا

وكانت للسادات تصرفات طيبة كثيرة ٠٠ ونحكى واحدة أو اثنين
منها ٠٠ كان زميلنا رحمه الله مراسل الجمهورية فى لندن الأستاذ الأديب
فاروق منيب مريضاً بمرض الفشل الكلوى مما يعنى ترده كل يومين
على مركز غسيل الكلى وكان ثمن الجهاز الذى يغسل الكلية خمسة آلاف
جنيه استرلينى ولذلك كان بعض المرضى الميسورى الحال يشترونه
ويجرون عملية الغسيل فى بيوتهم لتفادى متاعب الانتقال ٠٠ وكان فاروق
منيب يتمنى شراء جهاز ٠٠ ويضعه فى بيته ٠٠ وكان يساعده على ذلك
أن زوجته صحفية تعيش معه فيمكن أن تدير الآلة التى سيوفر شراؤها
مائتى جنيه استرلينى كل مرة يتم فيها الغسيل فى المستشفى ٠ وطبعاً
جعت فاروق طلباته لكل الجهات المسئولة ولكن أحداً لم يستجب له
وعندما كان السادات فى لندن ٠٠ وكنت أنا بين الوفد الاعلامى المسافر
معه وأقيم له حفل استقبال فى فندق كلاريدج ٠٠ فاتفقنا مع فاروق
منيب ٠٠ أن يأتى ٠٠ على أساس أن أتكلم أنا مع الرئيس ٠٠ فى الموضوع
ونجعله يقابله فى حفل الاستقبال ٠

وعندما جاء منعه البوليس من الدخول طبعاً ٠٠ وتقدمت أنا من
الرئيس وحكى له الموضوع ٠٠ فرد على الفور يعنى نشترها له ١٩ ٠٠
طبعاً طبعاً ٠٠ وأنا عارفه من أيام الجمهورية ٠

ثم سأل هو فبن ماجاش ليه ؟ قلت له .. هو على الباب ينتظر
أذن سيادتك .. التفت السادات حوله .. وقال فبن فوزى .. يقصد
لفوزى عبد الحافظ .. ولما لم يجده .. قال لى معلش يا عبد الستار
انده له من فضلك .. خرجت وقلت لفوزى عبد الحافظ هات فاروق ..
ودخل فاروق .. وقبل الرئيس الذى استقبله بحرارة شاكرا فى امتنان
شديد ..

حكاية أخرى .. كان للسادات قدرة كبيرة على التحمل .. وأذكر
أننا كنا على مائدة دعاء اليها ملك السعودية .. وكانت مائدة حافلة كبيرة
على الطريقة الشرقية .. خراف ونجن جلوس على الشلت .. وكان عند
السعوديين رقصة اسمها رقصة السيف وكان لابد أن يشارك أنور السادات
فيها ..

ورغم أنه كان متعبا وعمره متقدم الا أنه نهض وأمسك بسيف ..
يرقص معهم .. وبدا عليه أن يتماسك .. اذ استمر يشارك فى الرقص
مجالمة للسعوديين .. ووقتها تأملته واحترمته كثيرا .. لأنى أحسست
أنه يجهد نفسه كثيرا كى يجامل ضيوفه بالأسلوب الذى يعجبهم حتى
يتوصل لنوع من الاتفاق العربى أو التعاون العربى ..

وهناك حكاية أعتقد أنها درس لنا نحن الصحفيين .. ففى الاجتماع
الى حضرة حافظ الأسد مع ملك السعودية ومع أنور السادات لمناقشة
الأوضاع فى سوريا .. وكانت العلاقات حينذاك متوترة بين مصر وسوريا
وبين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٦ .. قال حافظ
الأسد .. لأنور السادات .. يا ريس بقى معقول تسلط على واحد زى
موسى صبرى ده يقعد يشتمنا .. وكان الأستاذ موسى صبرى أيامها
يهاجم النظام السورى بقسوة شديدة كعادة أغلب الصحفيين عندما يهاجمون
النظام الذى يتناقض مع مصر ..

فرد عليه أنور السادات قائلا وانت يا حافظ عندك خمسين موسى
صبرى كنت بتسلطهم علينا .. والدرس فى هذه الواقعة فى الحقيقة يدل
على أنه .. يجب على الصحفيين مهما كانوا مؤيدين لنظام ما ألا يكونوا
ملكين أكثر من الملك ويجب أن يحتفظوا لأنفسهم بخط الرجعة فقد تعود
المياه الى مجاريها .. فالزعماء المتخاصمون عندما يتصالحون « يروح
الصحفيون فى الرجلين » كما يقال ويصبحون كبش الفداء ويبدون كأدوات
أو صوت سيدة ولا تبالى بمصيرهم السلطة على الإطلاق .. « فالمصالح العليا »
فوق كل شئ .. وكلما كان الصحفى شتاما هجاء كلما رخص سعره لدى
الحاكم حتى لو أغرقه بالعطايا والمنن .. ذلك لأنه يوجد طابور طويل ممن
يريدون تقربا من الحاكم وزلفى له أن يلحقوا بكتائب الهجائين .. بينما

يؤخذ عدد قليل من أولئك الذين يلتزمون جانب الموضوعية وينحرفون عن طريق النفاق ١٩

والحاكم يعرف كل هذا .. ولكن أى حاكم يحتاج كما قلنا لهذا وذاك .. الموضوعى والنفاق .. الأمين على الكلمة واللص والغشاش واللاعب بها لعبة الثلاث ورقات ١ ..

والحاكم البارع هو الذى يستخدم النفاق دون أن يقع فى فخ تصديق كل ما يقول .. فإذا ما حدث ذلك فكانه تجاهل عن عمد رؤية الحقيقة .. ولا يرى الا الصورة التى يرسمها ويقدمها له أهل النفاق .. هذا بالضبط ما حدث للسادات .. فقد صدق ما قالوه وهم يزينون له جريمة القوانين الديكتاتورية .. وصدق موكب النفاق والخداع الأمريكى والأوروبى والصهيونى الذى صور له نفسه زعيما عالميا يشار له بالبنان .. فتملكه الغرور .. فراح ضحية ذلك الغرور .. بعد أن تصور نفسه قادرا على خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا .. ألم يعد لنفسه مدفنا فوق جبل سنيتا فى معبد اسلامى مسيحى يهودى ؟ أى نبي من أنبياء الله ١٩ ..

بداية .. النهاية ..

كان الأمر قد تفاقم . وتلاحقت الأحداث والمشاعر .. وبدأ أن البعض قد بدأ ينفذ يده من النظام وصاحبه .. بينما الرئيس .. يزداد التصاقاً بالطبقة والعناصر التي تجرّه الى الهاوية .. ويتضاعف التناقض بينه وبين التيار الديني الذي بعثه يديّيه ليحارب خصوما له لم يكن لهم من سلاح سوى الورقة والقلم بينما هم سلاحهم من الجنائز والمدى طوره الى القنابل والمدافع الرشاشة .. حتى كانوا هم القتل لمن دفع بهم الى الوجود ..

ولن ندخل في تفاصيل معركته مع التيار الديني فقد كتب الكثير جدا عنها .. ولكننا كالعادة سنعرض من خلاله ومن خلال ما كان يقول السادات كيف بدأ الطريق الى النهاية ينفّث على مصراعيه أمامه ..

وانفضوا من حوله ٠٠

بعد ١٧ و ١٨ يناير ١٩٧٧ بدأ السادات فى سياسة كانت تؤدى يوما بعد يوم الى انفضاض الناس من حوله ؟! بل انه اضاع الفرصة الذهبية التى آتت له عند ما بدأ يدخل فى معركة السلام بالمبادرة ٠٠ ثم المفاوضات لتوقيع اتفاقية السلام ٠٠ كما أوضحنا من قبل ٠٠ لم تكد تنتهى أحداث يناير حتى بدأت شمس الحرية تغيب من سماء مصر ٠٠ وبدأ انزلاق أنور السادات الى الدكتاتورية ٠٠ وبدأ حتى عاملون معه فى جهاز الحكم ٠٠ وكتاب يدافعون عنه ويدينون بمناصبهم الكبيرة ٠٠ يشيرون الى أنه يخطئ الطريق ولو سرا :

أذكر أنه فى الاجتماع الذى عقده الرئيس السادات فى يونية عام ١٩٧٧ فى المعصرة وقد حضرته أنا وتلاه مباشرة قراره بسحب كرنيه الرئاسة منى وانقطاع صلتى بالسادات ا ٠٠

فى ذلك الاجتماع كان كل تركيز السادات فى حديثه ينصب على وجوب تطهير نقابة الصحفيين من الشيوعيين الموجودين بداخلها (وكان نقيب الصحفيين يوسف السباعى آنذاك) ٠٠ وظل السادات يكرر القصة المألوفة التى تقول أن الحوادث التى حدثت فى يناير ١٩٧٧ انما هى من تدبير الشيوعيين واليسار وأنها انتفاضة حرامية ٠٠ الخ ٠٠ وظل يتوعد اليساريين بعذاب اليم وطالب نقابة الصحفيين بضرورة التضامن معه وتتولى فصل ثلاثمائة صحفى قائلا أنه ليست مشكلة فى ذلك طالما هم شيوعيون وعملاء ا ٠٠

- وطيلة حديث الرئيس أثناء الاجتماع كنت أبادل النظرات معه عند تركيزه على تلك العبارات ٠٠

وكنيت أيامها عائدا من أمريكا ١٩٧٧ حيث كان هو والسيدة قرينته
فى زيارة وكنيت أنا قائما بتغطية هذه الزيارة ٠٠ وقابلتهما هناك ٠٠
وظللت أنقل عبر عشرة ولايات أمريكية مدافعا فى جولاتى عن
القضية الفلسطينية والتقيت بالكثير من الفلسطينيين هناك ٠٠ وكانوا
يهاجمون أنور السادات وقتها ويشددون الحملة عليه بالقول بأنه بدأ
يستسلم للإسرائيليين من أيام فض الاشتباك الثانى مع إسرائيل ٠ وكان
الدبلوماسى النشيط حمدى صالحي هو الذى نظم لى تلك الجولة هو
والأستاذ محمد حقى المستشار الاعلامى أيامها ٠٠

وعدت من أمريكا ولم يحدث منى أى تصرف مضاد للنظام بل كان
موقفى جيدا جدا معه بل كنت أواجه الفلسطينيين خاصة أعوان الجبهة
الشعبية حيث اكتشفت أن القاعدة الرئيسية لمنظمات كمنظمة (جورج
حبش) أو حواتمه هى فى الولايات المتحدة حيث يمولها كثير من الأثرياء
الفلسطينيين ٠ المهم لما انتهى الاجتماع فى المعصرة ٠٠ سرت بجوار
المرحوم على حمدى الجمال رئيس تحرير الأهرام حينذاك والمرحوم محمود
نائب رئيس التحرير ومحسن محمد رئيس تحرير الجمهورية ومجموعة
أخرى من الصحفيين فقلت لهم وأنا كظيم :

— الله ٠٠ ايه الحكاية ٠ دى متيلة قوى يا جماعة ٠ وكان ذلك
تعليقا على كلام السادات ٠٠

فرد على حمدى الجمال قائلا هو انت لسه ماعرفتش انها متيلة ؟
فقلت لا ٠٠ لأنى لسه راجع من أمريكا من ثلاث أربع أيام فقط ٠

فقال ده حصل حاجات زى دى كثير ٠ ده من أيام ذهب للقاء الجيش
فى منطقة القنال وقال لهم مثل هذا الكلام والعن ا

الغريب الذى لفت نظرى هو أن رؤساء التحرير الذين عينهم الرئيس
بمعرفته هم أيضا خارجون من الاجتماع وغير مقتنعين بهذا الكلام وبالعكس
على حمدى الجمال ومحسن محمد (وهذا الكلام أقوله لأول مرة) أنهم
كانوا يتحدثون بطريقة ساخرة على كلام الرئيس ٠ فانا مشيت وكلى ألم
على تدهور الموقف السياسى بهذا الشكل لكن ٠ لابد من تسجيل أنه فى
هذا الاجتماع كان هناك صحفى واحد فقط هو الذى اتخذ موقفا فى
الاجتماع ازاء كلام الرئيس بخصوص فصل ٣٠٠ صحفى باعتبار أنهم
شيوعيون وهو المرحوم ابراهيم البعثى ٠٠ ورغم أنه كان من المعروف عنه
أن له صلة جيدة بالأجهزة فى الدولة الا أنه الوحيد الذى وقف فى
الاجتماع وقال : يا سيادة الرئيس نحن لا نقدر أن نفصل أحدا

من نقابة الصحفيين أو ٣٠٠ صحفي بدون أي تعليمات أو تحقيقات من النيابة وإدانة القضاء ٠٠ ولو فعلنا ذلك فسوف يتحقق ما يقوله الشيوعيون من أن يوسف السباعي ما جاء إلا ليصفي نقابة الصحفيين وتطهيرها من الصحفيين الذين ينادون بالديمقراطية واليسار ٠٠ وهنا سوف يأخذ الشيوعيون وساما على أنهم المدافعون عن البلد والديمقراطية ! فنظر إليه أنور السادات ولم يرد عليه أو يعلق على كلامه ٠٠

ونحن نسجل هذا الوقف رغم خطأ ارتكبه المرحوم البعثي ضدي وضد الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب عندما كنا في لندن متهما إيانا بالتعامل مع التروتسكيين الانجليز ! بل وأخطأ في حق الشرفاوي مرة ذكر السادات لي ولعبد الرحمن ذلك في إحدى المرات وقد كان السادات مولعا بمهاجمة وكشف عناصر معينة ولا أدري ما هي الأسباب التاريخية لذلك مثل الأستاذين ضياء الدين بيبرس الذي كان يشمت في صلاح حافظ أنه ضربه مقلبا في مواد كان ينشرها ضياء في روز اليوسف ويقول السادات لصلاح حافظ ضاحكا ألم أقل ذلك الكثير عن ضياء الدين بيبرس ؟ وكذلك الأستاذ علي الدالي الذي كان يكره كراهية التحريم ٠

وأنا شخصيا أكن ودا شديدا للأستاذ ضياء واحترم آراء كثيرة للأستاذ الدالي ثبت صحة معظمها فيما يتعلق بالاشتراكية بلذات ولكن هكذا كان يقول أنور السادات الذي أحاول أن أعطي لمحات من حياته وأفكاره وآرائه ٠

وأروي واقعة أخرى ٠٠

لقد كانت الصحف المسماة بالقومية تصدر كل يوم وعلى صدر صفحاتها كالعادة سواء في عهد عبد الناصر أو السادات أو مبارك منشورات عن نشاط الرئيس ٠٠ ومع ذلك كان السادات يلوم تلك الصحف متهما إياها بأنها لا تنشر بما فيه الكفاية ولا تعطي نشاطه القدر الكافي من الاهتمام ٠

روى لي الأستاذ مجسن محمد أن السادات جمع رؤساء التحرير وقال لهم وسألهم في غضب سافر : هو أنا في أجازة يعني ؟ لماذا لا تكتبوا عن أعملي ؟ أم أنا لا أشتغل ؟

علق لي محسن محمد ٠ ماكانش يوم يمر الا والمنشورات تكتب عن أنور السادات فاندعشنا جدا ! وأضاف محسن محمد : الرجل ده نرجسي جدا ! ٠٠

كان هذا كلام وأسرار في الحكم لا تقال طبعاً لأحد • لأننى كنت أدرك أن مثل هذا الحديث سيؤدى الى ثرثرة تؤذى محسن محمد • لكن هذا يبين الى أى مدى كان الصحفيون ينظرون الى السادات وهو ولى نعمتهم بعد أن تنكب الطريق !

الامن والسادات :

ان أجهزة الامن والمستويات فيها لو ايات وعلماء وعقلاء اجتثكم بهم ورايت وسمعت منهم الكثير عن انتقاد سياسة السادات • كان بعضهم لا يوافق على تعامله مع نقابة المحامين ولا حرصه على سقوط الكثير من المرشحين الذين ليسوا حكوميين في انتخابات نقابة الصحفيين ودأبه على محاولة التدخل في شئون النقابة - وكنت أشعر أن رجال الامن الذين كانوا يهاجمون السادات أمامى ينفسون عما فى نفوسهم فهم مصريون ووطنيون أيضا ويدركون حجم الكارثة المقبلة • ولأن هذا كان كلاما يحدث بينى وبينهم فى « قعدات » خاصة وكنت لاحظ أنهم يثقون فى اننى لن أنقل حديثهم لأحد ولذلك كانوا يتكلمون بصراحة جسورة أحيانا بل ويلعنون الرئيس ويشتمونه !!

كما سمعت كلاما اثناء علاقتى مع السادات أيضا من وزراء أو غير وزراء بعدما اتسعت علاقتى بالسلطة وما كلمت أحدا عنه ولكننى كنت أقوم أرشيفا فى مخى بشكل مكثف ! خائفا من تسجيله على ورق ! كنت أسمع من رجال الامن مثلا : احنا كل ما بنهدى الجو فى مكان كان السادات يشعلله !

وسخر أحد رجال الامن أمامى مرة من الاهتمام الزائد « بتاع » أنور السادات نتيجة الانتخابات التى كان يتنافس فيها كامل زهيرى مع صلاح جلال فى نقابة الصحفيين وقال لى ان « أنور السادات جالس جنب التليفون وكل شويه يسأل عن الأصوات ؟ • كان مهتما جدا • وكأنها حياة أو موت » !

كان بعض رجال الامن يقولون لى باستمرار ان سياسة السادات تهدد الاستقرار •

شهادة رجل أمن مهم :

أذكر حديثا طويلا لا أنساه حدثنى به ضابطا أمن ذات مرة ونحن فى القطار للاسكندرية اذ عبرا عن اعتقادهما أن السادات هو الذى يشعل الفتنة الطائفية فى مصر لمصلحته علشان يفضل « راكب السلطة » ١٩

وقال لى « انه يخلق الحاجات دى ويساعده على اشغالها . ويعتقد ان
لغذيه تنظيميا سريا » فى البلد هو الى بيولج ويوقع الناس فى بعض
المسلمين والمسيحيين علشان خاطر هو يجد تبريرا لاستخدام العنف
وغيره ا ، ا .

وأدهشاني بقولهما : أنتم اليساريين الى لازم تلعبوا دور فى
الموضوع وقلت لهما يومها . نلعب دور ايه ؟ نلعب دور تقوموا أنتم
تمسكونا وتقولوا انتوا الى بتذكروا الفتنة علشان أنتم ملحدين ولاد
كلب ؟ . ماتقدش نلعب دور لأنه بيضريهم وبيضرينا نحن معا له .
وأنا فى حل الآن من أن أحكى قصة هامة حدثت لى شخصيا مع واحد
من كبار رجال الأمن هو المرحوم اللواء عليوة زاهر مدير المباحث العامة
وكان صديقى وصديق على مستوى عائلى لقرايته لزوجتى فقد كنا نزاور
باستمرار منذ كان مجرد تقيب فى بور سعيد عام ١٩٥٩ . عندما عرف
بحكاية طردى من « رحمة الكنيسة » أى عندما سحب السادات كارنيه
الرئاسة منى . فوجئت به يقول لى « احمد رينا على اللى حصل ده من
مصلحتك ا » .

فلما سألته لماذا ؟ قال لى : « أصل الرجل ده نهايته سوده » ا لقد
فوجئت وذهلت أن يصدر كلام كهذا من رجل أمن كبير ويتحدث هكذا
عن رئيس الجمهورية الذى يعمل عنده . .
قلت له : ازاي ؟

قال لى « أنا بقولك ان الرجل ده آخرته مش كويسة واحسن لك
انك تكون بعيد حتى لا ترتبط به وبأعماله السوده اذ لو أنت فضلت
صديق مرتبط بيه زى ما كنت كده لما تيجى آخرته حيقولوا انت معاه
وحيجيبولك مصايب كثيرة من وراء الحكاية دى لأنك محسوب عندهم من
أعوانه . فسينالك الأذى لكن كونه أنه اتخلص منك دلوقتى هذا من
مصلحتك » ا ومضى عليوة زاهر يقول ومن مصلحتك أن هو الى اتخلص
منك » ١٩

لماذا ؟

« لأن هذا معناه انك مش عاجبه لو انك كنت انت الى مشيت ماكانش
يبقى من مصلحتك لأنه ده معناه انك مش مسايه على هواه والا طمعان
انك تبقى وزير زى ما بيعمل الآلاف غيرك وهو رفض ا فأحمد الله دلوقتى
كل الناس حتعرف لما تحصل الكارثة انه مشاك وطردك من رئاسة الجمهورية
يعنى معناه انك مش عاجبه . انه غضبان عليك يبقى ماحدث يقدر يعتبرك
من الأذئاب ولا من الأعوان خصوصا أنه معروف انك بتؤيده وبتدافع عن
الهائنم كمان ١١

حاجة كانت غريبة بالنسبة لي حقا . وأدهشني حديثه وهذا حدث عام ١٩٧٧ . وقلت للمرحومة زوجتي واحنا خارجين : « الراجل ده قصده ايه من الكلام ده هو بيحاول يجز رجل والايه ٩ . قالت لي : يجز رجلك على ايه ما هو طول عمره لم يحاول أنه يستدرجك على شيء وبيعاملك كقرين وكشخص يحترمك دائما ٠٠٠ رغم انه مدروش وبيكره الشيوعيين موت لا عمره حاول يستدرجك في أن يعرف منك معلومات ولا حاجة . وعامل حدود بينك وبينه في المسائل دي ١٩ .

ونحن في السيارة في طريق عودتنا خبطت على رجل وقلت لزوجتي « والله دي حاجة غريبة قوى . أدى الدولة ياستي . نظام ايه ده المخوخ ١٩ على كل حال لابد ألا يخرج هذا الكلام من أفواهنا على الإطلاق لأن فيه رقاب تطير وأولهم زقبة صاحبنا ٠٠ لمامد الراجل قد وثق فينا فلا يصح أن نقول الكلام ده عنه » . وكان اللواء عليوة زاهر وجل أمن يشهد له بالذكاء وسعة المعرفة والقدرة على التنبؤ - فقد كان يعتقد أن الخطر الأكبر على السادات سيأتي من ناحية الجماعات الإسلامية . وأيضا كان يرى أنه ممكن أن تحدث ثورة شعبية كبرى ويقول أنه أي السادات سيجر البلد إلى ثورة شعبية لأنه غافل تماما عما يجري . وده كان في وقت مبكر جدا . إذ كان في صيف ٧٧ . والحقيقة صاحبنا هذا لم يكن المستول الوحيد الذي كان يشجب سياسة السادات ويخشى عواقبها . ولكن كان هناك الكثيرون من كبار موظفي الدولة وبعض الوزراء يوافقوني وهم في خوف وقلق عندما كنت أعبر لهم عن رأيي في أي انتقادات أو تحذيرات من السياسة الخاطئة التي يمارسها نظام رئيس الجمهورية وأنا أتكلم معهم . وكنت أقول لهم أن هذا سوف يؤدي إلى كوارث في البلد . وكانوا ينظرون لي في قلق وعجز معا ويبدو أن طريقتي في التعامل معهم ومعرفتهم بأنني رجل عقائدي كانت تجعلهم يثقون أن ما يدور بيني وبينهم لن يتسرب « ويخرج بره » . ولذلك كان بعضهم يجرؤ على إضافة معلومات تؤيد ما أقول . وإن كان يدهشني أنهم جميعا بدوا عاجزين حائرين ماذا يفعلون ! كما أن أغلبهم كانوا من الساخطين حتى كنت أقول للواحد منهم في دهشة ٠٠ من اذن المبسوط في هذا البلد ١٩

وأنا أذكر أن بعد عودتي من أوروبا بعد مصرع السادات وقابلت صديقي جمال الناصر وزير السياحة والطيران في مكتبه كانت أول عبارة قالها أول ما دخلت عليه في المكتب أنا افتكرتك كثيرا عند اغتيال الرئيس وكلامك عن التيار الديني والديمقراطية وعن اللخبطة التي في البلد . لقد افتكرتك كثيرا واحترمتك قوى !

من أجل هذا عندما حصل التمزق والتفكك في الدولة أو لمي قوى الأمن يوم المنصة عند اغتيال السادات كان ذلك أمر طبيعيا إذ كان لسان حال أغلبهم يقول :

« انج سعد فلقده هلك سعيد » - لم يدعشني ما حدث لأن أغلب الحاشية والمتتبعين ترهلوا وركزوا على الكسب والتهيل حتى أصبحوا يملكون ما يستمتعون به وبالتالي يخشون من فقد حياتهم ولم يقوموا بواجبهم في حراسة الرئيس . وكان التقصير انعكاسا لهذه الحال . حيث ساد التسبب وكذلك أيضا حالة من القرف العام من نظام السادات الذي قدنى كثيرا وبدأ يخطو خطواته نحو الانتحار بعد ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ .

لقد انفضوا من حوله - وعندما جاء خلفه حسنى مبارك كان مدركا ذلك جيدا .

ولكن من انفضوا عنه لم يكونوا بعض رجاله فقط . بل كان هناك أيضا الولايات المتحدة . . . واسرائيل . . . كما سنرى على هذه الصفحات . . .

بداية النهاية

أن من بين الأخطاء والحقايق الكبرى التي ارتكبتها أنور السادات .. هو استبساله في الدفاع عن عثمان أحمد عثمان .. بحيث قلب مؤسسات الدولة إلى تكدأ وعزب .. يتصرف في تشكيلها كما يريد كما ظهر في سطوته في طرد المرحوم الأستاذ أحمد فرغلي عضو مجلس الشعب وزميلنا في روز اليوسف من قبل .. بسبب الكتاب الذي كتبه عثمان ضد جمال عبد الناصر .. وتصدى أحمد فرغلي ببسالة ضد الكتاب ومؤلفه فأثار حفيظة عثمان ثم أنور السادات نفسه .

وجاءت الفرصة عندما عقد المرحوم أحمد فرغلي المؤتمر الصحفي الذي انتقد فيه النظام وأشار إلى إشاعة اغتيال خالد محيي الدين .. ففصلوا أحمد فرغلي من البرلمان .. وهذا طبعاً بإيعاز ومباركة أنور السادات وكانت هذه القصة واحدة من المسائل التي عجلت بنهاية أنور السادات لأنه بذلك كان يهدم الحياة البرلمانية ويوسع دائرة خصومه علاوة على تصغير مكنته وطمس كل عمل جيد عظيم مثل حرب أكتوبر .. أو الاجراءات التي اتخذها بالنسبة لبذر بذور للديمقراطية ..

وعندما أحس السادات أن المثقفين والصحفيين بدؤوا يهاجمونه كرد فعل لاشعاليه الحرب ضدهم دون أن يحاول قط أن يلتقي بهم وسط الطريق اذ أخذ يشتمهم في خطبه .. ويسميههم بالأراذل والأفندية « إلى يستخدموا مياه ساخنة » وحاول تاليف الرأي العام ضد الصحفيين فزعم أن الصحفي المتوسط يحصل على مرتب ٤٠٠ جنيه في الشهر .. بينما هو في الحقيقة لم يكن يزيد عن ١٠٠ أو ١٢٠ جنيه أيامها .. مما اضطر حتى الأستاذ موسى صبرى صديق أنور السادات للرد على تلك النقطة وتوضيح الحقيقة للرأي العام .. وازداد سخط المثقفين على أنور السادات ..

وأؤكد هنا .. انه ليس بسبب سياسة السلام مع اسرائيل وانما لمواقفه المتصاعدة ضد الحريات .. وكن يثير السخرية معايرتهم بأنهم يعيشون فى أعطاف النعيم (وهذا طبعا غير صحيح) .

بينما هو أى أنور السادات فى الحقيقة كان يرقل فى أعطاف النعيم كما تقدمه مجلة بارى ماتش وغيرها بل هو كن يشهد بذلك ويحمد الله ويثنى عليه فى اليوم عشر مرات .. وكانت النتيجة أن زادت عزلته عنهم وبدأ المثقفون يسخرون ويتشفون فيه بالاستماع الى الأشرطة التى بدأت تظهر حيث يقلد بعض الناس صوت أنور السادات فى أحاديثه وخطبه . كما أنه بدأ فى الأفق أن السادات بدأ يخف الثقافة أو لا يكثر بها وأتى بوزير من أصل اقطاعى وزيرا لها .

فى نفس الوقت لم تؤدى حملة أنور السادات ضد الصحفيين والمثقفين الى عزلهم عن الشعب بل ازدادوا بهم التصاقا وازدهرت ظاهرة هجرة الصحفيين الذين يعملون فى الخارج وفى الجرائد الخارجية وتصدر مقالاتهم ضده ويتردد صداها هنا فى مصر .. ومن كان يسافر الى الخارج يأتي معه بأعداد هذه المجلات .. ونسخ منها تطبع وتوزع على الناس .. وأصبح لكل كاتب رافض يقيم فى الخارج .. قيمة كبيرة جدا له هنا فى مصر .. لأن كلامه جعل أنور السادات نفسه يشن حملة عليه فازداد العطف عليهم بين الناس خصوصا عندما طالب بطردهم .

وقد دافعت أنا عن هؤلاء الصحفيين بالرغم من أنهم كانوا يشتمونى شخصيا .. ولكنى كنت أرى .. أن من حقهم التعبير عن رأيهم عن سياسة مصر سواء داخلها أو خارجها ما دام أنهم لا يستطيعون التعبير عن رأيهم فى صحف الداخل . وكنت أرى أن الناس الذين يعارضون كامب ديفيد أو السلام مع اسرائيل .. لو نشروا رأيهم لما حدث شئ فقد كن شعور الشعب من أجل إبرام اتفاقية سلام مع اسرائيل كبيرا .. وعلى أى حال كما قلنا أن الشعب هو الذى يقرر ومن حقه أن يسمع كل الآراء . وكان رأى هذا مطابقا لآراء صحفيين آخرين من أنصار السلام ومؤيدى سياسة السادات .

وكانت ديكتاتورية السادات تتطابق مع مصالح الطبقة الطفيلية الجديدة المعادية للديمقراطية فشجعته على ذلك المنهج وضخمت له ذاته أكثر مما ضخما هو بجانب تضخيم الغرب له .. وأدركته بسياسات العناصر الانتهازية « والمطيبياتية » والمتسلقة فاودت به باختصار الى التناقض والتصادم مع كل القوى السياسية فى مصر يمينا ويسارا مما تسبب فى مصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ وسط ترسانة الجيش المصرى كله . أما الافتتاح الاقتصادى .. فقد حدد أنور السادات فى ورقة أكتوبر وغيرها من الوثائق أنه يهدف الى أن يكون انفتاحا انتاجيا كما رأينا من قبل .

ولكن الذى حدث بعد ذلك أن الانفتاح تحول الى انفتاح استهلاكي .. واندمجت الطبقة الجديدة التى نشأت فى معظمها من الحثالات فى طريق الكسب السريع على حساب خراب الاقتصاد المصرى واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء .. وبعد أن كان أنور السادات يشن حملات ضد الطبقة الطفيلية والسماصرة والوسطاء سكنت عليها ... بل انتقل من مرحلة الصمت الى مرحلة التشجيع برفضه تصديق أن هناك بليونيرات فى مصر وبعلان بهيجته أن مصر قد ارتفع سعر (الأرض فيها أولاد) وأطلق أيدي اللصوص والنهابين وسمح لكثيرين منهم بدخول الحزب والبرلمان والحكومة قاتلاً كل واحد يكسب كما يشاء على شرط أن يدفع استحقاقات الدولة أى الضرائب وبالطبع لم يكن أحد يدفع بل أغلبهم يتهربون من الضرائب !

وفى البداية كان السادات يعتبر أن السماح بحرية رأس المال يطمئن الأمريكيين على نواياه فيساعدونه فى تحرير الأرض كما يطمئن الرأسمالية على اخراج مدخراتها للاستثمار كما أشرنا من قبل لكن بعد ذلك أصبح الانفتاح دولة مستقلة تشكل قوة ضاغطة ثم مسيرة وموجهة لنظامه هو فاستسلم تماماً حتى حدثت الكارثة ..

وبلغت حساسية السادات ضد حرية الرأي مبلغاً شديداً .. إذ كان يمثلوا الأغنياء الجدد فى السلطة يثيرون نائرة السادات ويستعدونه كل يوم وبهـسبون الزيت على النار ويخترعون ويلفقون القضايا والتحريضات ضد العناصر المعارضة كما حدث فى قصة سفارة بلغاريا المشهورة التى انتهك فيها كل الأعراف الدبلوماسية ثم قضية (التفاحة) الفجة التى اتهم فيها عشرات الشرفاء والمناضلين اتهامات بظلة سخيفة مثل التآمر والتجسس ... وضاع صوت العلاء الداعين للتهدة والحوار .. وكسبت المعارضة ارتباطاً أوثق بالجمهير وبالذات الحزب الجديد القديم الوفد الذى لم يعطه السادات الفرصة للعمل السياسى اطلاقاً وكذلك التيارات الدينية على اختلافها بينما حصل حزب اليسار على أكثر بقليل من ٤٪ من أصوات الناخبين فى أول انتخابات بعد مصرع السادات وهو الحزب الذى قاد ومارس النضال ضد الساداتية باصرار وثبات ..

وكما قلنا كان أغلب جلساء السادات خاصة فى الفترة الأخيرة من عناصر اليمين التى كانت تعمل فى جهد حثيث للوصول بالبلاد الى ديكتاتورية تاتى بكوارث .. وكانوا يشجعونه على عدائه للييسار فقد كانت الحملة ضد اليسار هى المظهر الأساسى للحملة ضد الديمقراطية .. ومن أبرز هذه العناصر عثمان أحمد عثمان ..

كنا فى رحلة مع أنور السادات وذهبنا الى السعودية ودول الخليج
وذهبنا لأبو ظبى حيث قابلت الأستاذ محمود السعدنى وكان رئيس نح
جريدة الفجر هناك الذى استقبلنى بحرارة فقد كنا أصدقاء وزملاء
المعتقل أيام عبد الناصر .

واصطحبنى محمود السعدنى لمقابلة عثمان أحمد عثمان فى دار الضيف
حيث كان مرافقا للسادات . روى لى محمود السعدنى بعد خروجنا . .
عثمان قال له . . اية الى خللك تجيب الواد الشيوعى ده ولكن محمود السعا
سأله فى دهشة ساخره : أنا الى جبته يا عثمان ؟ . . انتم الى جبته مع
فى الطائرة . . ده انت ورئيس الجمهورية الى جايبينه اا فرد عليه عث
وقال له . . لا انت جايبه هنا ليه الأشكال دى لا نريدها . . كان مح
السعدنى يتكلم مع عثمان بدون كلفة بحكم صداقتهما القديمة التى
عثمان والحق يقال وفيها له فيها فى أزمته وهذا يتطابق مع ما ذكرته
السيدة جيهان السادات من ان عثمان كان يحرض أنور السادات
الشيوعيين « وضربهم بالجزمة » . . وكذلك العرب المعارضين له
وهكذا . .

... والمعروف أن عثمان أحمد عثمان هو من حمل لواء الدعوة ضد
المستأجرين الغلبة لصالح ملاك العقارات منذ بداية تولية وزارة الاسكاز
ودعى الى أن تنفض الحكومة يدها من بناء المساكن ووضع قوانين للاس
تطلق يد القطاع الخاص مائة فى المئة فرد عليه صلاح حافظ فى روزاليوس
فى مقال قال فيه لعثمان . . « انه يصلح مقاولا ولكن لا ينفع وز
سياسيا » . . وكان عثمان زعلان من المقال . . وفى طائفة الرئيس
هناك عبد الرحمن الشرقاوى وبينما نحن عبد الرحمن وأنا جلوس
بالرئيس يمر علينا فى طرقة الطائفة ويقول لعبد الرحمن : يا عبد الر-
أقعد شوية مع عثمان لأنه زعلان شوية . . فقلت لعبد الرحمن بعدها
الى أقعد مع عثمان أنت راجل كبير لا تقعد معاه . . أنت تقعد مع الرئيس
لكن ما يصحش انت تتكلم مع هذا الرجل الذى سيودى السادات
داهيه !!

تجمعت عدة ظواهر . . قبل حادث المنصة . . قبل ٦ أكتوبر
أو بالاحرى قبل الخطوة المباشرة للطريق الى ذلك الحادث المروع
خطوة اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ . . نقول تجمعت عدة ظواهر تشير بوض
الى أن النهاية وشيكة . . نهاية عصر السادات . .

وهى نهاية لعب أنور السادات فيها الدور الأساسى بحيث يركز

يقال دون أية مبالغة أنه أي السادات قد سار إلى حتفه بظلمه عامدا متعمدا
في حماقة منقطعة النظير ١٩

من النادر جدا في التاريخ أن (ينتحر) حاكم كما (انتحر) أنور
السادات . . . وهو انتحاز فعلا لأن كل شيء كان واضحا أمامه . . . الطريق
الخطأ . . . والطريق الصواب . . . وكان هناك قدر هائل من النقد لسياسته
عن طريقة الكتابة والإذاعة بجميع لغات العالم . . . كما كان هناك من
يبصره بخطأ ما يفعل . . . ومن هؤلاء أهل بيتة أنفسهم بصرف النظر أن
بعضهم مسئول عن بعض أخطاء السادات وطريق النهاية والذي سار إليه
كما لو كان عن عمد وإصرار .

لقد بدد رصيда هائلا له . . . وأدار ظهره لقضية هي التي مكنت له
في الحكم ونصرته على تيار مسيطر على العالم العربي كله عشرين عاما . . .
وهي قضية الديمقراطية التي كسب بها كل الأوراق . . . وبدأ يتجه اتجاهات
انتقامية ضد الشعب نفسه الذي مكن له في الأرض . . . وصفق له وحياة
لمعاركة المجيدة في إعادة سيادة القانون . . . وحرب أكتوبر . . . وعقد اتفاقية
السلام . . . والسماح بعودة الأحزاب فانقلب عليه يكبله بقوانين متشنجة
هروعة كان بينه وبين الناس ثارا ١١ . . .

بمناسبة ما كانت تقوله جيهان السادات عن أعضاء أنور السادات
أنا أذكر أنه عند عودته في شهر يوليو أو أغسطس من أمريكا قبل مصرعة
بشهرين أو ثلاثة أشهر وكان قد اجتمع هناك بالرئيس الأمريكي وعقد في
مصر المؤتمر الصحفي الذي ثار فيه على الصحفي الذي سأل هل اتفقت مع
الرئيس ريغان ضد الجماعات الإسلامية في ١٩٨١ ؟ السيدة جيهان أيامها
كانت تقول لي أن السادات فقد أعصابه تماما بعد عودته من أمريكا لماذا ؟
لأنه أحس أن الولايات المتحدة تخلت عنه تماما فلا هي تقبل الضغط على
إسرائيل لحل قضية النزاع في الشرق الأوسط ولا هي موافقة على حل
المشاكل المالية المتعلقة بيننا وبين الولايات المتحدة . . . وهو كان عصبيا أيضا
لأن إسرائيل خذلتة أيضا . . . فبعد توقيع معاهدة السلام ظهر أن إسرائيل
تملصت من تنفيذ الشرط الثاني في اتفاقية كامب ديفيد وهو الجزء المتعلق
بالحكم الذاتي للفلسطينيين عندما استحدثت حكاية الحكم الذاتي للأفراد
وليس للأرض إذ أدركت أن حكاية الحكم الذاتي كان يفهمها أنور السادات
على أنها ليست إلا دولة فلسطين بلا اسم وأصبحت عصيبة أنور السادات
حائلا بينه وبين من يريد أن يتحدث إليه بحرية . . . فكان إذا أراد أن يتكلم
معه كان يتحسس الموضوع ويلف حوله حتى يستطيع أن يفتحه . . . وتولد
لدى السادات كما قالت السيدة جيهان احساس أنه مخدوع وأن الاسرائيليين
بدأوا يتصرفون بغير أمانة معه .

وكانت أكثر المسائل بروزا في الموضوع هي ضرب إسرائيل للمفاعل الذري العراقي بعد زيارة بيجين له عام ١٩٨٠ ففسر أن هذه كانت خدعة كبرى له إذ فهم الرأي العام بأن الرئيس يسكت أو يبارك ضرب المفاعل الذري العراقي كما أن كل التخطيطات المصرية بالنسبة لاستكمال حل المشكلة الفلسطينية كانت قد تجمدت ووصلت إلى طريق مسدود وكان واضحا تماما أن أنور السادات كان عاجزا عن المضي خطوة واحدة إلى الامام . وكان كل الذي ينتظره هو جلاء القوات الاسرائيلية عن سيناء في ابريل ١٩٨٢ وكانت يثير توتره وقلقه احتمال أن الاسرائيليين في آخر لحظة يتملصون أو يتهربون من تنفيذ الجلاء تحت أى حجة وبدلا من أن يدفعه ذلك إلى الاعتماد على الجماهير أكثر ويحسن من سياسته الداخلية مع الناس ويتواءم مع القوى السياسية المختلفة ، كان يدفعه بالعكس بكل قوة وطيش وحماقة ضد كل القوى السياسية لمجرد أى معارضة . وكان ظاهرا جدا عندما حل مجلس الشعب لوجود خمسة عشر معارضا فيه أنه يخشى من أن أى معارضة يمكن أن تؤدي إلى حدوث تراجع اسرائيلي عن الانسحاب من سيناء وقد دفعه هذا الخوف إلى التلميح إلى نوايا غريبة على السياسة المصرية مثل الاعلان عن الاستعداد لاقامة نوع من التعاون مع الولايات المتحدة واسرائيل وكما لوح أنه ممكن أن يلتحق بحلف الاطلنطي ١٩ مما قوى من بشوكة المعارضة ضده وبدا أن الجلاء عن سيناء ثمنه فادح جدا وهو ضياع استقلال البلاد وربطها بالحلف العسكرية وهو ما ناضلت ضده مصر طويلا . لكنني اعتقد أن السادات لم يكن جادا في اعلاناته هذه عن مثل هذه الأمور بل بالعكس أن الأمريكان ما كانوا يستطيعون أن يثقوا بهذا الرجل ويتساءلون ماذا سيفعل بعد أن تجلو القوات الاسرائيلية من مصر بعد المقلب الذي « عمله » بقيام حرب ١٩٧٣ وأيضا المقلب إلى « عمله » مع الاتحاد السوفيتي بالنسبة للخبراء عام ٧٢ . هذا الانقلاب السياسي الذي كتبت جريدة ايطالية أيامها تعليقا على طرد الخبراء السوفيت أن علي دول حلف الاطلنطي أن تفكر مرتين في التعامل مع هذا الرجل بعد ما أظهره من غدر بأصدقائه السوفيت اللذين قدموا له كذا وكذا . . . الخ .

وشواهد الحال كانت توضح أن السادات طوال الوقت . . . كن متوترا باستمرار وكلما كان البعض يكلمه عن الافراج عن المعتقلين بعد سبتمبر . كان يقول بعدين نشوف وأنا أذكر أن الوزير النشط حسب الله الكفراوي قال لي أنه فاتح السادات مرة أن اعتقال عدد من الناس تم بطريق الخطأ وبدون وجه حق وقال ان السادات نظرا اليه وهو يتنهذ : فات الألوان يا حسب الله خلاص إلى حصل حصل . . وقال انه كان يقولها بطريقة ندم . لكن على أى حال نحن أمام الموقف الواضح وهو أن السادات

ارتكب خطأ العمر في حملته سنة ١٩٨١ على كل من هو سياسى . بل انه لم يراعى حتى اعتبارات كان حتما أن يراعيها مثلا اعتداؤه على حرمة الكنيسة والمنصب الدينى الكبير وشبه المقدس لبطريك الاقباط وتحديد اقامته فى الدير وفرض من يحل محله . . هذه جراءة لم تحدث من قبل فى تاريخ مصر الحديث وتشكل أسبابا وليس سببا واحدا للفتنة الطائفية .

مثل آخر اعتقاله لنجل الأستاذ المرحوم احسان عبد القدوس . . الأستاذ محمد عبد القدوس الذى ينتمى للتيار الدينى وليس ارهابيا بحال من الأحوال . . دون أن يرعى أن احسان قد ساعد على تهريبه من عيون البوليس أيام نضاله ضد الانجليز . . وأنقذ حياته وحرية . . وكان صديقه .

ومثل آخر . . اعتقاله لأكبر سياسى فى مصر لأكبر حزب فيها قاد الحركة الوطنية لأكثر من ثلاثين عاما . . وهو فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد القديم والجديد والذى كان السادات قد سمح للحزب بالعودة . . ثم تراجع . .

ومثل آخر وليس أخير . . اعتقال محمد حسنين هيكل . . رفيق جمال عبد الناصر . . ومهندس انقلاب السادات على رجال عبد الناصر والذى لعب دورا أساسيا فى انفراذه بالحكم فى ١٥ مايو ١٩٧١ . . ولم يكن هيكل متآمرا أو ارهابيا ! . .

النهاية ...

بعد اغتيال أنور السادات ٠٠ أجرت بعض الأجهزة بروفة لاسترجاع كيفية حدوث ذلك الاغتيال - وتكررت تلك البروفة أكثر من عشر مرات وتقدم كل مرة احتمالا آخر من احتمالات حدوث الجريمة ٠٠ مثلا : ماذا كان يحدث لو كان هناك حراس اماميون أمام المنصة ٠ أو ماذا كان يحدث لو كان هناك خلف الرئيس حرس ٠٠ أو على الجانبين ٠٠ فاكشف الباحثون والمراقبون بعد التجارب العديدة التي جرت في مكان مجسم للحادث نفسه أنه كان حتما مقضيا أن يقتل أنور السادات ٠٠ فهو قتل من جانب أحد المتآمرين من سيارة الجيش التي توقفت فجأة وكان الاحتمال الأكبر أنها تعطلت مؤقتا ٠٠ لم يكن هناك جدوى من زيادة الحرس أو وضعه من أمام أو من خلف ٠٠ فواضعو الخطة كانوا يضعون مثل ذلك الاحتمال ٠٠ ولذلك خططوا لقتله عن طريق فريقين ٠٠ فريق راكبي السيارات ٠٠ والفريق الذي غادرها ٠٠

كما أجرى عدد من الباحثين في بعض الأجهزة دراسات مفصلة عن ما هي الأسباب المباشرة التي أدت الى تصاعد التناقضات بين السادات وخصومه ٠٠ بحيث حدث ما حدث بعد أن بلغ الاستفزاز لهُؤلاء الخصوم مداه ٠٠ وتهيأ المناخ السياسي والاجتماعي في مصر لحدوث مثل تلك الجريمة مما انعكس نفسه على المتآمرين فشجعهم ٠ فواحد من أسباب اندفاع الارهابي أحيانا لارتكاب جريمته هو احساسه أن الناس تكره من يريد اغتياله أو ستقف موقفا سلبيا ٠

وبعد دراسات ومناقشات طويلة ٠٠ خلص الباحثون الى نقاط عديدة ٠٠ أهم نقطتين فيها هما نقطتان :

النقطة الأولى : أن واحدا من أسباب تصاعد الصراع بين السادات وخصومه هو شتائمه واتهاماته القاسية بعبارات حادة ضدهم ٠٠ فهو تارة ينعت بعضهم بأنهم عملاء ٠٠ ويتوعدهم بالويل والثبور ٠٠ وأنهم أفندية وخونة ٠٠ وملاحدة ٠٠ ومرة أخرى أنهم دجالون ٠٠ وملقون كالكلاب داخل السجون ٠٠ الخ ٠٠

والنقطة الثانية : أن سببا آخر من تصاعد الصراع مع أغلب الدول العربية هو رده على الشتائم والاتهامات التي كانت توجه له على طريقة رد التحية بأحسن منها ٠

فأثار ذلك التوتر ضده وساعد خصومه العاملين في الاعلام بالذات على ترويج بضاعتهم ضده ٠٠ وتضاعفت الشتائم ضده مما اثر في سمعته وقلل من مركزه وهيئته ٠٠ وبدا كأن قامته كقامتهم يتبادل معهم المهاترات والسباب ٠٠ وليس رئيس جمهورية يكتفى باطلاق عدد من الكتاب طويلى اللسان ليردوا على أمثالهم من طوال الألسنة على الجانب الآخر ٠٠

وانتهى الباحثون الى اقتراح محدد يتلخص في كلمتين ٠٠ أو أربع هي :

لا شتائم ٠٠ لا رد على الشتائم ٠

لا شتائم للمعارضة والخصوم السياسيين حتى لو تجاوزت الحدود ٠

ولا شتائم لأى بلد عربى حتى لو سلط اعلامه ضد رئيس الجمهورية شخصا ٠ ويمكن أن يوكل بمهمة الرد لكتاب من كتاب النظام ٠

والحقيقة أن أنور السادات كان خصومه قد نجحوا الى اجتذابه الى ساحتهم وميدانهم هم ٠٠ وبأساليبهم هم ٠٠ فاندفع يخطب في كل مكان يشتم خصومه حتى دولة كبرى مثل الاتحاد السوفيتى ٠٠ ويسخر ويتفكك بما يعتقد أنه سلبيات هنا وهناك ٠٠

وبدا في كثير من خطبه غاضبا ناقما وهو يتكلم بالذات عن الصحفيين الذين يهاجمونه خارج مصر ٠٠

ويكفهر وجهه وتبرق عيناه وتجحطان كلما جرى حديث حول ١٨ و ١٩ يناير حتى أصبح سهلا على من يريد أن يثيره أن يفتح الموضوع ٠٠ ويتحول الأمر الى كارثة اذا ما وصفها بأنها هبة شعبية ١

أما الدول العربية ٠٠ فقد كان يستغل مواهبه السابقة كصحفى للرد عليها بنفس اساليبها الخارجة عن الحدود ٠

ولم تكن هناك حاجة الى ممارسة هذا الاسلوب من جانب رئيس الجمهورية ٠٠

فقد كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير قد ولت وانقضت وهو الذى كان يذكر الناس بها وكذلك القوى السياسية ٠

وكان الشعب فى معظمه كما ذكرنا من قبل يؤيد سياسته فى حل التناقض التاريخى مع اسرائيل ٠٠ الا أن أنور السادات كان يتصور أنه لو ترك الحرية لناقديه فى هذه السياسة من جانبه سيكسبون الجماهير وبالتالي ينتصرون عليه ويفشلون سياسته ٠٠ مع أن هذه الحرية لو تركت لهم لما كسبوا الجماهير ولا هم يهزنون ٠٠

وأية ذلك أنه بعد اغتيال السادات مباشرة انفجرت فى مصر وفى العالم العربى حملة شغواء على كامب ديفيد وصانع كامب ديفيد ٠٠ ومع ذلك لم يستنكر الشعب المصرى كامب ديفيد وكان يوسع أن يفعل ذلك ٠٠ وكذلك لم ينجح خصوم سياسة السادات أن يحشدوا الرأى العام العربى ضد تلك السياسة ٠٠ بل أن الذى حدث كما أوضحنا من قبل أن الناس قدموا من كل فج عميق يؤيدون سياسة السادات بعد ١٣ عاما من مصرعه !

لقد راح السادات ضحية مبالغته فى قوة وتأثير خصومه ٠٠ وأيضا نزعاته الديكتاتورية التى كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير هى الفرصة التى تحيبتها تلك النزعات فظهرت على السطح سافرة عارية ٠٠ فما كان للسادات فى تاريخه ديمقراطيا أو ذا نزعات ديمقراطية ٠٠

فهو كان من خطأ وجهل جسيمين يؤيد أكبر ديكتاتور ظهر فى تاريخ العالم (هتلر) وتطوع للعمل لحسابه تصورا منه أن ذلك نوع من النضال الوطنى لتحرير مصر من الانجليز ٠٠

وأنور السادات اعترف بأنه كان معاديا لاقامة نظام ديمقراطى فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو عندما قال أن عبد الناصر كان الوحيد بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى دعى الى اقامة نظام ديمقراطى ٠٠ بينما صوت باقى أعضاء المجلس مع اقامة الديكتاتورية ٠

(وقد عرف بعد ذلك أن خالد محيى الدين ويوسف صديق صوتا أيضا مع الديمقراطية) ٠٠

حتى الوضع الإقتصادى وقتها لم يكن يخيف كثيرا إذا ما كان قد سمح للناس بحرية التعبير ٠٠ فقد كانت هناك سنوات الانفتاح الأولى التى

أحدثت انتعاشا ٠٠ كما أن الألوف من المصريين كانت قد تفتحت أمامهم أبواب العمل في البلاد العربية ٠٠

ولقد أخطأ السادات خطأ رهيبا باعتقاله كل القوى السياسية دفعة واحدة ٠٠ وبدا للجميع كما لو كان قد اقتلع حواشي لفننة الطائفية ليضع كل تلك القوى في المعتقلات ٠٠ أي أنه حارب في عدة جهات في وقت واحد ولم يفهم الشعب المصري كيف يضرب النظام كل الناس رغم أن الأغلبية الساحقة منهم لا تنتمي إلى أحزاب ٠٠ إنما شمول الضربة لكل القوى جعل الناس يحسون أن الضربة موجهة لهم كلهم ٠٠ لمصر كلها ٠٠

ولم يقتصر أثر هذه الشمولية في الضربة ٠٠ على داخل مصر ٠٠ بل تعدى الأمر لخارج مصر ٠٠ وقد كنت في رحلة في فرنسا وبلجيكا وهولنده وإيطاليا أيامها ٠٠ ورأيت كل صحف الغرب تندب بما فعله السادات ويفقد بذلك جزءا كبيرا من رصيده الذي حصل عليه بسبب معاهدة السلام ٠٠

وأصبح هناك شمولية في انتقاد السادات ٠٠ لم يعد الأمر بقاصر على قطاع اليسار العالمي ٠٠ بل والقوى الديمقراطية ٠٠ وأيضا معظمهم اليمين الأوربي ٠٠ وكذلك في الولايات المتحدة ٠٠ وأيضا في كل العالم الإسلامي والعربي ٠٠

والطريف أن أنور السادات قد أدهشه أن صحف الغرب وقفت ضد تلك الاعتقالات ٠٠

وقال في أسي كيف تهاجمني وأنا فعلت ما فعلت لصالح الغرب ؟! وكان يقصد أنه فعل ذلك لحماية معاهدته مع إسرائيل للسلام ٠٠ ومن الطبيعي أنه أمر يجب أن يؤيده الغرب ٠٠ فلماذا تهاجمه صحافته ؟!

لم يكن أنور السادات قد فهم بعد أن قطاعات عديدة في الغرب بدأت تسام أسلوبه وصداماته في كل مكان حتى أصبح البعض يقولون أنه لم تعد هناك فائدة منه ٠٠ فقد حرق نفسه وكباريه في العالم العربي ولم يعد له دور جديد ينتظره ٠٠

لقد فشل تماما في جذب العرب إلى شيء مثل كامب ديفيد الذي جوهه الصلح مع إسرائيل ٠٠ ولا ينتظر أن يتقدم خطوة في هذا السبيل ٠٠

لم يفهم أنور السادات أنه لحماية نفسه من انقلاب الغرب عليه ٠٠ واحتمال أن يضحي به أنه يجب بعد تحقيقه للسلام أن يركن لشعبه ويعتمد عليه ويعقد هدنة ومصالحة مع كل الأحزاب السياسية أو بعضها وحتى لو رفض التيار الديني أيامها تلك المصالحة فقد كان يمكن عزله بالاتفاق مع الوفد واليسار والمنظمات النقابية والمهنية وكل التنظيمات في مصر ٠٠

ولكنه بالعكس .. عاد من الولايات المتحدة يحمل العصا يلهب بها
ظهر الديمقراطية ويتنكر لقاعدة أساسية من قواعد حكمه طالما كررها وأشاد
بها .. وهى قاعدة رفض فتح المعتقلات من جديد .. فقد كان يباهى الأمم
أنه يرفض مبدأ الاعتقال ويحذر الشعب من تكراره .. وبالفعل ظلت مصر فى
عنده حوالى عشر سنوات لا تعرف طعم الاعتقال إلى أنْ نكص على
عقبه فاعتقل زهرة المفكرين والسياسيين والنقابيين فى مصر ١٠

وبالفعل وجدت كل القوى السياسية نفسها فى صف واحد فى مواجهة
حكمه .. والحجة التى يقدمها أنصار السادات لتبرير حملة سبتمبر ١٩٨١
أنه كان يخشى أن تتعلل إسرائيل بأى تحرك معارض لاتفاقية السلام فترفض
الانسحاب والجللاء بحجة أن الشعب المصرى يرفض تلك المعاهدة والنظام
عاجز عن اقناعه بها ..

وهى طبعاً حجة بلهاء .. ففى إسرائيل نفسها كانت هناك حركة
نشطة ضد اتفاقية كامب ديفيد ومع ذلك لم تتعلل الحكومة الاسرائيلية بذلك
الحركة لالغاء الاتفاقية أو لعدم توقيعها من البداية حيث نشأت المعارضة
منذ بدء المفاوضات من أجلها ..

وهى بلهاء لأنها تتجاهل أن حركة الاعتقالات كانت تتويجا لسياسة
مستمرة « متطورة » دائماً من جانب أنور السادات منذ ١٨ و ١٩ يناير
١٩٧٧ لتقييد حرية الشعب وأن تبرم السادات بحرية الكلمة كان يزداد يوماً
بعد يوم بجانب احساسه بتضخم الذات وأنه نبى السلام فى المنطقة تقريباً
.. فكيف يجرؤ أحد على معارضته ..

ويبدو ان أنور السادات كان يقلقه أحياناً من الداخل أنه لم يصل
إلى منزلة جمال عبد الناصر فى نفوس الناس من حيث الحب والمهابة
والزعامة .. اذ اذكر أنه قال لى مرة فى معرض حديثى عن حرب ١٩٧٣
.. انتم يعنى قاعدين مدح فى جمال عبد الناصر .. رغم انه هزم عام
١٩٦٧ .. لكن لا أرى هذا المدح لحرب أكتوبر وهى الانتصار الوحيد
للعرب من أيام بيقولوا صلاح الدين ١٠

ومرة قال لى .. بعد أن كانت هناك اشاعات عن مسئولية اليسار
فى مظاهرات حلوان فى يناير ١٩٧٥ .. معقول انكم تخلوا الشعب يقف
ضدى .. هو أنا ولا جمال عبد الناصر ..

وأردف قائلاً :

— والله عبد الناصر كان عمل لهم كفر الدوار ثانية ووضع نصقهم فى
اللوامان !

كان يقض مضجعه ويثير أعصابه أنه لم يبلغ منزلة عبد الناصر ..
وهو قد عاش عصر عبد الناصر حيث كانت الكلمة محبوبسة .. ولم يكن
أحد يستطيع قط أن يشير ولو تلميحاً لنقد من أى نوع لآى تصرف لجمال
عبد الناصر .. بينما العشرات كانوا ينقدون سياسة أنور السادات ..
حتى أنور السادات نفسه عاش ١٨ عاماً مكبوتاً لا يستطيع الإعلان عن رأيه
لو كان معارضاً لجمال عبد الناصر ولو فى جريدة حائط ..

لذلك كان الطريق سهلاً ومغرياً أمامه .. ليضيق صدره بالكلمة ..
وحرية التعبير ..

تأمل كلمات السادات وهو يقول فى أعقاب ١٨ و ١٩ يناير مشيراً
إلى « سلوك » اليسار فى تلك الأحداث ، وهو السلوك الذى اعتبره موجهاً
ضده ..

أنا الذى سمعت لهم بحزب سياسى على لأول مرة .. وعبد الناصر
هو الذى سجنهم وعذبهم وأجبرهم على حل حزبه .. مع أنه لا يوجد
حزب شيوعى فى العالم حل نفسه أبداً .. وفى نهاية المطاف يهيجوا الناس
ضدى .. ساوريهم أياماً لن يزوا مثلها اذن ..

كان السادات يكرر كلاماً كهذا .. مرات عديدة فى خطبه وهو يتكلم
فى مرارة وحرقة شديدة حتى بات واضحاً أن المسألة كما لو كانت تارا
شخصياً ..

كان هنا متأثراً بحساسيته الذاتية أيضاً بجانب العوامل الموضوعية
الأخرى .. وجاءت الكارثة الكبرى عندما قام بالمبادرة وعمية السعى من
أجل السلام ..

لقد نصب له الغرب كمينا هائلاً .. عندما استخدم معه نفس أسلوب
المستعمرين القدامى الذين كانوا يبهرون شعوب أفريقيا بالخرز الملون
والملابس المزركشة .. بالتلفزيون والصحف .. وكبار القوم (وكان
السادات يسعد كثيراً بمعرفتهم ويخلع عليهم لقب صديقى فى تلذذ شديد
وقارن بين أصدقاء عبد الناصر من الغلابة مثل نكروما وسوكارنو
وسيكوتورى وأصدقاء السادات من جيسكار ديستان وكارتر والورد فلان
وعلان ..) ..

حصار شديد قامت به وسائل الاعلام الغربية لخلق القاب وصفات
البطولة والشجاعة والبراعة على أنور السادات .. طبعاً بجانب زفة
وسائل الاعلام المصرية ..

• ودعوات ليخطب هنا وهناك في برلمان كندا ومؤتمر كندا في أوروبا • •
• وأمريكا • • بل قيل في وقت من الأوقات أن السادات لم رشح نفسه رئيساً
للولايات المتحدة لنجح أمام المرشحين الأمريكيين لحما ودما • •

والحقيقة أن السادات قد اكتسب شعبية كبيرة في أوروبا وأمريكا • •
فقد كان أول زعيم عربي يتحرك جدياً نحو السلام مع إسرائيل بجانب
مصلحة الولايات المتحدة والصهيونية العالمية في إبرام ذلك السلام
والاعتراف • • بالدولة الإسرائيلية • •

وأود هنا أن أؤكد أن سعادة الولايات المتحدة والصهيونية بإبرام
سلام مع إسرائيل ليس معناه أن ذلك السلام ضد مصالح مصر وشعب
فلسطين • • بل أنه من صميم مصالحهما • • وقد تلتقى مصلحة الاستعمار
مع مصلحة الشعوب جميعاً في وقت من الأوقات حول قضية معينة كما ظهر
ذلك مثلاً في مواجهة النازية • • وكما يحدث كثيراً عند التقاء مصالح دول
استعمارية معينة بعمليات نزع السلام وإقرار السلام العالمي • • وهكذا • •

لكن المشكلة أن السادات قد سكر بخمر الدعاية الغربية الهائلة
الكفيلة بإفساد زعماء كثيرين من دول العالم وتضخمت ذاته أكثر • • وبدلاً
من أن يمتلئ بالثقة ازداد إحساساً بالذات وضاق بكل حكمة • •

وعندما نتحدث عن اغتيال السادات • • فنحن سنتعرض لبعض
الملاحظات حول هذا الموضوع • •

لا شك أن الإعلام المصري يتحمل مسؤولية كبرى في التعجيل بنهاية
أنور السادات • • وأقصد بالدرجة الأولى الصحف • • فالإذاعة والتلفزيون
جهازان حكوميان مثلهما مثل أي إدارة حكومية تخضع مباشرة للتعليمات
بصرف النظر عن الهزل في بعض تلك التعليمات • •

وهل هناك هزل أكثر من إذاعة رسالة السيدة جيهان السادات
للماجستير في التلفزيون على الملايين على شاشة التلفزيون كأنما هي
« فتح لعا » دون أكتراث بأن هناك آلاف من أصحاب رسالة الماجستير
والدكتوراه • • يعرضون رسالاتهم كل يوم أمام حضور لا يتجاوز عددهم
بضع عشرات • •

وتحضرني هنا واقعة • • أن منصور حسن وزير الإعلام حينذاك لفت
نظر السادات إلى الخطأ في إذاعة مناقشة الرسالة • • فقال السادات
أذهب وقل لها أنت ذلك • •

وأنذيت وأحدث ذلك أثراً سيئاً جداً بين الناس وبالعكس كانت فرصة
لأثارة لغط على نطاق جماهيري بأنها رسالة مزورة أو مصنوعة من بعض

الاساتذة للهانم ٠٠ والمرء يدهش حقا كيف يصاب بعض القادة فى احيان معينة بالعمى السياسى الى هذه الدرجة بحيث لا يدركون رد فعل بعض اعمالهم بنتائج عكس ما يريدون على خط مستقيم ٠٠

نعود الى الصحف ٠٠ انها جميعا بأركت فى حماس شديد حملة السادات فى سبتمبر ٠٠ ووصفها البعض بأنها ثورة ٠٠ وفرسان التأييد فى تلك المرحلة ظلوا فرسان الصحافة المصرية القومية حتى يومنا هذا ٠

هنا سيثور سؤال ضخم ٠٠ ماذا اعمل انا كرئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية او رئيس تحرير صحيفة ٠٠ تابعة للنظام باعتبارها صحافة قومية اذا كان رأس النظام يطلب منى أن أؤيد سياسته فى امر خطير كهذا ٠٠

اذا انا وافقت كان بها ستمضى الأمور واطل «راكبا» مقعدى ٠٠
واذا لم افعل فانى سأنهى من ذلك المنصب وافقده ٠٠

والواقع انه اذا سلمت بتنفيذ ارادة النظام والكتابة للدفاع عن قضية خاطئة ٠٠ حرصا على منصبى اذن انا هائن لأمانة الكلمة ولا افترق عن أى مأجور ٠٠ ما العمل اذن ٠٠

ان الوزير الذى لا يوافق على سياسة رئيس البلاد عليه ان يتنحى عن الحكم ليترك المكان لمن يقبل تطبيقها ٠٠

والوزير فى النهاية موظف ٠٠ لا يواجه الجماهير يوميا بالكلمة الموجهة اليهم لتنمية وعيهم والدفاع عن مصالحهم ٠٠ فالكاتب أكثر مسئولية مع الضمير والانسانية من أى موظف تنفيذى ٠٠ والكاتب هم اللذين أشعلوا الثورات ضد الظلم ٠٠ ان الكاتب الأمين على قضية شعبيه أشبه بالنبي البشرى ٠٠ أى أن الفرق بينه وبين النبى الحقيقى انه لم يرسل من السماء ٠١

ولقد استقال رجل ذو منصب عال جدا من منصبه عندما اختلف مع السادات فى سياسته ازاء اسرائيل وهو نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اسماعيل فهمى ٠٠

وبعد استقال رجل آخر ذو منصب عال وزميل وصديق تاريخى لأنور السادات لنفس السبب هو محمد ابراهيم كامل ٠٠

ان أى كاتب أولى منهما وهما موظفان تنفيذيان وليس كاتبان ذوى رسالة ان يسلك مثلهما ٠٠ والأرزاقي على الله كما يقولون !

اذن هذه ليست دعوة مثالية ٠٠ او خيالية بل هى حدثت فى مصر وفى

وفى عهد الملكية وفى العالم كله .. ومثل هذا السلوك الخاطيء الذى
سلكته الصحف القومية هو الذى يفقدها مصداقيتها .. ويرجع ذلك ايضا
الى النظام نفسه أنه لا يسمح بحرية التعبير .. ويمثل هذا تراكما ضده
يؤدى تضاعفه الى الانفجار ..

الملاحظة الثانية أن السادات فى صراعه ضد التيار الدينى الذى بنا
يتمرد عليه لم يسلك السبيل الذى كان مفروضا سلوكه لمواجهة مثل تلك
الاتجاهات الفاشية الارهابية وهو تجميع كل القوى الديمقراطية ضده ..
لو فعل هذا لكانت خريطة مصر السياسية قد تغيرت تماما ..

وكان ممكنا أن يتجاوز عن معارضة بعض تلك القوى لكاتب ديفيد ..
بل مثل ذلك التعاون كان سيخفف تلك المعارضة ، ويجعلها اقل حدة ..

لكن السادات بسياسته الطائشة .. قد جعل اليسار يتحالف مع
اليمن المتطرف وغير المتطرف .. فقد كان يضرب الاثنى عشر ضربا موجعا بل
اليسار اكثر رغم أنه لم يكن يستخدم قنبلة أو بندقية ..
وقد ظل اثر هذا التلاقى موجودا حتى يومنا هذا ..

ومن المهم هنا أن ننقل وجهة نظر أحد زعماء اليسار حول هذه
القضية عندما كنت أدير حوارا حول تلك القضية .. (كان ذلك قبل
اليسار اليسار العالمى) ..

نحن لا شك فى تناقض مع التيار الدينى ونرى أنه يمثل خطرا على
الديمقراطية والتطور الاجتماعى .. خصوصا أنه يملك سلاحا قويا هو
الدين يسهل التضليل به ..

ولكن كيف تريد منا أن نتحالف مع الحكومة وهى تضربنا كل يوم ..
وكأننى بهذا أتعرض للضرب من جهتين .. الحكومة ثم التيار الدينى ..

اننا اذا حاربنا التيار الدينى فما أسهل أن ينسف حزبنا .. ويقتل
أعضائنا كما تفعل كل الحركات الفاشية فى العالم .. بينما الحكومة
تطعننا .. بل ان الحكومة ستفرح أن التيار الدينى يصفينا جسديا ..
وستجد واحدا فيها أو خبيرا أمريكيا من مستشاريها السريين ينظرون
هذه العملية فيقول حسنا .. دع التيار الدينى يصفى اليسار لبقى هو
وحده فيسهل علينا القضاء عليه ..

وهو منطق معقول لا سبيل الى الرد عليه من جانبى على الاقل ..
ولعل هذا هو الذى جعل حزب الوفد يبدأ نشاطه السياسى
بالتحالف مع التيار الدينى « المعتدل » كما سماه .. رغم التناقض التقليدى
بين الاتجاهين ..

فقد حسبت زعامة الوفد الموقف هكذا ٠٠ اذ ثبت على الخط القديم وهو التناقض مع الاخوان ٠٠ فسيحاربوني وربما استخدموا الارهاب بدرجات متفاوتة ضدى ٠٠ بينما الحكومة تقربص بى ٠٠ وحتى اليسار فيه قطاعات كبيرة تتصور انى اى الوفد مبعوث العناية الالهية لتصفية ثورة ٢٣ يوليو وربما اعادة الملكية ايضا ٠٠ اذن ساضرب من جميع الجهات ٠٠ وانا فى مرحلة التكوين اريد ان اضع اقدامى على خريطة الحياة السياسية فى مصر ٠٠

ورغم ان الوفد قد خسر بهذه السياسة معظم اقباط مصر ٠٠ وكذلك آلاف العناصر الديمقراطية الليبرالية التى كانت تنتمى الانضمام اليه باعتباره حزب الليبرالية الوحيد فى مصر ٠ الا ان الوفد ما زال يرى ان السياسة التى اتبعها كانت صائبة ٠٠ والسبب ان الحزب الوطنى سواء فى عهد السادات او مبارك ما زال يخطط خط «الوحدانية» فى الساحة السياسية ٠٠ ويعتمد على نفوذ اعضائه من الطبقة الجديدة فى كل مكان ٠٠ وما اعطته اياهم قوانين الحكم المحلى من سيطرة على مقدرات الجماهير فى المدن والقرى والعزب والكفور !

الملاحظة الثالثة ٠٠ ان الارهابيين اللذين اغتالوا السادات قد اختاروا لحظة مناسبة كانت الجماهير ممزقة بين السخط والقلق والتوتر ضد سياسة السادات ٠٠ وكان قد فقد جزءا كبيرا من رصيده باخطائه المتتالية ٠٠ بحيث انه عندما قتل كانت جنازته عنوانا لوضعة الجماهيرى ٠٠ اذ لم تكن جنازة جماهيرية بحال من الأحوال وليس ذلك بسبب خوف رجال الأمن فقط ٠٠ وانما لعدم اهتزاز الجماهير بالحنن ٠٠

ولابد من الاعتراف بهذا رغم تأييدى لسياسة السادات فى قضيته الأساسية وهى السلام ٠٠ ولقد كانت الحياة تمضى عادية جدا على بعد كيلومترات قليلة من الجنازة ٠٠ كما لاحظ وسجل كل المراقبين الدوليين والمحليين ٠٠ حتى ان بعضا من خلصاء انور السادات من الصحفيين مثل الاستاذين انيس منصور وابراهيم سعده ٠٠ انتقدا اخطاءه بعد ايام قليلة من مصرعه !

ومن الطبيعى انه مما يؤكد قيمة الخبرة التاريخية انه بعد ١٣ عاما من وفاة السادات يذكره اليوم اغلب الناس بالخير ٠٠ ويشيدون بحصافته السياسية ومبادرته فى ابرام اتفاقية السلام مع اسرائيل ٠٠ ولكن ليس كل الناس زعماء حتى يستطيعوا استشفاف المستقبل وسلامة السياسة من خلال الضباب الكثيف والأوضاع المؤقتة *

الملاحظة الرابعة ٠٠ أن فساد نظام الحكم فى عهد أنور السادات قد ظهر واضحا من تنازل حاشيته وحراسه فى الدفاع عنه ٠٠ لقد انبطح الجميع أرضا خوفاً وطمعاً ٠٠ للحراس قبل المسئولين المفروض أن هؤلاء للحراس يحمونهم ٠٠

وليس أبلغ فى تقدير ذلك مما ذكره صحفى اجنبى أيامها ٠٠ من أن تلك الحاشية قد شغلتها واتخمتها عملية السعى من أجل الأثراء أكثر من القيام بمسئوليتها ٠٠

ولابد من التسجيل هنا أن فوزى عبد الحافظ سكرتير السادات كان الوحيد بين هذه الحاشية الذى حاول عمل شيء فى تلك المجزرة الرهيبة لانتقاد رئيسه ٠٠

الملاحظة الخامسة ٠٠ وربما كانت أهم الملاحظات ٠٠ أن هناك رأياً ذا قيمة يقول أن الأمريكين شاركوا فى اغتيال السادات ٠٠ ويعتمد هذا التحليل على بعض القرائن :

أن الأمريكين رأوا أن السادات قد استنفذ دوره وحزق ولم يعد له فرصة فى جمع العرب حول أى سياسة ٠

أنه قد تجاوز الحدود فى الفردية والضغط على الحريات بحيث يمكن أن يحدث انفجار لا يدرى أحد من سيخلفه فى الحكم ٠

أن الأمريكين ، لم ينسوا درس حرب ١٩٧٣ عندما خدع العسالم كله حتى تصور أنه لن يهارب ٠٠ فاطلق بعضهم عليه لقب رجل لا يمكن « التنبؤ بماذا سيفعل » ٠٠

وبالمناسبة لقد صدر كتاب عن أنور السادات ألفه استاذ كندي يتهم أنور السادات أنه ضحك على أمريكا وإسرائيل ليسترد سيناء ٠٠ وهذا الكتاب قدمته فى مجلة روز اليوسف عام ١٩٨٠ ٠

ولم يكن أحد يعرف ماذا يمكن أن يفعل السادات عندما تجلو القوات الاسرائيلية فى إبريل ١٩٨٢ ٠

وساعد على الاحساس بهذا الشعور فى الادارة الأمريكية أن السادات قد كشف مساعدة أمريكا للمجاهدين فى افغانستان وهو أمر كانت تخفيه أمريكا ولا تعترف رسمياً به فى توازنات علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي عندما كان دولة كبرى ٠٠

وعندما يتساءل البعض لكن للذى قتل السادات تنظيم اسلامى سرى متطرف وليس تنظيمياً أمريكياً ٠٠٩

والرد سهل وهو ان المخابرات الأمريكية تفتقر كل التنظيمات في العالم تقريبا ٠٠ شيوعية ويسارية ودينية ٠٠ وواضح مما يجرى حاليا في الاتحاد السوفيتي ان ذلك الاختراق وصل الى نخاع النظام السوفيتي بالملايين وليس بالآلاف !

وبالتالى فمن الممكن جدا ان يكون الاختراق الأمريكى قد وصل الى قلب تلك التنظيمات السرية الدينية خصوصا انه جاء وقت كان التيار الدينى فى مصر يجاهر بأن الأمريكيين أقل خطرا من الشيوعية لأنهم من أهل الكتاب !

ومن السهل أن يعتمد عملاء المخابرات المركزية داخل مثل تلك التنظيمات الارهابية على الالتماس باغتيال السادات ، كما ثبت عندما أوعد عملاؤها فى منظمة الألوية الحمراء الارهابية اليسارية فى ايطاليا باختطاف « الدومورو » سكرتير الحزب الديمقراطى المسيحى الايطالى لأنه كان يتجه الى قبول عرض الحزب الشيوعى الايطالى بتطبيق فكرة « المساومة التاريخية » بين الحزبين مما كان سيؤدى لاشتراك الشيوعيين فى الحكم لأول مرة بعد أن طردوا منه عقب تأسيس حلف الاطلسي ٠٠

وكاتب هذه السطور يميل الى هذا الرأى وان كان لا يمكن اثبات شيء فالمسألة هدس وتخمين سياسى بناء على قرائن قد توجد ضدها قرائن أخرى ٠٠

ولكن اذا لم يحدث ان ساهم الأمريكيون مساهمة عضوية فى حادث الاغتيال ٠٠ فانهم على الأقل رحبوا به بالتاكيد ٠٠ وأحسوا ان عبئا ثقيلا قد أزيح عن كاهلهم فقد كانوا قد تخلوا عنه حسب ما عكسته زيارته الأخيرة لراشنتون ، قبل اغتياله ٠٠ ويميل كثير من المعلقين السياسيين ان المسار الأخير فى نعيش السادات بالنسبة لأمريكا كان اعلانه خير تزويدها للافغانيين المناوئين لنظام كابول بالأسلحة ٠ وكانت حملة الصحف الأمريكية ضد حملة سبتمبر بداية الاعلان السافر عن التخلي الأمريكى ٠٠

ولم أستطع ان اكتب رأى هذا فى جريدة مصرية فنشرته فى المجلة للتقدمية الاسرائيلية « نيو أوت لوك » التى تدافع عن الحقوق القومية الفلسطينية وتهاجم للتوسع الاسرائيلى -

والذكر انى حملت عددا من هذه المجلة يتضمن مقالى ٠٠ وقدمته للسيدة جيهان السادات فقالت لى أنها لا تعتقد ان الولايات المتحدة لها يد فى اغتيال السادات ٠ ولا سالتها حتى لم تتعاطف لى بتبتهج بما جرى نفت ذلك أيضا ٠٠

الملاحظة الخامسة أنه كما تدين تدان ٠٠ ففي الوقت الذي سمح السادات بصدور كتب تهاجم جمال عبد الناصر وسياسته ٠٠ فإنه ما كاد يموت حتى ظهرت عشرات بل مئات الكتب تهاجم سياسته أيضا ٠٠ وهذه هي ثمار الديمقراطية ٠٠ ومن أعظم إنجازات السادات في رأبي أنه حطم الآلهة التي ما كان يستطيع أحد أن يتوجه بنقد إليها ٠٠

أذكر أنه في عام ١٩٦٥ عندما انتقد الرسام الكبير المرحوم صلاح جاهين محافظ القاهرة حينذاك صلاح دسوقي في كاريكاتير ٠٠ كان ذلك يعتبر يومها حدثا خطيرا وجراة لا حدود لها إذ كيف ينتقد محافظ في مصر ٠٠ وله صلة وثيقة بزعيم الثورة جمال عبد الناصر ٠٠

ما كان أحد يستطيع في مصر أن « يتنفس » نقدا واحدا ، ولو تلميحاً ضد سياسة الزعيم ٠٠ حتى لو كان وزيرا في مجلس الوزراء ٠٠ وكان الآلهة الصغار موجودون في كل مكان يهددون من ينتقدهم بالاعتقال والحراسة والفصل أو النقل على الأقل ٠٠

ويجب أن يتذكر ناقدو سياسة السادات في موضوع الديمقراطية أنه يشترك مع جمال عبد الناصر في نفس الوقت ٠٠ فعبد الناصر كفر بالديمقراطية واللبس مصر قميصا من حديد بعد أزمة ١٩٥٤ التي جعلته يفقد الثقة في الشعب تماما ويمارس وصاية عليه ٠٠ والسادات كذلك بعد ١٨ و ١٩ يناير ضرب الديمقراطية وانتكس بها ٠٠ ولكن ضربه لها كان زفيفا عما جرى أيام عبد الناصر على الأقل لم يعتقل أحدا ولم يعذب أحدا منذ تولى السلطة حتى سبتمبر ١٩٨١ ٠٠

لا بد أن يذكر أولئك أيضا أن السادات هو الذي فتح باب الديمقراطية كما ذكرنا في فصل سابق ٠

ولا عبرة بالقول بأن عبد الناصر كان يمارس سياسة وطنية معادية للاستعمار ويجري إصلاحات اجتماعية جذرية ٠٠ هذا صحيح ٠٠ ولكن تبين فساد الاعتماد على ذلك فقط وضرب حرية الشعب في نفس الوقت ٠٠

وما حدث في البلاد الاشتراكية يجب أن يكون عظة وعبرة فقد كفرت كل الشعوب فيها بأي إصلاح اجتماعي جذري أو غير جذري ونفضت كل هذا وأدارت ظهرها له وطالبت بالحرية السياسية ٠٠ وانزوت الأحزاب الشيوعية محسورة في الأركان تلعق جراحها ٠٠ وتبكي من الندم (راجع سلسلة مقالات الكاتب في جريدة العالم اليوم عن التحول من الاشتراكية إلى الرأسمالية في دول شرق أوروبا (سبتمبر - أكتوبر ١٩٩١)

ثم انه ثبت أن ذلك النوع من الإصلاح الاجتماعي الجذري مع الدكتاتورية يؤدي حتما إلى خراب الاقتصاد القومي ٠٠

ومن المؤكد انه اذا كان جمال عبد الناصر قد استمر فى الحكم ولم يتوفاه الله انه كانت ستحدث كوارث اقتصادية فى مصر على غرار ما حدث فى الدول الاشتراكية أو الدول النامية فى آسيا وأفريقيا التى أخذت بمنهج التنمية التقدمية التى وصفت أيضا بالاشتراكية ٠٠ وهذا ما يحدث فعلا أمام أعيننا اليوم وغدا ٠٠

وأغلب الظن أن عبد الناصر كان سيضطر الى إعادة النظام الاقتصادى الى الوراء اذا جاز التعبير أى الرأسمالية والانفتاح ٠٠ لعبد الناصر ليس بالكثير ذكاء وقدرة من جورباتشوف أو زعماء دول أوروبا الشرقية أو أفريقيا وآسيا ٠٠

إنها حتمية تاريخية أن الانهيار كان لابد أن يحدث اذا لم يكن التحول الاقتصادى نحو قوانين السوق قد بدأ بطريقة سريعة ولكن ذكية ٠

وإذا كان الحديث يجر بعضه بعضا ٠٠ فلا بد أن نجيب على سؤال ٠٠ ماذا كان يحدث لو أن أنور السادات قد تصلب فى موقفه مع الولايات المتحدة وإسرائيل ورفض تقديم التنازلات التى قدمها لهما من أجل استرداد سيناء بعد أن رفض العرب التعاون معه فى خطته ٠٠ ؟

إن القيام بحرب ضد إسرائيل لتحرير بقية الأرض كان أمرا مرفوضا من جانب كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ناهيك عن العجز المصرى إزاء قوة إسرائيل الملقوقة فى الوقت الذى يمكن للاتحاد السوفيتى تحديد القدرة العسكرية المصرية ٠

ولنفرض أن مصر كانت قد ظلت على علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى واستمرت فى التشدد ٠٠ مستندة على هذه العلاقات ٠٠ ماذا كان يحدث ؟

ستظل إسرائيل ترفض التنازل ٠٠ وتساندها أمريكا ٠٠ وهما تعرفان أن مصر والعرب لا يستطيعان الحرب ٠٠ خصوصا أن القوة العسكرية العربية الثانية وهى العراق كانت تفكر فى إشعال الحرب ضد إيران ٠٠

الذى كان سيحدث هو أن تباغت مصر ٠٠ بتزايد الوفاق بين المعسكرين المتناحرين ٠٠ ثم تأتى البيروستريكا فتضع الصيغة النظرية لذلك الوفاق بل تشهد السبيل لتخلى الاتحاد السوفيتى عن مساندة الشعوب فى حربها أو صراعها العادل مع المستعمرين والمحتلين ٠٠

ثم تأتى القارعة ٠٠ وهى انهيار الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى تماما ٠٠ ويفقد العرب تماما سندهم فى معركتهم ضد

اسرائيل ٠٠ ويصبحون فى المركز الأضعف ٠٠ وسيضطرون صاغرين الى اللجوء الى الولايات المتحدة « راجين عفو الخلق » ١ ٠٠

وليتأمل من يعيش فى غفلة مغزى حرب الخليج ونتائجها ٠٠ وكيف استطاعت الولايات المتحدة أن تحشد العالم كله ٠٠ وتحت كلمة كله عشرة خطوط لأنها تتضمن الاقتصاد السوفيتى الذى طالما ساند العراق وتربطه معاهدة بالاتحاد السوفيتى ٠٠ والقادة السوفيت يعرفون جيدا أن حرب الخليج ستؤدى بالضرورة الى احكام السيطرة الأمريكية الكاملة على مصير الشرق الأوسط ٠٠

وطبعا ان مصر أو كامب ديفيد ٠٠ أو العرب وموقفهم من اسرائيل ليس له دخل بحال من الأحوال فى الانهيار الذى حدث فى المعسكر الاشتراكى ٠٠ فهذا الانهيار نتيجة تفاعل داخلى فى النظام نفسه ٠٠ علاوة على براعة وذكاء وتخطيط السياسة الأمريكية وستكتب فى المستقبل كتب رائعة تكشف أسرار تلك البراعة والخطط ٠٠

اذن الانهيار كان قادمًا ٠٠ بصرف النظر عن سياسة السادات ٠٠ وكان العرب جميعا سيصبحون عراة أمام الوحش الأكبر فى الغابة ٠٠ الولايات المتحدة وحلفاؤها من الوحوش المتوسطين والصغار ١ ٠٠

ومن المؤكد انهم أى العرب كانوا سيحصلون فى تلك الحالة على أقل مما حصل عليه السادات عام ١٩٧٩ ٠٠ وهذا هو الحاصل فعلا اليوم ٠٠

بل ان ما أنجزه السادات أيامها وهاجمه خصومه عليه يعتبر رכיكة اليوم للمطالبة العربية ٠٠ فالسوريون يقولون لماذا جلوتكم عن سيناء ولا ترضون بالجللاء اليوم عن الجولان ٠٠ وسيقدم الاسرائيليون شروطا مجحفة جدا اذا وافقوا على مبدأ الجللاء أصلا لأن ميزان القوة ليس فى صالح العرب بعد أن لم يعد لهم حلفاء اشتراكيون ٠٠ وهنا سيقول السوريون ولكنكم وافقتم على تسليم سيناء بدون مستعمرات والاكتفاء بوضع قوات دولية على الحدود ٠٠ وجهاز انذار مبكر ٠٠ الخ ٠٠

وبالمثل سيقول الفلسطينيون عن شروط السادات لقبول الحكم الذاتى ٠٠ ومن أبرز الاستنتاجات السياسية للسادات أنه كان يتنبأ بل ويحذر دائما من أن المعسكرين الكبيرين سيتم الاتفاق بينهما على حساب الدول الصغيرة ٠٠ وطبعا هو لم تستشف أن واحدا منهما سينهار وينفرد القطب الآخر بالعالم ٠٠ ولكن السادات كان يؤمن دائما ويؤكد أن أمريكا أقوى من الاتحاد السوفيتى ٠ بل انه كان يسخر من النظام السوفيتى الاشتراكى

ويقارن بينه وبين النظام الرأسمالى الاحتكارى الأمريكى الذى كان يقول
انه افضل منه ٠٠

وهذا هو الذى قاله جورباتشوف بعده بأقل من عشرة أعوام ٠٠ وكل
قادة الأحزاب الشيوعيين ٠٠ بل وأثبتته الواقع من أن الاشتراكيين السوفيت
يقفون فى طوابير طويلة يتسولون الخبر من العالم الرأسمالى ٠٠ ومن
أمريكا بالذات بل انحدر الحال الى حد التسول من قطر أرزا وزيتا ١١

ويذكر لأنور السادات فى هذا السبيل أيضا أنه اكتشف فساد النظام
الاقتصادى القائم على التأميم وقمع الرأسمالية ٠٠ ففتح الباب للرأسمالية
تنشط من جديد وهذا وعى كبير ٠٠ رغم حدوث أخطاء ذكرناها بالتفصيل
فيما سبق ٠٠

وهذا ما اكتشفه جهابذة الفكر الاقتصادى الاشتراكى الماركسيين
الأقحاح ٠٠ وأصبح المطلوب الآن انطلاق الرأسمالية فى الاستثمار بحرية
لتطوير البلاد النامية وانتشالها من هذه الفقر بل المجاعة ٠٠ وليتأمل
من لا يريد التأمل نتائج السياسة الاشتراكية فى بلد مثل اثيوبيا ٠٠ حيث
مات الملايين فى ظل حكم الشيوعى منجستو ٠٠ ومأساة هريه بعد أن ذاق
شعبه العذاب فى ظل قيادته الغيورة على مصالح البروليتاريا والجماهير
الكادحة ١ وقس على منجستو الكثرين من قادة البلاد النامية الاشتراكية ٠

ويذكر لأنور السادات أنه خلع الثوث الاشتراكى الضار بمصالح
الامة قبل غيره ٠٠ واعترف أنه سبقنا نحن الماركسيين - اللذين زعمنا
دائما أن لدينا مفاتيح الفهم والوعى لكل شئ فى العالم - فى ادراك هذه
البديهية البسيطة وهى أنه لا يتحقق الرخاء والعدل الاجتماعى بالملكية
العامة الشاملة لكل وسائل الانتاج ٠٠

اننا لم ندرك ذلك الا عندما انقلبت الدنيا فوقنا رأسا على عقب ٠٠
أما هو فقد فهم ذلك والنظام الاشتراكى فى أوج ازدهاره الذى تبين فيما
بعد بشهادة أقطابه أنه ازدهار مزيف ٠٠

وحتى السوفيت أدركوا أخيرا قيمة تجربة السادات ٠٠ فقد روى
الرئيس حسنى مبارك فى اجتماع خاص بعدد من الصحفيين أن
جورباتشوف قال له مرحبا ٠٠ احك لى يا سيادة الرئيس عن تجربتكم فى
الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص ١٩ ٠٠

وقال مبارك بأمانته وتلقائيته البسيطة أصل الحال انقلب فى الدنيا ١١
مشيرا الى أن قادة الاشتراكية والماركسية يسألون عن خبرة العودة

للرأسمالية ! ٠٠ واذكر انى علقت على عبارة الرئيس بقولى : فعلا يا ريس الدنيا حالها انقلب ٠٠ وضحك حسنى مبارك !

ويذكر لأنور السادات انه كان يتشوف المستقبل ٠٠ فهو الذى لفت أنظار المصريين الى التخطيط له ٠٠ فحضر أجلا لعام ٢٠٠٠ حتى نستعد له بالمشاريع والمنجزات ٠٠ وكان يؤكد على ذلك ٠٠ كما كان يؤكد على التكنولوجيا وأثرها ودورها ٠٠ وهى أمور لم تكن تطرح على بساط السياسة المصرية من قبل ٠٠

وهو الذى طرح شعار فصل الدين عن الدولة ٠٠ لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ٠٠

ولو انه استخدم عبادة الدين لتمرير الغاء مادة الفترتين فقط لرئاسة الجمهورية بشكل متالى : بوضع المادة التى تجعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ٠٠ وهى المادة الخطيرة التى أصبحت وستظل زادا للتيار الدينى ليطالب بتطبيقها فعلا أى اقامة حكومة دينية ٠٠

وهذا نموذج للتناقض بين الأقوال والأفعال ٠٠ وقد برع السادات كثيرا فى هذا اذ مثالا يقول اننا سنعمق الديمقراطية فيحدث ضرب للديمقراطية ٠٠

فمن حيث كان يدعو الى فصل الدين عن الدولة كان ينص على الالتزام بينهما فى الدستور ٠٠ وهى مادة تمثل « الخازوق » فى الدستور المصرى لأى محاولة من أى نظام حكم لاقامة حكم علمانى ديمقراطى حقيقى كما تقتضى دواعى التحضر ومصلحة التقدم ٠٠ والا فمسيرنا مثل ايران والسودان الشقيق ومن لف لفهم من الأمم التى خدمت باتخاذ الدين وسيلة للحكم ! ٠٠

ولقد كان السادات رجلا مؤمنا ومسلما حقا ٠٠ وقد كان ايمانه بالله يتزايد كلما أحس بنعمته عليه ٠٠ ولكنه كان غير متعصب ٠٠ ولم يكن يحاسب أو يقرب شخصا أو يعامل أحدا على أساس الدين على الإطلاق ولم تكن عنده حساسية من هذا النوع ٠٠ ولا علاقة لهذا بموقفه من الفتن الطائفية ٠٠ وكيف استفاد منها ٠٠ ولا علاقة له بموقفه الخاطيء تماما من تحديد اقامة البابا بطريرك الأقباط ٠٠ هذه مواقف سياسية تستهدف تحقيق أهداف سياسية ٠٠

وكان يستخدم حكاية الالحاد كلعبة سياسية أيضا وليس سخرية منه على الملحنين مثلا ٠٠ واستخدمها حتى تلميحا ضد جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل لأغراض سياسية ٠٠ وهذه طبعا سياسة مكيافيلية ٠٠ وتتناقض مع ما كان يسميه بأخلاق القرية ٠٠

ولقد حاول استخدام أخلاق القرية هذه لتغليب ديكتاتوريته بأسباب
فرديته في الحكم بطابع أبوى ٠٠ وهو أسلوب القطاعي متخلف ٠٠ عندما
كان يقول أنا كبير العائلة المصرية ٠٠ ويقول أن ذلك أفضل لقب أو منصب
حتى من رئيس الجمهورية ١ ٠

وكبير العائلة يعنى أن من حقه ضرب أولاده الصغار فى أى وقت ٠٠
وخضوع كل أفراد العائلة لأحكامه كأننا فى نظام قبلى ١ ٠

وطبعا كانت أجهزة الاعلام والصحفيون يزيفون له هذا كله ٠٠
ولا يصرونه بخلئه ٠٠ فقد كان يستهويهم أن الواحد منهم قد أصبح قريباً
من رئيس الدولة يحادثه ٠٠ ويؤانسّه ويؤاكله ٠٠ ويفيده أيضاً ٠٠

وهى فى الحقيقة ميزة كبرى يمكن أن تدير الرؤوس ٠٠ وتغوى
بالزهر والغرور ٠٠ اذا لم يكن فى الرأس فكر ومسئولية واحساس
بالوطن كله ٠٠

وفى ظل كبت حرية الصحافة والحقاها بالنظام أصبحت الانا هى
المحرك الاصلى للكثيرين من الصحفيين ٠٠ والمصلحة الخاصة ٠٠

ودرج النظام على عدم محاسبة أحد على موالاته للنظام السابق
باخطائه ٠٠ ويستمر الواحد لسانا للنظام الجديد كما كان بالنسبة للقديم ٠٠
فمن مصلحة السلطة وجود هذا النوع المستعد لخدمة اليمين أو اليسار
أو الوسط حسب من يجلس على الكرسي ٠٠

ولو تأمل القارئ صحف عصر عبد الناصر فسيدهش أن البعض كان
يكتب عن نظامه فى مديح لا مثيل له ٠٠ ثم بعده كان يهاجمه هجوماً
عنيفاً ٠٠

وهذه ظاهرة يفرضها أى نظام ديكتاتورى ٠٠ يعتمد على صحافة
واحدة ناطقة باسم النظام ٠٠ أما اذا تعددت الصحف والميول والأحزاب
السياسية فستضمحل هذه الظاهرة ويظهر جيل من الكتاب الصانقين
المحافظين على شرف الكلمة فعلاً ٠٠

ولقد تحمل كثير من كتاب الصحف القومية الاضطهاد والعنت لأنهم
قالوا لا ٠٠ فى كثير من الأحيان ٠٠ ونفوا فى الأرض ٠٠ واعتقلوا أو
طردوا ٠٠ وظلوا صفحات مضيئة فى تاريخ الصحافة المصرية ٠٠

وسأروى هنا شهادة وانطباعات من شقيق لأنور السادات التقيت به
صدفة وأنا جالس على مقعدى فى القطار من أسبوط للقاهرة إذ كنت فى
ضيافة محافظها النشيط اللواء حسن الالفى وكنت بصحبة حسين مهران

وكيل أول وزارة الثقافة ورئيس هيئة الثقافة الجماهيرية والأستاذ نبيل
زكى نائب رئيس تحرير الأخبار والأستاذ محمد صالح مساعد مدير تحرير
الأهرام ٠٠ التقت بالمهندس زين السادات وجلستا نتحدث عن أخيه ٠٠
فذكر لى بعض الأمور التى رأيت تسجيل بعضها ٠٠

قال ان السادات كانت تسيطر عليه فكرة جلاء اسرائيل عن مصر ٠٠
وكان يخشى ان تثير المعارضة له قلاقل تعطى اسرائيل العذر فى الانسحاب
وقد ذكر ذلك لهم فى العائلة عندما سألوه عن السبب فى حملة سبتمبر
واكد لهم انه سيفرج عن المعتقلين بعد جلاء اسرائيل ٠٠

● وقال انه لم يلاحظ ان انور السادات كان عصبيا ٠٠ بل كان
هادئا جدا ٠٠ ولم يكن يثيره الا شئ واحد هو الخوف من عدم جلاء
اسرائيل ٠٠ وكان لا يفتأ يردد عليهم ان الارض عرض يا اولاد ٠٠

● وقال انه لا يعتقد ان أمريكا شاركت فى اغتياله ٠٠ ولم يكن لها
مصلحة أيضا فى ذلك الاغتيال ٠

● وقال انه ليس صحيحا ما يشاع من ان السيدة جيهان السادات
كان لها تأثير قوى عليه ٠٠ وقال « لا يكون انور السادات اذا كان هذا هو
الحال ٠٠ ان أخى كان راجل يعنى راجل » ٠٠

● وقال ليس صحيحا ان جيهان السادات عزلت السادات عن
أخوته أو أولاده من زوجته الأولى ٠٠ بالعكس كان السادات يرضى شئونهم
ويعين شخصا مخصوصا لتلك الرعاية ٠٠ ان الذى حدث هو تنظيم زيارتهم
له لانه رئيس جمهورية له مواعيد ولم يكن يستطيع السادات الاجتماع بأهل
بيته فى كل ساعة ٠٠

● وذكر ان السادات لم يكن ثريا كما يتصور البعض ٠٠ وضرب
مثلا بأنه عندما أراد هو ان يتزوج شخصا ٠٠ ناداه السادات وقال له
الفرح يا ابنى فى بيتى وسأعطيك قماش بدلة ٠٠ ثم شيكا بثلاثمائة جنيه
تغطى من مرتبه الذى كان محولا على البنك ٠١

ولما سألته عن فرح الليالى الملاح فى الاسكندرية حيث ساهم أوناسيس
فيه ٠٠ لابنه أو ابنته ٠٠ سكت ٠٠ ثم قال الناس الكبار تحتفل بأفراح
رئيس الجمهورية كثيرا جدا ٠٠

ونفى ان يكون للسادات ثروة محولة عن طريق أزواج بناته باعتبار
انهم أغنياء أصلا ٠٠ وتسأل أين هى ثروة السادات ١٩ ولماذا لم تثرث بناته
من زوجته السابقة شيئا منها ٠٠ وهناك محامون يستطيعون الدفاع عنهم ٠

● ولما سألته عن السر في فخامة ملابس السادات قال انه منذ صغره كان شياكة ٠٠ ويهتم بأناقته ويسعد عندما يذكر له أي شخص ذلك منذ كان ضابطا في الجيش ٠

● وقال ان السادات كان دائما يقول لهم وهو جالس معهم ٠٠ انه سيأتي اليوم الذي يعرف الناس فيه صحة سياستي وسترفعون رؤوسكم الى فوق ٠

● وقال ان السادات كان يهاجم اسرائيل امامهم ٠٠ ويقول لا بد ان نأخذ الأرض وتتصالح معها حتى نتقى شرها ٠٠ ونخلص من الحرب غلشان بنى البلد بقى ٠٠ العيشة بقت صعبة يا اولاد اء ٠٠

● وقال ان السادات كان يستشعر الخطر على حياته في الشهرين الأخيرين من حكمه بالذات وكان يقول لنا توقعوا أسوأ النتائج ٠٠ وأنا مصر على سياستي ٠٠ وغدا يعرف الناس قيمتي ٠٠ ء ٠٠

● وذكر انه كان بارا بأخوته جميعا ٠٠ وأبوهم أوصاه عليهم قبل وفاته فكان يقول له أنا است أخاهم بل أباهم يا أبى !

● وقلل ثلثه بعد اغتيال السادات لاحظ انفضاض الناس من حولهم خصوصا بعد قضية عصمت السادات ٠٠ ولكنه يلاحظ حاليا ان ناسا كثيرين يأتون اليهم ويترحمون على السادات ٠٠ ويقولون والله ده كان راجل نظره بعيد ٠٠ وهذا يسعده حقاً ٠٠ اذ لا يصح الا الصحيح ٠٠

وسألنى : أين هي الأموال الطائلة التي صابروها من عصمت السادات ١٩

ولما سألته عاذاً يعنى بهذا السؤال : حال الحقيقة لم تكن مضجك أموال ذات قيمة ٠٠ كان عنده بيته وسيارته وشوية كلام فارغ ٠٠ بينما قدرها المستشار حسنى عبد الحميد بالملايين !!

ختم الحديث ٠٠ أن السادات قد دخل التاريخ كحاكم له بصمات كبيرة على مسار مصر السياسى ٠٠ بل مسار المنطقة العربية وتطور الأحداث فيها ٠٠ ولن تطمس أخطأه التي عرضناها بأكبر قدر من الموضوعية والصراحة بل والقسوة أحيانا ٠٠ انه قد حقق إنجازات كبيرة يعتبر بعضها علامات طريق في طريق تطور مصر والعالم العربى ٠٠

فهو الذى قام بحرب ١٩٧٣ التاريخية ٠٠ والتي نقلت الصراع العربى الاسرائيلى من مرحلة الجمود والتفوق الاسرائيلى الى مرحلة التحريك والتفدية العربية مع اسرائيل ٠

وهو الذى حقق اول سلام عربى اسرائيلى ٠٠ وفتح الباب فى مصر.
للتطور الاجتماعى بعد حل المشكلة الوطنية فى جوهرها ٠٠

وهو الذى اعاد غرس بذور الديمقراطية فى مصر بعد ظلام
الديكتاتورية لعشرين عاما تقريبا ٠٠ فظهرت الاحزاب وصحافتها الحرة.
نسبيا ٠٠ وتحررت الصحف القومية بعض الشيء ايضا ٠٠ وسقط تأليه
الحكام وتحطمت عبادة الفرد ٠٠

وفتح الباب لمعالم الصراع الاجتماعى ان تظهر سافرة بعد ان كانت
مطموسة ٠٠ وهو الذى اكتشف ضرورة تعديل المسار الاقتصادى فى
مصر ٠٠

وهو الذى تصدى من اليوم الاول لخطر الحكومة الدينية التى ظهرت
فى ايران ٠٠ وادرك تهديدها للديمقراطية والعلمانية فى الوطن العربى ٠٠
وايد العراق رغم التناقض بينه وبين مصر فى صراعه ضدها بعد ان وضع
العالم العربى امام الواقع ٠٠

وطوال عشر سنوات قضاها فى الحكم قاوم السادات اى محاولة لفك
القطاع العام وكان يكرر انه هو الذى مكن مصر من شن حرب أكتوبر
التحريرية ٠٠ وذلك رغم حملاته على الاشتراكية ٠

واغلب ما عابه عليه خصومه من اتجاه بالسياسة الى الولايات
المتحدة ٠٠ بنا العالم كله يسعى اليه بعد التغيرات الخطيرة والجزرية
التي حدثت فى العالم ٠٠
واصبح الجميع يتجهون للولايات المتحدة وعلى رأسهم المعسكر
الثورى او الذى كان ثوريا فى العالم ٠٠ الذى يزحف فى انكسار مروع
فى ذلك الاتجاه ٠٠

وتبدو مصر أكثر كرامة ووقفا على قدميها واحتراما لنفسها وقدرها
فى علاقتها بالولايات المتحدة ٠ بل تبدو فى قضية حل النزاع العربى-
الاسرائيلى شريكا للولايات المتحدة فى تقرير مصير الأمور ولو فى حدود ٠٠

ولا نستطيع ان نزع ان هذا الحديث عن انور السادات الذى يعتمد
اساسا على مناقشات معه ٠٠ هو دراسة شاملة أكاديمية لعصره ٠٠ انما
هو بالدرجة دعوة للتأمل والتفكير فى تقييم موضوعى لحياة وسياسة ذلك
السياسى المصرى ٠٠ الذى ظلمه الكثيرون وسلبوه حقه فى انجازات هائلة
مجيدة له ٠٠ لمجرد أنهم اختلفوا معه فى بعض القضايا ٠٠ بينما الذى
جلب الهزيمة لمصر بفضل نظامه فى حرب ١٩٦٧ بشكل مروع واقام

ديكتاتورية ارامية اكثر ترويعا .. علاوة على انهيار الوحدة المصرية
السورية .. وضرب بثورة العراق لاطماع وحدوية ، ومن يومها تمزق
العالم العربى .. يغمضون عيونهم عن مثل تلك الاخطاء الجسيمة .. من
اجل اعمال ايجابية نقر جميعا بحدوثها ..

وبذلك يبتعدون عن ساحة العدل والانصاف ..

ولولا سياسة انور السادات لما كنا الآن نمارس الديمقراطية والحرية
وننشغل بقضايا وهموم البناء الداخلى .. ولكننا ظللنا فى حال مثل حال
سوريا ارضنا محتلة .. وحسنى مبارك يجاهد من اجل تحرير سيناء ..
ولكن السادات حرر لنا سيناء .. وجاء من بعده مبارك ليقود المسيرة
نحو العمل الداخلى .. وبناء مكانة دولية كبيرة لمصر فى عصر وحوش
الغاب .. او بالاحرى عصر الوحش الاكبر !!

عبد الستار الطويلة

القاهرة ٧ ديسمبر ١٩٩١

الملاحق

سيجد القارئ في الصفحات التالية احاديث صحفية
مع المرحوم انور السادات وبيانات ومذكرات مختلفة
راينا تسجيلها لأنها تكشف نواحي كثيرة من سياسته
وشخصيته •

الملحق الأول

حديث انور السادات للمؤلف وكان أول حديث يدلى به
لصحفى مصرى ونشر فى مجلة روزاليوسف ونشر فى
٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ • وقفز ذلك النشر بتوزيع
روز اليوسف ثلاثة اضعاف توزيعها فى ذلك الوقت -
وكان ذلك بداية التدعيم العملى لخطه انور السادات
بالتعاون مع قطاع اليسار الذى يؤيد التحالف معه •
وهو الاتجاه الذى كان يتزعمه المرحوم الكاتب الكبير
عبد الرحمن الشرقاوى ••

● ● تحدث الرئيس السادات الى روز اليوسف •
ادلى بحديثه الى عبد الستار الطويلة على مدى
ثلاث ساعات • وتناول فيه اخطر قضايا
الموقف الداخلى ، والعربى ، والعالمى • وفيما
يلى نص الحديث :

بابتسامة صريحة ، بسيطة ، قال لى الرئيس انور السادات :
- تشرب ايه الاول •• ويعدها هات ما عنك !
كان الوقت مساء ، واللقاء فى شرفة البيت • والرئيس على سجيته ،
يؤدى - باستمتاع - مهمة المضيف المصرى الودود •
وجاءت اكواب الليمون •

وتاملت فى سكون الليل ملامح الرئيس وعيناه تنظران بعيدا ، عبر
الفضاء الممتد ، كأنما تستشرفان آفاق المستقبل ، فانتهزت الفرصة ، ويدات
الصديق •••

مسئوليتنا .. لا مسئولية أمريكا

● سيادة الرئيس .. كيف ترى المستقبل ؟ هل تعتقد
أنه ستنشب حرب جديدة ؟ أن إسرائيل لا تكف عن
إصدار تصريحات تتحدث فيها عن حرب
خامسة .

قال الرئيس :

— لا أفهم لماذا يهتز بعض الناس من مثل هذه التصريحات . اننى
أعتقد أن معظمها للاستهلاك المحلى ، وأن المؤسسة العسكرية فى إسرائيل
ستفكر مرتين ، بل عشر مرات ، قبل أن تخوض مغامرة عسكرية جديدة
ضدنا . ويوم تقرر أن تخوضها ستجدنا مستعدين .
لقد خاضت إسرائيل ضدنا أربع حروب . كسبت ثلاثا منها ، ثم
خسرت الرابعة . وهذه الخسارة غيرت الأوضاع التى ترتبت على الحروب
الثلاث السابقة . وخلقنا فى الشرق الأوسط وضعاً جديداً تماماً ، لا تملك
إسرائيل — ولا غير إسرائيل — أن تتجاهله .

● لكن إسرائيل ، يا سيادة الرئيس ، تعمل جاهدة
لتصفية هذا الوضع الجديد الذى ترتب على حرب
أكتوبر . وبعض المراقبين يرون أن يد الصهيونية
لعبت دوراً فى إسقاط الرئيس نيكسون ، كجزء
من هذه التصفية . فما رأيكم ؟

قال الرئيس :

— مهما يؤسف لى أن الصهيونية ليست وحدها التى تحاول تصفية ثمار
أكتوبر . أن بعض الأخوة العرب أيضاً يقومون بنفس المحاولة ، ويشككون
فى مغزى إنتصار أكتوبر ، وفى التغيرات الضخمة التى أحدثها محلياً
وعالمياً . ولكن هذه ملاحظة هامشية . ولنعد إلى سؤالك .
إن الواقع الجديد الذى فرضته معركة أكتوبر لن يغيره سقوط هذا
أو ذاك من الحكام فهذا الواقع صنعناه نحن . وكل تطور يطرأ عليه سنكون
نحن العامل الأول والعنصر الأساسى فيه . أن أكتوبر قد وضع إرادتنا على
خريطة الأحداث لأول مرة ، وإلى الأبد .

— قد يهبطن سقوط هذا أو ذاك من الحكام غير خطى . وأنا فى
التسياسة لا أضع أوزانى على المائدة دفعة واحدة . ولهذا لا أهتم كل هذا
الاهتمام بموضوع سقوط نيكسون . ولن أحمل حملي لأحد .

● ماذا تعنى بهذا التعبير يا سيادة الرئيس ؟

قال للرئيس :

« أعنى أنه إذا غيرت أمريكا سياستها ، أو تنصلت من وعودها ، لن اعتذر بأن نيكسون تفيز ، وبأنه كان قد وعدنى بكذا وكذا . إن القضية التحرير مسئوليتنا ، وليست مسئولية نيكسون أو فورد أو كيسنجر . »

عندما كان اسماعيل فهمى (وزير الخارجية) فى الولايات المتحدة ، أكد له الرئيس الأمريكى جيرالد فورد ، ووزير الخارجية هنرى كيسنجر أن أمريكا ستظل ملتزمة بسياسة نيكسون . وهذا حسن . ولكننا أيضا مستعدون لأى احتمال آخر . لأن القضية كما قلت قضيتنا ، ونحن المسئولون عنها ، لا الولايات المتحدة . »

أبعاد التغيير

الهدوء ما زال بائدا . وكوب الليمون فرغ . والرئيس يلاحظ هذا ويطلب كوبا جديدا لى . لا يريد أن يتخلى عن دور المضيف الرفيى الودود الكريم .

● سيادة الرئيس . . . ما تزال نظرتك الى دور الولايات المتحدة فى حاجة الى تفصيل أكثر . لقد صرحت أكثر من مرة ، وكسرت للتصريح أثناء زيارة الرئيس نيكسون للقاهرة ، بأن الولايات المتحدة قد غيرت سياستها نحو مصر . فما المعنى الذى قصده بالدقة ، وما هى أبعاد هذا التغيير . . . خاصة وأننا نرى الولايات المتحدة مستمرة فى تسليح إسرائيل ، وينفس الحماس القديم ؟

قال الرئيس :

« ومن قال إن أمريكا لن تواصل تسليح إسرائيل . لقد سلحتها قبل الحرب وأثناءها . وبغدها . أن الدبابات التى أسرع من العريش الى ميدان القتال راسا كانت أمريكية . وكل طائرة فانتوم اسقطناها أو افلقت منا كانت أمريكية . »

لقد أكدت أكثر من مرة أن التغيير فى السياسة الأمريكية ليس تحولا عن مساندة إسرائيل الى مساندة العرب . ولست أظن أنه سيكون كذلك أبدا . على الأقل فى حياة جيلنا الحالى . »

ان التغيير فى السياسة الأمريكية هو باختصار : رد فعل جديد أمام حقيقة عربية جديدة ٠٠ نحن غيرنا الصورة ، فتغير رد الفعل ٠ قبل أكتوبر لم تبال الولايات المتحدة حتى بالاستماع اليها ، ورفضت ان تحمل قضيتنا على محمل الجد ، أو حتى ان تدرجها فى جدول أعمال اهتماماتها ، فلما عبر الجندي المصرى القناة ، وحطم خط بارليف ، وحطم معه نظرية الأمن الاسرائيلى وفوجئت الولايات المتحدة بمصالحها البترولية عارية بلا حماية ٠٠ كان لابد ان تعيد النظر فى سياستها وان تسرع الى تغييرها ٠ وهو تغيير مصدره نحن ٠ ويجب ان نستفيد منه ، ونطوره ٠

● الى أى مدى تتوقع ان نظوره يا سيادة الرئيس ؟
ان البعض يقولون ان مصر هى التى غيرت موقفها وليس الولايات المتحدة ٠ وهم يستشهدون بحديث سابق لسيادتكم ، قلتم فيه انكم كتبتم الى الرئيس حافظ الأسد تقولون ان امريكا دخلت بثقلها فى الحرب ٠٠ واننا على غير استعداد لحاربة امريكا ٠

قال الرئيس :

— نعم قلت هذا ٠ وكانت امريكا هى التى تهايرنا فعلا ٠ ولكن كيسنجر كان فى نفس الوقت يوقظ المستر هيث ، رئيس وزراء بريطانيا وقتها ، ليرجوه ان يتصل بنا لنقبل ايقاف القتال ٠ حدث هذا فى ١٣ أكتوبر ، فى عز انتصار قواتنا واندحار القوات الاسرائيلية ، وفى الوقت الذى بدأت فيه امريكا تدخّل بكل ثقلها ، وبأسلحة جديدة تماما ، ميدان المعركة ٠

ماذا كنت تفعل انت وقتها ؟

امريكا قررت ان تحاربك ٠ وفى نفس الوقت تلح على وقف القتال ٠ معنى هذا انها بدأت تدرك ما لم تكن تدركه من قبل ٠ وانها مستعدة لفهم جديد ، ولتبلى سياسة جديدة ٠

هل كان على وقتها ان تستمر فى الحرب ، بما يتبعها من دمار ، أم استفيد من هذا التراجع الأمريكى ؟

اننى واثق من ان التاريخ كان سيحاسبنى لو واصلت القتال ضد امريكا ، بدلا من ان استفيد من تراجعها ، وأشجعه ، وأعيقه ٠ وهذا ببساطة هو ما فعلت ٠ واعتقد اننا حتى الآن كسبنا من هذه السياسة ، ولم نخسر شيئا ٠

● هذا صحيح يا سيادة الرئيس • ويكفى أن سبعة
الوية الإسرائيلية ، وأربعمئة نباية ، سحبتم نفسها
من غرب القناة بلا قتال بفضل هذه السياسة •
ولكن تصرّحكم عن عدم الاستعداد لمحاربة
أمريكا آثار بعض القلق • ولهذا أحب أن أسأل :
ماذا لو أن أمريكا غزت أرضنا غزوا سريعا
بقواتها و ...

قال الرئيس :

فلم يدعنى الرئيس أوصل ، وقاطعنى قائلا :

— وهل هذا سؤال ؟ هل تشك فى أننا عندئذ سنقاتل جميعا • • ابتداء
من رئيس الجمهورية وانتهاء الى أصغر طفل ؟

الثغرة والحرب المحدودة

وكوب الليمون الثانى لم يفرغ بعد • والرئيس يتأمل الأضواء البعيدة
فى ظلام الليل ويبدو واضحا أن حديثنا أثار فى صدره بعض شجون
المعركة ، وبعض ذكرياتها •

● سيادة الرئيس • • عندما وجهتم نداء الى
الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لإرسال
قواتهما الى مصر ، وارغام إسرائيل على احترام
وقف إطلاق النار • • هل كان وضعنا العسكرى
متدهورا بحيث احتاج الى هذا النداء ؟

قال الرئيس :

— لم يكن متدهورا على الإطلاق • إنما أردت بهذا النداء أن أسجل
التزام الدولتين الكبيرتين بحل القضية على أساس قرار مجلس الأمن رقم
٢٤٢ • • الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة • وقد أحدث
النداء أثره • وأجبرت إسرائيل على احترام وقف إطلاق النار ، والانسحاب
من غرب القناة ، ثم الارتداد شرقا فى سيناء •

● ولكن • • يقال يا سيادة الرئيس ان إسرائيل
كانت قادرة على احتلال السويس عسكريا ،
لولا تدخل رجال السياسة والضغط الدولى ؟

قال الرئيس :

— يرد على هذا الزعم حطام ٢٧ مينة اسرائيلية ، ما تزال موجودة على مشارف السويس . ان هذا الحطام هو حصيلة المحاولة الاسرائيلية لاحتلال المدينة . واعتقد انه رد كاف على سؤالك .

● سيادة الرئيس .. ماذا كان يمكن ان تكون عليه الصورة العسكرية ما لم تحدث الثغرة ؟

قال الرئيس :

— كنت افضل ان يكون السؤال : من الذى صنع الثغرة أصلا ؟ ان أمريكا هي التى صنعتها ، ولو لم تدخل أسلحتها الجديدة ما استطاعت إسرائيل ان تخطو خطوة واحدة نحو الغرب ، ومع هذا الثغرة كان محكوما عليها بالتصفية وكانت خطة تصفيتيها جاهزة ، لولا ان إسرائيل أثرت السلامة وانسحبت منها .

على اننى ساجيب على سؤالك ، واقول : انه لو لم تحدث الثغرة لاستقدنا من الوقت فى تطوير هجوم قواتنا ناحية الشرق .

● سيادة الرئيس .. اثار البعض كلاما حول هدف المعركة ، فقالوا انها كانت معركة للتصريك لا التحرير . وانها كانت حريا محدودة . فما هي الحقيقة ؟

قال الرئيس :

— هذه عبارات من قبيل التلاعب واصطناع الشعارات . ما التناقض بين التحرير والتحرير ؟ ان التحرير هو هدفنا من المعركة .. والتصريك هو أحد وسائلنا ، وهو يعنى صدم العدو ومن يقف خلفه ، والعالم كله ، وايضا بالنسبة لقضيتنا لارغام العدو على التراجع .

اننا نعلم ونذكر أبعاد التوازن الدولى وحساسية منطقة الشرق الأوسط وأهميتها بالنسبة للغرب والشرق .

ولذلك فان حرب أكتوبر كانت حريا محدودة ، تضرب نظرية الأمن الاسرائيلى فى الصميم ، لادراكنا ان ذلك سيتبعه تغييرات هامة تخطو بنا نحو التحرير الكامل للأرض .

وفى الأمر الاستراتيجى الذى أصدرته للقائد العام للقوات المسلحة حددت له أهداف هذه الحرب المحدودة فى أربع نقاط :

- ★ ارغام اسرائيل على الحرب فى جبهتين •
- ★ الخناق خشائر بها لم تتكبد مثلها من قبل •
- ★ الزامها بالتعبئة العسكرية أطول مدة ممكنة •
- ★ ايقاظ التضامن العربى بحيث يستقدم العرب ، لأول مرة ، كافة أسلحتهم فى المعركة •

وقد تحققت كل هذه الاهداف فى حرب أكتوبر واثبتنا للعالم فساد نظرية الأمن الاسرائيلية •

وابتسم الرئيس لحظة ، ثم اضاف ضاحكا :

— كنا ونحن اطفال فى القرية نتصور أن الملك يلبس قبقابا من ذهب ا
وقبل أكتوبر كلنت نظرية الأمن الاسرائيلية قبقابا ذهبيا من هذا النوع
الموهوم • والآن يعرف العالم ، كما يعرف اصحاب القبقاب انفسهم ، انه
من خشب •• وان تصليمه ممكن ا

● ولكن ••• يا سيادة الرئيس •• لماذا اخترتم
ان تكون الخطة أصلا خطة حرب محدودة ؟

قال الرئيس :

— لا تستطيع أية قيادة أن تضع خطة تتجاوز الظروف والامكانيات •
ان الشرق الأوسط منطقة ساخنة جدا ، ومجرد تحريك مشكلته يكفى لايقاظ
العالم كله ، وكل خطة مسئولة يجب أن تضع فى حسابها الظروف الدولية ،
والامكانيات •

مصر والسوفيت

سرح الرئيس ببصره عبر حاجز الشرفة ، وأحسست للحظات انه
سينى ، فانتظرت بعض الوقت قبل ان استأنف سؤاله •

● - سيادة الرئيس ••• هل الامكانيات التى تشير
اليها هى السلاح ؟

قال الرئيس :

— نعم •• لم يكن تسليحنا على خير حال •• وساقول لك سرا لم
يعرفه أحد حتى الآن • لقد دخلنا المعركة ونصف طائرات الهليكبتر التى
عندنا معطلة ، بسبب نقص فى قطع غيارها •• وهى قطع كان يكفى
لاستيعابها صندوقان تحملهما طائرة ركاب عادية ، ولكن الأصديقاء
السوفيت لم يسعفونا بها •

١٥ يقودنا هذا ، يا سيادة الرئيس الى مسألة العلاقات المصرية السوفيتية بصفة عامة . لقد سمعت كثيرين ، اثناء جولة اخيرة قمت بها فى عدد من بلدان العالم ، يلقون تبعة الفئور بين مصر والاتحاد السوفيتى على عاتق مصر . ويشيرون بوجه خاص الى ان مصر سلطت الاضواء على كل من ساهم بدور فى انتصار اكتوبر ، الا الاتحاد السوفيتى .

قال الرئيس :

— من قال اننا لم نسلط الضوء على الدور السوفيتى ؟ ان من يقول هذا يستطيع ببساطة أن يعود الى الصحف ، ليرى كيف تحدثت ، وكما مرة تحدثت أنا عن دور السوفيت فى مساعدتنا . لقد صرحت ، والمعارك قائمة ، باننا عبرنا بالسلح السوفيتى وأكدت أكثر من مرة ، وفى قمة تجمد العلاقات بيننا ، اننا نقدر دور الاتحاد السوفيتى ومساعداته ومناصرته .

● ما هى المشكلة اذن ؟

قال الرئيس :

— المشكلة كانت دائما حول موقف الاتحاد السوفيتى من تسليحنا ، ولهذه المشكلة تاريخ طويل سبق أن شرحتة ، ولا أجد فائدة فى تكراره ، واثناء الحرب أعدت امريكا الجيش الاسرائيلى بأسلحة تعوض كل ما فقدته ، وبأسلحة جديدة لم تكن لديه ، بينما الجسر الجوى السوفيتى كان ينقل الينا صفقات سبق الاتفاق عليها ، وتأخر تنفيذها ، وكان مفروضا أن تصل قبل ٦ اكتوبر .

وقد رحبت ، مع ذلك . . بهذا الجسر أروع ترحيب ، وعندما زارنا كورسيجين اثناء القتال ، قلت له : هذا حقا هو الأسلوب الذى ينبغى أن يمسود علاقاتنا . . ولننس ما فات .

ولكن ما كاد القتال يتوقف حتى توقف ورود الأسلحة ، حتى المتفق عليها ، والمتبقية من العقود السابقة ، بينما استمر الجسر الجوى الأمريكى يعوض اسرائيل عن كل ما فقدته . . لم نحصل نحن على طائرة واحدة من الطائرات التى فقدناها ، ولم يبدأوا فى تعويض الدبابات الا بعد اسبوع من وقف القتال . . رغم حاجتنا الشديدة الى الدبابات اثناء معركة « الثغرة » .

وسكت الرئيس لحظة ٠٠ ثم اضاف :

- لقد جعد السوفيت مساعداتهم حتى فى غير المسائل العسكرية ٠٠
هل تتصور انهم طالبون بثمانين مليون دولار من فوائد الديون فى نفس
الاسبوع الذى اعتمد فيه الكونجرس الأمريكى ٢٢٠٠ مليون دولار
لإسرائيل ؟

● ما السبب يا سيادة الرئيس ؟

قال الرئيس :

- انهم حتى الآن لم يشرحوا السبب .

● لكننا نعلم ان من المبادئ المقررة فى السياسة
المصرية ان الصداقة المصرية السوفيتية صداقة
استراتيجية . فهل تغير هذا ، خاصة وان
الأحاديث تتردد كثيرا عن سياسة أكثر توازنا
ما بين الشرق والغرب ؟

قال الرئيس :

- من جانبنا لم يتغير شيء ٠٠ وموقفنا من الصداقة مع السوفيت
ما يزال نفس الموقف ٠٠ والدليل على هذا هو تجديدي للتسهيلات الممنوحة
للاسطول السوفيتى عندنا .

ان جوهر المشكلة هو موقف السوفيت انفسهم وضرورة أن يتفهموا
مضمون الصداقة بيننا ، وحرصنا على طابع الندية فيها .

اننا حريصون على الصداقة المصرية السوفيتية وعلى تجاوز كل
أسباب سوء التفاهم ٠٠ ومهما حدث ، فلا جدال فى أن هذه الصداقة قائمة
ومجسدة فى السد العالى فى أسوان ، ومجمع الحديد والصلب فى حلوان ،
وفى تزويدنا بالسلاح منذ عام ١٩٥٥ .

لكننى أكرر مرة أخرى ٠٠ ينبغى على السوفيت أن يتفهموا جوهر
صداقتنا ، وطابع الندية فيها .

● هل تحسنت العلاقات بعد مقابلة الدكتور حجازى
للرئيس بودجورنى ، والرسالة التى حملها منه ،
خاصة وقد ذكرت الصحف أن الرئيس بودجورنى
قال للدكتور حجازى : ان الطريق إلى صداقة
العالم العربى يجب أن يمر بمصر .

قال الرئيس :

— اعتقد أن التفاهم بيننا يتزايد ٠٠ وأن العلاقات الآن تتقدم
وتتحسن ٠

سياسة المحاور

● سيادة الرئيس ٠٠ ماذا عن علاقتنا العربية ؟
لقد نجحتم هنا في خلق وتدعيم اوسع جبهة بين
الدول العربية قبل الحرب واثناها ٠٠ ولكن
لل بعض يأخذ علينا أننا بدونا منحازين لدول عربية
معينة ، وتجاهلنا دولاً عربية أخرى ، فما قول
سيادتكم ؟

ابتسم الرئيس وقال :

— اننى اعتبر التضامن بين العرب فى حرب أكتوبر من أروع فصول
هذه الحرب ومن أهم نتائجها ٠ ويكفى اعتراف أساتذة الاستراتيجية فى
العالم بأن العرب قد أصبحوا يشكلون بعد أكتوبر « قوة عالمية سادسة »
وهذا تعبيرهم ، وليس من عندى ٠

أما الذين تحدثوا ويتحدثون عن انحيازنا لدول عربية وتجاهل دول
عربية أخرى ، فهم ما زالوا متأثرين بنظرية « المحاور » القديمة ٠٠ ومن
هنا حديثهم عن محور « مصر — السعودية » مثلاً ٠ وهو حديث لا يستند
الى أساس ، وينطوى على خطأ فى فهم الواقع وظروف المعركة ٠

إننا جميعاً نخوض معركة مصير عربى واحد وقد فرضت ظروف
هذه المعركة ، وقدر التاريخ أن تكون مصر القاعدة العسكرية الأساسية وأن
تكون السعودية مالكة ستين فى المائة من احتياطى البترول العربى ٠٠
لما تساندت قدرة مصر العسكرية وسلطان السعودية البترولى بدا كل منهما
أكثر فعالية ٠ ولكن النصر فى أكتوبر كان للعرب جميعاً ٠٠ وشاركت فى
إنجازه كل المساهمات العربية على اختلاف مصادرها وأنواعها وأحجامها ٠

أن من حقائق المعركة أن السعودية ، بحكم سيطرتها البترولية ، تملك
تأثيراً هاماً على الحسابات الأمريكية وسأضرب لك مثلاً : عندما جاء
هنا هنرى كيسنجر ، خاطبته بأفاضة حول الحظر العربى على البترول ،
وكيف أنه يضر بالمصالح الأمريكية ضرراً بالغاً ٠٠ وطبيعى أنه لم يكن
يحدثنى بشأن البترول المصرى ٠٠ فمصر لا تملك بترولاً ٠٠ وإنما السعودية
هى التى تملك ٦٠ فى المائة من بترول العرب ، كما قلت لك ٠٠ وقد تخاطبت

بعد ذلك مع الملك فيصل في الموضوع واتفقتا على موقف جديد ، كان له بالفعل اثر بالغ .

هل يمكن ان نطلق على شيء كهذا تعبير « محور مصر - السعودية »؟

اننا لسنا من انصار المحاور ولا نؤمن بجدواها وسياستنا هي السعى الى تضامن عربي شامل وتنقية الجو العربي دائما من الشوائب . .
ولا اتصور ان هناك سياسة اخرى يمكن ان تخدم العرب في وقت يواجهون فيه معركة تحرير كبرى .

● وما حال التضامن العربي الآن في رأى سيادتكم ؟

قال الرئيس :

ـ في اذهى صورته .

● كيف الحال مع العراق ؟

قال :

ـ علاقتنا بالعراق طيبة جدا وتتمسك كل يوم .

● وليبيا ؟

قال

ـ المشكلة الجوهرية في علاقتنا مع الجمهورية العربية الليبية انها تريد ان تلعب دورا اكبر من حجمها وطاقاتها وستظل هناك مشكلة طالما العقيد معمر القذافي مصر على اتباع هذه السياسة .

● وماذا جرى في زيارته الاخيرة ؟

قال الرئيس :

ـ لقد جاء وصفينا الحساب معا بمعنى اننا حصرنا ما كان له عندنا من اسلحة وودائع

الانفتاح والتعمير

الوقت يمتد بنا وموعد العشاء قد فات ونائب رئيس الوزراء محمود سالم ، وصل منذ فترة وانضم اليها واستلتي لم تفرغ بعد والرئيس يصبر لاننى ضيفه .

● سيادة الرئيس هناك مسائل داخلية يلح الرأى العام في الاستفسار عنها ، وفي مقدمتها موضوع

« الانفتاح » .. ما مغزى هذا الشعار ؟ وما علاقته بالمعركة ؟

قال الرئيس :

— اظننى اوضحت فى احاديث سابقة ان سنوات الصمود الست كانت قد هبطت بوضعنا الاقتصادى الى مستوى سىء جدا .. وبعد المعركة كان طبيعيا ان تطفو الى السطح مشاكل اقتصادية جديدة كالتمجير مثلا .. وشعار الانفتاح يهدف بالتحديد الى مواجهة هذه الظروف .

ان العالم كله يفتتح على بعضه البعض .. الاتحاد السوفيتى يفتتح على الغرب ويتفق على قروض بمليارات الدولارات .. ودول عربية بترولية مثل العراق تحصل على قروض من فرنسا واليابان .. فلم لا نتبع نفس السياسة نحن ايضا لنطور اقتصادنا ، دون ان يمس ذلك بالطبع استقلالنا ؟

لقد اعلنا ، ومازلنا نعلن ، اننا نرحب فى المقام الاول برؤوس الأموال العربية .. فهى أولى وأجدر بالمساهمة فى التنمية على النطاق العربى كله .. وهى بذلك تساهم فى خلق السوق العربية المشتركة ، وفى تدعيم وتعزيز التضامن العربى .

ولا بأس لدينا ، فى نفس الوقت ، من الاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية وتشجيعها ، خاصة فى مشاريع التعمير .. ودائما بشرط عدم التفریط فى استقلالنا أو فى خطط التنمية التى نضعها لبلادنا .. هذا هو مغزى الانفتاح ومفهومه .

● يقودنا هذا ، يا سيادة الرئيس الى قضية التعمير ذاتها . ان هناك من يتساءلون كيف تعمرون وتنفقون الملايين على مدن القناة بينما الحرب لم تنته بعد ، وما ثبتيه اليوم قد يدمر غدا ؟

قال الرئيس

— سمعت هذا السؤال كثيرا .. وآخر من اثاروه معى كانوا الاخوة الصحفيين من الخليج العربى .. لكننى ارد على السؤال بسؤال آخر : هل يمكن ان اترك مليون مهجر يعانون التعاسة والغربة والضياع سبع سنوات ، ثم اطالبهم بمزيد من الانتظار ؟ ..

ولنفرض ان الحرب اشتعلت من جديد ، وهذا احتمال قائم طبعاً ،

فقد سبق أن أعلنت أن مدن القناة أصبحت من مدن عمق الجمهورية .. وأن
أى ضرب لها سارد عليه بالضرب فى مدن العمق فى إسرائيل .

ثم من قال أن الاستعداد للقتال ، أو توقعه ينفى المضى فى البناء ؟
لقد رفعنا من زمن طويل شعار « يد تبنى ويد ترفع السلاح » .. وجاء تطور
الأحداث يثبت أنه شعار سليم تماما . فما بيناه فى سنوات الصمود كان
دعامة معركة أكتوبر وبالذات القطاع العام المدنى .. الذى لعب دورا
أساسيا فى كسبها وزودنا بمعظم احتياجاتها .

أن المعركة لم تكن أبدا ، ولن تكون .. حجة للكف عن البناء
والترخى فيه .

● ولكن .. من أين المال ؟

قال الرئيس بحسم :

— من امكانياتنا أولا .. من عرقنا وكسبنا .. ثم من التمويل
الخارجى .

الحوار .. والأصزاب

بقى سؤال لا أدرى كيف أطرحه .. سؤال عن الحوار المباحث
الدائر فى هذه الأيام حول التطوير السياسى .. فكرت أن أمهد
له بالإشارة الى بعض ما تنشره « روز اليوسف » فإذا به يعلق
على عذبتها الأخير المخصص لعيد الفلاح .. ويبدى إعجابه
بمقال صلاح حافظ الافتتاحى عن « مصر الأخرى » .. مصر
الفلاحين ، ويقول لممدوح سالم : هذا هو الكلام الذى يجب أن
يقال .. هذه مصر الحقيقية التى تعمل وتضفى وتطمع
الآخرين ، ولا يشغلها ما يشغلهم .

ووجدت الفرصة سانحة عندئذ لألقى بسؤالى .

● سيادة الرئيس .. ما رأيكم الشخصى قيما يدور

الآن من حوار حول الاقتصاد الاشتراكى ،
والأحزاب ، والمناير ، ونسبة العمال والفلاحين
فى مقاعد المنظمات السياسية و ..

وإذا بالرئيس يقاطعنى :

— هذا هو السؤال الذى لن أجيب عليه ! اننى أتابع الحوار ، وأقرأ
كل ما ينشر حوله .. ولكنى أرفض أن أقول رأى الآن ، حتى لا تتأثر حرية

انناقشة : إن الحوار ظاهرة صحية .. والديمقراطية هي العمود الفقري للوحدة الوطنية التي أثبتت وجودها ، وتجلت كأروع ما تكون أيام المعركة . ونحن في حاجة الى هذه الوحدة .. لأن المعركة لم تنته بعد .. وأكرر : لم تنته بعد ..

● سؤال أخير يا سيادة الرئيس : طرأ على ذهني الآن ، وأنت تقول أن المعركة لم تنته بعد .. لقد شاهدت أخيراً عملية عبور قامت بها قواتنا المسلحة في منطقة القنابة ما هو انطباعكم بعدها ؟

قال الرئيس :

إن العالم الذي رأى حال جيشنا في يونيو ١٩٦٧ قد ذهل عندما رآه في أكتوبر ١٩٧٣ .. لقد نفذ جيشنا قرار وقف القتال وهو سليم وقوى وبعد بيان العبور ثبت أنه ازداد قوة ..

إننا بهذا البيان قلنا للعالم : ها نحن نعد يدنا للسلام ونحن أقوياء وسنذهب الى جنيف ونحن أقوياء ..

إننا لسنا « بهيماء جوعيين » وليس لدينا ما نقول للاستهلاك المحلي .. فالمعركة لم تنته .. وقرارات مجلس الأمن لتسوية عادلة ، موجودة .. وضمنان وتعهده الدولتين الكبيرتين موجود .. فإذا ركبت إسرائيل رأسها فسنحارب ، ولن نكف حتى يخرج آخر جندي إسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة .. وكل شيء في طريق هذا الهدف محسوب ، وكل الاحتمالات نحن مستعدون لها وقادرون تماماً على مواجهتها ..

● شكراً سيادة الرئيس .. لم تبق عندي أسئلة ..

— إذن .. تبقى للعشاء !

الملحق الثاني

حديث انور السادات الثاني للمؤلف ، ونشر في
مجلة روز اليوسف في ٢٤ مارس ١٩٧٥ عقب فشل
محادثات كيسنجر في اسوان .

وكان واضحا في الحديث انه اى السادات يخاطب
في الحديث جبهة الرفض العربى .

تحدث الرئيس انور السادات الى روز اليوسف .
اعلن انه غير متلهف على عقد اتفاقية جديدة

لفصل القوات ، وانه اذا فشل كيسنجر فان المبادرة
ستظل فى ايدينا لاننا نملك القوة العسكرية ونملك
استخدامها ، ورد على خرافة « الحل المصرى المنفرد »
التي ترددها جبهة الرفض فى العالم العربى ، ووصف
هذه الخرافة بانها ضد التاريخ . وقال ان تخطى مصر
عن دورها العربى وهم ، وامنية للاستعمار .

واذاع الرئيس اسرارا جديدة عن اتفاقية الفصل
الاولى ، وعن كيفية التوصل الى ليبيا الى اتصاد
الجمهوريات العربية ، وعن دور مصر فى تصفية
مشاكل العراق مع ايران .

وفيما يلى نص الحديث الخطير ، كما كتبه
عبد الستار الطويلة من اسوان :

لم اكن اجهل بالطبع كم هو مشغول :

كنت المس بنفسى درجة حرارة النشاط فى أسوان
وهى ترتفع يوما بعد يوم ٠ واتابع ما يبذل من جهد
مكلف ٠ يكاد يفوق طاقة البشر ٠

تباينت أغراضهم واختلفت أهدافهم ، ولكنهم اجتمعوا على
توجيه السهام الى سياسة مصر ٠٠ سمح أنها سهام طائشة
٠٠ لا تدري من أين ولماذا والى أين ٠٠٩ وهى لا تخدش
ولا تستطيع أن تخدش صلابة السياسة المصرية واستقامتها ،
ولا يمكن أن تشوش على وضوح الرؤية عند القيادة السياسية ٠

ولكن هذه السهام فى الحقيقة تؤثر على التضامن العربى بما تثير من
« شوشة » وضجة ، وقديما قال أجداسنا : العيار الذى لا يصيب ٠٠
« يدوش » ٠

ثم هى أيضا تؤثر على وحدة القوى الوطنية فى العالم العربى ٠٠ تلك
الوحدة التى خلقتها معركة أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ٠٠ والتى هى لازمة
لصالح قضية التحرير العربية حتى تستكمل مهامها على الأقل ٠

بهذه الفكرة فى رأسى جلست الى الرجل الذى صنع معركة أكتوبر
وإدارها ، الرجل الذى ورث تركة مثقلة ومروعة معا ٠

والذى استطاع أن يخلص العالم العربى كله من أخطر آثار التركية ،
زمو أثرها المعنوى المخرب للقوة والروح العربيتين معا ٠٠ حتى لكانه
أصبح هناك عالمان عربيان : عالم ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ وعالم ما بعد
أكتوبر ١٩٧٣ ٠

جلست الى أنور السادات وهو يقود السفينة وسط الأنواء والأعاصير
بحكمة وثقة ، وبمهارة بالغة ، ليحصد ثمار نصر أكتوبر الى آخر قطرة ٠٠
وليعيد للعالم العربى كل ما اغتصب منه فى غفلة من الزمان - والعرب
أيضا - بأقل الخسائر الممكنة ، حتى لا تتكل أم ابنها ٠ وحتى لا يتهدم بناء
قديم أو جديد تسكنه أسرة سعيدة ٠

الحل المصرى المفرد ضد التاريخ :

قلت للرئيس السادات :

● سيادة الرئيس ٠٠ التى اتابع مع عشرات
الصحفيين هنا فى أسوان جهودك من أجل الحق
العربى ٠٠ لا من أجل مصر وحدها فى تلك

المباحثات الصعبة المضنية وانا لم اجدى لتؤكد لى هذه الحقيقة •

- لقد سمعت فى الحقيقة تريد انا متمسكون بتحقيق الانسحاب
على الجبهات الثلاث وانا متمسكون بحقوق الشعب الفلسطينى • الخ •
وليس سرا اننى فى مباحثات الفصل بين القوات الاولى عام ١٩٧٤
كنت افاوض هنرى كيسنجر على خط الانسحاب من الجولان جنبا الى جنب
مع خط الانسحاب من سيناء • واصررت فى محادثاتى على ضرورة اخلاء
الغنيطة •

قلت :

● هذه حقائق معروفة • حتى ان الحديث عن حل
مصرى منفرد يعتبر فى نظر اى متابع للأحداث
نوعا من المغالطة ، كما يبدو ايضا نوعا من
الكفر والجحود •

على اننى فى الحقيقة اريد ان استمع من
سيادتكم الى التاصيل النظرى والتاريخى لهذا
التمسك المصرى بموقف عربى موحد ، او يصل
عربى شامل •

فسرح الرئيس ببصره بعيدا كانما ليسترجع احداث التاريخ ، ثم التفت
الى قائلا :

- ان فى تاريخ الامة العربية هجمتين خطيرتين •• ارادتا القضاء
عليها •• التتار والصليبيون •• ولم يستطع العرب مواجهة الهجمتين الا
باتحادهم •

وما كان ممكنا ان يخرج الاستعمار الاستيطانى الصليبي بعد ثمانين
عاما من العالم العربى الا بفضل تعاون « بر الشام » ومصر معا وتحت
قيادة واحدة •

ان هذه الخبرة التاريخية فى الماضى تصدق على كل ازمة او هجمة
على العالم العربى اليوم • والهجمة الصهيونية هى من نفس ذلك النوع
الصليبي الذى قصد به تدمير الشخصية العربية او على الاقل اضعافها
وحجبها عن موكب التطور •

واذا ما استعرضنا التاريخ منذ بدء التسرب الصهيونى ، منذ عهد
يلفور ، نجد ان مصر تلعب دورا اساسيا بجانب الدول العربية فى

مواجهة الصهيونية • الم تكن حرب ١٩٤٨ • • وحرب ١٩٥٦ وحرب
١٩٦٧ حربا عربية تحملت مصر فيها العبء الرئيسى ؟

قلت :

● وماذا عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ ؟

فأجيب :

- هذا الانتصار فى حرب اكتوبر ما كان يمكن أن يحدث لولا تضامن
النصف العربى قبل واثناء الحرب • • ولولا دخول مصر وسوريا معا المعركة
بتنسيق واحد • • ولولا مساندة سائر الدول العربية للمعركة •

وما كان ممكنا للعرب أن يستعيدوا ما استعادوه من كرامة ، ومكانة ،
وثقة بانفسهم ويقوتهم ، وثقة من العالم بقدراتهم • • ما كان ممكنا أن يحدث
هذا لولا التضامن العربى • • ذلك التضامن الذى كان وجوده شرطا منذ
التاريخ القديم لمواجهة التتار والصليبيين •

ويسط الرئيس السادات كفيه قائلا :

- من أين يأتون بهذا الكلام عن موقف مصرى منفرد ؟ ان هذا
ضد التاريخ •

لبيبا والوصدة العربية :

قلت :

● سيادة الرئيس • • فى اطار ايمانكم العميق
هذا بالتضامن العربى ، أين تحل مسألة الوحدة
العربية موقعا فى سياسة مصر ؟

- أولا : يعد تجربة انفصال سوريا • • اتفقنا وعلى رأسنا المرحوم
جمال عبد الناصر على ألا نخوض تجربة وحدة اندماجية مرة أخرى • وانما
تتحقق الوحدة العربية على مراحل •

اننا نريد أن نتحد لنبقى متحدين ، ولتستقر وحدتنا لا لتنفصل مرة
أخرى ، وفى عهد المرحوم جمال عبد الناصر تباحثت مصر ، بل هو شخصيا
مع كل من سوريا والعراق عام ١٩٦٣ على أساس إقامة اتحاد فيدرالى •

● وكيف وضعتم هذه الخيرة فى تجربة اتحاد
الجمهوريات العربية ؟

أجاب الرئيس :

— ان كل الناس يعرفون أنني خضت معركة من أجل ذلك الاتحاد ضد مراكز القوى التي كانت تعارضه تحت شعارات مختلفة •
وسأذيع سرا الآن ، وهو انه لم يكن مقدرا في البداية أن تدخل ليبيا هذا الاتحاد ، رغم كل ما تسمعون من « هتافات وحدوية » •

● كيف كان ذلك يا سيادة الرئيس ؟

قال انور السادات وهو يسترجع ذكريات التاريخ في تلك الأيام الحاسمة من تاريخ مصر بعد حركة التصحيح :

— انها قصة طريفة حقا •• لقد عقدت البلاد الأربعة : سوريا والسودان وليبيا ومصر اجتماعا حضره رؤسائها الأربعة ، واستمر الاجتماع أربعة أيام •

وفي ذلك الاجتماع قال الرئيس نميري صراحة انه لا يرفض الوحدة ، ولكن ظروف بلاده لا تسمح بانجازها الآن مكتفيا ببيان بتغازي •

أما ليبيا فقد طرح العقيد القذافي شعارات وكلمات ضخمة كمثّل تلك التي يرددها بعض أطراف جبهة الرفض الآن • وكان ظاهر هذه الشعارات المزيدة الوحدوية الفورية الاندماجية و •• و •• وباطنها الحقيقي رفض للوحدة • لأن العقيد القذافي ببساطة يطرح شروطا يصير على تنفيذها كتمن لتلك الوحدة •

وسكت الرئيس لحظة ريثما يرشف كوبا من الماء نصف البارد •• وعاد يقول :

— كان الموقف أمامي اذن : ان هناك دولتين لن تدخلوا الوحدة • احدهما السودان ، والاخرى ليبيا •• وان اختلفت الأسباب •

عندئذ قلت : « موجها حديثي للرؤساء الثلاثة : ان حافظ الأسد لن يعود هذه المرة الى سوريا دون أن ننجز معه الوحدة • وسأعيد معه إقامة الجمهورية العربية المتحدة على الأسس الجديدة التي وضعناها لاتحاد الجمهوريات ، أي على أساس اتحاد « فيدرالي » •

ووافق أخى حافظ الأسد على ذلك •

وهنا فقط عاد العقيد القذافي فتنازل عن شروطه ، وطلب أن ينضم الى الاتحاد • وحدث بعد ذلك ما عرفه باتفاق دمشق وما تلاه من خطوات • نحن اذن وحدويون •• ولكننا ندرك أن الوحدة عملية صعبة ••

وتحتاج الى خطوات ٠٠ ونرفض أية شروط كثمن لهذه الوحدة ٠٠ كما
نرفض أية محاولة لاجبارنا على التوحد بشكل معين ٠

واستطرد الرئيس أنور السادات قائلا :

— ليس التضامن العربى الحالى أساسا وتمهيدا. عظيما للوحدة
العربية فى المستقبل ؟ ١٠٠٠ ليست مصر هى التى لعبت الدور الرئيسى من
أجل خلق ذلك التضامن ٠٠ والابقاء عليه وتدعيمه فى وجه كل المحاولات
لتخريبه ؟

قلت :

● هل ترون أن اتجاه مصر نحو الوحدة العربية
يبدأ بثورة ٢٣ يوليو فقط ؟

فاجاب قائد مسيرة ثورة ٢٣ يوليو ، بامانة الثائر الذى لا يتجاهل
التاريخ :

— لابد أن نعترف بالحقائق التاريخية الموضوعية ٠٠ ان التزام مصر
بالعالم العربى فى تاريخها الحديث موجود قبل ثورة ٢٣ يوليو ٠

ورغم أن هذا الالتزام كان مهزوزا بحكم وضع مصر حينذاك كـ
شبه مستعمر ٠٠ ومحكوم بنظام رجعى متخلف ٠٠ الا أنه عندما تبلورت
أول فكرة للوحدة على مستوى الدول العربية تحت اسم «الجامعة العربية»
جاء الملوك والرؤساء العرب الى الملك فاروق فى انشاص ٠٠ وأبرم أول
اتفاق رسمى للتوحد أو التجمع العربى فى مصر ٠ ولو أن ايدن وزير
الخارجية البريطانى بارك ذلك ٠

● من أين نشأ ذلك الالتزام التاريخى ؟

— هذا قدر مصر ٠٠ قهى طوال عمرها ، بحكم موقعها الجغرافى
والحضارى والثقافى والاستراتيجى ، وبحكم عدد السكان ، كانت وما تزال
أكبر دولة عربية وأكثرها فعالية وتأثيرا فى المنطقة ٠ وأكثرها التزاما
تجاه العرب ٠

الا ترى أن مصر عندما انتصر جيشها فى سيناء فى أكتوبر أحس
العرب كلهم أنه انتصار لهم ؟

وحتى أولئك الذين يطالبون مصر بكذا وكذا إنما فى الحقيقة يعكسون
احساسهم — مهما بلغ سوء نيتهم — بالدور الخاص والقدر الخاص لمصر
بين الدول العربية ٠

العرب ٠٠ واليهود الحمر

كان على أن أعد استلتي عن الجزء الثالث من حديثنا ، وهو عن قضية فلسطين ، بينما كان الرئيس أنور السادات يقوم بدوره التقليدي كمضيف كبير ٠٠ فيأمر لى بقدرح ثالث من عصير البرتقال .

● سيادة الرئيس ٠٠ أننى أيضا أريد أن أعرف لمحات من الأسس الفكرية التى تحكم السياسة المصرية تجاه قضية فلسطين ٠٠ هذه السياسة التى أرى أنها قد حققت نجاحا كبيرا إذ تأكد الوجود الفلسطينى الشعبى بعد ٢٥ عاما من التجاهل ٠٠ واعترف العالم كله تقريبا واقعيا على الأقل بمقظمة التحرير الفلسطينية ٠٠ وأصبح الحديث الآن يدور حول دخول المنظمة كطرف مستقل فى محادثات جليل لتسوية شاملة فى الشرق الأوسط ٠٠ ولأول مرة أصبحت قضية إقامة دولة فلسطينية على جزء من الأرض الفلسطينية مسألة يتعاطف معها الرأى العام العالمى ، بل ودول كثيرة كانت لا تكاد تسمع عن شىء اسمه فلسطين أصلا .

قال الرئيس ضاحكا :

ـ هل هذا سؤال أم بيان ؟ المهم ٠٠ ان هناك أربعة عناصر اساسية تحكم الموقف المصرى وتجعل مصر ملتزمة فى الماضى ، وفى الحاضر ، وفى المستقبل ، بقضية فلسطين :

١ - أولا - قدر مضر الذى تحدثنا عنه ، والتزامنا كدولة عربية بالدور الأساسى فى مواجهة أى أزمة تواجه العالم العربى كله .

ثانيا - انه حتى بحكم المصالح الوطنية الانانية فان مصر ملتزمة بالدفاع عن قضية الشعب الفلسطينى ، أو بالأحرى مشاركتة فى الدفاع عن نفسه ازاء الهجمة الصهيونية . يحكم ان فلسطين مجاوزة لنا ٠٠ ولتبقى حدودنا .

ثالثا - ان العالم العربى كله جسم واحد ، اذا اشتبكتى منه عضو اشتكى باقى الأعضاء . جسم تحكمه وحدة المصير . ووحدة المصير ليست

كلمة فامضة • انها تعنى ان الاستعمار مثلا اذا التهم بلدا عربيا وسكت
الباقون فانه سيلتهم بقية البلاد واحدة وراء الاخرى •• هذه بديهيات
وحقائق يعرفها تلاميذ المدارس •

ولذلك كانت خطة العدو دائما هي تقسيم البلاد العربية والتفرقة
بينها ، حدث ذلك في الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا •
وحدث في اتفاقية ساپكس بيكو •

وقد كان العدو يدرك منذ زمان بعيد وحدة العالم العربى • وعندما
هزم لويس ملك الصليبيين في المنصورة فانه حاول استرداد كرامته في
بلاد عربية أيضا •• فذهب يغزو تونس والجزائر •

وفي الوقت الحالى تحاول الدول الكبرى اعادة هياغة المنطقة
جغرافيا ، وخلق نفوذ لها حيث تستطيع •

رابعا - التحدى الحضارى للصهيونية : ان الاستعمار لا يترك منطقة
الا ويترك وراءه فيها ذيو لا تأثير الخلاف والتناقض •• كما حدث في الهند
مثلا • وهو قد خرج من المنطقة العربية تاركا لنا مشكلة فلسطين • وهى
في جوهرها ليست فقط اغتصايبا لأرض عربية ، وانما هى تحد حضارى
من الصهيونية للعالم العربى •

وسكت الرئيس انور السادات لحظة ريثما يشعل البايب ، ثم
نظر الى قائلا :

ـ هل رأيت افلام الهنود الحمر ؟

ان الصهيونية تريد ان تحول العرب الى هنود حمر •• يقفون حيث
هم « محلك سر » •• دون تطور حضارى • انها تريد ان يتحول للعرب
الى العيش في معازل •• « وجيتو » •

والتحضر بالنسبة لنا نحن العرب قضية حيوية •• بل هو قضية حياة
او الموت •

ولذلك نحن ضد الصهيونية ، الخطر الداهم لا على الشعب الفلسطينى
فقط بل على الشعوب العربية جميعا بما فيها مصر • ولذلك فنحن نؤيد حق
تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ونناضل لكي تكون له دولة • وموقفنا
واضح ومحدد • وقد أكدنا أكثر من مرة انه ما لم تحل القضية الفلسطينية
فسيزل خطر تفجر الموقف في المنطقة قائما ••

● هذا يفسر إذن التصدي المصري منذ البداية
للزحف الصهيوني في العالم العربي ..
ولكن خصوصاً يقولون أننا من أجل أن نصل إلى
اتفاق يحل المشكلة المصرية يمكن أن نتخلى عن
التضامن العربي ؟

قال الرئيس في ثقة :

— إذا كانوا لم يتعلموا من خبرة التاريخ القديم .. بعد درس حرب
١٩٧٣ .. ومن اتفاقية الفصل ١٩٧٤ في سيناء والجولان .. ومن تضالنا
من أجل فلسطين .. قلن يجدى الحوار ..

اننا نعمل دائماً من أجل التضامن العربي .. ونصفي العلاقات
العربية .. حتى مشاكل بعض الدول العربية مع جيرانها نعمل على
تصفيتها .. وليس سرا أن مصر بذلت الجهود المكثفة الأساسية لحل الخلاف
بين العراق وإيران ؟

ولقد تلقيت برقية من صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي
وهو في الجزائر ، يشكر فيها دور مصر لحل المشكلة قبل أن يحضر اجتماعه
مع شاه إيران والرئيس بومدين .. وكذلك بعث لي شاه إيران بمثل تلك
البرقية من الجزائر أيضاً ..

وصيحت الرئيس السادات لحظة ، ثم قال :

— أن الناس كلها ترى سياستنا واضحة من أجل خلق تضامن عربي
في المجال الاقتصادي .. لقد قلت عدة مرات أن العرب يملكون رأس المال ..
والدول المتقدمة تملك التكنولوجيا .. ويجب إجراء تقاوج بين الاثنين : رأس
المال العربي والتكنولوجيا الأجنبية لتطوير العالم العربي وجعله القوة
السادسة فعلاً ..

ولقد عقدت رئيس مجلس الوزراء المصري الدكتور حجازي عدة
اتفاقيات لأقامة مشاريع عربية مشتركة في مصر .. وعقدنا اتفاقيات
مماثلة مع العراق .. ونحن نعمل في الواقع من أجل خلق سوق عربي
مشترك .. وهو أساس الوحدة العربية في المستقبل ..

اننا نرسم خططنا الاقتصادية لنهضة العالم العربي كله ، ولمشرات
السنين المقبلة ، على أساس التضامن العربي .. فكيف يتصور مخلوق أننا
يمكن أن ندير ظهراً للتضامن العربي .. من أجل ما يسمى « بحل مصري » ..
.. ونحن نعرف جيداً أننا لو سمحنا للعدو أن ينفرد بكل دولة عربية
بوحدها لالتهمنا جميعاً !

إذا فشل كينستونجر

كان الرئيس أنور السادات يفيض في الشرح وتوضيح الأمور
حتى أحسست أنني جالس أمام أستاذ جامعي .. يربط بين
حقائق التاريخ في الماضي والحاضر ربطا جدليا .. فيرسم
طريق الحاضر والمستقبل في يسر شديد ..

قلت للرئيس :

● سيادة الرئيس .. دون التعرض لأسرار
المباحثات بينك وبين الدكتور هنري كينستونجر أريد
أن أعرف ما هي الصعوبة الأساسية في اتمام
الاتفاق هذه المرة ؟

قال الرئيس :

— وهل كان الاتفاق سهلا في المرة الماضية ؟ ان ما يمكن أن أقوله لك
أن وضعنا أفضل من العام الماضي .. وإسرائيل هي الموزونة الآن أي في
« كورنر » كما يقولون .. وأنا أتباحث هذه المرة ولست قلقا للتوصل إلى
اتفاق ..

قلت :

● هل يعني هذا أن الاتفاق الجديد لن يحسن وضعنا
عسكريا وسياسيا ؟

أجابني في ثقة :

— أن وضعنا بدون اتفاق حسن عسكريا وسياسيا .. وإذا ما تم
الاتفاق الجديد فسيكون وضعنا أحسن وأحسن ..

● سيادة الرئيس .. أود أن أعرف تفسيراً لقولكم
أنكم لستم قلقين للتوصل إلى اتفاق .. وأن
وضعنا الآن حتى بدون الاتفاق حسن ..

قال :

— أن كل ما كان عندنا قبل أكتوبر ١٩٧٣ نقلناه بعد أكتوبر إلى
المجتمع الإسرائيلي .. التمزق .. والضياح .. والانقسام .. وعدم إدراكه
ماذا سيحدث في المستقبل .. وعلاوة على هذا ، فإن إسرائيل قد كشفت
أمام العالم .. ووضعناها في حجمها الحقيقي أمام الدنيا .. فلم تعد ذلك
الجبار « السوبرمان » ..

وهي الآن كما قلت لك في «كورنر» ، اذا لم تحقق الانسحاب الجزئي الجديد فانها ستبدو في صورة المتحدى للرأي العام العالمي وإرادة المجتمع الدولي .

ان كل تحرك تقوم به اسرائيل ينقلب ضدها . انها كالمخلوق ذي العافة الآن ! بينما على الطرف المقابل نحن . . . سياستنا واضحة ومستقيمة ويعرفها العالم جيدا . ومن ناحية أخرى معنا الحق . واهم من ذلك معنا القوة . القوة العسكرية . وقوة التضامن العربي بأساليبه المختلفة .

— باختصار : نحن اليد العليا الآن .

● ما الفرق بين وضعنا عام ١٩٧٧ عند اتفاقية فض الاشتباك الأولى وبين وضعنا الآن ؟

قال الرئيس :

— عند اتفاقية فض الاشتباك الأولى كنت حريصا ومتعملا للتوصل الى اتفاق . . . فقد كنت أريد تحديد حجم انتصاري وسط حملة القشويش التي كانت موجودة (وشارك فيها أطراف جبهة الرفض أيضا) . بسبب وجوه الثغرة الاسرائيلية :

قلت :

● وما هو البديل عندنا اذا ما فشل هنري كيسنجر في التوصل الى اتفاقية ثنائية للفصل بين القوات ؟

— كما قلت لك لسنا قلقين على الاطلاق . ان المهم عندنا ان الوضع يصبح في صالحنا ويد العرب هي العليا .

وما دامت يدنا هي العليا فاننا نمتلك ناصية المبادرة بأي طريق . امامنا مؤتمر جنيف نتجه اليه . امامنا مجلس الامن . امامنا العالم ومنظماته . امامنا الدولتان الكبيرتان الضامتان للقرار ٢٤٢ .

ونحن لن نتشجع . . . ولن نتحدث عن الاستعمار والامبريالية الرجعية . . . ان هذه هي اسهل الاساليب . . . اننا سيمضي في استخدام السبل التي نراها ملائمة . . . خصوصا ونحن نملك القوة العسكرية ايضا . . . ونملك استخدامنا . . . وقد جربنا استخدامها . . . وجربوا هم استخدامنا لها .

● هل هناك اتفاق من جميع الأطراف على التوجه الى مؤتمر جنيف بعد الاتفاق الجديد ؟

— سواء توصلنا إلى اتفاق أو لم نتوصل سنتجه إلى جنيف . ولن تحدث خطوات أنسحابية جديدة بعد الخطوة الحالية إذا تم الاتفاق . إلا في إطار التسوية الشاملة في مؤتمر جنيف .

قلت :

● سيادة الرئيس .. ان البعض يقول انه كان من الأفضل ان تدخل مصر مؤتمر جنيف منذ تم وقف إطلاق النار ، والله كان من الأفضل ان يتم التوصل إلى اتفاق فصل القوات داخل ذلك المؤتمر .

قال الرئيس ضحكاً :

— غريبة هذه الضجة حول مؤتمر جنيف .. وأنا الذي دعوت إليه وذهبت إليه عام ١٩٧٣ بينما لم تذهب سوريا .

ثم أمسك الرئيس ورقة وقلما .. ورسم مثلثاً .. وقال :

— إن السياسة المصرية مثل ذلك المثلث قاعدة المثلث تمثل المبادئ التي لا نعيد عنها أبداً :

جلاء قوات الاحتلال عن كل الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وهذه القاعدة هي الاستراتيجية .. ثابتة لا تتحرك . أما رأس المثلث فهو التكتيك ، الوسيلة ، ولأن المثلث هذا يتحرك يمينا أو يساراً أو وسطاً .. لتحقيق الهدف الاستراتيجي الثابت ..

ورضع الرئيس القلم .. ونظر إلى قائله :

— لعنك فهمت ما أعنى ..

عندما يطرح الأمريكيون نظرية الحل خطوة خطوة .. فأننى أبحث ما إذا كانت تحقق شيئاً في سبيل الهدف الاستراتيجي .. وأوافق على الخطوة .. وأعارض ما قد يحيط بها من شروط تتعارض مع ذلك الهدف الاستراتيجي .

وإذا ما عدنا إلى ما بعد وقف إطلاق النار عام ١٩٧٣ .. فسنعقد أنه كان مستحيلاً نفس الاكتشاف الأول في مفاوضات داخل مؤتمر جنيف ..

وأشعل الرئيس السادات دخان البايب .. بينما بدأت أرشف فنجان القاهرة الرابع ، واعتدال اسوان الزيمبي بدأ يتحول إلى حر بعض الشيء .

ثم استأنف الرئيس حديثه قائلاً :

— أولاً لابد أن ندرك أننا كنا نفرض الاشتباك مع الولايات المتحدة وليس مع إسرائيل . . . فقد كان الذى يحاربنى فى التسعة أيام الأخيرة للتحرب هو أمريكا .

وفى البداية كان ما اطالب به هو عودة الاسرائيليين الى خط وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر .

ولكن كيسنجر قال لى . . . ان الاسرائيليين « مزنوقين » . . . ويفكرون فى الانسحاب من الضفة . . .

وكنت أعرف ذلك طبعاً . . . فقد كان مدخل العدو الى غرب القناة ممراً عرضه ستة كيلومترات . . . وقواته محاصرة بمائة ألف جندي مصري يرضون فى الشرق بعد قرارنا التاريخى برفض سحب أية قسوة من هناك . ومن الغرب توجد القوات المصرية التى بدانا نحشدنا على عمل .

كنت أعرف سوء حال الاسرائيليين . . . كما قال بعد ذلك الجنرال شارون فى مذكرات اليعازر رئيس الأركان السابق عن الضفة : « أن حالنا أسوأ مما كنا فى أى وقت سبق » . كما صورت جولدا ماير الموقف عندما قالت « نحن فى الحضيض » .

قلت :

● هل يعنى هذا أن الأمريكين هم الذين اقترحوا انسحاب الاسرائيليين من الضفة ؟

— ان كيسنجر قال لى انى أعلم انكم قادرون على تصفية الضفة . . . وأنا والرئيس نيكسون ندرك موقفكم ، ولكن الينتاجون لن يسكت عن مساعدة إسرائيل . . . كما ان الاسرائيليين يدركون طبعية مركزهم . ويعرفون أن معركتهم خاسرة . وقال كيسنجر لى ان الجهود التى نبذلها فى إعادة الاسرائيليين الى خطوط ٢٢ يحسن أن نبذلها فى فض اشتباك واسع يسمح لهم بالخروج من الضفة . فوافقت طبعاً .

واستطرد الرئيس يقول :

— لم يكن ممكناً ان يتم ذلك فى مؤتمر جنيف فالقوتز كان موجوداً . . . والاعصاب مشدودة بين الطرفين المتقاتلين .

وكان طبعياً أن يحدث استقطاب داخل المؤتمر : الاتحاد السوفيتى يؤيد العرب وأمريكا تؤيد إسرائيل . . . ونعود الى حالة اللاعلم واللاحرب . . .

قلت

● سيادة الرئيس .. اذا ذهبنا بعد الاتفاق الحالي
الى مؤتمر جنيف .. فكيف ستكون الصورة ؟

— اننا لو توصلنا الى اتفاق جديد لغض الاشتباك في سيناء والجولان
.. فسنكون قد انتزعنا الفتيل من الوضع المتفجر في المنطقة .

ونحن قم استطلعنا خلال الفترة الماضية زهزحة القوة الرئيسية المؤيدة
لإسرائيل ، وهي الولايات المتحدة ، عن موقفها المؤيد مائة في المائة الى
موقف يصنفونه في الولايات المتحدة باقامة سياسة متوازنة .

● وما هي توقعاتكم بالنسبة لنجاح مؤتمر جنيف ؟

اجاب الرئيس :

— ان الصراع الحالي .. صراع اجيال .. وغير متوقع حل المشكلة
في اسابيع أو شهور قليلة في مؤتمر جنيف . سيستغرق الأمر وقتا .

● لماذا ؟

— لتعقيدات المشكلة نفسها . والصراع بين الدول الكبرى .. والموقف
حريى بإبعاده .. والعلاقات الدولية بين الكبار والصغار .. اننا يجب
ان ننظر للخريطة العالمية كلها لنحدد سياستنا تماما .

— ان لدينا وضوح رؤية كاملا .. وسياستنا تسير في خط مستقيم ..
هي سياسة عربية من أجل صالح الوطن العربي .. ووهم من يتصور
فصال مصر عن العالم العربي .. انه وهم .. وأمنية للاستعمار ..
اش فيها طويلا .. ودير مؤامرات عديدة من أجل تحقيقها . ولكنه فشل .
نحطمت كل محاولاته السابقة على صخرة التضامن العربي . وستحطم
صاولاته الجديدة أيضا .. وتبقى الصخرة !

● شكرا .. سيادة الرئيس .

الملحق الثالث

الصدىء الأول مع القذافى

وقد نشر فى مجلة روز اليوسف ١٩٧٦

الصدىء الأول مع القذافى

قلت للعقيد القذافى بعد أن جنسنا الى بعضنا البعض
فى غرفة سكوتيره الآخر سيد قذاف الدم فى ذلك العتبق
فى سبريلانكا ٠٠ هو على مقعد ٠٠ وأنا على السرير ٠٠
فى ذلك اليوم من صيف ١٩٧٦ أثناء انعقاد مؤتمر عدم
الانحياز هناك ٠

دعنا يا سيادة العقيد نبدا المناقشة ٠٠ وقبل أن نبدا
أود أن أوكد لك أنى قائم من تلقاء نفسى لأجسراء هذا
الحوار ٠ لم يتصبحتى أحد بعمة ولم استشر أحدا ٠٠
حتى المجلة التى أعمل بها لا تعلم شيئا عنه ٠ وسيكون
مفاجأة لها عندما اعود الى القاهرة بحصيلة الحوار
معك ٠

وأريد أن أكون صريحا معك والحقيقة أن حافزى وراء
السعى لهذه المقابلة هو حافز سياسى أكثر منه حافز
مهنى لأن القضية بالنسبة لى أنى مواطن مصرى اشتغل
بالسياسة ويزعجنى كما لملك قرأت فى كتابى « رفض
الرفض » هذا التمزق فى القسوى الوطنية العربية ٠
ويزعجنى أكثر أن الرفض قد تحول من كلمات الم القابل
وهسدسات شبد المدينين سواء فى مصر أو فى لبنان مما

يهدد حركة التحرر بكوارث أفدح مما جرى حتى الآن *
ولذلك أرجو ألا تسبب صراحتي معك حساسية من أى
نوع لأنك فى موضع الاتهام بالنسبة للشعب المصرى
وبالنسبة للشعوب العربية كلها بل وللعالم كله *

ونحن لا نتهمك بحكايات مثل مسألة « كارلوس » وما
حولها من خيالات دراماتيكية ، ولكننا نتهمك بمسألة
محددة اعترف بها عملاء المخابرات الليبية من المصريين
* أن نظامك يمارس عمليات تخريبية منظمة ومقصودة
فى مصر وضد المدنيين *

وأنا رجل فلاح تسيرنى نواياى الطيبة ونزعائى الفطرية التلقائية
حنبا الى جنب الرعى السياسى *

قال :

— أنا فى ليبيا أى واحد يمكنه مناقشتى ويقول لى يا معمر * وأنا فقط
تساءل عما اذا كنتم انتم اليسار الحكومى فى مصر احرارا فى كلامكم أم
لا ؟ هل انتم مثل بقية صحفيي مصر * اذا ما قال الرئيس السادات
أن معمر رجل وطني قالوا جميعا انه ابو الوطنية * واذا ما قال انى
مجهنون قالوا فى نفس واحد انى خريج مستشفى المجاذيب ؟

قلت :

— يا سيادة العقيد * لا اظن انه توجد صحافة فى العالم العربى ذات
طابع شمولى مثل صحافة ليبيا * فالصحافة عندكم تدق على وتر واحد *
وليس فيها معارضة أو نقد لشيء ذى بال * أما الصحافة المصرية فلن احدثك
عما تكتبه روز اليوسف وصباح الخير دائما حتى الاخبار تكتب بحرية لم
يحدث أن مارستها الصحافة المصرية منذ ربع قرن من الزمن *

وليس هناك يسار حكومى كما تقول *

فقاطعنى قائلا :

— لست أنا الذى أقول ذلك بل بعض اليساريين يهتمونكم فى مصر
بذلك *

قلت :

— هؤلاء هم اليسار الرافض وحق ذلك انه هنا لا امثل يسارا حكوميا
أو غير حكومى فلست مندوبا لأحد انما كما قلت لك انى مواطن مصرى

يسارى حقا لكن لم يكلفنى أحد بلقاتك وانما يدافع من نفسه فقط .
و « حكومية » يسارنا تجيء من اننا نعى الظروف الموضوعية والذاتية فى
بلادنا بحيث نقف موقف التدعيم والتأييد لنظامها الوطنى الحالى مع تقديم
من أجل تطويره . . . ولكننا لسنا حكميين بمعنى اننا نابعون أو موظفون أو
مأمورون . . . انه موقف اختياري ١٠٠٪ .

قال :

— اننا مستغرب انك جازفت هذه المجازفة الكبيرة فانت الصحفي
المصرى الوحيد الذى طلب مقابلتى .

قلت :

— ليس فى الأمر مجازفة ولا شيء . . . وتصورك هذا انعكاس لأنك
لا تعرف فى الحقيقة سياسة السادات ولا التطور الهائل الذى أحدثه فى
مصر . وربما هذا هو المصدر الرئيسى لتوترك فى علاقتك بالرئيس .

يا سيادة العقيد الى ما قبل حركة مايو كان جرس البيت اذا دق
بعد منتصف الليل انتفضت انا وزوجتى من النوم أو نرعبك وتصفر وجوهنا
اذا كنا يقطلين لأن معنى ذلك ان البوليس على الباب . . . والادهمى من ذلك
اننا لم تكن نفهم سبب هذا الهجوم البوليسى !

اننا الآن آمنون تماما . . . واعرف جيدا انه اذا كان ضدى أى اتهام
سيكون هناك جهاز أو أجهزة امثل امامها-تسألني وتستمع الى شرحي
ودفاعى عن نفسى . وليس فى مصر معتقلات . . . والله عهدك السادات كنت
وحافظ الاسد أن تحكما بليديكما بدون اجراءات استثنائية يوما واحدا .
وانا اعرف انه ما زال عندك معتقلون ٢ وفى سوريا آلاف .

ان السادات لشاع الديمقراطية حقا فى مصر ورد للانسان المصرى
شعوره بكرامته وأمنه بل احساسه بأنه يشارك فى تحديد مصيره بلاده .

واسمح لى أن استمر فى الحديث لأجلو لك بعض جوانب الصورة :

اذا كانت تصلك تقارير تقول لك ان نظام السادات يهتز أو ان
ال جماهير انصرفت عن تأييده فثق أنها تقارير كاذبة . . . ان مصر تمر
بصعوبات وازمات حقا معظمها اقتصادية وانتم العرب المنتجون للبتترول
والمستفيدون الاول من حرب أكتوبر المسئولون أولا وأخيرا عن هذه الأزمة
. . . ولكن الديمقراطية التى ارساها انور السادات فى مصر تريح الناس
وساعدت الناس على أن يفهموا جوهر الأزمة وسببها . والحكومة تغالج
أى ثورة جماهيرية بطريقة مختلفة كثيرا عما كان يجرى من قبل .

وأقول لك إن من يريد أن يحاول من الخارج أن يمس مصر ونظام السادات هو ممكنا سيقطع الجماهير يده .
وانا أقول لك الحقيقة عندما أحذر من أى قصور أو وهم لدى القيادة الليبية أن لسيادتك تأييدا من أى نوع فى مصر .
لقد جاء وقت أيام عبد الناصر وأيام السادات كان لك معجبون ومؤيدون فى مصر .

أما الآن واسمع لى أن أقول لك بصراحة انه لا يوجد فى مصر الا كل من يمتنى أن يرجع النظام الليبى بحجر . . . بعد حوادث القنابل الأخيرة .
حتى الطلبة الذين كان بعضهم يؤيدك من تأثير تأييده لعبد الناصر أصبحوا ضدك ولا يصدق أحد قط أى كلام لك عن حب مصر والاعجاب بمصر . فان المصريين لم يروا منك بعد حرب أنور السادات بل إثناءها الا كل شيء ينجرح شعورهم ويثيرهم ضدك لأنه لا يوجد تضامن منك معهم حقا .

بعد أن أصفى لى العقيد جيدا قال :

— هذا شيء غريب . . . انتم تفهمون القضية بالعكس تماما وتقبلونها . . . ده انا اللي زعلان ومجروح من مصر ومن الرئيس أنور السادات .
ان الرئيس للسادات قد اختار الحرب . . . هو قد حشد جيوشه ضدى على الحدود . . . ويهدسنا بالغزو . . .
بعد كل الذى عملناه لمصر .

ان الودائع الليبية ما زالت فى المصارف المصرية .

وتصورت فى خاطرى ان ليبيا نقلت بليوناً او بليونين من اموالها المودعة فى البنوك الأجنبية الى البنوك المصرية فسألته عن حكاية الودائع هذه فقال لى انها حوالى مائة او مائتى مليون دولار . فقلت له فى دهشة :
— وهل هذا مبلغ ؟ هل مائة مليون دولار تكفى شيئا . لماذا لا تضع بليوناً ؟

فقال :

— المهم هذا ما طلبته مصر . . . ووضعناه . . . ولم نسحب . . . وفى حرب أكتوبر قدمنا للجيش المصرى أجهزة اليكترونية وأجهزة اشعة تحت الحمراء اشتريناها بالعملة الصعبة من الغرب وقدمنا زوارق عيرت القنال .

وركبنا صواريخ في الزوارق البحرية وما حذر فرنسا بشأن صواريخ الكروتال الا بسبب اننا قدمناها لمصر . وقدمنا ملايس وطائرات ميراج (٢٥ طائرة) تحطم منها خمس في المعركة وقدمنا ١٠٦ دبابة لمصر و ١٠٠ لسوريا والدبابات التي تحاصرنا على الصدود الآن هي دبابات ليبية . وقدمنا الملابس والجوارب للجنود حتى صابون تايد والفانلات وفتحنا مخازن الذخيرة في قاعدة « عقبة بن نافع » وكنت اشترك بنفسى فى حمل الصناديق لشحنها بالطائرات واشرفت على شحن الدبابات .

وتحول مجلس قيادة الثورة فى ليبيا الى غرفة عمليات للمعركة .

وافريقيا قطعت علاقاتها كلها باسرائيل بفضل ليبيا .

وليبيا هى التى عملت على ان تكون القاهرة مقر منظمة الوحدة الافريقية وليس اديس ابابا ولم تفكر فى طرابلس .

وعندما كان الاسرائيلية على بعد ٨٣ كيلو متر من القاهرة لبست ملابس القتال والبراشوت وكذلك فعل عبد السلام جلود وركبنا الطائرة متوقعين خطر ضربنا بصاروخ لكى نشترك فى الدفاع عن القاهرة فى ٢٩ رمضان .

لا يوجد من يحب مصر ويدافع عن مصر مثل معمر ويكر يونس .
ثم تساءل العقيد :

هل هذه آخرتها ؟ اطلع مجنون ٠٠ معمر القذافى مجنون ١٩ .

فعلا مفيش رئيس عربى واحد يركب باراشوت ويطير علشان يحارب دده فعلا يبقى مجنون !

قلت وانا اسرى عنه :

لكنك افسدت هذا كله . وهو امر لا ينكره احد ابدا وعندما شككت فى الحرب اثناء المعركة ذاتها وبعدها وعقدت مؤتمرات فى اوربا ونشرت فى الموند الفرنسية وغيرها تهاجم سياسة مصر وتشكك فى نتائج حرب أكتوبر التى اعترف الخصوم قبل الاصدقاء انها انتصار ولو جزئى للعرب وترتبت عليها نتائج خطيرة وهامة على النطاق العالمى .

قال :

صحيح انى بعثت برقية للرئيس السادات عندما قبل وقف اطلاق النار لانى احسست ان « العار لحق بنا وكنا نقاتل معا فى خندق واحد ، وكان قبول وقف اطلاق النار بالنسبة لى نوعا من الذل للعرب وارسلت

لرئيس السادات برقية بهذا المعنى أقول فيها لماذا تقبل وقف إطلاق النار
والمفاوضات المباشرة مع العدو .

وأضاف العقيد وعلامات الألم على وجهه :

لقد كنت أقول لنفسى فى تلك الأيام لماذا يذلنا العدو ؟ ولماذا تقبل
الذل ؟

وشعرت بعد فك الارتباط الثانى بالذات أن السادات قد أنهى المعركة
مع العدو .

توقفت وقلت :

— ماذا تعنى بالمعركة مع العدو بالضبط وفى أى حدود تراها ؟ هل
ما زلت ترى أنه يجب أن نمارس معركة القضاء على إسرائيل ؟ هل أنت
كرئيس دولة يرى الوضع العالمى الموضوعى والظروف المحلية الذاتية .
هل ترى أن هناك امكانية لتحقيق مثل ذلك الشعار ؟

إذا أنت قد عدلت عن تلك الفكرة فسنستطيع أن ندرك جيدا سياسة
السادات وتعرف انها استثمار جيد لنتائج حرب أكتوبر للتوصل الى هدف
محدد هو ازالة آثار العدوان زائد تكوين دولة وكيان للفلسطينيين .

ان النضال ضد العدو يتخذ اشكالا مختلفة ، مرة دفاع مسلح ، مرة
مفاوضات ، مرة مناورات . ولو أنك قرأت كتابى رفض الرفض لرأيت شرحا
لتلك القضية .

قال : لقد قرأته وسأقرأه مرة ثانية .

واستطرد القذافى يقول فى لهجة متأثرة بل فى صوت متهدج :

— الذى عملته أنا مع مصر هو واجب وطنى دفعتنا اليه قوميتنا
واعزازنا لدور مصر ولا يبرر أبدا مهما عملت من أخطاء أن ينسب هذا الموقف
.. يعنى خلاص أصبحت ليبيا وحشه ؟ تقولوا يسقط القذافى .. المجنون
.. هل هذه آخرتها ؟

بعد أن قدمت روحى ، ومشيت وروحى على كفى ونزلت فى القاهرة.
فى الظلام تنسون ذلك وينساه الرئيس السادات أخى الأكبر والوالد الذى
قتل للمشيخ زايد أنه والدى .

هل تريدون تكفير العربى بالتعاون مع أخيه العربى ؟

هل تكافئونا بحشد الجيش المصرى على حدودنا .. هل أنا مجنون

أن أركب بمظلة للدفاع عن مصر ٠٠ يمكن مجنون بصحيح لأنه ما فيه
رئيس يعمل زي ما عملت ٠

هذه مسائل تحز في نفوسنا ونفس الشعب الليبي ٠

الم تفكروا لحظة في هذا الشعب ٠٠ هل تتصورون أن الشعب الليبي
ميسوط من ذلك الحشد على الحدود ؟ ٠

ولا تصور أن فيه شعب عريى ميسوط من الحكاية دي ٠ يعنى غزو
٠٠ فيه عريى يقبل أن بلد آخر يفزوه ٠

قلت ٠٠ ولكن ما رأيك في حل المشكلة الفلسطينية ؟
قال القذافي :

انا قلت لياسر عرفات اذا كنتم موافقين على الحل الذى تراه مصر
انتم احرار ٠٠ انتم اصحاب القضية ٠

قلت : يعنى كفاح مصر من أجل ازالة آثار العدوان لن يتعرض
لمزيد من الهجوم من جانبك ؟

قال : لا ٠٠ دي مش مشكلة ٠
قلت :

ماذا اذن في مساهمتك في انقلاب السودان الاخير ؟
قال في عصبية :

- مال مصر بالسودان ؟ ما شأن مصر بالسودان ؟ السودان يستطيع
أن يدافع عن نفسه ؟ ٠
قلت ضاحكا مهدئا اياه :

- الا ترى ان التاريخ يعيد نفسه على مستويات مختلفة ٠ انذكر
مناقشتى معك عن دورك في تحطيم انقلاب السودان اليسارى ٠ يومها لم
تفل ما شأن ليبيا ومصر بالسودان بل تعاوتما على تحطيم انقلاب قام
فاروق حمد الله « جمال عبد الناصر » ضباط السودان الاحرار بقيادته
واستولى على السلطة في خمس دقائق واستمر ثلاثة ايام لولا تدخلكم ٠
وقمت انت بالدور الرئيسى في قصة سيحاسبك عليها التاريخ حسبا عسيرا
يوما ما لذلك لم تحطف عملاء للاستعمار او خونة وانما عددا من ابسل
مناضلى الشعب السودانى وقد اثبتت تجربة التاريخ ان لميرى قد خذلك
ولم يكن الفضل من اليسار على اى حال :

وهكذا أثبت تدخلت في شئون السودان عام ١٩٧١ •

فليس من حقه أن تمنع مصر من التدخل والدفاع عن السودان ضد
أي انقلاب •

والحاجل اليوم مهزلة حقا •• ان اليمين السوداني يحاول تدبير
انقلاب ضد النمرى الذى مهما قيل فيه فهو قائد وطنى ويجب الوقوف معه
ضد أى انقلاب رجعى •• وما حدث بينه وبين القادة اليساريين الذين
اعدموا شئ مؤسف وحطم الوحدة الوطنية فى السودان حتى اليوم بل هو
المستول عما يجرى من مؤامرات رجعية كل يوم ••

ان المهدي والأنصار والأخوان المسلمين هم الذين حاولوا الانقلاب أى
أن الرجعية والولايات المتحدة هى التى كانت ستحكم السودان وهذا ضد
مصر. وشهد العالم العربى والحركة الوطنية كلها والشعب السودانى نفسه •
أين موقفك فى هذا ؟ ••

لقد وقفت بجانب اليمين الرجعى ••
وأين كان موقع السادات ؟

وقف ضد هذا اليمين وهزم المخطط الرجعى الامبريالى وانتصر لبقاء
حاكم وطنى مثل النمرى • وهو يمكن أن يتطور مع الأحداث •
لقد أخطأت أنت عام ١٩٧١ • وأخطأت عام ١٩٧٦ فى موضوع
واحد هو السودان •

والسبب فى رأى افتقاد الرؤية الصحيحة : النظرية والتجربة •
قال : ألم تقرأ النظرية الثالثة ؟
قلت :

لم أقرأ ما أصدرته من كتب بشأنها لكن قرأت ملخصات فيها وخطبا
ألقيتها أنت عنها ••
لكن لنؤجل لو سمحت لى - الجوار الأيدولوجى الآن وتدخل فى
صميم الموضوع وهو علاقتك بمصر •

أننى أريد أن أعرف بشكل حاسم راىك فى الاتهام الموجه لليبيا ان
أجهزة الأمن فيها تدبر حوادث التخريب والقنابل فى مصر ؟
قال فى عصبية :

لقد قلت لك من البداية انى برىء من هذا كله •• نحن لم نعرض ولم

نحرك أى أحد لالقاء قنابل فى مصر ٠٠ هل معقول أن تقتل المدنيين ؟

هذه حوادث يسأل عنها السادات نفسه ٠

قلت مقاطعا فى دهشة !

— كيف ؟

قال :

— أن المخابرات المصرية تتعاون مع المخابرات الأمريكية فى القيام بهذه الحوادث لافساد العلاقة أكثر بين مصر وليبيا ٠ والسادات يثق فى أجهزته ٠

ان الذين قبض عليهم مصريون وهم المسئولون ولو كانوا ماجوريين. فهم مسئولون أيضا ٠

هل حاكمتم مصطفى أمين أم حاكمتم أمريكا عندما أدانته المحاكم بالتجسس ؟

ما شأن ليبيا بحوادث تخريب يرتكبها مصريون وربما يقوم بها اصحاب تيارات مختلفة ٠ وكل يوم فى مصر يكتشفون قيارا وتنظيما. سريرا ؟

قلت :

— يا سيادة الرئيس ان المحاكم عندما أدانت مصطفى أمين أدانت معه الولايات المتحدة صحيح ان هذه الولايات لم تدخل السجن لكنها أدانت ولا معنى للقول ان المسئولين مصريون ٠

ولنناقش هذه القضية بهدوء ٠٠

لم يعد فى مصر أجهزة مهما بلغت قوتها تعمل لمسايبها الخاص ٠
ناهضك أن المخابرات المصرية تعمل وحدها مع المخابرات الأمريكية ٠٠
وتزيف على النظام العربى حوادث قنابل لأغراض سياسية مستحيل حدوثه
الآن بعد أن قلم السادات اظافر كل الأجهزة ولعلك تفهم مغزى محاكمة قادة المخابرات فى عهد عبد الناصر ٠ ان من بين معانيها :

اضرب المربوط يخاف السائب !

أو فليتعلموا من رأس الذئب الطائر !

• ان عمل تلك الأجهزة الآن تحت الضوء ٠٠ حتى ضوء الصحافة
الساطع وأى شخص فيها يمكن محاسبته ونقده جماهيريا •

من ناحية أخرى ما مصلحة المخابرات المصرية فى افساد العلاقة
بين مصر وليبيا ؟ ان تلك المخابرات من العناصر الوطنية ، وحتى لو نظرنا
الى المصلحة الضيقة فان الجيش المصرى والمخابرات المصرية تكمن
مصلحتها فى توطيد العلاقات مع ليبيا لأنه على الأقل كان هناك ضباط
يعملون فى ليبيا ويكسبون مرتبات أعلى من مرتباتهم فى مصر وأنا كان لى
أخ ضابط مهندس عندكم وأعرف التحسن الذى طرأ على حياته خلال خدمته
عامين فى ليبيا •

ثم مم تخاف المخابرات المصرية من ليبيا حتى تمكر صفو
العلاقات مع مصر ؟

ما هو النظام الليبى ؟ اننى أفهم ان المخابرات المصرية وكل أجهزة
الأمن المصرية تحاول ذلك مع نظام يسارى لأنه بحكم انتماءات تلك الأجهزة
الأيديولوجية ومصلحتها الطبيعية ترفض النظم الماركسية وهى لا تخفى ذلك
قط ٠٠ هذا اذا فرضنا ان تلك الأجهزة يمكن ان تتدخل فى الشؤون الداخلية
ليبلد آخر • لأنه لا يعجبها نظامها !

هل أنت كوبا ؟ ٠٠ هل أنت كاسترو ؟

ان الفرصة الوحيدة لليبيا ان تكون ذات اشعاع أيديولوجى فى المنطقة
هى ان تكون شيئا من هذا • ولكنها ليست كذلك فلماذا تتناقض معها
أجهزة الأمن ؟

واسمح لى ان افكار النظرية الثالثة هى خليط من افكار ناصرية بل
انك لم تجدد فى الناصرية شيئا • وبدأت من حيث بدأ عبد الناصر وليس
من حيث انتهى •

من ناحية أخرى ان أجهزة الأمن المصرية لو فرضنا انها ارادت تدبير
اشياء كهذه لتلصقها بليبيا لكان ممكنا ان تقوم بها دون ان تحدث خسائر
فى أرواح المدنيين •

ان قتل المدنيين له نتائج سيئة بالاضافة الى المشاكل التى يعانى منها
الشعب بحكم تضحياته فى المعركة • فهل تريد ان تقول ان النظام يثير
الجماهير ضده بنفسه ؟

ثم ما هو هذا « البوليس المخلص » الذى يضحى بنفسه ويتعرض للقتل

سأحمل قنابل ويفجرها وتتفجر فيه ؟ ٠٠ ولماذا يقبض البوليس على عميله
وقد أصيب بالعمى ٠٠ ويعترف علنا في التلفزيون بجريمته ؟

قال :

— أنا لا أعرف هذا كله ٠٠ لكن الشيء المؤكد والذي أريدك أن تتقونه
للعالم ولكل مسئول في مصر أنني لا يمكن أن يخطر ببالى أن اتحول إلى
مجرم أقتل المدنيين المصريين ٠٠

— قلت :

يا سيادة العقيد ألا يحتمل أن تكون لديك أجهزة تريد إفساد العلاقات
المصرية الليبية وتدبر هي هذه المسائل خصوصا أن الطابع البدوى ما زال
يغلب على عقلية المواطنين هناك أى أن الضبط والربط في الدولة ليس
قائما ٠٠

قال العقيد :

— أن الحكم في ليبيا يمثل سلطة الشعب تماما ٠٠ ليس هناك أجهزة
منفصلة فعندنا لجان شعبية ونقابات ومؤتمر عام ٠٠ ليس معمر القذافي
هو الحاكم وإنما كل الشعب .

وأمسك العقيد بورقتين وأخذ يكتب لى عليهما ويرسم نظام ومؤسسات
الحكم في ليبيا .

قلت :

سيادة الرئيس اسمح لى أن أقول لك أننا نفهم هذه المسائل جميعا
وأعرف جيدا معنى الدولة . بعد كل المؤتمرات وللجان ٠٠ هناك مجموعة
تقبض على جواهر السلطة . هؤلاء الحراس العديدين معك اليسوا الدولة ؟
هذا الحارس الذى كان يقف خلفك هو ممثل الدولة يعنى جهاز القمع والقهر .

وليس معقولا أن المخابرات الليبية ستعرض أعمالك وأسرارها
على مؤتمر شعبى للاستفتاء .

وهكاية عدم مسئوليتك عن أعمال معينة سبق أن ذكرتها عندما
تمركت المسيرة الشعبية التى أرادت الزحف نحو مصر ٠٠ هو شيء
لا يدخل فى عقل أحد .

ولنأخذ مثالا آخر .

عمليات المتسللين الليبيين لقتل عمر المحيشى والهونى ٠٠ هل هذه

أيضا تمت بمؤامرات مصرية أمريكية مع أن قضائنا قد أداهاهم وقضاؤنا،
فوق الشبهات ؟

قال القذافي :

لا ٠٠ حكاية المحيشى دى حاجة تانية ٠٠ لضباط يستمعون الى
اسرارهم واسماء زوجاتهم فى راديو الشرق الاوسط ٠٠ فهم من انفسهم
اصدروا قرارات لجنودهم بالتخليص على المحيشى ا

وانا اعلنت ذلك على العالم ان ضباطهم هم الذين امروهم ولست انا .

قلت :

سيادة العقيد هذا شيء خطير لا مثيل له فى اى دولة . كيف يقوم
ضباط بتدبير مؤامرات قتل خارج بلادهم دون استئذان من السلطة
المعنية فى البلد ؟

وهو خطير ايضا لأن ذلك يعنى ان هناك أجهزة وضباطا عندك قد
يكونون هم الذين دبروا حوادث القنابل فى مصر دون علمك مثلا ؟!

قاطعنى قائلا :

- لا ٠٠ انا هنا رئيس ولا يمكن عمل شيء من هذا دون قرار منى .

قلت :

- اسمعنى يعنى انت باركت القرار بالتخليص على المحيشى . ثم
انه امر خطير ان تلجأ دولة الى مؤامرات القتل خارج حدودها هكذا
علنا ؟

ان الصهاينة كانوا اكثر احتراما للعالم عندما اختطفوا ايخمان
وحاكموه فى بلادهم .

اما تدبير مؤامرات القتل ٠٠ فذلك شيء فظيع ويضر بنظامك ضررا
بليغا ويفتح الباب لتصديق اى حديث عن حمايتك لعصابات ارباب
دوايبة :

بل ان مواقفك فى تأييد بعض حركات التحرر تختلط بحوادث ارباب
وتفقد معناها وقيمتها .

والحقيقة انه بعد ان ذكرت لى حكاية الضباط الذين يتصرفون
وحدهم فيامرون جنودهم بقتل المحيشى أصبحت مصدقا للاتهام الموجه
ضد أجهزة الأمن الليبية بارتكاب حوادث التخريب فى مصر .

قال :

لا تتسرع فى الحكم .. لقد قلت لك ان ليبيبا بريئة من دم المدنيين
المصريين ثم استوقفنى لحظة .. وقال :

قبل ان نستطرد فى الحديث عن الحيشى لأن عندى كلام عنه أريد
ان أقول لك حكاية مهمة كنت أريد أن أذكرها منذ البداية .. أرجو أن
تبلغها للرئيس السادات بأى طريق ..

قلت :

ماذا ؟

اعتدل فى جلسته وبدأ يحكى بصوت مؤثر :

ان الذين يعملون على الافساد بينى وبين الرئيس السادات ذهبوا
الى أبعد مدى فى محاولة تشويه موقفى الشخصى ودسوا على حكايات
كاذبة عن سيدة عظيمة محصنة أقسم بالله انى برىء منها وهى وشايات
دينية ..

وسكت القذافى لحظة ثم قال فى تهديج شديد :

قل للرئيس السادات ان معمر عندما سسمع ذلك الكلام صعق
والكسف والزعج .. وتأثر تأثرا شديدا ..
واستطرد قائلا :

يبقى انا مجنون فعلا اذا كنت رددت مثل تلك الوشايات يبقى
السادات له ميت حق .. بل له حق أن يحاربنا فعلا .. وكل حاجة
أخرى يعملها .. لأن هذه قصص فظيعة !

وانا لو كنت محل الرئيس السادات لفعلت أكثر من هذا ولما تحملت
كما تحمل هو ..

يا أخ عبد الستار انا مسلم .. ومؤمن بالله .. انا بحق بجلال الله
لم تصدر منى حكايات قذرة كهذه ..

وانا بعد ان سمعت الحكاية دى قلت السادات معذور واللى عاوز
يعمله له حق فيه اذا كنت انا قلت كلام كهذا .. وكل شىء اتنازل عنه ..

قلت :

ان الرئيس السادات قائد موضوعى تدفعه وتحركه المصالح

العليا للوطن • واعتقد ان هذه الحكايات لا تجعله يشكل موقفا رئيسيا
ضد ليبيا وعلى اى حال فمن المفيد نقل تأكيداتك هذه اليه واعذك
بان الفعل •

قال : انتم معذرون فى اى كلام تقولونه ••

وأنا مستعد لأجراء تحقيق تقوم به أجهزة الأمن المصرية عن مصدر
هذه الحكايات الفظيعة ، واضع مليون دولار تحت تصرف هذه الأجهزة
لكشف الحقيقة يمكن أن اكتب لك بها شيكا الآن لتسليمها للسادات •
وقد سمعت أن عمر المحيشى هو الذى دس على هذه المسائل ولكنى
غير متأكد •

قلت :

وماذا عن الالتقادات المستمرة التى تقوم بها صحفكم للسيدة
جيهان السادات بزعم انها تتدخل فى الشئون السياسية للبلاد ؟

قال : اننى اكن للسيدة جيهان السادات كل احترام وتقدير وهى
أخت كبرى لى بل هى رائدة لزوجتى ••

وأنا كل أسبوع « مرتى » تتعارك معى وتقول لى يا معمر انت حر
فى خناقك مع الرئيس السادات • لكن انا ذنبى ايه : أريد أروح للسيدة
جيهان التى علمتنى اللبس والنظام والدنيا ماشيه ازاي وفتحت عيني
على الحياة ، ونفسى أزورها أما انت والسادات « فتعاركوا » على كيفكم ؟

قلت :

كيف اذن تسرى تلك الاشاعات والقصص الكاذبة كما تقول ؟

قال :

المشكلة ان الرئيس السادات يصدق التقارير والأشاعات وسأحكي
لك مثالين :

فى يوم قرأت انا تقريراً كتبته الأجهزة المصرية التى تقول فيه ان
ليبيا حشدت الجيش الليبى على الحدود تمهيدا لغزو مصر وضم جزء
من الصحراء اليها بعد تحريض اولاد على وأنه تمهيدا لهذا بعثت ليبيا
بسيارة دورية لجس النبض •

ولما حققت فى الموضوع تبين لى ان حرس الحدود الليبى اخذوا

عددا من العمال المصريين المتسللين وطردوهم عبر الحدود في سيارة
تويوتا .

وهل يتصور عاقل أن ليبيا تغزو مصر ؟ أو تضم صحراء
والصحراء الغربية جزء من مصر ؟

الم نحلم بمصر ودور مصر الأم ؟ كيف يقول أحد أننا نفكر في
غزوها لكن المسئول عن ذلك هو تلك القوى التي تريد تعكير جو
العلاقات المصرية الليبية .

قلت :

— لو سمحت لي أن هذا الصفو معكر من البداية وأعتقد أنه
المسئول عنه . أن مصلحة النظام في مصر الأكيدة هي ألا تصطدم به
نظم أخرى . وتتركه يمارس سياسته في هدوء . فإن لدى مصر من
المشاكل ما يجعلها تطبق شعار تضامن عربي على أوسع نطاق ولو في
أضيق الحدود ، ومحايدة لمن لا يقبل ذلك الحد الأدنى من التضامن .

وانا لا أريد أن أدخل في تفاصيل تصرفات الماضي ، لكنني سأضرب
لك مثلا في علاقة مصر بالعراق .

إن العراق دولة عقائدية أي يحكمها حزب ذو نظرة سياسية وفلسفية
شاملة لكل الأشياء . ويختلف العراق مع مصر بناء على هذه العقيدة
في النظرة للقضية فلسطين وفي طريقة حل المشكلة مع إسرائيل .

مع ذلك توصلت مصر إلى صيغة تعامل مع العراق أدت إلى أن
العلاقات بين البلدين قد أصبحت في حال طيبة مع احتفاظ كل منهما
بوجهة نظره . ولم يعد العراق يهاجم مصر وإن كان لم يتنازل عن وجهة
نظره بل تنشرها صحفه من حين لآخر .

إذا كنت تحب مصر وتؤمن بدورها القيادي أو أنها قلب الوطن
العربي . فلماذا لا تكون علاقة ليبيا مثل علاقة العراق بمصر ؟

لماذا لا تطبق سياسة التعايش السلمي مع مصر ؟ ودع التاريخ
يحدد لنا أي السياستين أفضل . وستطور سياسة التعايش السلمي إلى
تعاون فوحدة . الخ .

ثم لماذا لا تختلف مع الرئيس السادات في غرفة مغلقة ؟ لماذا
لا تقول له رأيك كيفما شئت في هدوء بينك وبينه دون هذه الضجة التي
تفسد كل شيء ولا تؤدي إلى شيء فإن أسلوبك في التعامل مع مصر قد أدى
إلى تدهور لم تشهده مصر مع أي دولة عربية أخرى من قبل ؟

ثم ما هو خلافاك مع مصر ؟ هل تريد القضاء على اسرائيل الآن ؟
لا تقبل التعاون مع مصر في النضال من أجل تصفية آثار العدوان وتشكيل
دولة فلسطينية وتسجل رأيك في الحل الاستراتيجي الشامل بعد ذلك ؟

قال :

انا مستعد .. وانا قلت لك اني ذكرت لياس عرفات كلاما كهذا
عندما جاءني وقال ما يصحش من أجل الفلسطينيين في لبنان انك في
خناقة مع مصر ولازم تنسقوا معها .

قلت له : ما دمتم انتم راضيين مع مصر فانا موافق لأن خلافي معها
يسببكم انتم وراح ياسر وتوقف برنامج الحيش الذي يهاجم الشعب
اليبي كل ليلة ليومين او ثلاثة ولكنه عاد من جديد ، وقال لي ياسر عرفات
بعدها انه مكسوف مما حدث ..

قلت للعقيد :

- بمناسبة لبنان ما هو حقيقة الموقف الليبي ازاء القضية ؟

موقفنا معروف . نحن مع المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية
ورفضنا موقف سوريا وطلبنا من الدول العربية ان تحتج على تدخلها
يسحب سفرائها كخطوة ضد دمشق وتساعد المقاومة بالسلاح والمال .
مستعدون لارسال جيوش للقتال معها لكن لا يوجد موقف عربي موحد .

قلت :

فعلا ان موقفك هذا هو نفس موقف القاهرة تقريبا .. لماذا
لا تتعاون معها حول نقطة التقاء كهذه بدلا من توسيع هوة الخلافات ؟

قال :

انا مستعد لكن الرئيس السادات هو الذي يرفض التعاون .

قلت :

لماذا .. وقد اعطاك الف فرصة وفرصة .

قال :

هناك قوى ضد التقاء مصر بليبيا ومنهم اسماعيل فهمي ، وزير
الخارجية ..

قاطعتيه قائلاً :

— هذا غير صحيح بدليل أن اسماعيل فهمى ذكر لى أنا. وعدد من الصحفيين أنكم تبناعدون المقاومة فى لبنان . ثم كما قلت لك أن مصلحة مصر الأساسية فى أن تهدىء كل جبهة فرعية لترتكز على الجبهة الرئيسية ضد العدو وحل مشاكلها المعقدة .

قال العقيد :

المشكلة أيضا كما قلت لك أن الرئيس السادات يصدق كلام المخابرات والتقارير . وقد سمعت مرة أن القنصل الليبى قبض عليه وهو يوزع منشورات فى السيدة زينب . فجزعت وأجريت تحقيقات متتالية وعلمت أنها حكاية مدبرة من أجهزة الأمن المصرية .

كما أن الرئيس متصور أنه سيحدث انقلاب ضدى . وأنا أعلم أن أسماء عدد من الضباط قد قدمت له على أنهم سيقومون بانقلاب . وأنا أريدك أن تعود حعى إلى ليبيا وساكون معك فى كل بقعة فى ليبيا لتتربى من هو معمر بالنسبة للشعب الليبى وانزل بنفسك وحدك فى الشوارع راسال الناس إذا كان هناك رغبة فى الانقلاب ضدى .

قلت :

إنك تبسط الأمور يا سيادة العقيد بتصوير أن كل شيء يحدث بواسطة أجهزة الأمن المصرية ولكن هذا لا يخفى حقيقة خطأ السياسة الليبية .

واسمح لى أن أقول لك أن موقفك متشابه مع موقف الاتحاد السوفيتى بالنسبة لمصر . أنه قدم معونات كبيرة لمصر وبعد حرب أكتوبر اتخذ موقفا مختلفا وامتنع عن معاونتنا عسكريا أو اقتصاديا . لماذا كانت النتيجة ؟ خسر الاتحاد السوفيتى معظم مكانته التى شيدها أساسا بعلاقته مع مصر طوال العشرين عاما الماضية .

ولم يغير الاتحاد السوفيتى علاقته الطيبة معك أو مع الجزائر أو مع سوريا أو مع العراق ، وهذا لا ينفى المركز الرئيسى الذى تحتله مصر فى العالم العربى .

وانت الآخر قد قدمت مساعدات نعترف بها . ثم بعد ذلك أسأت إلى مصر أساءات متتالية وتحملت مصر . ثم ما هى النتيجة ؟ لن تفيدك كثيرا علاقاتك الجيدة مع دول أخرى بل أنك معزول عربيا . واثق تماما أنه لو حدث انقلاب عسكرى عليك فى ليبيا لن تقف دولة واحدة

الى جانبك ، بل ربما فى النهاية اذا نجوت من الانقلاب ستكون مصر هى
البلد الوحيد الذى يقبلك لاجئاً سياسياً ؛

ان مصر قد قبلت الملك السنوسى لاجئاً وهى لا تتفق معه سياسياً ..
ومن قبل قبلت الملك سيمود وبالمناصفة ما هى امكانيات حدوث انقلاب
مسكرى فى ليبيا ؟

قال :

لا يوجد اى امكانية فنظام الحكم شعبى كما قلت لك وبعد فترة
سيتمول الجيش الى مؤسسات يشترك فى ادارتها المدنيون والعسكريون.
ليحدث تلاحم بين الشعب والجيش كما كان الامر فى ليبيا عام ١٩١١
عندما جاء الايطاليون وتصوروا انهم سيستولون عليها فى عشرين ساعة
فاستمر القتال عشرين عاماً .

نحن الآن بئديهمى عندما تقولون فى مصر كيف سيمكن للقذافى
ان يستوعب كل الأسلحة السوفيتية التى تكفى جيشاً من ستين ألف مقاتل
.. اننا بانظام الذى بدأنا فى تنفيذه يمكن ان نجد نصف مليون جندي
والأسلحة التى اشتريناها لا تكفى .

والامريكان لو غزوا ليبيا سيجدون امامهم نصف مليون مقاتل ..
الشعب كله يقاتل : ونحن ندرب الناس كلهم الآن .

قلت :

- هذه الأسلحة التى تمتلكها هل انت مستعد لتقديمها كعون لمصر
لو قامت الحرب ؟

قال :

ودى مسألة عايزة كلام ، لقد قدمنا من قبل ونقدم فى كل وقت ..
مصر هذه وطننا .. ومن غير مصر لا تبقى الأمة العربية .

قلت :

انى فى دهشة من كل هذا الكلام الطيب عن مصر . ودهنا من مسألة
القنابل التى اختلفنا حولها أين انت من معاونة مصر اقتصادياً . أين
المشاريع الاقتصادية الضخمة ؟

قال :

ان الرئيس السادات قد جند كل المشاريع ا

قلت :

أى مشاريع جمدها ؟

قال :

الحافلات ومشروع التاكسى والجمعية التأسيسية لوضع الدستور .

قلت :

وهل هذه مشاريع : الأوتوبيس والتاكسى ؟ هذا كله خمسة أو عشرة ملايين . أين المشاريع الضخمة كإوتوستراد طرابلس الخرطوم مرورا بالقاهرة ، وخط السكة الحديد ، ومشاريع المنطقة الحرة على الحدود الخ .

هناك مشاريع بآلاف الملايين وتسبب الرخاء للمليدين وتفتح بيوت عشرات الآلاف من العمال .

ثم أين موقعك من صندوق التنمية العربى ؟ لماذا لا تعلن مساهمتك ببليون جنيه استرلينى أو مليار دولار فى مشاريع مصر الاقتصادية ولو فى شكل قرض مع فترة سماح ؟ لماذا لا تطالب السوفييت وهم اصدقاءك الآن أن يغيروا موقفهم من مصر فيؤجلوا دفع الديون ؟

ودعنى اتصور معك ماذا كان الموقف لو أنك حتى مع خلافك مع الرئيس السادات حول سير حرب أكتوبر تعاوننا فى الحقل الاقتصادى أو بادرت بتقديم قرض كبير . ان الصورة كانت ستكون مختلفة تماما . ولكنك قد فرضت شروطا لمعوناتك الاقتصادية !

قال :

نحن مستعدون لكل شيء ولكن الرئيس السادات يغلق الباب فى وجهى للتفاهم . واخذ العقيد يعدد محاولات من جانبه للاتصال والتفاهم . فذكر لى مقابلاته مع السيد محمد شاهين وعلق قائلا : شوف الرئيس يستمع لاقطاعيين وأنا رحى قرح لشاهين هذا لقيت مصر كلها هناك ورفاهية وبذخ . هؤلاء هم الناس حول الرئيس يحكمون معه . وقال : انه وقع ورقة جاء بها السيد شاهين تحدد مطالب الرئيس ، ولكنه بعد فترة « بهدلتنى الصحافة وانكسف شاهين » !

وذكر أيضا انه حاول الاتصال بليفونيا بالرئيس وفشلت محاولاته وشعر انه لا يريد الاتصال به . وعلق قائلا : ان هذا ضد التقاليد العربية . مفروض يرد على ويقول انا ضدك وزعلان من كذا . وعلقت قائلا : هل يقول لك زعلان من ايه ؟ لقد قال ذلك ألف مرة . ولا فائدة !

وذكر محاولة قام بها السيد بشير الرابطي بالاتصال الذي هام به
وفشلت المحاولة !

وكذلك محاولة استدعاء السيد محمود شيت الذي طلب منه الاتصال
بشيخ الأزهر وياسر عرفات والسيد شاهين لكي يحولوا دون تدهور
الموقف وتحديد نقاط الالتقاء والخلاف .

ومع مكتب المحامين العرب ذكر أيضا أنه دعي إلى لقاء مع الرئيس
وطالب مني أن أسأل شفيق أرشيدات لأعرف كيف رفضت مصر هذا
المسعى !

وكذلك ذكر محاولات اتحاد الطلبة المصري لوقف الحملة بين البلدين
وموافقته على توقيف الحملة ثلاثة شهور بينما كان الاعلام المصري مستمرا
في الهجوم عليه حتى توج بالحملة العنيفة بعد انقلاب السودان ، وقال
القذافي أنه بدأ في الرد فقط بعد هجوم الاعلام المصري فيما بعد
السودان .
وأضاف القذافي قائلا :

ان الرئيس يشتمني ويقول عنى مجنون وأنا لم اشتمه أبدا .

قلت : .

كيف ذلك وأذاعتك تشتمه كل يوم .

قال :

الاذاعة . . مش أنا !

قلت : .

سيادة الرئيس . . سنعود مرة أخرى للفصل بين مسئوليتك كرئيس
لدولة وبين الأجهزة .

قال :

— ان المسألة فرق بين الاذاعة وبينى . وحتى في مصر عنديكم دائما
تهاجمون سوريا والبعث السوري ولكن الرئيس يقول أنا لا أهاجم حافظ
الأسد . وعلى العموم نحن نرد على حملاتكم . وأنا لا أشتم السادات
لأنى لو تكلمت كلاما كهذا لقطعت شعرة معاوية .

يا أخ عبد الستار والله ان الرئيس السادات مع خلافى معه كنت
أعامله زى أبى أو أخى الأكبر . وما زلت متأثر جدا من حضوره . . عيد
ميلادى وكيف أن بناته كانوا يعاملننى باحترام وبأخوة وكيف كان يكرمنى

ويكرم زوجتي ومرة قالت لى السادات حقه يضربك بالكراخ فقلت لها ده
ابى حقه عمل أى شىء !

قلت :

وهل هذه مشاعرك الآن بعد حشد الجيوش على الحدود ؟

قال :

انا فى الندوة عن الصهيونية العالمية فى طرابلس جاءنى واحد
امريكى وقال لى مصر حشدت جيوشها على الحدود الليبية ، ما رأيك ؟
قلت له : نحن استأمنزعين ، اذ ننظر للجيش المصرى كأنه جيش
ليبى . واليوم كما رأيت فى المؤتمر الصحفى استقزونا كثيرا ولم
نستجب لهم .

واضاف العقيد القذافى قائلا :

يا اخ عبد الستار عندما جاءنى الخبر بحشد الجيش المصرى
قلت : اسحبوا الجيش الليبى على طول من الحدود وحتى الدويرات
اسحبوها . ولا تتعرضوا للجيش المصرى اذا زحف فهو داخل ارضه .

قلت :

اعتقد ان هذا تكتيك عسكرى فقط .. ربما تسحب الجيش ، دفاعا
عن المدن ؟

قال :

هذا امر لا يتصوره عقل ان يحارب الجيش المصرى الجيش الليبى !

قلت :

ـ قل لى كيف تؤمن مصر نفسها من المتسللين الليبيين الذين ينشرون
الخراب والدمار فيها ؟

قال :

لقد قلت لك الحقيقة . وأريد ان اضيف لك مسألة بشأن الحرب
.. لو اختار الرئيس السادات الحرب . اليس لكم عندما ربح مليون مصرى
.. هل تريدون منا ان ناسر ربح المليون كما تفعل الدول عندما تحدث
حرب بين الدولتين ، وهل ترى كيف ان الصورة بشعة ؟

قلت :

أرى الصورة جيدا • ولكن ما العمل في رأيك ؟ • من أين تبدأ ؟

قال :

أولا أريد أن أسألك سؤالا : هل تعتقد أن السادات عميل لمريكي ؟

قلت في ذهشة :

وهل هذا سؤال يه افتتم ؟ وهل يعكس هذا السؤال هواجس في نفسك ؟ لا حاجة بنا إلى القول بتلك البديهة أن السادات قائد وطني ترجع وطنيته إلى تاريخ عريق قديم ضحى خلاله بالكثير جدا مما لم يضع به المرحوم الرئيس عبد الناصر نفسه لأنه لم يتعرض لما تعرض له السادات •

واسترسلت أذكر بعضا من تاريخ أنور السادات وأوضحت سياسته مع الولايات المتحدة ، والعقيد القذافي يصغى باهتمام ثم قال :

— الحمد لله •• أنا ميسوط أنك يساري وتقول هذا عن الرئيس السادات • أنا كمان أشاورك في الرأي وأتق في وطنيته • فما الخلاف إذن ؟ ••

قلت :

هذا سؤال يوجه للنظام في ليبيا • أريد أن أعرف ماذا تريد كي يوجد حد أدنى للتفاهم وتطلعا ليران الفتنة الحالية ؟ أن ما أفهمه أن مصر تريد نظاما صديقا أو غير معاد لها على الأقل في ليبيا •

قال :

إن عمر المحيشي يسء إلى العلاقات بين مصر وليبيا وإذا أجرينا استفتاء في ليبيا لن نجد تأييدا له •

وهنا انتهزت الفرصة وقلت له أن عائلة المحيشي محددة إقامتها في ليبيا ومن الظلم أن يحدث ذلك والمفروض حرصا على علاقات التاريخ القديم أن ندعها تلتحق بزوجها وذلك لن يزيد من فضال المحيشي ضدك • وهذه مجرد مسالة لنسائية فقط •• فلم يرد القذافي على اقتراحى •• ومضى يحمل على المحيشي حملة شديدة أنها ما بأنه افشى أسرار الجيش والميزانية •

وقال انه لم يعترض عندما أرسلت مصر طائفة خاصة مع اشرف مروان لنقله الى مصر وقبوله لاجئا سياسيا . لكن عندما بدأ يهاجم ليبيا ويفشى الأسرار كان لابد أن ترد ليبيا على الحملة .

وقال القذافي في عصبية :

انا لا اضمن رد فعل الشعب في ليبيا ازاء ما يقوله المحيى على الناس في ليبيا زعمائه جدا من مصر ولا اضمن أى شيء ؟

قلت :

— ها نحن قد عدنا الى تأكيد مسئولية ليبيا عن القنابل في مصر .
وبما كان ذلك من قبيل رد فعل الشعب الليبي ضد مصر معبرا عن ذلك بواسطة اجهزته التي تملك القنابل والمسدسات ١٩ .

هل هذا معقول يا سيادة العقيد ؟

وسبالت .

وماذا تريد بشأن المحيى ؟

قال :

أريد تسليمه الى ليبيا ١٩

قلت في دهشة واستنكار :

— وهل هذا معقول ؟

قال :

إن عيد الفناصر سلم أبو توار وسلم الطيارين السعوديين .

قلت :

اسمح لى هذا كلام وهمي . . ان أكثر ما تتوقعه اذا ما اكنت ليبيا حسن نيتها في التفاهم أن يتوقف نشاط العبيد عمر المحيى ثم أنت تقول انه لا قيمة له فلماذا هذا الاهتمام الكبير بتصفيته . ثم مضيت أسأل :

— وماذا أيضا ؟

قال :

يمكن أن تكفى بذلك الآن بالنسبة للمحيى كما تقول . لكن

المسألة الأولى ان القى انا والرئيس السادات مدة خمس ساعات نتكلم فيها لوحدها بصراحة تامة .

قلت :

هذه اعتقد مسألة صعبة جدا . لايد من حدوث تصرفات ليبية عديدة تؤكد جدية النظام الليبي فعلا مثل وقف الحملات الاعلامية وأخذ مسألة القنابل بجدية بتقديم كل المعلومات للسلطات فى مصر التى تؤكد براءتكم من هذه الأعمال الاجرامية اذا كان النظام الليبي بريئا حقا .

وسألته :

فى حالة اجتماعك بالرئيس السادات لماذا تطلب ان يكون على الحدود ، لماذا لا تاتى الى مصر ؟

اجاب :

لانى عندما جئت مصر اثناء استدعاء الشيخ زايد لى فى الاسكندرية قوبلت بمقابلة سيئة فقد اركبولى سيارة قديمة وعملوا للشيخ زايد موكبا وانا لا . . ففهمت المعنى وركبت سيارة السفارة الليبية .

كما ان الليبيين لا يقبلون منى الآن ان آتى مصر . فهم زعلانين جدا من مصر . . وتعال بنفسك وشوف .

وهنا قال القذافى ضاحكا :

أحكى لك مثلا من ضمن التقارير التى سمعت انها ترفع للرئيس السادات : هل سمعت حكاية صورة السيدة جيهان وهى ترقص مع ديستان . . طبعا سمعت اننا علقناها فى مطارات ليبيا وكتبنا تحتها زوجة الرئيس المؤمن .

قلت :

نعم سمعت ذلك .

قال :

ما رايك ان هذه قصة كاذبة مائة فى المائة . . هل نحن نعلق صورة زوجات الرؤساء ونشنع على الناس . وهاتوا لجنة من الصحفيين والنيابة تمر على مطارات ليبيا وتسال امتى كانت الصورة دى موجودة ؟

واستطرد القذافي :

الحكاية دي أنّ الصحف الأمريكية هي التي نشرت الصورة مرة
والسؤال هو هل أنتم ذكرت الشعب أن الصحف الأمريكية نشرت الصورة
أم لا • وهاجمتها بدلا من الافتراء والكذب علينا •
وهنا قلت أننا لسنا في حاجة لمهاجمة الصحف الأجنبية لنشر مثل
هذه الصورة فهذه مسائل عادية في العالم المتحضر •
وهنا بدأ العقيد القذافي يشكو من الصحف المصرية وكيف أنها
تخفي الواقع •

وضرب مثلا : اخفاء خبر اعلان ليبيا استعدادها لتشغيل الطلبة
المصريين في ليبيا في الصيف •

فقلت له :

لأن الذي سيحدث أن اماكن عمل هؤلاء الطلاب ستحول إلى
معسكرات للتدريب على التخريب وتفجير القنابل •

واستطردت قائلا :

يا سيادة الرئيس أنت تريد أن تكون جمال عبد الناصر • ولكنك
مستعجل جدا فتمهل •• على مهلك وأن الطريق الحالي لا يؤدي إلى شيء •

فلم يعلق القذافي بشيء •

واستطردت أقول :

إذا كنت تعتبر عبد الناصر زعيما أو معلما لك •• فلماذا تنسى أن أنور
السادات شريك عبد الناصر وأنه من أعطاه عبد الناصر ثقته الكاملة
وأختره نائبا للرئيس ولم يعرف أنه حدث خلاف حاد بين الاثنين في
قضايا رئيسية سياسية أو اجتماعية •

وقد ورث أنور السادات تركة ثقلة وقاد السفينة وسط أنواء
العواصف • أن اخلاصك لعبد الناصر يقتضي منك التعاون تماما مع أنور
السادات • بل أنه يجب أن تضع في الاعتبار خبرة السادات التي تفوق
خبرتك مرات عديدة •

عندما يتحدث عن السياسة أنت تستمع ثم تناقشه في هدوء !

وسكت القذافي ولم يعلق •

ثم عدت أقول :

سؤال واحد يا سيادة العقيد :

ما علاقتك بالاتحاد السوفيتي وهل لم تتغير نظرتك للشيوعية ؟

قال الرئيس الليبي :

— وهل غير عبد الناصر نظرتي بسبب صداقته مع السوفييت واننى
عرفت فقط أن الاتحاد السوفيتي صديق .

وما زال راى فى الشيوعية كما هو عندنا النظرية الثالثة .

وانا اضحك عندما يقولون فى الصحف ان عندنا قواعد سوفيتية .
ان عندنا ما كان عنديكم قبل ان تزعلوا مع السوفييت . ولو كان
السوفييت قد اعطوكم سلاحا الآن لوافقتم على وجود الخبراء والتسهيلات
البحرية التى تسمونها قواعد .

احيانا اقرأ الصحف المصرية فاتصور انى اقرأ « النيويورك تايمس »
لأنه من هو الزعلان من وجود أسلحة سوفيتية وخبراء يدربونا فى ليبيا
غير الأمريكان ؟ هل صحافتكم صحافة أمريكية ؟ زعلانه هى الأخرى
من الحكاية دى ليه ؟ وتقول لى لماذا لا اطالب السوفييت بتصليح علاقتهم
بكم ؟ كيف ذلك وقد قالت صحيفة الجمهورية ان هناك جيشا سوفيتيا فى
ليبيا لاثارة الاضطرابات فى المنطقة العربية .

قلت :

ان الخلاف بين مصر والاتحاد السوفيتي قصة طويلة لعلك قراتها
فى كتابى وكتابات أخرى ليس الأمر سهلا بحيث ان واسطة ما تحل المشكلة
بسهولة .

والسوفييت مخطئون فى حق مصر وهم يجهلون ثمار سياستهم
الخاطئة . وانا اقول لك هذا وانا آسف ولكنها الحقيقة التى تتناقض مع
تصورى عن دور الاتحاد السوفيتي بالنسبة لمساندة حركات التحرر
الوطنى .

قال القذافي والحديث يوشك ان ينتهى :

أرجوك ان تؤكد لكل مسئول فى مصر وللرئيس السادات شخصيا
كذب الوشائيات .

ثم سكت لحظة وقال :

ما تيجى عندنا كام يوم فى رمضان .

قلت للعقيد قبل أن أغادر غرفة الفندق :

اننى أرجوك أن تتذكر قبل أن تتهم الشيوعيين بأنهم عملاء أن لهم تاريخاً ورصيذاً وطنياً عميقاً .. وأنهم ساهموا ويساهمون فى الحركة الوطنية بشجاعة وصلابة .

وأنا مثلاً واحد من آلاف فى مصر لهم تاريخ فى النضال الوطنى : فورائى اثنا عشر عاماً من السجن والاعتقال منهم تسعة فى عهد عبد الناصر ومع ذلك فنحن الذين ندافع عنه أكثر من أى أحد .

كما أرجو أن تتذكر أن من « ييجى على مصر لا يكسب » وتجربة عبد الكريم قاسم واضحة .

ضع يدك فى يد مصر .. وسلمها القيادة فى إطار الوحدة واتكل على الله واستفد بخبرة ونضوج من سبقوك فى القيادة والثورة .

وأشكركم كثيراً على هذا الوقت الطويل الذى اتحتة لى .

قال العقيد .. أنا كل ما يهمنى أن توصل هذا الكلام أن لم تكن ستنتشره - للرئيس أنور السادات وتقول له اننى أريد أن ألقاه ليضع ساعات وحدنا وأثق أننا سننهى كل شئ .

قلت :

هذا ما أتوى أن أفعله فعلاً ..

قال العقيد بصوت متأثر والنوم يداعب جفونه بشدة وهو يقاوم .. فقد كانت أربع ساعات تقريباً قد مضت علينا ونحن فى هذا الحوار الطويل المتشعب ها أنت ترى اننى أبذل كل ما فى وسعى للتوصل الى تفاهم .. لقد التقيت بكثيرين من قبل وتحديث معهم وأنت ترى كيف أئى مرهق من الاجتماعات المستمرة .. ومكثنا طول هذا الوقت ..

وسكت لحظة .. وقال :

لماذا لا تأتى معى فى الصباح فى الطائرة الى ليبيا وتقضى معنا اسبوعاً وتوى ..

قلت :

انى مرتبط بموعد رحلة الى أوروبا فلا بد أن أسافر الى مصر لأوصل كلامك هذا للرئيس .. وأسافر ..

قال :

— لماذا لا تأتي عندنا وأنت في أوربا قبل عودتك لمصر ؟

قلت :

ستكون معي زوجتي في هذه الرحلة ..

قال العقيد :

تعال ومعك زوجتك !

قلت :

ساكون مشغولا بالحديث معك والجولة معك ..

قال :

— ففسحها هي في أي مكان ولو أمريكا .. وتقع مع « مرتى »

قلت :

هذه مسألة صعبة ..

قال :

أفضل حاجة تيجي معي في الطائرة بكرة .. تعال يا أخى ..

قلت مرة أخرى :

— الأفضل أن أسافر وأبلغهم في مصر كل ما دار بيننا من حوار ..

قال وهو يصافحتي :

— مع السلامة ..

وشكرته مرة أخرى ..

وخرجت وطوال المر لاحظت أن نظرات العرفاء لى قد لانت ورقت

بعض الشيء ..

وصاحبتي الأخ محمد الذى تمنى لى بحرارة شديدة أن الجع في

مهمتى .. وأن لم يحاول حقا للحظة واحدة أن يعرف ما دار بينى وبين

العقيد من حديث ..

ووصلت الفندق وكانت أنوار الفجر تتسلل في أفق مدينة كولومبو

جنة الله في الأرض .. تنهر جيوش الظلام ..

وبدت لى غرف زملائى فى الفندق مضاعة ٠٠ وقملا ما أن وصلت
حتى فتحت أبوابهم واجتمع من حولى قوميل لبيب وحمدى فؤاد ونوريس
احمد وهدى توفيق فى قلق شديد ٠٠

حمد الله على سلامتكم ٠٠

كانوا يخشون أن يحدث لى مكروه ٠٠

والحقيقة اسجل أنهم احترموا التقاليد المهنية الى آخر مدى لأنهم
لم يحاولوا أن يسألونى قط عما دار من حوار ٠٠ بل اكتفوا بإبداء البهجة
على عودتى وشكرتهم من الأعماق على قلقهم الشديد حتى أنهم ظلوا
متيقظين حتى الساعة الرابعة والنصف صباحا فى انتظارى ٠

الملحق الرابع

اللقاء الثانى مع القذافى فى اكتوبر ١٩٧٦ ونشر فى روز اليوسف

فى احتفالات اجدابيا ٠٠ عندما دخلت الخيمة فى الصباح قام العقيد القذافى ونهض لاستقبالى ٠٠ وجلسنا خمس دقائق مع زملاء العقيد ٠٠ ثم استاذن قائلًا :

تعال نجلس وحدنا هناك ٠

وفى ركن الخيمة ٠٠ اتى ببعض الوسائد ودفع ببعضها لى قائلًا :
اضجع ٠٠

واضطجع هو ٠٠ متمددًا على جنبه الأيسر ٠

ورفضت الاضطجاع طبعًا ٠٠ فالح ٠٠ فقلت ضاحكًا :

— يا سيادة العقيد ٠٠ ستة آلاف سنة كانت هناك مصر دائمًا ٠٠ وكانت هناك دولة لها تقاليد بيروقراطية ورسميات وبرتوكولات ٠٠ وللحاكم دائمًا مهابة تفرض شكلية معينة ٠٠ أما ليبيا فلم يكن هناك شيء اسمه ليبيا منذ ١٠٠ سنة لذلك لا أستطيع مهما تحررت ومهما كان الحاكم ديمقراطيًا وبسيطًا ان اضطجع امامه ٠٠ او اجلس معرجًا ٠

هذه اشياء مغروسة فى اعماقنا منذ آلاف السنين ٠٠ والرئيس السادات بسيط. وديمقراطى جدا فى تعامله كفلاح على مصطبة ومع ذلك لا أستطيع داخليًا ان افعل شيئًا كهذا ولو أمرنى به ٠

قال القذافي باسم :

— أذن نعمل في الموضوع .. أنا صديق دعوتك للحضور إلى ليبيا معى
في الطائرة في كولومبيا أو تأتي بعد ذلك .

وانا عندما تحدثت معك .. كنت أريد بذل محاولة لإصلاح الموقف ..
وكان نشر الموضوع في روزاليوسف بادرة طيبة ورد فعل معروف به . وسر
به كل واحد في ليبيا لأنه مفهوم أن الرئيس موافق على نشره .
وانا قرأت التحقيق عدة مرات .. وكويش جدا وروحه تؤكد أنكم ناس
وطنيون تريدون الخير للأمة العربية . لكن لم يعجبني كلام صلاح حافظ ،
هل صلاح حافظ هذا يساري ؟

قلت في دهشة :

— طبعا .. ده أبو اليسار .. بل هو ماركسي .. وهو المسئول
عن أي شيء يعجبك في روز اليوسف فهو وفتحي ثأتم رئيسا للتحريير .

قال :

— أmaal ليه قال الكلام اللي كتبه ده وكم ان عبد الرحمن الشرقاوي
الرجل الذي أحترمه وأيدته في كلامه ضد شيخ الأزهر في معركة
الاسلام المشهورة .. لماذا يهاجمني ؟

قلت :

— سيادة العقيد .. أرجو أن يكون واضحا لك اننا نختلف معك
في الكثير جدا من الأمور السياسية الكبيرة والتفصيلية .. وان من حقنا
أن ننتقدك . لكن المشكلة هي أن القوى الوطنية العربية قد تعودت منذ عام
١٩٥٩ على معالجة الخلافات بينها بطريقة بشعة إذ تعادى بعضها البعض
أكثر مما تعادى الاستعمار عدوها المشترك .

اننا نريد ارساء تقاليد بين القوى الوطنية لمعالجة خلافاتها بروح
أخوية وبناة .

ان أسلوب صلاح حافظ في مقالاته التي تشير اليها .. كان يتضمن
تلك الروح تماما .. يكشف التناقض في تصريحاتك وبين الواقع ..
وبالعكس ويهيب بك أن تهذل خطوات لإصلاح الموقف .

وعبد الرحمن الشرقاوي انتقدك بقسوة من هذا المنطلق عندما كانت
القنابل تنفجر في مصر وحافظ الأسد يقتل الفلسطينيين .

وفي كتسابي رفض الرفض أنا انتقدك .

واضفت قائلا :

... لا ... أنجو أن يكون واضحا أن بيننا وبينك خلافات عميقة لكن المشكلة أننا ندعو إلى أسلوب سليم يؤدي إلى التوصل إلى لقاء نراه محتوما بين القوى الوطنية جميعا لصالح الشعب العربي . ثم استأنف العقيد حديثه :

- أنا دعوتك للحضور عندما قالوا لي أنك في أوروبا .. قلت لمفتاح شريف هاتوه .. وأنا أريد أن أسالك سؤالاً : ماذا عن رد الفعل عند الرئيس السادات لرغبتى فى تصفية الموقف ومقابله ؟

قلت :

- سيادة العقيد .. لو اذنت لى أننا نضع القضية بالقلب الآن .. أن السؤال الذى يجب أن يطرح هو ما الذى حدث من جانب ليبيا منذ أعلنت رغبتك فى التصالح فى كولومبو .. هل حدثت تصرفات تؤكد هذا الاتجاه مما يعنى أنه اتجاه أصيل ودائم ؟

وتوقفت لحظة وقلت :

- تسمح لى أن أتكلم وسأتكلم بصراحة أكثر هذه المرة فانى أرى الموقف يتدهور ولا يخفى على أحد من يتسبب فى تدهوره يوما بعد يوم .

قال :

- يا أخ عبد الستار .. يا عبد الستار .. لا داعى لأن تستأذنى فى أن تتكلم .. وأن تقول لى سيادة العقيد لى سمعت كذا وكذا .. أنا استدعيتك من آخر الدنيا لأنى ألق أنك ستعمل كل ما بوسعك بقلب صاف لصالح البلدين .. وأنت رجل مثقف وقلت لى أنك اشتغلت بالسياسة عشرين سنة وسجنت كذا سنة .. فتكلم معى بصراحة وندية .

قلت :

- أشكرك .. أن الاستئذان لا يتناقض مع الندية .

المهم .. يا سيدى الننى منذ قدمت ليبيا أصبت بصدمة .

فألصق عندكم تهاجم مصر والسادات شخصيا بزيادة وتلفيق منقطع النظير .. فكرى أباطة يقول : الشعب الليبى يأكل البلح فتخرج جريدة الجهاد بصفحة تقول أنها مؤامرة من السادات على الشعب الليبى :

أن الصحف عندنا حرة تسبوا .. الدولة لا تتدخل إلا فى أشياء

كبيرة ٠٠ وليس ما يكتب في صحف مصر يعبر عن رى الدولة بالضرورة .
وقد كنت انتصّر أنك وانت تثير ضجة كبرى في العالم كله لا العالم
العربى عن الفلسطينيين أن الاعلام الليبى سيكون مركزا في كل كلمة
للدفاع عن شعب فلسطين والهجوم على سوريا التى تذبذبهم .
فاذا بى أجدمك تغفلون سوريا تماما وتهاجمون مصر التى ترفع لواء
الدفاع عن الفلسطينيين .

ثم انت فى خطابك أمس ٠٠ ما هذا الذى قلته ٠٠ اذا كنت ستعتذر لى
الآن بحجة أن الاعلام أنت غير مسئول عنه . حسنا ماذا عن كلامك أنت ؟

فى خطابك هذا هاجمت السادات .

قاطعتنى قائلا :

لم اهاجمه بالاسم .

قلت :

وايه يعنى ٠٠ المعنى واضح ٠٠ الصبية يتروح المدارس كانوا يهتفون
ضد السادات بالاسم يعنى شعارات لقنوها من كوادن مؤتمراتكم الشعبية
٠٠ وفى خطابك هذا اثرت نكرة شوفينية اقليمية خطيرة لدى الشعب الليبى
وانت تقول عن نفسك انك امين القومية العربية . وتضع صورة فى الاحتفال
لعبد الناصر ذلك « المعلم والامين » .

ولكنك تقول فى الخطبة للشعب الليبى هناك حاسدون وطعاهون فى
ثروتك ٠٠ وهذا بالضبط يتفق مع دعاوى خصوم الوحدة الذين يحذرون
الليبىين من المصريين تحت شعار « احذروا زحف ٣٠ مليون جائع » .

ثم انك تقول فى الخطبة ان اولئك الطامعين دائما والحاسدين يفسون
عن ليبيا انها تنبى وتعمّر وتنشئ المدارس والمزارع والمصانع .

— يا سيدى ان احدا فى مصر لا يجسد ولا يطمع فى ليبيا ٠٠ وان
مصر اياديها بيضاء على كل العرب ٠٠ ويبدو لى أن العرب البدو الذين
فتح الله عليهم بالبتروى قد تملكهم الغرور وتقمصتهم شخصية ونفسية غنى
الحرب والطبقة الجديدة ٠٠ وافهم أن يكون ذلك الشعور موجودا فى
الكويت مثلا لكن لا افهم أن يكون بين عرب ليبيا الامتداد التاريخى لمصر
وانت تقول دائما انك تحب مصر وعربى العنق والبعد والشكل .

ومن ناحية أخرى إن البناء والتشييد والتعمير في ليبيا إنما يتم
بأيدي مصرية أساساً ٠٠ أن الذين شيدوا لك أجدابيا حيث تقيم الآن
مصريون وما زالوا يأتون للبناء رغم سوء معاملة بوليسك لهم ٠٠ أهل
بعد هذا تقف وتحذر الناس من الطامعين ؟

إنك في هذا الكلام شوفيني اقليمي مثير لنزعات اقليمية تعصبية
ولمست لفظ هريبيا يدعو للقومية العربية فما بالك بأميتها ؟

ثم ماذا يمكن أن تتوقع من الرئيس السادات الآن هو يراك تقول
لخون للهوسف أنك تريد للصالحه ٠٠ ثم صفك تهاجمه ٠ وأنت تهاجمه ٠
ليس ذلك تناقضاً بين الأقوال والأفعال ٠٠ كيف يمكن أن يصدق
رغبتهك ؟

إن ما رأيته وقرأته إنما يعطى فرصة لتصديق أن هناك وجهين
لاسلوبك في التعامل ٠٠ عندما سألني الناس في القاهرة عن انطباعي من
جلستى معك يكوامبو ٠٠ قلت يبدو لي منطقياً جداً في رغبته في التصالح
وتصفية الجو ٠

ولكن البعض قال لي هذا هو الوجه الأول للعقيد ٠

يعني يقصدون تناقضاً بين ما تقول وما يحدث فعلاً ٠
كيف إذن تريد للتصالح واللقاء يا سيادة العقيد ؟

قال القذافي بعد أن أصفى إلى في صبر واهتمام حقاً :

— أنا كنت متوقع أن تسألني عن الاعلام بالنسبة لسوريا ٠

يا عبد البتار لا تشك لحظة واحدة اني مع المقاومة الفلسطينية ٠٠
ولا تشك في أتى ضد ما يفعله حافظ الأسد في الفلسطينيين ٠٠ أنها جريمة
٠٠ ووقتنا في مؤتمرو مناصرة للشعب الفلسطيني عنده تعليمات بالادانة
الشاملة لجريمة سوريا ٠

وأما أعرف حافظ الأسد جيداً ٠٠ وأعرف واه في للرئيس السادات ٠

ولكن الذي يرغمني على عدم الهجوم على موقف سوريا علانية هو
موقف مصر ٠

انتم تخدمون سوريا خدمة عظيمة بهذا الهجوم على وحشد
الجيش وتصريحات الجيبي ٠

انا اواجه على حدودى خطر غزو ٠٠ او ناس عماله تقول ده
جيش وراه مهمة استراتيجية ؟ ٠١

لازم اواجه الخطر ٠٠ واواجه تعبئة شعبى لهذا الخطر ٠٠ ولا اخلق
اعداء جدد ٠٠ فامارس ضغطا على سوريا بالاساليب الدبلوماسية
والسرية ٠

لكن والله للعظيم لو الامور هادئة بينى وبين مصر لمعت سوريا دى
ولعة ٠٠ ولكنك شفت الاعلام الليبى عمل ايه ازاء الجريمة السورية هناك ٠
ومع ذلك فانا يا قول لازم يا شعوب عربية تقومى بتحريك ٠٠ مظاهرات
٠٠ مؤتمرات للمضغط على سوريا ٠

اما مسألة الهجوم على مصر والرئيس السادات ٠٠ فلانا فعلا بعد
الحديث كنت ناوى اعمل تهدئة لكن فجأة وجدت الرئيس يهاجمنى وفي
خطاب ١٨ سبتمبر يقول على عامل لى فيلسوف زى ماوتسى تونج ويتوعدى
مرة اخرى ٠

ثم تصريح الجمسى ٠٠ كان لابد ان ارد ٠٠ والا الشعب الليبى يتخافنى
معنى ٠٠ ورجال الاعلام يتخللقوا كمان ٠
وسكت لحظة وقال :

— ما بتتكلمش مع موسى صبرى فى الكلام الفارغ الذى يكتبه ؟

قلت :

انا بعد ان قرأت ما يكتب فى صحفكم ٠٠ اتول لك ان هاتكم هترة
موسى صبرى ٠٠ وموسى صبرى ارق وانف كثيرا من اى واحد هتكم ٠

ثم اضيف قائلا :

— دون للدخول فى تفاصيل ٠٠ السؤال الذى يجب تحديده ٠٠ هل
انت جاد فى محاولة تصفية الجو مع مصر ٠٠ هل انت مقتنع بالاهداف
الاستراتيجية لهذه التصفية بما يعود على مصر وليبيا بفائدة ؟

قال :

— لا شك ٠

قلت :

— اذن اتفقنا على ذلك فالمسألة بسيطة جدا ٠٠ ان النظام المصرى فى

موقف الدفاع بالنسبة لك بمعنى أنك أنت الذى تهاجمه سواء بالإعلام أو بمؤامرات المخابرات الليبية والقنابل .

المطلوب أن تكتسب ثقة النظام المصرى فى أنك جاد فى التصالح .
قال :

— هل رأيت عند الرئيس السادات رغبة فى التصالح ؟

قلت :

— لقد قلت لك من قبل فى كولومبو أن النظام المصرى لا يريد معاداة دولة ما . . . أننا نريد على الأقل التعايش السلمى مع الدول المختلفة . . . وبالنسبة للعرب نريد تضامنا عربيا فلدينا من المشاكل ما يقينا عن التدخل والمخاصمة .

ولكن المشكلة بينك وبين الرئيس السادات فى تقديرى هى أنك فعلت كل ما يمكن عمله لتدمير ثقته بك . . . وعليك أن تكتسب هذه الثقة شيئا فشيئا .

يعلى لا يمكن أن تبدى رغبتك فى المصالحة ثم تنتظر أن مصر ستتوقف عن حملاتها ضدك على الفور .

العكس هو الصحيح . . . تبدى رغبتك . . . وتتصرف تصرفات تؤكد جديتك ثم تبدأ مصر فى التفكير فى الثقة فى حديثك وأنت قد رأيت أن اسماعيل فهمى الذى اتهمته بالعمل ضد اللقاء قد بذل جهودا فى تصفية الجو فى القاهرة بل وتحمس لنشر حديثك الأول بما فيه من هجوم عليه . . . وليس لمصر مصلحة فى التناقض واستمراره حادا .

قال القذافى :

— نحن عندما وقعت مصر اتفاقية سيناء قررنا عدم مهاجمة مصر لأن سوريا والمقاومة كانتا تهاجمانها فقلنا حتى لاعتبارات أخلاقية لا يجب مهاجمتها .

لكن منذ بدأ المحيشى يهاجمنا تغير الموقف .

قلت :

هل المحيشى هو السبب ؟

قال بسرعة :

— المحيشى هو السبب فى كل ما يحدث الآن .

قلت :

- انك قلت فى خطابك يوم اول سبتمبر ان الطائفة التى نقلت المحيشى من تونس حملت معها ايضا القنابل ضد مصر .. فهل هذا اعتراف منك بمسئوليتك عن حوادث القنابل عندنا .

قال ضاحكا :

لا .. اقصد ان الطائفة حملت اسباب الخلاف وتفجر الموقف .

قلت :

- اقول لك الصراحة .. اننى عندما جئت الى ليبيا كنت اتصور ان حديثك عن ان المحيشى ليس له مكانة تذكر عند الشعب الليبى كلام مبالغ فيه ولكن بعد ان جئت واستقصيت الموقف حتى من مصريين عاديين ورسميين هنا تبين لى ان المحيشى ليس له اى رصيد يذكر . قال لى مصريون هنا انه مشهور بهجومه على مصر من قبل .

اذن لماذا تتحدث دائما عن خطر المحيشى وتؤثر فى الحديث عنه .. اى خطر يمثلته عليك .. اريد ان اعرف بصرف النظر عن رأى فى افكاره وبرامجه ؟

قال :

- الحمد لله انت رايت بنفسك ان المحيشى لا يمثل شيئا ولا خطرا .. اننا نهتم بحماية المحيشى لانها عنوان على عدااء مصر للنظام الليبى . انه مغرب قط فى يدها لمهاجمتنا وهذا ما يهمنى فقط .

اما نحن فنعرف حتى رأى المحيشى فى مصر . لقد بعثنا اليه بواحد من انصارنا غير المكشوفين وتحدث معه فقال له انه لا يثق فى نظام السادات وان السادات متقلب ولا يمكن الثقة فيه .

ومن ناحية لو كان المحيشى رجلا جادا . لماذا لم يستمر فى مجلس قيادة الثورة ويناضل ويخلق تيارا معه ؟ لكنه عمد الى محاولة الانقلاب وشغل عيال .. عاوز يسبنى .. كلام فارغ وروح اسال الناس عليه .

قلت :

- هل المحيشى يسار الثورة الليبية ؟

انفجر ضاحكا .. وقال :

- اسال .. ده راجل قال عنى فى الاذاعة اننى عميل للسوفيت وحولت

ايبييا الى قاعدة عميلة للسوفيت • شوف مين بقى بيستخدم كلمة عميل
للسوفيت دى • • يعينى ولا يسارى •

قلت ضاحكا :

— ما انت كنت الى ستوات قليلة تقول نفس الكلام وتقول الشيوعيون
عملاء • • والاتحاد السوفيتى دولة استعمارية •

قال :

— هو انت فاهم يا اخ عبد الستار ان الحكم لا يعلم الحاكم ؟ هو
عبد الناصر ثبت عند موقفه ورايه عام ١٩٥٢ مثل ١٩٧٠ • • والرئيس
السادات نفسه مش كان قال ان عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة كان
الوحيد الذى طالب بالديمقراطية بينما السادات وكل اعضاء المجلس كانوا
ضدها • • ما الذى حدث بعد ذلك ؟ السادات الآن لما مسك الحكم عمل
ديمقراطية وانتم اليساريين مبسوطين منه أربعة وعشرين قيراط ومن شوية
اتفقنا سويا على ان عبد الناصر كان ضد الديمقراطية •

قلت :

— تعود لموضوع المحيشى هل هذه المسألة الاساسية التى تؤرقك ؟

قال :

— انها تهمنى لأنها رمز لموقف مصر منا • • انها اخطر مظهر • • وان
توقفت اذاعات المحيشى معناه تحول فى موقف مصر تجاهنا •

وسألنى العقيد هل اسمع المحيشى ؟ قلت له لا • • قال لازم تسمع • •

قلت :

— مش يعنى بيقول كلام زى المصور ان امك يهودية وانت لم تقم
بالثورة وانك طفل غير شرعى • • الخ •

واضفت قائلا :

— انا راى ده كلام فارغ لان ويلي براندت كان اقيطا • • ويعلن هو
ذلك ومع ذلك لم يمنع ذلك من ان يكون افضل مستشار لمانيا فى العشرين
سنة الاخيرة •

ضحك القذافى وقال :

كل هذا الكلام لا يهم • • لكن المهم ان المحيشى يتكلم باسم الشعب
اللىسى •

وقال لى القذافى انه لازم اسمع تسجيلات فى الاذاعة الليبية عما
يقوله المحيى .

قلت :

على اى حال أنت فى الاذاعة الليبية تترك ناسا يهاجمون فى برامج
معينة كل يوم مصر .

قال :

- لكنى لم أت بشخصية سياسية مصرية وأنصبتها على رأس ما يسمى
بجبهة وطنية ضد النظام المصرى وتعطى تعليمات بالراديو للناس .
وابديت دهشتى . . لأنى لم اكن اعرف نوع ما يذيعه المحيى .

وحدث بعد أن وصلت مطار طرابلس ليلاً أن وجدت الأستاذ / ابراهيم
البشارى مدير اذاعة طرابلس فى انتظارى ورجانى مرافقته للاستماع
الى بعض أشرطة المحيى وسمعت . والحقيقة أنها كانت مفاجأة لى أن
اسمع فقد تبينت أنها أشبه بصوت فلسطين وتنظيم وتوجيهات . فقلت
للبشارى على اى حال أوقفوا انتم البرامج المخصصة لمهاجمة مصر والتي
سمعت أن مصريين يتكلمون فيها .

وكان انطباعى حينذاك بعد أن سمعت الأشرطة . انها عملية تحريض
على قلب نظام الحكم الليبى لا بالدعاية والاثارة فقط بل بالتنظيم
والدعوة اليه .

ولقد اكد لى السفير المصرى فى طرابلس وكل أعضاء السفارة الذين
قابلتهم أن هذا الكلام كله عبث وأن المحيى لا يمثل شيئاً . وأن هذا الكلام
لا صدق له فى الشعب الليبى ولا ينظم شيئاً . . بل يستثير الناس . وأن
المرّة الوحيدة التى كان للكلام فيها صدق عندما تحدث المحيى عن النفقات
المبالغ فيها فى بعض المشروعات الليبية .

قلت للقذافى :

- وماذا غير المحيى ؟

قال :

- أريد أن التقي بالرئيس السادات كما قلت لك وتحدد نقاط خلافاتنا
واتفاقاتنا . أريد لقاءه دون وسيط وأنا اعرف أنه رجل صريح وصدقنى أنى
احس تجاهه بمشاعر الابن تجاه أبيه لكن المشكلة الداسسون بينى وبينه . .
والامريكان أيضاً .

قيلت :

وماذا عن الأمريكان ؟

- الأمريكيون يلقون في روع السادات كما بلغنى انه اذا هاجمنى فان ذلك يندرج في خطتهم الشاملة للتصالح مع اسرائيل *

قاطعته قائلا :

- ارجوك يا اخى ان تترك جانباً هذه التفسيرات الساذجة التى يقولها لك البعض * ووضح انكم فى ليبيا عندكم ضحالة سياسية وليس لديكم مستشارون مثقفون واعون *

ستعود الى تريد حكاية امريكا ونفوذ امريكا *

اننا انقلنا المرة الماضية على وطنية القيايين فى مصر وليبيا ..
واذا انسقنا الى حكاية امريكا لصنعنا انهمامك باذء عميل المخابرات
الامريكية فى المنطقة لاثارة القلاقل ضد الانظمة الوطنية ..
وانك كنت رجل المخابرات الامريكية فى حكاية انقلاب السودان اليسارى ..
واكنك تذكر انى قلت لك فى تدوة روز اليوسف اننى دافعت عنك فى هذه
المسألة امام اليسار الاوربى وقلت نحن معتادون فى العالم العربى ان تضرب
القوى الوطنية العربية بعضها البعض بشدة وعنف *

ثم اسمح لى ان المخطط الأمريكى يستهدف تمزيق المنطقة العربية
كلها .. وهو حتى الآن ناجح وناجح بسبب اخطاء تصرون عليها فى ليبيا *

قال :

- ان مصر هى التى تهاجمنا *

قيلت :

- ان مصر فى مركز المدافع .. مصر مسئولة عن قضايا مصيرية
للعالم العربى ومشاكلها الاقتصادية وانتم العرب اما تهاجمونها واما
تديرون لها ظهوركم دون اية معونة جذرية *

واضفت قائلاً :

ان الذين يصورون لك ان السادات متفق مع امريكا او صديق
لامريكا واهمون او كذابون لان هذا ضد منطق الاحداث *

وقلت ايضا : بماذا تفسر انقلاب السودان بواسطة حزب الامة
والاخوان وتدعيم السعودية لهم كما تقول أنت ؟ اليس ذلك ضرباً تحت
الحزام « كما يقال فى الملائكة » من جانب امريكا ضد مصر لحاصرتها من
السودان والمياه *

ومن هنا ترى خطاك فى تأييد الانقلاب وتدعيمه .

وبماذا تفسر محاولة ابادة المقاومة الفلسطينية فى لبنان : اليس « ضربا تحت الحزام » أيضا من جانب الأمريكيين ضد السادات لضعاف الفلسطينيين فى المساومة الدولية واثارة العالم العربى على كل القيادات العربية لمعجزها عن حماية المقاومة بشكل مباشر ؟

— وبماذا تفسر أن كل دول الخليج والسعودية تغل يدها عن معونة مصر الا فى حدود مع انها تملك البلايين ؟

ان سفاء تلك البلاد يعنى سفاء أمريكا الى حد كبير .

ولكنها تعطينا بالمقدار الذى يجعلنا مجرد نعيش .. ومثل الراسمالى فى بداية الراسمالية عندما كان يعطى للعامل مجرد ما يساعده على العودة للعمل فى اليوم التالى .

وبماذا تفسر استمرار تسليح اسرائيل وتعطيل القضية حتى الآن ؟

ان خصومتنا مع أمريكا باقية .. لكننا نهاول استثمار نتائج حرب أكتوبر التى تجاهلتموها هنا فى احتفالاتكم فى ليبيا .

يجب ان تتبين الموقف فى أعماقه .. ولذلك أنا شخصيا لا أهتز ولا أهتم عندما أسمع السادات يتحدث عن صديقى كيسنجر وفورد ومستر كذا وكذا . لأنى أثق ثقتى من أنى جالس أمامك الآن . ان السادات يعرف الاستعمار الأمريكى جيدا .. ويعترف الاعية .. ولا تنس يا سيادة الغفيل ان للسادات حارب وهو حبيب الاستعمار .. وهو ضابط أيضا شارك فى عمليات بالقنبلة والمسدس وسجن سنوات طويلة ولم يكن له سند ما .. ليس ابن باشا أو بيه يدافع عنه .

اسمح لى لا يأتى أحد الآن ويعلمنا فى مصر ان قيادتنا التى عملت الثورة صديقة للاستعمار .. هذه أهانة .

قال العقيد :

يا عبد الستار انت تدهشنى بكلامك هذا والله .. المسألة اذا كانت هكذا يبقى الأمر بسيط ويأسمع كلام غلط من ناس .. وأنا كمان مندهش من أنك تقول لى كلام مختلف عما أسمعه من مصريين كثيرين حتى وسطاء .. انت تعرف الرئيس السادات جيدا ومن أمتى ؟ انت حامل زى ما تكون أكل شارب معاه وقاهم بيعمل ايه ومقتنع به خالص .

قلت :

– انا اعرف الرئيس السادات شخصا منذ عامين فقط . وليست
علاقتي به وثيقة كما تتصور فاننا لا اراه كثيرا كما كان يفعل زمان مع
هيكل .

لكننى اعرف الرئيس وسياسته من خلال متابعة هذه السياسة قبل
ان اللقاء شخصيا وهى مسألة ليست فى حاجة الى ذكاء كبير . .
وسجلت هذه المعرفة فى كتابى عام ١٩٧٤ قبل ان اتشرف بلاقائه وأكدت
لى الأيام صدق تحليلى وفهمى علاوة على ان هذا اللقاء قد خلف اعجابا
وتقديرا شخصيا من جانبى للرئيس لأحد له لأشياء كثيرة ليس الآن مجالها
وارجو ان تقرأها يوما فى كتاب .

قال القذافى :

– هل كل اليسار فى مصر كده واياهم زيك ؟

قلت :

معظمهم بل وبعضهم يفهم أحسن منى وربما الفرق انه يحكم
اللقاء الشخصى مع السادات تجد تأثرا شخصيا بشخصيته القوية
والديمقراطية لكن لو قابلت أى يسارى مصرى سيبين لك معالم سياسة
السادات ربما أفضل منى بكثير .

قال :

– بشأن السودان أريد ان أقول لك اننى بعثت بشير الرباطى
للسادات ليقول له زمان لا تضع البيض كله فى سلة واحدة هى النميرى
فالنميرى محكوم عليه بالسقوط وصدقنى لن يبقى النميرى وهو
حليف غير أمين .

قلت :

– كيف ترى ان النميرى لابد سيسقط ؟

– لأن الشعب كله يمينا ويسارا ضده .

قلت :

لكن هناك معاهدة دفاع مشترك بينه وبين مصر ؟

ضحك القذافى وقال :

– يعنى الجيش المصرى سيحارب الشعب السودانى فى الخرطوم ؟
أما نشوف .

قلت :

الا يمكن ان يراى الصدع بينك وبين النيميرى .. وبينك وبين مصر ..
وتعود أفريقيا الصغرى كما تحلم وتركزون على مشاريع للتنمية ليكون
ذلك الثلاثى قلعة ضد الاستعمار ومن أجل رفاهية الانسان باى شكل ..
مش عاوزين منكم ماركسية ولا حاجة .. عاوزين تنمية اقتصادية وشوية
تنازلات من البرجوازية .. اصلاحية لا اكثر ولا اقل !

قال :

- هو انا الذى اخلق المشاكل ..؟ انا مصدر شغب فى المنطقة ؟

قلت :

- الحقيقة انك كالمشوكة فى المنطقة .. تشك كل الانظمة يمينا او
يسارا .. وصدقتنى انك لو سقطت سيتنفس جميع القادة العرب يمينا او
يسارا الصعداء *

ضحك القذافى وقال :

- الى هذا الحد أصبحت سينا فى المنطقة ؟

قلت :

لا اعنى انك سيىء .. اعنى ان الخط السياسى الذى تشكله لم يؤد الا
الى طريق مسدود .. وعلى اى حال يهمنى مصر الآن ..
سأحكى لك قصة صغيرة :

كان المرحوم شهدى عطية الشافعى وهو أحد زعماء الحركة الشيوعية
المؤسسين وقتله بوليس عبد الناصر *

قاطعتنى القذافى قائلا :

- اعرف حكاية شهدى ..

ثم استطردت قائلا :

كان المرحوم شهدى يقول تعليقا على الوضع الانقسامى فى الحركة
الشيوعية المصرية .. انى افضل ان اكون عضوا فى حزب شيوعى موحد
بدلا من ان اكون زعيما لحلقة الانقسام *

قاطعتنى العقيد مرة ثانية وقد فهم مغزى حكايتى وقال :

- وانا مؤمن تماما باللى قاله شهدى .. وده اللى باعتله .. انا
مش عاوز ابقى زعيم ليبيا ولا رئيس ولا حاجة .. عاوز دولة عربية واحدة
اكون فيها جندى فى اى موقع ..

لكن اعمل ايه ٠٠ بيروحوا يقول للرئيس السادات ده علون يورثك ٠٠
عاوز يبقى جمال عبد الناصر ٠٠ عاوز يبقى رئيس مصر ٠٠ هي مصر يمكن
يبقى رئيسها لحد مائة سنة قدام بعد الوحدة العربية غير مصرى ؟
قلت :

— حكاية انك تريد ان تكون جمال عبد الناصر دى صحيحة وليس
الرئيس السادات فى حاجة ليسمعه من أحد • ان العالم كله يقولها •
ثم انك الآن تمارس عملية منظمة ضد حكم الرئيس السادات وتسمع
للطلبة الصغار ان تهتف هتافات معادية للنظام وتطالب الشعب المصرى
بالثورة ضد السادات •
اريد ان اسالك سؤالا :

ما هي النظام الذى يمكن ان ياتى الآن بديلا لنظام السادات ؟
قال القذافى على الفور بالحرف :
— نظام رجعى واشد يمينية •
قلت صائحا :

— حسنا ٠٠ ماذا تريد اذن ٠٠ ماذا تنتظر ؟ هل تتعاون مع الاستعمار
الامريكى للاطاحة بحكم السادات لياتى ذلك النظام الرجعى واليميني ؟
اقول لك سيأتى حكم البرجوازية المتخلفة ٠٠ التى ستقضى نهائيا على
اية مكتسبات ناصرية لثورة يوليو ٠٠ وستتحالف مع الاستعمار الأمريكى
٠٠ وستصبح مصر العن من ايران •

ويومها يا سيادة العقيد سيكون من مهمة ذلك النظام الجديد لا قدر
الله العمل على الاطاحة بنظامك وكل النظم الوطنية فى المنطقة •
لن يحدث تناقض بينك وبينه كالتناقض الحادث الآن بينك وبين مصر
٠٠ تناقض مؤقت ٠٠ اذاعة ٠٠ كلام جرائد ٠٠ لأسباب طارئة ٠٠ انما
ستكون مهمة أساسية لذلك النظام القضاء عليك ٠٠٠
انا مندهش اذن كيف وانت تدرك هذا المخطط الاستعمارى ان تهاجم
مصر ولا تبذل محاولة جدية لتسوية الأمر معها •
قال :

حسنا ٠٠ اريد التسوية ما هي اقتراحاتك ؟
قلت :

ليست لدى اقتراحات محددة وانما لدى افكار من بذات الكارى ريمة
تساعد على وجود حل ٠٠ بادىء ذى بدء نحن نريد الآن اطفاء النيران

المشتعلة ٠٠ جوا من التهدة ٠٠ يمكن أن يساعد على خلق مرحلة تعايش سلمى اذا جاز التعبير ٠

ثم بعد ذلك يدور التفاهم حول مراحل متقدمة مثل التعاون والتضامن ٠٠ والآن كيف تطفأ النيران المشتعلة ؟

ان بيننا وبينك ارضية مشتركة هى قضية فلسطين ومواقفنا تجاهها واحدة ٠ أى الوقوف ضد اباداة الفلسطينيين ٠ ليس كذلك ؟

قال :

- نعم ٠

قلت :

اظن لو انك استدعيت السفير المصرى فى طرابلس وايلفته انك حريص على التعاون من اجل انقاذ الفلسطينيين وقررت وقف حملة الكراهية على مصر ثم ياتى دور هذه الاجراءات التالية من جانبك ٠

- وقف الحملات الاعلامية تماما ٠

- السماح بدخول الصحف المصرية ٠

- الكف عن اساءة معاملة المصريين ٠

- الافراج عن المسجونين المصريين الموجودين الان (٤٠٠ مسجون) ٠

- السماح للمصريين بدخول ليبيا بدون تأشيرة دخول ٠

كما اقترحت على العقيد دعوة الوفد المصرى وخصوصا عبد اللطيف باطية الوزير فى مؤتمر التضامن لمقابلتهم والاستماع اليهم ٠

واستطردت اقول :

- ولا بد ان نضع فى الاعتبار انك لن تجد تجاريا من القاهرة فى الحال لأنها لا تثق بك ٠٠ لابد ان تصر وتثابر على اتخاذ هذه المواقف لمدة طويلة حتى يهدأ الجو ٠

ثم انا ارى ان الاعلام المصرى يركز فى الهجوم عليكم مثلما كان الامر من فترة ٠

قال القذافى :

ما هى حكاية المصريين المسجونين ٠٠ لقد افرجت عنهم ٠٠

قلت :

علمت من السفارة انه الفرج عن ٣٨ شخصا فقط بينما يوجد ٤٠٠ آخرون ٠

استدعى، القذافي، الوزير، طه وقال له :

— يا أخ طه بلغ وزارة الداخلية تفرج عن كل مصري في السجون حتى الذي متهم بالتخريب ٠٠ عند الاستار يقول هناك ٤٠٠ ٠٠ مش عاوز حد مصري في السجن ٠

وأضاف القذافي قائلاً :

— هناك حكاية طنطننت لها الصحف المصرية وهي طرد المصريين منذ شهر ٠٠ الحقيقة أن طرد المتسللين لم يكن ضد المصريين فقط بل ضد النيجيريين والتشاديين أيضا بعد أن امتلأت البلاد شحاتين وناس تموت على الطريق وأعطيت أنا بعض الصور لمحمود رياض قلت له يقول لمسروح سالم عليها :

قلت :

على أي حال لا يمكن معاملة المصريين مثل النيجيريين والتشاديين لأن المصريين عرب وأنت تقول أن مصر وليبيا بلد واحد أما النيجيريين والتشاديين فهم مجرد أخوة أفريقيين ينطبق عليهم قانون حق الجوار الدولي فقط ٠٠

أنكم اساتم معاملة المصريين بالتأكيد ٠

قال :

— أعترف لك حدثت تجاوزات من بعض الشرطة وأنا عنفت وزارة الداخلية بشدة ٠

قلت :

اسمح لي :

قاطعتني قائلاً :

بلاش اسمح دي ٠٠ تكلم يا أخى على طول ٠

قلت أنك خلقت طبقة العرفاء ٠

قال :

ايش يعني دي ؟

قلت :

٠٠ — عرفاء جمع عريف ٠٠ أى الامباشية وضباط الصف والمخابرات والمباحث الذين يتجسسون على الشعب ويسومونه سوء العذاب وهم أجلاف

خلاط ٠٠. تعطى الواحد منهم سلطة ضخمة لأنه لا توجد صحافة حرة ولا برلمان وعندهم طباع قبلية حتى رؤسائهم لا يستطيعون ردعهم ٠٠ لابد من معالجة هذا الأمر .

قال :

طبعاً ناس بدو لسه لم يتعلموا ٠٠ اعذرونا لم يكن هناك دولة فى ليبيا وعلى العموم المؤتمرات الشعبية ستقيد سلطة أى بوليس أو مخابرات .

ثم استطرد القذافى قائلاً :

لو فتحنا الباب لدخول المصريين دون تأشيرة دخول ٠٠ الا يفتح ذلك الباب للمخابرات المصرية لادخال عملائها وعمل تخريب عندنا ؟

قلت :

هذه المرة سأقول سيادة العقيد ٠٠ ان من يتعرض للتخريب فى مصر ٠٠ نحن نريد أن تكفوا اذاكم هنا !

انت الذى تستعمل أساليب قديمة مكشوفة ولا تجدى ٠٠ وأكرر لك انك غير محبوب فى مصر اطلاقاً بل هناك ضغط عليك كثير جداً . ولا تصدق أية تقارير عكس هذا .

وسألته :

هل كان يصح انك لا تستقبل ممدوح سالم رئيس الوزراء المصرى ؟
لصنح لى يعنى ليبيا محافظة صغيرة فى مصر ٠٠ وحاكمها زى محافظ
عندنا وممدوح سالم رئيس وزراء كل الـ ٢٤ محافظة شوف يكون ايه
يعنى مكانته بالنسبة لمحافظ محافظة ؟

كيف لا تستقبله ؟ ٠٠ هل تريد استفزاز كل مسئول مصرى ؟

قال القذافى :

الأخ ممدوح سالم يعرف مكانته عندى ٠٠ وأنا لا اريد استفزاز أى
مسئول مصرى ٠٠ انا قلت وما زلت أقول الرئيس السادات والذى ٠٠
ووافقت على نشر كلام فى العالم كله أن زوجتى قالت لى انه لازم يضربنى
بالكرياج فقلت انه والذى ومعه حق ٠٠ لا يوجد رئيس فى العالم قال
كلام زى ده .

لنما نعدم مقابلة الأخ ممدوح سالم كانت مسألة سياسية قصصتها
فجلاً ٠٠ كان الرئيس السادات فى أمريكا يقول لهم انى قدمت بعد مشاورة

الزعماء العرب ٠٠ فكانت مقابلتي للاخ ممدوح معناها ائى موافق على
رحلة السادات التى ليس لى بها شأن ٠٠ لذلك لم اقباله .

قلت :

انك مخطىء ايضا ٠٠ لا لوقوفك السياسى من الزيارة فحسب ٠٠ بل
كان مفروضا ان تقابل السيد ممدوح سالم ولو مقابلة شخصية وتقول
له انك غير موافق على الرحلة واستطردت قائلا :

سيدى الرئيس : اقول لك ان قيادة امة لا يمكن ان تمارس بعقلية
سن الخامسة والثلاثين من الشباب وثورته واندفاعه ٠٠ لابد ان من يقود
امة ولو كان شابا ان يمارس القيادة بعقلية وحكمة الشيوخ ٠٠ بالهدوء
والرزانة .

ضحك القذافى وقال :

وانت تمارس الصحافة بعقلية كم سنة ؟ والله يا عبد الستار انا
عاوز اتصافى واعرف ماذا يريد الرئيس السادات منى .

قلت :

- أين دورك فى المساهمة فى التنمية ٠٠ ماذا فعلت فى اقتراحى
باقراض مصر بليون جنيه مع فترة سماح ؟

قال :

- ما هو انتم تقولون ان هناك شروطا من جانبى لمثل هذا القرض .
بينما انا لم اضع اى شرط بالعكس انا قلت انه بعد الوحدة تظل عجزانية
كل بلد مهتلفة حتى لا ينخفض مستوى المعيشة فى ليبيا ٠٠ ثم رصيد
ليبيا فى البنوك يستخدم فى مشاريع للدولة الموحدة ٠٠ ولم افرض شرط
عمل الوحدة لا قراض مصر .

قلت :

حسنا ٠٠ تقدم الآن .

سكت ولم يرد .

عدت اقول :

- ما رأيك فى الافكار التى طرحتها عليك كخطوة فى الطريق للتصفية؟

قال بعد لحظات :

انا موافق عليها ٠٠ وسأعمل ما يرضى ضميرى وضمير هذه الامة ٠٠
وبالنسبة لماذا لا يعقد الرئيس السادات مجلس الاتحاد الثلاثى ؟ انفسه

بفرصة كي نلتقى ونتكلم .. وعلاقتي بحافظ الأسد ما زالت غير سيئة
تفكان ممكن أن يلعب دورا في التصفية . على أى حال أنا أريد مقابلة
الرئيس خمس ساعات وحدنا . وأرجوك تبليغه هذا مرة أخرى .

ومش معقول لا يقابل سفيرنا عبد القادر غوجه الراجل زهق وعازن
يرجع لأن الطريق مسدود أمامه .

قلت : هذا ممكن بعد هدوء الجو نسبيا كما قلت .

ثم تحدثت عن رأيي في وجود مخطط أمريكي واسع النطاق لتدمير
للتنظيم العربي وربما دخلت فيه عناصر من أجهزة الدولة هنا وهناك ..
من خلف القيادات الوطنية .

قال القذافي :

سأقول لك بعض المعلومات لتقولها للرئيس : لقد اكتشفنا أخيرا
ثلاثة من عناصر الأمن الليبيين يتصرفون وحدهم كما أنت تقول .

كما اكتشفنا أيضا أن بعض عناصر إذاعة صوت الوطن العربي
تصرفت بطريقة مخالفة للتعليمات . فقد هاجموا مثلا اتفاقية سيناء وقت
أن كانت هناك تعليمات منى بعدم الهجوم عليها .

أنا جمعنا في هذه المحطة عناصر سورية وعراقية وفلسطينية .

وقاطعته قائلا :

ومصرية .. وشذاذ الآفاق .

قال :

— تمام شذاذ الآفاق يتصرفون بروح من الحقد وعدم المسؤولية
وأضروا بالعلاقات بيننا وبين مصر وبلاد كثيرة .

قلت :

أذن يجب أن تتخذ إجراءات لمنع هذه الفوضى والازدواجية في
الدولة ..

قال :

— سيحصل وحصل فعلا .

— وقبل أن أقوم من أرض الخيمة .. قال القذافي :

— أنا أشكرك كثيرا على تلبيتك دعوتي .. وبالك جئت بزوحتك
وكانت تقعد مع مرتي .. في الخيمة المجاورة وتتفرج على ليبيا شوية .

وساظل اقرز دائما انكم فى روز اليوسف الوحيدون الذين حاولتم
عمل شئ للـم الفضيحة دى بين مصر وليبيا •

فقاطعته :

هذا بفضل مساندة السادات لنا •• السادات وحده وعدد قليل جدا
من رجال الحكم هم الذين يساندوننا ويحموننا من اليمين •

قال ••

– مش عارف يا اخ عبد الستار •• انا ارجو ان اراك مرة اخرى.
لتكمل الكلام •• لا اظن انهم فى مصر سيسمحون باستمرار الحوار ••
عندى احساس ان الرئيس السادات لا يريد •

قلت :

– انت مخطيء تماما •• تصرف لتؤكد حسن النية وستجد كثيرين
رسميين من قبل الرئيس يأتون لمواصلة الحوار •

وانا ارجو ان اراك فى القاهرة قريبا متصافيا مع السادات قائده
حركة التحرير العربية دون منازع •• والذى تقول انه مثل والدك •

وارجو ان تختلف معه بعد ذلك فى غرفة مغلقة والا يتكرر ما شاهدناه
من مهزلة خلال السنوات الثلاثة الماضية •

واعترضت للعقيد القذافى عن حضور لقائه بالجامعة فى بنغازى.
حتى اسافر بسرعة وابـلـغ رسالته للرئيس السادات •

الملحق الخامس

من مذكرة الى الرئيس انور السادات

هذه فقرات طويلة من مذكرة قدمتها للرئيس انور السادات في ١٩٧٧/٨/٢٩ اى بعد الانقلاب الذى قام به فى روز اليوسف باربعة شهور تقريبا .. ولأن المذكرة تتناول موضوعات سياسية كثيرة تلقى جنودا على الاوضاع فى تلك المرحلة وسياسة السادات نفسه .. وموقفى انا من هذه السياسة .. وكيفية معالجته حولها .. فقد تشرنا اغلب ما جاء فيها .

وهذه المذكرة لم تقدم بيدي للسادات فقد كان على قطيعة معي .. منذ اجتماع العمورة فى يونيو ١٩٧٧ . ولكنى قدمتها للسيد فوزى عديم الحافظ .. ولم يصلنى اى رد عليها من السادات نفسه .. وأن كان الحديث بين السيدة جيهان السادات وانا قد تناول ما جاء فيها من خلال المقابلات العديدة التى استمرت بين سيادتها وبينى رغم قطيعة السادات نفسه كما قرأ القارىء فى سياق الكتاب .

السيد الرئيس انور السادات

رئيس الجمهورية

سيدي الرئيس ..

رمضان كريم .. وكل عام وانتم طيبون . وأرجو الا ياتى رمضان

القاسم الا وتكون قد حققت استكمال التحرر الوطنى وانزاح عن كاهلك
ذلك العبء الرهيب الذى ورثته بين ما ورثت من تركة مثقلة .

فى فترة التأمل والعبادة التى تعيش فيها هذه الايام .. وجدت من
المناسب ان ابعث اليك ببعض خواطرى وآرائى فى الأوضاع الحالية .

ولقد كان مفروضا ان يكون هذا الحديث شفاهة بينكم وبينى على
ما عودتكم عليه من الصديق فى القول ازاء رحابة الصدر التى ابدىتموها
وتبدونها دائما ازاء كل المواطنين .

بيد ان محاولتى كمر يكون ذلك الحديث شفويا ذهبت سدى ، لانه
فلاسف الشديد انت توعد بابل يا سيدى وانت ابو الاسرة المصرية فى وجه
الرأى الآخر ، ووصل بك حد الغضب يا سيدى الى رفض مقابلة أحد
من اليسار ولو كان اخلص المخلصين اليك .

وبادىء ذى بدء يا سيدى دعنى اعبر عن اعجابى الشديد بالبراعة
السياسية « والمكر الفلاحى » المنقطع النظير عندما وضعت فى بساطة شعار
الجبهة الوطنية المتحدة الذى حلمت به كل قوى التقدم فى مصر منذ فجر
الحركة الوطنية ، لقد وضعت ذلك الشعار موضع التطبيق لأول مرة دون
ان تطلق عليه ذلك الاسم الذى يثير حساسية وثائرة البعض . وانما سميته
اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

اذ ما هى الجبهة الوطنية الا تجمعا اختياريا بين احزاب وهيئات
وممثلين للنقابات وبعض الشخصيات العامة ؟

لنسخها للجنة المركزية .. العائلة المصرية .. الخ فالعائلة الواحدة
داخلها تناقضات ولكن المهم كيفية تسوية تلك التناقضات .

ودعنى اهنئك يا سيدى بهذا التدشين الديمقراطى البارع لتلك الجبهة
بذلك الحوار المفتوح الحر بينك وبين عضوى اللجنة اليسارى والناصرى ،
ولا عبرة بروتوش الأخطاء فى ادب الحوار فتلك ردود فعل نتيجة حرمان
الممارسة ربع قرن تقريبا .. ولكن المهم هو ان الشعب المصرى استطاع
ان يتمسك بهذا التقليد الديمقراطى العظيم الذى علمته انت وطبقته
عمليا على شاشة التليفزيون سواء فى الحوار مع الطلبة او عضوى اللجنة
المركزية .. (هما السيد خالد محيى الدين والرحوم قبارى عبد الله عضو
مجلس الشعب عن حزب اليسار) .

لو تمسك الشعب بهذا لما استطاع ديكتاتور مهما كان عادلا ان
« يخفى » الشعب سياسيا مرة اخرى .

ولا يمكن أن يمر حديثنا عن الديمقراطية دون التهئية أيضا بثمار سياسة دعوية منذ أعوام لتعقب الجلادين وزيانية التعذيب ، فما نحن اليوم نرى لأول مرة قضية سياسية اتهم فيها العشرات بالقتل واستخدام القوة المسلحة لقلب نظام الحكم لقضايا التكفير والهجرة دون أن يعذب أحد . . ذلك لأن قرارك بمحاكمة الجلادين القدامى قد أعقم أجهزة الأمن الحالية من ولادة جلادين عملا بحكمة التعلم من رأس الذئب الطائر . .

ودعنى يا سيدى أهنتك على انتصار خطك السياسى بالنسبة للقضية الفلسطينية فما هى فرق المقاومة الفلسطينية على وشك العدول عن الخط الوهمى المتطرف بالنسبة لرفض قبول دولة فلسطينية على بعض الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وغزة) .

كما أنك قد وصلت الى عتبة الهدف الذى رسمت له منذ زمان بعيد . مستغلا نتائج حرب أكتوبر وهو إيجاد التناقص بين رؤية الولايات المتحدة لحل مشكلة الشرق الأوسط والرؤية الاسرائيلية لذلك الحل . . وما عبرت عنه فى أحاديث مختلفة أنك تريد « حيادا امريكيًا » بين العرب واسرائيل .

وأهنتك أيضا بالبراعة السياسية فيما يتعلق بالميدان الايدولوجى فى مصر ذاتها . ان المراء بعد كل حملاتك على فترة الستينات وعلى « الانحراف والتطرف » فى الاشتراكية والغائك بجرة قلم للميثاق وبيان مارس . . وورقة أكتوبر كان يخلل للمراقب السياسى لأول وهلة أن النظام سياتخذ بايدولوجية النظام الراسمالى الحر . .

لكن تلك الوثيقة التى فاجأت بها الناس ملفوفة بضباب حملة شديدة ضد الماركسية انما تحمل افكار الميثاق تقريبا ما عدا تلك الكلمات « الرنانة المثيرة » عن الصراع الطبقي والتناقضات الطبقية .

ولقد قرأت وثيقة اماتذة الجنامعة عن الاشتراكية الديمقراطية فوجدتها لا تضع برنامجا مختلفا لتطوير مصر عن برنامج الميثاق الا فى تفاصيل تحتمها ضرورة التنمية فى ظروف اليوم الجديد فى هذه الوثيقة يا سيدى .

ان كاتبها لم يخفوا أنهم استوردوا افكارهم من زعماء الاشتراكية الديمقراطية فى أوربا !! مؤكدين بذلك أن سلاح الافكار « المستوردة » انما يشن فقط فى وجه استيراد افكار معينة !

وانا أعد مقالا الآن لتقييم هذه الوثيقة وداعيا كل القوى الوطنية والائتلاف حولها لوضعها موضع التطبيق وأرجو أن ينشر ١٩

وفيما يبدو أن معظم الكتاب والصحفيين فى مصر لا يفهمون تلك

الوثيقة ولا يتبينون مغزاها ولذلك فهم سادرون فى تعجيد قيم المجتمع
الفردى ولعن الاشتراكية ليل نهار ١

وبعد هذا يا سيدى الرئيس انتقل الى جانب آخر من الحديث ..

عن الديمقراطية :

اننا لن نتحدث عن المماطلة الاسرائيلية - الامريكية بهدف جعل العبور
تاريخا بعيدا باهتا .. فان اليقظة والحضور المستمرين من جانب قيادتكم
الرشيدة يفضلان هذه الخطة سواء عن طريق التحرك السياسى الدؤوب او
الاستمرار فى تسليح الجيش وجعله على اهبة الاستعداد والاصرار على
الامانى القومية كاملة غير منقوصة .

على ان الخطر الحقيقى هو ما يجرى من مؤامرة حول الديمقراطية اذ
قيما يبدو ان المتأمرين يحققون نجاحا تلو النجاح .

انهم يريدون دفع النظام الى التخلي عن الديمقراطية شيئا فشيئا ..
حتى يمكن توسيع الهوة بينه وبين الجماهير فى وقت استفحلت فيه
مشاكلها الاقتصادية . ولم تحل القضية الوطنية .

والهدف معروف .. وهو تصفية ثورة يوليو .

فاذا كان الأمريكيون واليمين يوافقون على ما يسمونهم «بالمعتدلين»
فى العالم العربى فان ذلك الى حين ، وهم لم يكفوا ولن يكفوا عن التآمر
ضدهم حتى يأتوا بعملاء طيعين .. فالمعتدلون فى النهاية وطنيون ولا يوجد
حتى ضمان لاستمرارهم معتدلين .

منذ زمان طويل وكل مراقب سياسى عميق الفكر بعض الشيء يستطيع
أن يتبين انكم تعمدون الى مناورة واسعة النطاق وتهدف الى الالتفاف حول
اليمين العالمى لخلق ثغرة بينه وبين اسرائيل مستثمرا نتائج حرب ١٩٧٣ .

وقد عبرت عن هذا الهدف فى احاديث عديدة لك « اننا نريد من
امريكا أن تكون محايدة بين العرب واسرائيل » .

وانت فى سبيل تحقيق هذا الهدف تستخدم بذكاء شديد ودهاء اكثر
كل كروت اليمين المحلى والعربى كل ذلك من أجل التوصل الى حل المشكلة
الوطنية دون حرب جديدة .. واحيانا كنت أتشكك فى أنه حتى حملتك على
اليسار المصرى واتهامه بالمسؤولية عن أحداث ١٨ و ١٩ يناير ليس الا كارت
من تلك الكروب . يستهدف التلويح بالخطر على النظام الاجتماعى المصرى من

جراء التقاعس العربى المشين ، وتقاعس الولايات المتحدة عن الضغط على اسرائيل .

فما كنت اتصور انك تعتقد بحق - وما زال عقلى ووعىى السياسى برفض تصديق ذلك حتى الآن - ان مائتى او الف ماركى او يسارى يمكنهم ان يثيروا الجماهير لتحدث تلك الاحداث المروعة يومى ١٨ و ١٩ يناير .

على انه يبدو ان المناورة السياسية هذه المرة قد جاوزت حدودها . وهذا بالضبط ما يريده المتآمرون الذين يريدون تجريد حركة تصحيح مايو من جوهرها وهو الديمقراطية فقد لاحظت يا سيدى فى اول خطاب لك بالتليفزيون بعد الاحداث انك متأثر تأثرا شديدا ضد الماركسيين حتى انك اوصيت الناس بحريهم بعد عمر طويل .

وسمعتك عند المبعوثين فى اوربا وامريكا تكرر نفس الكلام .

وسمعت بعد عودتى من امريكا انك القيت عديدا من الخطب ضد اليسار فى منطقة القنال وسميت الماركسيين بالأوغاد !!

ثم كان عزل عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وفتحى غانم من قيادة « روز اليوسف » .

الى ان حضرت اجتماعك بالصحفيين فى المعمورة .

سمعتك تدعو الى تطهير الصحافة والاذاعة والتليفزيون من الماركسيين واليسار فى اطار قانون المطبوعات . . اى عدنا الى عهد العزل السياسى وانما باسم القانون .

ثم جاءت حكاية سحب بطاقة الرئاسة منى وتصورت الامر فى البداية تصرفا من بعض اجهزة الأمن كنتيجة منطقية لحملتك على اليسار . والى هنا فان الامر شئ عادى لا استغريه من جانبى كرجل سياسى ولكن المفاجأة كانت انى علمت ان امر السحب جاء من سيادتكم شخصيا . . وانك غضبت غضبا شديدا لوجودى مع انك صاحب تقليد حضور محررى الرئاسة لاجتماعاتك مع رؤساء التحرير .

اذا كان الامر قد وصل هذا الحد اذن فالثورة على اليسار حقيقة . . وعنيفة وكاسحة حتى للاصدقاء المخلصين لجرد انهم يساريون دون ان يرتكبوا عملا ولو طفيفا ضد النظام . . والآن انى سأحاول مناقشة الامر معك يا سيدى فى فترة تأملك بهدوء . .

عن أحداث ١٨ و ١٩ يناير :

اننى ادرك الخيار الذى كان امام النظام عندما جرت أحداث ١٨ و ١٩ يناير .

انه اذا ما اخذ النظام بالتفسير البسيط القائل بأن الجماهير كانت فى حالة ضيق بسبب الغلاء ومشاكلها الاقتصادية الأخرى نتيجة أعباء الحرب وتركه الماضى وبعض التطبيقات الخاطئة لسياسة الانفتاح ، وبالتالي قد انفجر هذا الضيق عندما رفعت الحكومة الأسعار فجأة اذ يعنى هذا الرفع تحميلها بأعباء جديدة فى وقت كانت تتوقع فيه تخفيف تلك الأعباء . كما قال بحق زميلنا موسى صبرى فى ندوة التلفزيون يوم ١٨ يناير .

وحاولت بعض القوى استغلال هذا الانفجار هنا .. ولكن كل شيء قد هذا بمجرد الغاء تلك القرارات الخاطئة والمرجلة .

اذا ما اخذ النظام بهذا التفسير البسيط ، لاتجهت أصابع الاتهام اذن الى المسئولين عن ذلك الخطأ وهم أعضاء الحكومة .

ومعنى ذلك أنه يترتب اتخاذ إجراءات رادعة للمخطئين قد تستلزمى أحداث تغيرات سياسية معينة طالب بها حزب اليمين وحده وليس حزب اليسار فى البرلمان يومى ١٨ و ١٩ يناير وأولها استقالة الحكومة .

وكان الخيار الثانى هو تفسير تلك الأحداث بأنها مذبذبة ومخططة حتى منذ الانتخابات ومظاهرة نوفمبر المشهورة و .. الخ .

ولكن من الذى دبر وخطط للمؤامرة ؟

حفنة من الماركسيين والناصريين ؟

من أجل ماذا ؟

من أجل إسقاط النظام والوثوب على السلطة . أو على الأقل من أجل حفنة من النقود سواء من ليبيا أو الاتحاد السوفيتى أو هراء ما بعده هراء ١٩

وحكاية اتخاذ اليسار كبحش فداء حكاية قديمة واستخدمت كثيرا فى أرجاء مختلفة من العالم .. ويتحمل وزير الداخلية السابق مسئولية اطلاق هذا الاتهام لأول مرة تاريخيا يوم ١٩ يناير .

وبدا للنظام أن ذلك الاتهام يمكن أن يؤدى الى نتائج مفيدة للصركة الوطنية بالضغط على اليمين العربى والأمريكى ..

ولكن يا سيدى وأنا أصدقك القول كما تعوبت وعودتك دائما ان أحدا فى مصر ولا فى أمريكا ولا فى أوروبا يصدق هذا الاتهام إطلاقا .

ولقد كان يمكن معالجة الأمر ببساطة أكثر من هذا ..

لأن حركة ١٨ و ١٩ لم تكن أول حركة تلقائية عنيفة تقوم بها الجماهير .. فقبلها بأيام كانت هناك حركة اهالي بيليا ضد اعمال الدولة هناك لعصابات الجريمة التي روعت أمنهم .. وقبلها بعام كانت هناك أحداث المحلة الكبرى التي حاول البعض ايامها الصاقها باليسار أيضا .. وقشلت المحاولة ..

وهناك حركة يناير ١٩٧٥ التي تكررت فيها محاولة الصاق التهمة بالماركسيين بالذات وقبض البوليس على قضية شيوعية يراقب أفرادها منذ عام ١٩٧٠ ..

ومن حين لآخر كانت تهب حركات تلقائية نتيجة غضب الجماهير في أي منطقة لأي سبب ولو كان ضربا لجزار في قسم شرطة أو تقاعس ناظر محطة الأتوبيس عن تسيير أوتوبيسات ..

وقد كانت حركة عمال هيئة النقل .. و .. و ..

والحركات التلقائية أمرها معروف وعادى جداً في كل انحاء العالم .. وتحديث حتى في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا أعرق الدول تنظيمًا وديمقراطية .. بل تحدث حتى في البلاد الاشتراكية (أحداث بولنده عام ١٩٧٦ ، والمانيا الشرقية ١٩٥٣) ..

وإذا كانت حركة ١٨ و ١٩ يناير قد اتخذت صفة الاتساع والشمول فلأن التسبب والحرك (رفع الأسعار المفاجيء) كان شاملاً وعلى النطاق القومى ..

وتخدع التقارير نفسها وكاتبها عندما تستند الى حكاية تكرر نفس الشعارات في كل مكان ..

يا سيدى ان نفس هذه الشعارات قيلت في كل حركة تلقائية محلية قيلت عام ١٩٧٥ ورددت بعضها صحف الحائط المتطرفة والى الناس نكتها حولها .. وتناقلها الناس في كل مكان ..

وبادىء ذى بدء ان هذه الشعارات ليست شعارات شيوعيين فأغلبها بذاءات واستفزازات غير ذات صفة سياسية ..

والشيوعيون لا يستخدمون مثل تلك الشعارات أبداً .. لأنها تضر ولا تنفع ..

ان الشعارات الوحيدة ذات الطابع اليسارى سواء كان ماركسيا
او ناصريا هى الشعارات التى قيلت فى مظاهرات بعض الطلبة .

وانا لا انفى استغلال بعض القوى السياسية للأحداث .

لكنى انفى انها دبرت وخططت بواسطة اهد او جماعة كى تنفجر
صباح يوم ١٨ .

وعندما تفجرت قلت فى اجتماع لتحرير روز اليوسف فى يوم ١٨ انه
غدا ستنزل قوى سياسية ومخابرات امريكية وربما « مافيا » الى الشارع
ومحاولة استغلال الموقف . وهذا هو الذى حدث .

ولكن ما من قوة سياسية استطاعت ان تسيطر على الأحداث .

فلا حزب مصر استطاع وقف الجماهير .

ولا اليسار ولا اليمين استطاع استغلال الحركة لأن الحركة ببساطة
أخذت الجميع على غرة . لأن كل القوى السياسية فى مصر ضعيفة نسبيا
من الناحية التنظيمية بالذات .

وصدقنى يا سيدى انه لو كان هناك تنظيم قوى فى مصر لاستطاع ان
يقلب النظام أو يحرق القاهرة فعلا أو يتسبب فى حرب أهلية . ولكن
الحمد لله .

فى موقف اليسار من ١٨ و ١٩

ان حزب اليسار قد تدخل حقا . وهذا امر لم ينكره بل مسجل
فى بيانات عليه باسمه بل انه تدخل من خلال القنوات الشرمية للتدخل وهى
أجهزة الاتصال التابعة للاتحاد الاشتراكى . وهى الوسيلة التى كان يثير
الدهشة استهجان الحكومة لاستخدامه لها مع انه منبر رسمى معترف به .
وبعض اليساريين الجدد قد تدخلوا . وبعض الناصريين تدخلوا .
بقيادة بعض المظاهرات .

وعصابات اللصوص والفوغاء والرعاع استغلوا الموقف ، وسرقوا
ونهبوا كما يحدث فى كل مكان فى العالم حتى نيويورك دون أى تنظيم سبق
أو تدبير بليل . فليس اللصوص بحاجة الى تنظيم يسارى يدعوهم للسرقه
والاغتصاب .

وعصابات جمعية التكفير والهجرة تدخلوا وحطموا ملاهى بشوارع
الهرم وهاجموا اقسام الشرطة . وهذا امر أخفى البوليس حقيقته حتى
تشكل حلقات الاتهام الظالمة ضد اليسار .

بل ان بعض أعضاء حزب الوسط (الحكومة) تدخلوا وقبض على بعضهم .

وان اى نظام فى العالم يخطئ خطأ فادحا فى حق نفسه اذا ما استناب لفكرة ان اية حركة جماهيرية تقوم ضد قراراته انما هى حركة مدفوعة او مدبرة او مصطنعة من بضع عشرات من المتأمرين فحسب .

ان الاستقامة تريح النفس حقا . . وتشيع كبرياء الذات لانها تخلق تبريرا وتفسيرا مزيفا لغضبة جماهيرية ضد قرار خاطئ . .

وانا ادرك صعوبة تصور ان الجماهير تهتف هتافات معادية للنظام ولكن ذلك يا سيدى امر عادى فى حركات تلقائية مهما كان النظام جماهيريا ومحبويا . .

لقد هتفت الجماهير ضد نظام عبد الناصر مرتين عام ١٩٦٨ . بل ان الجماهير هتفت احيانا ضد حكومة الوفد .

وليس يخفى على ان حركة ١٨ و ١٩ يناير كانت حركة تلقائية مدفوعة بصدر قرار خاطئ معين ان الأمور عادت الى نصابها وهذات الجماهير يبعد قرار الغاء هذه القرارات (من الملائم مراجعة الصيغة الغريبة لقرار الالغاء التى تعبر عن توازنات قوى مختلفة فى الدولة) . .

بل انك استقبلت جماهيريا بحرارة شديدة بعد هدوء الأحوال بيومين فى طريقك للصلاة سواء فى طنطا او السيدة زينب .
كان علاج الأمر أبسط مما تصوره البعض .

كان يكفى نقد الحكومة لحظتها . . وسحب القرارات ثم ادارة مناقشة ديمقراطية واسعة لوضع علاج للموقف الاقتصادي بين كل الأحزاب . .
وهو الاختراع الذى دعى اليه محمود أبو وافية فى استنارة سياسية كاملة مع انه خصم واضح ضد الماركسية .

وما كنا قد آثرنا هذه الحملة الصليبية ضد اليسار المصرى التى تكسب بسببها عطفًا جماهيريا وتضخيمًا دعائياً لحجم غير حقيقى له .
وانا اقول لك ذلك بكل موضوعية رغم انى يسارى .

وما كنا قد آثرنا ضدنا - اى ضد النظام - اليسار العالمى . . ولا سخيرية حتى اليمين العالمى .

ومع ذلك كان ممكنا استغلال ما حدث فى نفس الوقت للضغط على العرب والأمريكيين .

ولكن ما حدث كان امرا مثيرا للدهشة . فان السؤال الذى كنت اسأل عنه فى أوروبا . وفى مصر . هل يصدق الرئيس حقا أن اليسار مسئول من ١٨ و ١٩ يناير ؟

والذين يطرحون مثل ذلك السؤال يجيبون هم فى الغالب عليه . لا نعتقد انه أمر يصدق !

ولكنهم يعودون يتساءلون ! عن مغزى هذه الاجراءات الجديدة المستمرة .

فلما حرب ايديولوجية شنت وتشن ضد الماركسية انحطت بالمستوى الى مستوى صحف تايوان وبانكوك وسايجون يرحمها الله .

وهذا تذيير خطر لأنه يغرى بالتعصب وينمى الاتجاهات الفاشية (وقد حدث فعلا)

وينمى الاتجاه المعادى لاي اصلاح اجتماعى يدعى أنه شيوعى بل وينمى الاتجاه الكارثى فى حقل الثقافة . وهذا واضح الآن فان الكثيرين من جهلاء الكتاب يهددون من يقول عبارة مثل هذا « ظلم من الناس الى فوق » على أنه دعوة للشيوعية !

وهذا الاتجاه أيضا يغرى باتخاذ تدابير قمع ضد الحرية فدائما تبدأ الحملة ضد الحرية بالحملة على الماركسية أو الشيوعيين . وليس أكثر مأساوية من أن مصر منارة الحضارة والثقافة فى العالم العربى تسن فيها الآن مشاريع قوانين باعدام من يسمى بالمرتد عن الاسلام ويهاجم مثل تلك المشاريع مصطفى أمين وحده هو موقف يحسب له .

واذا كان التبرير هو استرضاء اليمين العربى لاجتذاب بعض أمواله فهذا لعب خطر بالنار . انه التربة الخصبة لجمعيات مثل التكفير والهجرة . وهو التربة الخصبة لاثارة فتن طائفية بين المسلمين والمسيحيين بل وتشكيل جمعيات تكفير وهجرة مسيحية أيضا .

عن حزب اليسار .

وثمة حرب ضد الديمقراطية التى غرستها بيدك مما يقرينا الى عتبة اوضاع لبنانية والعياذ بالله ؟ ورغم تعدد الأحزاب فقد قامت حرب ضد حزب اليسار (بالنسبة انا لست عضوا فيه) على أساس مضحك هو أنه يشكك فى الحكومة ويستغل متاعب الجماهير .

ما هو دور المعارضة اذن فى اى نظام حزى ٠٠٩ من الطبيعى انها لا تربت على كتف حزب الحكومة بل انها تستغل كل خطأ له وتكشفه دون رحمة لتزيحه عن دست الحكم وتتولى مكانه بالطرق الدستورية .

وهذا موجود فى كل بلاد العالم التى تأخذ بالنظام الحزى ولا أحد يطالب حزب المعارضة ان يكون رفيقا بالحزب الحاكم .

ان المعارضة ليست مكتب تفكير لحزب الحكومة لترشدها الى السبيل السليم لتبقى فى الحكم عشرات السنين .

وكان تراجعنا عن الديمقراطية ان يلام حزب اليسار لأنه أصدر تعليمات لأعضائه علنا بمعارضة قرارات الحكومة لرفع الأسعار وتعبئة الجماهير ضدها .

وبدا ان النظام يرم وضيق الصدر بأول ممارسة شبه حقيقية للديمقراطية وكأن الأحزاب الثلاثة أحزاب « ورقية » كما قال فؤاد سراج الدين .

وعلى الفور دعى البعض لحل حزب اليسار . . ووجهت له أكبر حملة فى تاريخ الديمقراطية فى البلاد .

وهى أكبر حملة لأنه كان أعزل وما زال من اى سلاح للدفاع أو الرد . . فلا جريدة ولا مجلة ولا حتى كلمة فى اى جريدة من جرائد النظام ولا فى التلفزيون ولا الاذاعة .

لا أحد يدري ماذا يفعل حزب اليسار فكانه حزب سرى . . حتى نشراته مطبوعة على الرونيو . . ثم من المضحك ان بعض كتاب النظام يتهمونه بأنه يمارس العمل السرى . .

واذا كان المقصود من الحملة هو تخويف الناس من حزب اليسار فإن هذا عمل مشروع فى ظل النظام الحزى . . ولكن فقط يجب توفير اسلحة متكافئة . .

وحزب اليسار مجرد من اى سلاح اعلامى كما قلنا .

لكن حملة التخويف ان كانت نجحت نسبيا فانها اكسبت الحزب خطفا ايضا وابرزته كقوة سياسية معارضة أولى للحكومة .

والجماهير عطف على حزب اليسار لأنها تدرك انه ليس المسئول عن تحريكها فى ١٨ و ١٩ يناير والاتهامات ضده ظالمة تماما .

٠٠ وبالمثل أن الحملة ضد الشيوعية لم تجد صدى في البلاد لأن الناس تعزف أن الشيوعيين لم يحركوهم ولم يدفعوهم نحو التحرك ٠

حتى النيابة لم تجد وصفا لمستوليتهم الا أنهم هيئوا مناخا للأحداث ٠ ثم من هم هؤلاء الشيوعيون الذين دبروا أحداث ١٨ و ١٩ يناير ؟

ان أغلبية الشيوعيين هم الشيوعيين القدامى الذين هاجمتهم ونعت عليهم حلهم لحزبهم عام ١٩٦٥ ٠٠ هؤلاء لم يحركوا أصبعاً في أحداث ١٨ و ١٩ لأنهم ببساطة كان يخشون اتهامهم بالمسؤولية لو حتى شوهدوا في شارع تسير فيه مظاهرة ٠ وذلك بفضل خبرتهم الطويلة مع الدولة ٠ ولقد مررت شخصياً بتجربة أحييها لكم ٠٠

لقد شاهدت في ميدان إبراهيم مظاهرة من أكثر من ثلاثين ألفاً ٠٠ والنساء في البلكونات يلقين بالماء من الأواني على رجال البوليس الذين يقاومون المتظاهرين ٠

هل هؤلاء النسوة منظمات ومحركات بواسطة متآمرين يساريين أم أن محركاتهم التبرم من الغلاء والتعاطف مع هؤلاء الذين يتظاهرون ضده ؟ المهم أنني فكرت للحظة في الدخول ومحاولة إبعاد المظاهرة عن الهتافات البذيئة ضد النظام ونحن خبراء في هذا المجال ٠٠

ولكنني نفضت فكرتي على الفور لأنني سأنتهم بقيادتها والتخريب ٠٠ الخ ٠ وتذكرت حكاية الثعلب الذي هرب من مصر لأنهم يقبضون على الجمال فيها ٠

يا سيدى لقد كان بوسع هؤلاء الشيوعيين أن يفعلوا شيئاً ضد هذه الموجة المعادية لولا الخوف من خبرة الماضى ٠٠ وأقربها اتهام اليسار بمظاهرات يناير ١٩٧٥ وهو منها برئ أيضاً ٠

وما زلنا نذكر حكمة نظام عبد الناصر التي عبر عنها أحد رجال الأمن البارزين لزعماء مؤتمر مناصرة عبد الناصر في الجامعة عام ١٩٥٧ بعد اسقاط حكومة النابلسي في الأردن ٠

» من يملك التأييد يملك المعارضة فإذا سمحنا لكم بالتظاهر لتأييدنا اليوم فستطالبوننا بالسماح بالتظاهر لمعارضتنا « ١١

حسننا هذه هي فلسفة النظام وهي فلسفة لا تبنى وحدة وطنية ولا تكسب قوى من المصلحة كسبها ٠٠ وهي نوع من الوصاية المهينة على القوى السياسية والجماعية واحتقار لها ٠٠

وما حدث لى حدث لمعظم هؤلاء الشيوعيين القدامى المقول أنهم نظموا
واداروا وخططوا لاحداث ١٨ و ١٩ يناير .

اننا نعلم علم اليقين ان القوة الوحيدة التى كان ممكنا ان تستغل تلك
الاحداث وتحقق نجاحا هى قوة اليمين .

فى ظل دخان الحريق والتفريب يثب اليمين للسلطة وليس اليسار .
ولو نجح اليمين فى استغلال ١٨ و ١٩ لكننا نحن اول الضحايا .

عن اليسار الجديد :

حقا ان بعض اليسار الجديد يعارضونكم .. بل ويدعون للاطاحة
بالنظام الوطنى .. ولكنهم قلة .. وهم ايضا يتناقضون مع الشيوعيين
القدامى (الاغلبية فى اليسار) ويتهمونهم بالاستسلام والتقاعد و .. الخ .

والحكمة السياسية تقضى بالترقة بين يسار ويسار .. وبين يسار
مستنير ويسار متحجر .. ونحن نقدر على مجابهة ذلك اليسار وحصاره
فكريا بل واقناع بعض اقسام منه اما استخدام القوة فى مواجهة الأفكار
لقد اثبتت كل تجارب العالم فشل هذا السلاح ولو بدا نجاحه مؤقتا .. وكل
اتجاه مضاد للديمقراطية يساعد على ترعرع القطر اليسارى واليمى
معسا .

ولكن النظام مضى يضرب كل اليسار .. وبالات اليسار المستنير ..
والذى لم يتحرك مع الاحداث او ضدها .

فاغلق منير الطليعة الذى يعتبر متنفسا للمعتقين الماركسيين ووسيلة
ليعرف الحاكمون الرأى الآخر عليهم يستفيدون شيئا . وائى حاكم الآن
لابد ان يضع على مائدة البحث امامه وجهة نظر اليسار ببساطة لانه يحكم
ويتحكم فى مجريات كثيرة فى عالم اليوم .

وقد رايت فى الجامعات الأمريكية اشد الاساتذة يمينية يحرصون
على تدريس الماركسية للطلبة على الاقل ليعرفوا كيف يحاربونها ا
ثم كانت ازالة العناصر الماركسية والمتعاطفة معها من قيادة
روز اليوسف .

وكان مثيرا للدهشة ان يقف ابراهيم البعثى يصذر فى اجتماع
الصحفيين من عملية التطهير ضد الصحفيين اليساريين ..

الا ان المؤامرة واضحة خيوطها تماما وهى تكرر لمؤامرات عديدة

ضد النظم الوطنية نراها من حولنا ضد نظم وطنية أخرى وقعت في
أخطاء .

لقد نجحت المخابرات المركزية الأمريكية في مؤامراتها فعلا . . في
سيلان . . نجحت في الهند بالاطاحة بحكم مسز غاندى . . ومسز بندرانايكا
. . ثم بعلى بهوتو في باكستان .

والخطة بسيطة جدا . . وتكررت عشرين مرة ولا يتعظ زعماء العالم
الثالث منها . .

تدفع النظم الوطنية في اتجاه واد الديمقراطية . . في وقت تتفاقم
فيه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وينتشر الفساد والانحراف .

وتبتلع تلك النظم الطعم فتتعزل نسبيا عن الجماهير أو حتى كليا
وتسقط أما عن الطريق البرلمانى (الهند وسيلان) وأما عن طريق الجيش
(باكستان) .

واليمين يأتى في جميع الأحيان بطلا نظيفا يقاتل بعيوب ومفاسد
العهد الوطنى السابقة .

ولقد نجحت جزئيا المؤامرة في مصر . .

لقد دفع النظام الى اتخاذ اجراءات غريبة ضد الديمقراطية لأول مرة
. . فعندما تسن قوانين تعاقب بالأشغال المؤبدة من ينظم تنظيميا سريا أو يقوم
باضراب أو اعتصام أي ضرب حركة الجماهير . . ولكنه أيضا وهذا هو
الأخطر . . عزل للنظام عن جماهيره حتى لو صوت في الاستفتاء ٩٩ر٩٪
من الناس ؟

ان ضرب الديمقراطية كما علمتنا التجربة يبدأ بضرب اليسار . .
وهذا قانون سياسى اذا جاز التعبير .

ولذلك لم يكن صدفة أن أحزاب اليمين في إسبانيا هي التي أصرت
على السماح بالحزب الشيوعى لأن ذلك كان هو الدليل العملى والحقيقى
على جدية الملك كارلوس فى تطبيق الديمقراطية وإزالة عهد فرانكو عدو
الشيوعية الأول الذى طوح به الى زباله التاريخ .

ان المؤامرة تريد سلب جوهر نظامك يا سيدي وهو الديمقراطية وفيه
ظل الضائقة الاقتصادية وعدم التوصل الى حل نهائى للمشكلة الوطنية
يتراكم السخط ويتراكم حتى يمكن لليمين أن يتحرك . .

وأنا أقول اليمين ٠٠ لأنك يا سيدي حتى لو فتحت أبواب مصر للراسمال الأجنبي بلا قيد أو شرط ٠٠ ولو أعفيت الرأسمالية المصرية من كل قيد ٠٠ فلن يغفر لك الاستعمار ولا اليمين المحلى أنك واحد من تسعة قاموا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٣ بثورة ضد الاستعمار والرجعية ٠

وإن يغفر لك أنك شاركت عبد الناصر وما زلت تصر على تلك الشركة بإعلانك تحمل مسؤولية حتى أخطائه ٠٠

وإن يغفر لك ماضيك ضد الاستعمار وأنت شاب ضابط من أسرة فقيرة مفروض أنك كنت تتمسك بما حققته ولا تبالي بشئون الشعب بعد إذ أصبحت ضابطا ١

وأنا أقول اليمين وأصر عليه لأن اليسار لا يمكن أن يقلب نظام الحكم حتى ولو أراد ضارين بفرض الحائط بموقف اليسار التقليدي من السعى الدؤوب للتحالف مع سائر القوى الوطنية ولو حاولت التخلص والمراوغة، وأذكرك بما قلته لى مرة بل ربما أول مرة لقيتك فيها من أنك لا تفضي إلى صلاب اليسار ٠٠

إن البعض يقول ما سر تلك الحملة الظالمة على اليسار ؟ إن ذلك محاولة لتطويق اليسار في المستقبل ٠ لأن مصر ستمر بصعوبات اقتصادية شديدة ٠٠ كما أن المشكلة الوطنية سيطول حلها ٠٠ وبالتالي فإن اليسار هو القوة الوحيدة حتى لو كان صغيرا اليوم التي يمكن أن تطرح شعارات تجد هوى لدى الجماهير وتسبب المتاعب للنظام ٠

لذلك يجب حصاره من اليوم وتخويف الناس منه ٠٠

وهو منطلق بيدو سليما ٠٠ ولكن من وجهة نظر رجعية صرفة ٠٠ وجهة من لا يريدون حل مشاكل الشعب حتى بمنطق بعض الإصلاحات ٠٠ ومن يريدون تجاهل القضية الوطنية تحت ستار أنها تأخذ وقتا طويلا ٠٠ لكن لماذا لا نعود إلى الحل البسيط والمنطقي الذي تنهجه أي قوى وطنية ؟

لندرس الخريطة السياسية لمصر (نذكر القاريه أن هذا الكلام كتب في مذكرة قدمت للمسادات في أغسطس عام ١٩٧٧ ؟ كي يقارن بين ماجري بعيد ذلك وما يجري اليوم وما ينتظر أن يجري غدا ١٩ ٠٠)

أولا : عندنا النظام الوطني الذي تقودونه ٠٠ وريث ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ الذي يطرح وثيقة الاشتراكية الديمقراطية التي أرى أنها وثيقة تقدمية في مجال الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ٠

وليس مطلوباً من ذلك النظام تطبيق اشتراكية ماركس أو ما شابه ذلك . . ان أمامه مرحلة استراتيجية كاملة تمتد لعشرات السنين بعد استكمال التحرر الوطنى وبناء الاستقلال الاقتصادى .

ثم عندنا اليمين الذى له السند الاجتماعى الضخم . .

فوق وجوده فى الجيش فهو موجود فى شركات محلية وشركات أجنبية ذات طابع طبقى أساساً . .

و ٨٥٪ من أجهزة الدولة تتعاطف مع ذلك اليمين وكذلك فى الاعلام .

وأجهزة الاستعمار تملأ البلد .

ثم هناك رصيد ضخم من أخطاء ثورة يوليو وقضايا الفساد التى يمكن الهاء الناس بها ثلاث سنوات على الأقل ينقض فيها اليمين على مكاسب الشعب .

ثم هناك اليسار . . ويشمل الماركسيين ومن يسمون أنفسهم بالناصريين ونوعيات أخرى عديدة .

وسنده الاجتماعى ضعيف . . ولكن تأثيره وسط المثقفين بالغ ويستمد قوته أساساً من تاريخ النضال ومن قوة اليسار العالمى وقدرته على التحرك وفقاً لمنهج علمى .

ماذا يريد نظامك يا سيدى ؟

يريد :

— تحرير الأرض المحتلة .

— اقامة تنمية صناعية وزراعية شاملة .

— تحقيق قدر من العدل الاجتماعى تحت شعار الاشتراكية الديمقراطية .

— اقامة نظام ديمقراطى ليبرالى الى حد ما يتخذ شعارات مثل سيادة القانون ودولة المؤسسات .

— على النطاق العالمى يعلن النظام اتباع سياسة الحياد .

— بالتأكيد يريد النظام المحافظة على مكاسب ثورة ٢٣ يوليو ومن مصلحته ذلك ومن مصلحتك أنت شخصياً يا سيدى .

— يدعو الى الديمقراطية والى تعميقها .

— يؤيد سياسة الحياد الايجابى .

ويعد هذا الاستعراض العام والمختصر ..

ايهما اقرب اليكم يا سيدى ؟ اليمين او اليسار ؟

ان المصلحة تحتم التعاون مع اليسار ..

ان الخلاف بينكم وبين اليسار خلاف ثانوى فقد يدهو اليسار مثلاً الى عدم بيع اجزاء من بعض شركات القطاع العام .. او يدعو الى تنمية فى الصناعة الثقيلة أولاً .. ولكن كل هذا فى اطار اتفاق مشترك بينكم وبين اليسار على المحافظة على القطاع العام وتحقيق التنمية أيضاً ..

وقد يرى اليسار ان الحملة المتزايدة على الاتحاد السوفيتى خرجت بنا عن نطاق الحياد او تضر بسياسة كسب الاصدقاء ..

ولكن فى جميع الاحوال ان اليسار حليف واضح .. مفيد .. عنده ما يقدمه لاثراء وتنمية التجربة الوطنية وتدعيم الحكم الوطنى ..

وان ظروف اليمين حيث تتلمظ القوى القديمة للخروج من اوكارها .. ان الحليف الطبيعى هو اليسار والمسئولية الوطنية توجب هذا التحالف لتصد هذه القوى .. فحتى اليوم ان اليسار من اصلب القوى للدفاع عن مكاسب يوليو ، بينما تتلمظ القوى الرجعية القديمة للقضاء على الثورة .

ولقد بدا يا سيدى فى بداية عهدك انك متجه هذا الاتجاه .. اتجاه التعاون مع اليسار .. ولكنك فى نفس الوقت اطلقت العنان لقوى اليمين المجهزة اصلاً والمسيطره على وسائل الاعلام فاوشكت على الانقضاض على ثورة يوليو كلها بادانة عبد الناصر تماماً جملة .. وتفصيلاً لتكون الخطوة الثانية توجيه الاتهام اليك باعتبارك واحداً من الذين صنعوا الثورة ورفيق لضالته وحليفه والذى أعلن تحميله للمسئولية عن كل أخطائه .

وكان من بين قوى اليمين التى اطلقت عقالمها احطها واكثرها تخلفاً وهى قوى اليمين الدينى فى تصور انها قادرة على صد رياح اليسار ..

ولكن تلك القوى كالعادة عبرت بالضبط عن سياسة الاستعمار الذى لا يريد الا عملاء من طراز بارك كوريا الجنوبية فتمردت على نظامك نفسه وتآمرت على السلطة الوطنية ودهرت لاغتيالها فى حادث الفنية العسكرية .. وتدعو اليوم الى الردة الى أبشع من أيام محاكم التفتيش !

واتجهت الي الخطف والإغتيال ٠٠ والبقية تأتي ٠٠ ومن عجب ان الجماعة التي تخطف عالما كبيرا من حضن عائلته في هدأة الليل وتقتله شر قتلة وتفجر القنابل والشراك الخداعية بدلا من كشفها والهجوم عليها يهاجم النظام اليسارى والماركسية ليل نهار وحتى ذلك الهجوم لا يتم بالعسل والقسطاط بين الاثنين ٠

دائما تركّز معظم الخطب ضد اليسار ثم مجرد كلمتين أو بضعة كلمات عن جماعة التكفير والهجرة يقال على استحياء غالبا ١١

ان اليسار الموصى كان وما زال يعمل صابا تلك الرياح اليمينية العاتية دفاعا عن نظامه وعن مستقبل الوطن كله ٠

ولكن اليمين نجح في جعل النظام يتهم اليسار بحوادث ١٨ و ١٩ ٠٠ ومنذ ذلك النجاح ونحن نعيش نكسة فكرية مروعة ٠٠ وتبدو في الأفق معالم أزمة بين الثورة والثقفين اعنف وأحط مستوى من الأزمة التي كانت بين نظام عبد الناصر وبينهم ٠

ويبرز أحط الكتاب مستوى في مجال محاربة الفكر التقدمي ٠٠ وارتفعت للرايات السوداء بالإتهام بالالجاذ للمفكرين كأننا في العصور الوسطى ٠٠

وأصبح من أكثر الأمور مدعاة للسخرية ان يقسم بعض المثقفين أو السياسيين على انهم مسلمون فيكفرون مع ذلك كأن البعض يحمل صكوك العفران ٠

عن الاتحاد السوفيتي

ولقد اثرت يا سيدي أنه لا امان لمن لا ايمان له ٠٠ وأنا استطيعك عذرا يا سيدي لنعود الي التاريخ من الذي نكب الأمة المصرية والعربية ٠٠ واحتلها واستعمرها ونهب بثرواتها وغدر بها ؟

الليست هي الأمم أو الدول التي ترفع شعار الايمان بالله وبعض رسله ؟ ٠٠ اليس الذين غدروا بنا هم الانجليز والفرنسيون والأمريكيون والبلجيكيون و ٠٠ وكل دول اهل الكتاب المؤمنين ؟ ٠

ان الذي شرد اهل فلسطين وغدر بنا عدة مرات هم اليهود المؤمنين بربهم المتعصبين لايمانهم ؟ ٠١

ومن الذي ساعد ولو الى حد ما شعوب العالم ونحن من بينها الأمم الإسلامية في نضالنا لتحرير أنفسنا من هؤلاء المحتلين المؤمنين ؟ ٠٠

ليست هي الدولة الموحدة ؟ سواء اكانت روسيا او الصين ؟

ان الحملة الحالية على الاتحاد السوفيتي ليست لأنه احتل أرضنا
او نهب ثروتنا .. او قتل جدودنا او سلب اسرائيل علينا ومدها بالمدفع
الطائرة ؟

انما هي حملة فقط لأنه كف عن مساعدتنا .. ويعنى ذلك اننا ننظر
اليه كأنه ملزم بمساعدتنا .

ولو صحح الاتحاد السوفيتي اخطائه معنا لصار صديقا حميما ..
يل لو اعطانا السلاح الناجع لطرد اسرائيل لأصبح ذا وضع خاص ولعقدنا
معه معاهدات صداقة رغم أنه دولة ملحدة !

عن التحالف مع اليسار ..

من الذى يتحلى « بأخلاق القرية » اليوم بين القوى السياسية المختلفة
فى مصر ؟ من الذى يدافع عن عبد الناصر أى عن الثورة أى عنك
انت يا سيدى حتى اليوم .. رغم ان عبد الناصر آذاهم اىذاء شديدا ؟

اليسوا هم الذين نصفهم بأنهم لا ايمان لهم وبالتالي لا امان لهم ..
انه من الممكن توجيه أى تهمة للماركسية الا تهمة النفاق ..

أى ان هناك امانا كبيرا ولا حد له بهم .. انهم واضحون وصرحاء
تماما اذا ايدوا اعلنوا تأييدهم صراحة دون اكترات بشئ ، ولو كان من
يؤيدوه سجانهم وجلادهم ..

واذا عارضوا اعلنوا ذلك دون تردد على الملأ كله ولو جلسوا على
خازوق ..

وهكذا كان تاريخ الماركسيين مع الثورة وهو تاريخ تعلمه جيدا
سيادتك فهم اناس تعرف موقفهم جيدا وبالتالي تستطيع تحديد الموقف
منهم ..

يا سيدى انت غاضب على اليسار لماذا ؟

لقد رايت لطفى الخولى فى موسكو يدافع عنك أمام المثقفين السوفيت
وأمناء اللجنة المركزية دفاعا بأسلا باقتناع كامل .. وهو صاحب مقالات
« الطريقة الساداتية » المشهورة التى أزعج كل كتّاب مصر الحاليين
لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها !

ثم صديقك عبد الرحمن الشرقاوى .. هذا العملاق الذى قدم لك

ولنظامك الوطنى أعظم خدمة طوال السنوات الست التى قضاها فى
روز اليوسف •

فقد جمع من جولة كثيرا من الشيوعيين واليساريين يؤيدونك تأييدا
عقلانيا وينقدون ما يرونه خاطئا فى منبر علنى هو أحد منابرهم ••

ويدعون اليسار العربى والعالمى للدفاع عنك ويتصدون للمراقضين •

عن روز اليوسف

لقد حولت قيادة روز اليوسف السابقة (الشرقاوى وصلاح حافظ
وفتحى غانم) المؤسسة الى قلعة وطنية « ساداتية » • ولم يكن عبثا ذلك
الهجوم الذى دأب الرافضون على توجيهه ضدنا عبد الرحمن الشرقاوى
وصلاح حافظ وأنا باعتبارنا مرتدين أو «كلاب» السلطة •• الخ •

ولعبت روز اليوسف دورا هائلا للنظام باعتبارها تجسيدا
لديمقراطية حركة مايو • لقد كانت واجهة عظيمة لتلك الديمقراطية اذ من
المتفق عليه نظريا وواقعيا انه لا ديمقراطية حقيقية دون حرية عمل اليسار
أو على الأقل حرية الرأى له •

ولقد كان السؤال الذى نساله فى سفيرياتنا فى السنوات الأولى
لانهضة روز اليوسف • هل صحيح ان تلك المجلة تصدر فى مصر ؟ •

ودعت المجلة أو المجلتان روز اليوسف وصباح الخير الى الوحدة
الوطنية وكشفت عيوبها وأخطاء صددت بها رياها يمينية عاتية كما نفست
عن الناس سخطهم فيما وصف بأنه مقالات تشكيك وصححت أخطاء سياسية
ورسمت اتجاهات وطنية صائبة •

وغير مجهول ان الناس تميل الى تصديق من ينقد الحاكم اذ
ما امتدحه وأشاد به لأنه بالنقد يؤكد مصداقيته ولذلك كان الناس يصدقوننا
عندما نؤيد خطوة من خطواتك عن اقتناع من جانبنا حقا وصنفا •

ونحن نعلم ان هذا الدور الذى قامت به روز اليوسف قد ألب عليها
قرى عديدة من أقصى اليمين •• ووضعت عراقيل عنيفة ضدها •
لكننا •• سمعنا •• فقد كنا نلمس أولا تأييدك وتشجيعك لحرية
الصحافة •

وكنا نلمس أيضا مساندة رئيس الوزراء ممدوح سالم الذى قدمناه
للجماهير أحسن تقديم ولم ندع الى استقالته •

كما كنا نلمس مساندة اسماعيل فهمى وزير الخارجية الذى بذلت

روز اليوسف بموضوعية كاملة جهدا في دحض كل ما أشيع عن موالاته
للولايات المتحدة نتيجة تلك الندوة المعروفة عندما كان وكيلا للوزارة ٠٠
وواجهنا هجمة وتفرصات الرافضين ضده ٠

لكن جبهة الخصوم تكاثرت وحصلت تعديلات في المواقف ٠٠ وبدا
لل بعض أن اليسار هو الخطر والبيع ٠٠ مع أن ورثة ثورة ٢٣ يوليو هم
يسار ٠٠ لأن الثورة يسار ٠٠ والمفروض أن الأقرب إليها هم الماركسيون
باعتبارهم مجرد فريق من اليسار ٠٠

ماذا حدث إذن مع الشرفاوى وصلاج وغانم ؟

لقد اقتلعتهم يا سيدى من مناصبهم ٠٠

فهل يمكن أن تقول هنا أنه لا أمان لهم ؟ ٠

وماذا فعلت بالنسبة لى أنا ؟ لماذا هذه الحرب ضد اليسار ؟

عن الحرب ضد اليسار ٠٠

انهم وجدوا أنفسهم متهمين بأبشع تهمة ٠٠ التخريب والتدبير
ومسئولية حرق القاهرة ٠ ومصر كلها ٠٠ وهو كما تعلمون سيادتكم جيدا
أنه ضد مبادئهم وتاريخهم ٠

فماذا يفعلون ؟

اليس من حقهم الدفاع عن أنفسهم ٠٠ خاصة أن مثل ذلك الاتهام قد
تكرر عدة مرات فى مناسبات سبق توضيحها ؟

ماذا فعلوا أكثر من ذلك يا سيدى ؟

ان لطفى الخولى كتب يدحض التهمة عن اليسار ويتهم الحكومة
بالمسئولية ٠٠ وعزل، ونهر الداخلية كان دليلا على بعض تلك المسئولية !

وكتبنا فى روز اليوسف تلك الاتهام ونكشف حقيقة موقف اليسار
المؤيد لنظامك البرىء من الأحداث ٠

وفعل حزب اليسار نفس الشيء ٠

وكذلك فعل الذين اتهموا أمام النيابة والمحاكم ٠

هذه هى كل القضية ٠٠ دفاع عن النفس مع عدم خيروج عن إطار
الجبهة الوطنية ٠

لو لم يوجد الاتهام لليسار لما كتب أحد ما كتبه ، ولما كتبت الكتابة
قد اتجهت وجهة أخرى وهى اصلاح المسار الاقتصادى بالماليه كذا
وكذا حتى يمكن عدم تكرار ما حدث ولعلنا النعمة السائلة هى تاييد
النظام .

ولما اضطر اليسار العالمى الى الدفاع عن اليساريين فى مصر .
ولما نشب الحريق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى لانه اتهم انه يحرك
عملاء له فى مصر لتدمير الحريق .

والذى يحول شون حصر الشناقض فى داخل الحنف الوطنى حتى الآن
هو استمرار تلك الحملة على اليسار والماركسيين . . . فهى فوق انها حملة
غير علمية فهى غير ديمقراطية لانه لا توجد وسيلة واحدة للرد عليها .
والذى يريد الرد لابد وان يشكل تنظيما سريا . . او « يهيب » خارج
مصر . .

وهتى « الهبة » يريدون تحريكها . . كمثل تلك المهزلة التى ارادوا
عملها مع خالد محيى الدين والتقارير الكاذبة عن تصريحات للطفى الخولى
وغيره .

ومع ذلك هل استجاب اليسار لهذا الاستفزاز ؟

ان كل من اقبلهم اجدهم يضعون ايديهم على قلوبهم يخشون النتائج
المرتبة على تلك الحملة من سيطرة اليمين وتوجيهه لمسارها . وضيق
البلد كلها حتى مع حياتهم الشخصية .

انك لم تعلم علم اليقين يا سيدى الرئيس ان الماركسيين فى مصر
يعتقدون ان وجودهم الجسدى فى مصر مرتبط بوجودك على قمة السلطة
وعندما قال لك صلاح حافظ ونحن فى الاسكندرية عام ١٩٧٦ فى رمضان
« انت موجود . . اذن فنحن موجودون » لم يكن يبالغ وإنما كان يلخص
الموقف السياسى كله فى مصر .

ولم يتغير الموقف بحملتك الغاضبة علينا بل وغير العادلة ايضا .
ما زال الشعار انت موجود اذن نحن موجودون حقيقة رغم الغبار المثار . .
لأننا نعلم انك وطنى عنيد . . وان الفاشية الدينية تتربص بنا ويك .
وانك تقدر اليسار وتعرف امانته .

واخيرا ان بعد نظامك . . نظام يوليو ببساطة هو الطوفان .

يا سيدي ان الذين يحملون على عبد الناصر هم ممن دفع بهم الى الصفوف الاولى او الثانية فهل هذا هو الوفاء ؟ او اخلاق القرية ؟

وسدقنى ان التحدى الحقيقى للمصحافة المصرية سيظل هو الفراغ الذى تركه محمد حسنين هيكل بعد عزله من الاهرام . والذين يتصدون لهاجمته اليوم يساعدون على بناء مكانة اكثر رسوخا له . لانهم يهاجمونه بهجج تافهة . كما انهم انفسهم مجروحون .

وان كان لى ان ارشح رئيسا لتحريز الاهرام فان اكثرا الناس لهذا المنصب هو صلاح حافظ .

وقد يكون اقتراحا جنونيا فى هذه المرحلة بالذات . ولكنى هنا قد آليت على نفسى ان اكون صادقا معك تماما فيما افكر فيه وفيما اعتقد وانى لاتحمل مسئولية الامانة التاريخية .

يا سيدي . ان امجد ايام عبد الناصر هى تلك التى كان فيها حليفا لليسار العربى والعالمى . والمرء يحار . ما هو التناقض بينك وبين اليسار ؟ حتى لانك تهاجم حزب اليسار ذاته الذى صرحت به رسميا .

اذا كنت تريد استخدام اليسار فى لعبة الشطرنج الدولية فاذن اننا مستعدون للقيام بهذه التضحية ما دام فيه تحقيق مصالح الوطن وجلاء المحتلين واقامة دولة فلسطين .

ولكن هذا الاستخدام . ليس من حقنا ان تطالب بان يكون يرفق وبالتنسيق معنا ولو فى كتمان شديد ؟

ليس من حقنا ان نحذر ان الزمام سيفلت . وان بلادنا قد اضطدمت باليسار العربى والمحلى والعالمى وهو اقوى قوة جماهيرية فى العالم توازننا فى مواجهة العدر وحتى لو كانت أمريكا هى مركز المناورة السياسية الكبرى ؟

وافضل من ذلك . ليس من حقنا ان نقول ان الطريق السليم لتحقيق الاهداف القومية هو التعاون والتلاحم بين كل القوى الوطنية ؟ بدلا من حكايات لعبة الشطرنج وتوجيه الحملات الظالمة بل والايذاء الفعلى لقوى وطنية مخلصنة وتقدمية ايضا ؟

انك يا سيدي كنت دائما تفرق بين يسار مستنير . ويسار متحجر موجود فى كل بلاد العالم وهو يهاجمنا قبل ان يهاجمك . وتأثيره المحلى والعالمى محدود بل ينحسر تأثيره .

اننى اناشدك أن تدمرو الى كلمة سواء ٠٠ وتوقف هذا الطوفان
اليمين الشرس ٠٠ ونحن قادرون بعد ذلك على افقاد أى جماعة متحجرة
يسارية سواء هنا أو خارج مصر تأثيرها السياسى وذلك بالمناقشة
والاقناع ٠٠

ان معاداة اليسار هكذا ٠٠ انما هى مسألة عشوائية لا تفيد وانما
تضر ضررا بليغا ٠

عن الاتحاد السوفيتى ٠٠

اما بالنسبة للاتحاد السوفيتى ٠٠

ان اخطاءه مع بلادنا معروفة ٠٠ ومع ذلك ان المرء ليدفش من هذا
الاشتغال المستمر والتوتر فى العلاقات ٠٠

فعندما يذهب اسماعيل فهمى ويقابل جروميكو فى صوفيا يتصور
الناس ان الأمور ستهدأ على الأقل اعلاميا حتى يمكن للقادة فى البلدين على
الأقل تدبير الموقف ٠٠

لكن فجأة تشتعل النار ٠٠

ثم يلتقى الوزيران مرة أخرى ويتوقع الناس الهدوء ٠٠ ثم ينفجر
الموقف مرة أخرى ٠٠

لا يمكن الانتظار قليلا شهرين أو ثلاثة ٠٠ دون حملات اعلامية ٠٠
ان المسألة تبدو كما لو كانت تمثيلية ٠٠

ثم يا سيدى اود أن أشير الى أن الهجوم على الاتحاد السوفيتى
بسبب أنه يريد ثمن أسلحته بالعملية الصعبة فى الوقت الذى تدفع فيه
للغرب عملة صعبة للأسلحة أولا بأول - وهو ثمن تدفعه السعودية ٠

هذا الهجوم يثير بين الناس تساؤلات :

- اليس من حق الاتحاد السوفيتى أن يحصل على عملة صعبة ؟

- ان المعونات السعودية مشروطة يدفع ثمن السلاح للغرب ٠

وانا طبعاً أوافق على شرط كهذا من السعودية للحصول على أى
مساهمة منها فالسلاح هو السلاح سواء كان من الشرق أو الغرب المهم
حصولنا على السلاح ٠

ولكنى ألفت النظر الى أن هذه نقطة خاطئة - اعلامياً :

وما زلت عند رأيي عن تهميل الاقتصاد السوفيتي المسئولية الاولى
لنتدهور العلاقات مع مصر وهذا مسجل في كتابي رفض الرفض وفي مقالات
عديدة لي في روز اليوسف *

على انني ما زلت اجد ان السوفيت هم اصدقاء واننا يجب جذبهم فهم
رصيد ضخم لحل المشكلة الوطنية والتنمية الاقتصادية في المستقبل ..
ويجب الاستفادة من علاقتنا بهم للضغط على الولايات المتحدة .. وان
العداء للسوفيت قد يجرنا الى ورطات ومازق نحن في غنى عنها .. واد
منا ان اوضح ان بعض المعلقين السياسيين في امريكا ياملون او يخططون
ان تصبح مصر في افريقيا بمثابة اسرائيل في الشرق الاوسط اي تدافع عن
المصالح الامريكية وتصارف اليسار *

وتجربة من سبقونا في آسيا قد اثبتت فشل كل محاولاتهم لمصاربة
البعث في تلك القارة وارتدوا الآن على اعقابهم خاسرين يحاولون اليوم
مقاطعة ود كل من فيتنام وكمبوديا ولاوس ؟

عن شخصي المتواضع :

وبعد يا سيدي فاسمح لي ان انتقل الى مناقشة مسألة ذاتية وان
كانت مرتبطة تماما بالموضوع ذاته *

وهي مسألة موقفكم الاخير مني شخصيا *

ان هذا الموقف لم يدهشني أنا فقط بل أدهش الجميع .. كان البعض
يحسدونني على التقدير الذي شرفتموني به طويلا *

وقد اثار هذا الوضع تساؤلا عند الجميع .. هل هناك امان لدى
السلطة ؟ لقد سمعنا كثيرا عبارة « السلطان من بعد عن السلطان » ..
ورغم اني اعني جيدا معنى الدولة وانه لا مكان للمواطن في علاقات الدولة
فعلا حتى بالافراد .. الا اني مندهش وغير مستريح لهذا الموقف من جانبكم
تجاهي ..

على اي حال كما قلت لكم في برقيتي فان ذلك لن يغير موقفي السياسي
منكم لمثل هذا الاعتبار الذاتي ..

والواقع انني منذ تشرفت بلقاء سيادتكم وأنا اواجه حملة من
التشهير ..

- جبهة الرفض واليسار الجديد تتهمني بالارتداد والعمالة لكم بل
والقبض شان اي مرئزق اجير حقير ..

— عندما بدأت جهودي للتفريق بين مصر وليبيا واجهت حملة من الاتهامات من الجانبين .

سمعت في مصر أن القذافي اشتواى وفعلنى أمولا .

وسمعت أنهم فى ليبيا هاجمولى واتهمولى بالتجارة لحساب فلان .
وفلانة . . . واشاعات عديدة .

كل هذا لم أبال به . . . فهى ضريبة أى نشاط . . . وأى نجاح . . .

على أن هناك سلاحا خبيثا يستخدم عادة بالإقحاح بين الكبير والصغير . . . وهو مألوف الاستخدام فى مصر . . . كأن يشى واش بأن فلانا يستغل علاقته بالحاكم لمصالح شخصية أو يخطط للظفر بمنصب أو مفند . . .

وارد فقط أن اسجل بعد مقاطعتكم لى ولا أدرى متى تنتهى تلك المقاطعة انه لم يكن لى مطمع خاص من علاقتى بكم . . . وحريصا على الاكتفاء بكونى كاتباً وصحفيأ أمينأ يكتسب معرفة وتجربة والتشارا .

ولعلكم تذكرون انه لم يحدث قط أن التمسث منكم تحقيق مطلب شخصى لى . . . أن تلميحا أو تصريحأ . . . وكنت أحمل لكم بعض مشاكل الآخرين ولم أثير مرة واحدة أية مشكلة خاصة لى رغم توفرها . . . ولم اطلب ترقية أو غنيمة . . . وحددت دائما وبصرامة قاطعة أن علاقتى بالنظام انى حليف له ولست جزءا منه وأعلنت لكم مرتين انى لا أقبل ولا أريد منصبا ولو وزاريا عندما حدث تلميح لذلك فى مناسبات معينة . . . وحتى كتبى التى كنت أولفها دفاعا عنكم لم أكن أبيع بعضها للرئاسة أو أى جهاز كما يفعل الآخرون بل كنت أهديك وكل رجال الرئيس نسخا منها . . . ولم استفد أو أتناهى مليما واحدا منكم أو أى جهاز دولة وكل سفرياتى كانت على حساب المؤسسة التى أعمل بها حتى عندما كلفتنى بالسفر لموسكو كان على حساب دعوة من وكالة نوفوستى السوفيتية .

أن كل ما حصلت عليه ماديا من الرئاسة هو دهوات الغداء والعشاء وقطع الشوكولاته التى كان يحصل عليها أطفالى عندما يلتقون مع والدتهم بالسيدة هرمكم السيدة الكريمة جيهان السادات !

لقد حرصت على أن تكون كل دقيقة فى الحديث فى مسائل سياسية أو تأليفية .

٥٠. وأنا أعلم جيداً إنني لست من النوع الذي يمكن للحاكم اسناد منصب له لأنى أملك أن أقول لا وصريخ صراحة زائدة ٥٠. ولذلك فأنى أنعم بالسكينة النفسية وأحمد الله أن أى زيادة فى دخلى إنما بفضل ما ألفت من كتب أو من حملات الاعلانات التى قيمت بها لأصالح المؤسسة التى أعمل بها فقط لا غير ٥٠ ثم أننى دفعت ثمننا فاندما لعلاقتى بسيادتك أن وجهت لى أبشع الاتهامات وأكثرها كذباً وبهتاناً ولم أكتثر قط ٥٠ وواصلت طريقى وتوجهى السياسى ٥٠ حتى اليوم ٥

ترجمة لبرقية للعقيد القذافي بالانجليزية ..

ارسلتها له من ميلانو ٧ يونية ١٩٧٧ بمناسبة ما قرأته وأنا هناك في الصحف من أن هناك محاولات لتحسين الجو بين مصر وليبيا بدأت باجتماع بين ممدوح سالم وعلى التريكي ممثل ليبيا حاليا في الجامعة العربية .

الرئيس القذافي ..

قرأت اثناء زورتي من الولايات المتحدة الى الوطن اخبارا طيبة عن اجتماعات ستعقد للتوصل الى تسوية مع مصر . أمل أن تبذل جهدا كبيرا هذه المرة لتحقيق هذا بعد التدهور الفظيع في العلاقات بين البلدين . أرجوكم أن تستبعد مستشاريك المراهقين اللذين يعارضون أي تقارب مع مصر وينشرون دعايات سخيفة . ان نظام السادات نظام قوى مستقر ولن يتخلى أبدا عن النضال بكل الوسائل لتحقيق الأهداف القومية .

ان عليك أن تلقى مع السادات مساعدا لمصر ماليا وعسكريا دون أي شروط محتفظا بايدولوجيتك الخاصة وعاملا على تهدئة الموقف مع النظم العربية الأخرى .

اقترح عليك بعد التسوية مع مصر عقد مؤتمر مائدة مستديرة يضم ليبيا واثيوبيا والسودان والصومال ومصر من أجل تسوية شاملة بين هذه المجموعة من الدول .

تحياتي الطيبة آملا أن نراك في القاهرة يدك في يد السادات والشعب المصري .

عبد الستار الطويله

برقية في ١٧/١١/١٩٧٧

بمناسبة مبادرة السادات لزيارة القدس

الرئيس معمر القذافي . .

طرابلس - ليبيا

ارجوك الا يكرر نفس الخطأ الذي تسبب فيه المستشارون عقب أحداث ١٨ يناير فصوروا لك قرب انهيار نظام السادات للوطنى فتراجعت بخطوات التقارب وبادرت مصر بالعداء حتى وصل الأمر الى صدام مسلح مؤسف .

صدقنى وانت تعلم تقديري وحرصى على وحدة الصف الوطنى العربى. ان الشعب المصرى لا يؤيد السادات فى قراره التاريخى الشجاع فخصب بل معجب بالقرار وازداد التفاؤا حول قيادته ولا تصدق أى تقارير اخرى وتعال بنفسك لتري وتسمع .

ان الشعب المصرى منذ ١٩٤٨ وعبد الناصر نفسه لم يعلم بالقضاء على اسرائيل . . وانما كان موقفه هو صد عدوانها دائما مع اعتبارها حقيقة . لذلك لا يخاف الشعب مناقشة العدو بل يعتبر خطوة السادات عزلا دوليا لاسرائيل حتى اذا فشل الصل السلمى ايندا معظم العالم فى حربها .

واذكرك يا سيادة العقيد بقولك لى انك توافق على تحديد اهداف مصر الوطنية بالجلء وبالدولة الفلسطينية . فلماذا تتظاهرون ضد مصر بيثا الاولى ان تكون المظاهرات سند لخطواتها الجسيمة وان تؤازرها انت شخصيا باعلانك تمويل معظم السلاح الليبى للجيش المصرى او تعاون بين الجيشين .

ارجوك الا تنتكس خطوات التقارب هذه المرة من أجل الوحدة الوطنية العربية فنظام السادات ثابت ثابت . .

عبد الستار الطويله

برقية في ١٧/١١/١٩٧٧

تحدد موقفى من مبادرة السادات

السيد / الرئيس انور السادات

الاسماعيلية

تحية وتقديرا لا حد له لشجاعتكم الثورية فى اتخاذ ذلك القرار التاريخى المسئول بمواجهة العدو فى عقر داره . ان ذلك القرار هو اعظم استعداد للتحرير بالقوة المسلحة بقدر ما هو خطوة عظمى نحو المصل السلمى فعبرية فائقة تعزلون العدو دوليا وتقطعون خط الرجعة على جماعات الضغط الصهيونية الأمريكية وتعمقون تحييد أمريكا وتسلبون جبهة الرفض الطفولى أقصى ما عندها .

ولم يبق يا سيدى الرئيس بعد ، ارجاب الشعب بجهواتكم وجراتكم الوطنية الا ان ترابوا الصدع الوطنى بعد اجداث ١٨ و ١٩ يناير فالجميع جنود خلف قيادتكم الوطنية البارعة والمؤفقة دائما لتحقيق التمهير الوطنى .

عبد الستار الطويله

كتب للمؤلف

كتب سياسية :

أوروبا والعدوان الاسرائيلي
اليسار الأوربي
حرب الساعات الست
رفض الرفض
ماذا يريد العقيد القذافي من مصر
السادات في اسرائيل
اسرائيل بعيون مصرية
أزمة اليسار المصري
أفغانستان الحقيقة والمستقبل
ثورة بعد سبعين عاما من الثورة
شركات توظيف الأموال
أزمة الخليج
النور فوق مصر
السادات الذي عرفته

أدب وحالات :

الانسان الأوربي في الجذ واللعب
المعجزة الألمانية الحقيقية
فلاح من سنتريس في باريس
دين المسافر الذكي الى أوربا

أدب :

الرجل الذي يعدو (رواية)
يسوع المسيح أسمى النجوم (مسرحية مترجمة)

للكاتب تحت الطبع

- أمريكا خلف نظارة حمراء
- من الاشتراكية الى الرأسمالية وليس العكس ١
- فوق حصير ياباني ساخن
- الزوجة الثالثة (ثلاثية روائية)
- مقدمة كتاب رسائل زوجة معتقل لسميرة سعيد رفاعي

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء الكتاب	٣
هذا الكتاب	٥
مواش معرفة	١٠
صندف غربية	٢٠
المقابلة الاولى	٢٤
امادة الكتابة	٤٢
ملاحظات على ١٥ مايو	٥٥
مكن الفلاح المصرى فى الحرب والسلام	٧٣
ماذا بعد حرب اكتوبر	٨٤
كامب ديفيد ١٩٧٨ و كامب مدريد ١٩٩١	١٠٢
السوفيت جابولنا الصينية	١٢٤
السادات والقذافى وجهها لوجه	١٣٧
السادات وليبيا	١٣٨
البداية	١٤١
استقراحة	١٦٢
حكاية معه ومع السلطة	١٦٣
مدخل ديمقراطى للديكتاتورية	١٩٤
ماذا كان يريد السادات فى ١٨ و ١٩ يناير	٢١٠
النكسة للديمقراطية	٢٢١
	٤٢١

الصفحة	الموضوع
٢٢٨	الافتتاح ٠٠ فى الأصل ٠٠ وفى الواقع
٢٤٢	سيدة مصر الاولى
٢٥١	ما بين النمرى ٠٠ وصدام حسين
٢٥٢	النمرى وعشم ابليس فى الجنة
٢٥٥	٠٠ وفى بغداد
٢٥٨	لماذا حسنى مبارك ٠٠ نائباً للرئيس
٢٦٧	التعامل مع السلطة
٢٨١	بداية ٠٠ النهاية
٢٨٢	وانفضوا من حوله
٢٨٩	بداية النهاية
٢٩٦	النهاية
٣١٩	الملحق
٣٢١	الملحق الاول
٣٣٥	الملحق الثانى
٣٤٩	الملحق الثالث
٣٧٨	الملحق الرابع
٣٩٩	الملحق الخامس
٤٢٧	ترجمة لبرقية التعقيد بالانجليزية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٨٤ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 2949 — 6



مر أنور السادات في حياة مصر كالعصر بأسلوب
الصدمة الكهربائية الذي اتبعه في كل قراراته السياسية
الخطيرة التي أثرت على مجرى السياسة المصرية ...
والكاتب من خلال علاقته الوثيقة بالسادات يقدم من خلال
مناقشاته وحواره المستفيض معه ما وراء قراراته تلك
سواء حرب أكتوبر أو معاهدة السلام مع إسرائيل .
وعلاقته بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ...
وباليسار وباليمين ... ولماذا انقلب على
الديمقراطية ... ولماذا اختار حسنى مبارك نائبا للرئيس ...
والدور الحقيقى لجيهان السادات ... وكيف اختلفت معه
في موقفه من الصحافة والمحامين والأحزاب السياسية
والتيار الدينى ... وأسرار أخرى كثيرة . يقدمها الكاتب في
تحليل وتقييم موضوعى لدور أنور السادات في تاريخ
مصر ...

